اعتمدت وزارة التربية الوطنية تدريس هذا

الأدبُ العربيُّ ونصوصُه

للسنة الخامسة الثانوية

ادبي – علمي – شرعي

تأليف
عمر توفيق سيفر آغا
مجاز في الآداب والتربية
من الجامعة السورية بدمشق

مراجعة
الأستاذ منير البعلبكي

الناشر : مكتبة الوحدة العربية

وفقاً للمنهاج الحديث الذي أقرته وزارة التربية الوطنية المغربية

الأدبُ العربيُّ ونصوصُه

للسنة الخامسة

أدبي – علمي – شرعي

تأليف
عمر توفيق سفر آغا
مجاز في الآداب والتربية
من الجامعة السورية بدمشق

مراجعة
الأستاذ منير البعلبكي

الناشر
مكتبة الوحدة العربية
الدار البيضاء
١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد — هذا كتابنا في الادب العربي ونصوصه الفناه للسنة الخامسة الثانوية بأقسامها : الأدبي والعلمي والشرعي ، ودرسنا فيه العصر الجاهلي وصدر الاسلام والعهد الأموي والعصور العباسية وعصر الانحطاط والادب الاندلسي والادب المغربي في عصري بني مرين والسعديين ، وبذلك شمل هذا الكتاب أغلب العصور الادبية في المشرق والمغرب .

ولقد سرنا في دراستنا لهذه العصور وفق منهاج وزارة التربية الوطنية الموضوع حسب التصميم الخماسي وبذلنا فيها من الجهد ما الله به أعلم لنسد به فراغاً كبيراً في التأليف المدرسي المغربي لمادة اللغة العربية .

وحاولنا في تأليفه السير حسب المراحل الآتية :

أولاً — جعلنا النص محوراً للدراسة ، اذ يجب ان تكون دراسة الادب في الثانوي مبنية على دراسة النصوص الادبية لتعطي الثمرة المرجوة منها ، ولذلك اهتممنا بالنصوص التي نص عليها المنهاج ودرسناها دراسة أدبية تحليلية وافية ؛ أما النصوص التي لم ينص عليها المنهاج والتي أضفناها اتماماً للفائدة فقد وضعنا حولها من الاسئلة ما يكفي لتشغيل ذهن الطالب في البحث الادبي حول موضوعاتها .

ثانياً — لم نلجأ الى حشر نصوص خارجة عن المنهاج، ولا الى ابحاث لم ينص عليها كي لا يتضخم الكتاب فتعيى ذاكرة الطالب عن استذكاره والإحاطة به

فضلا عن دراسته والاستفـــادة منه ، ولقليلٌ مفيد خير من كثـــير يتيه الطالب فيه .

ثالثاً — حاولنا ايضاح أدباء المنهج بشكل يساعد الطالب أو القــارىء على فهمهم فهماً واضحاً .

رابعاً — ربطنا بين منهاجي الشرعي والادبي ربطاً منطقياً يتفق والعصور الادبية المذكورة فيهما تدرجاً وتسلسلاً .

خامساً — وضعنا بعد كل بحث مراجع ليعتمد عليهـا الطالب في توسيـــع ثقافته الادبية ، ومواضيـع على شاكلة المواضيـع التي تأتي في امتحانات البكالوريا لمعالجتها تحت اشراف الاستاذ وتوجيهاته . هذا بالاضافة الى المصادر التي يراها الاستاذ ضرورية والتي تكون في متناول الطالب حسب بلده وبيئته وامكانياته المادية .

ولا بد من الاشارة هنا الى اننا لم نستطع وضع مواضيـع حول بعض الأدباء المغاربة الذين شملهم منهاج القسم الشرعي لندرة المصادر عنهم وتشابه ما حصلنا عليه منها بحيث ان تعدادها لم ينفعنا في الاطلاع على نواحٍ جديدة عن الاديب المدروس في أحدها .

على ان هذا الكتاب لا يمكن ان يكون مقصوراً على طلاب السنة الخامسة فقط ، لهذا فيه قسم لا بأس به من منهاج السنة السادسة بحكم ان منهاجي هاتين السنتين يتمم كل منهما الآخر ، كما انه لا يمكن ان يكون مقصوراً على الحقل المدرسي فقط ، انما هو كتاب أدبي عام يحتـــاج اليه جمهور القراء من المثقفين الراغبين في الاطلاع على الادب العربي .

ولا يسعني في ختام هذه المقدمــة إلا ان أتقدم بالشكر سلفاً الى الزمــلاء الكرام والقراء الأعزاء الذين سيبعثون الينا باقتراحات من شأنها ان تساعد على تحسين هذا الكتاب في طبعاته المقبلة إن شاء الله .

المؤلف

الدار البيضاء ، يوليو (تموز) ١٩٦٢

الادب في العصر الجاهلي

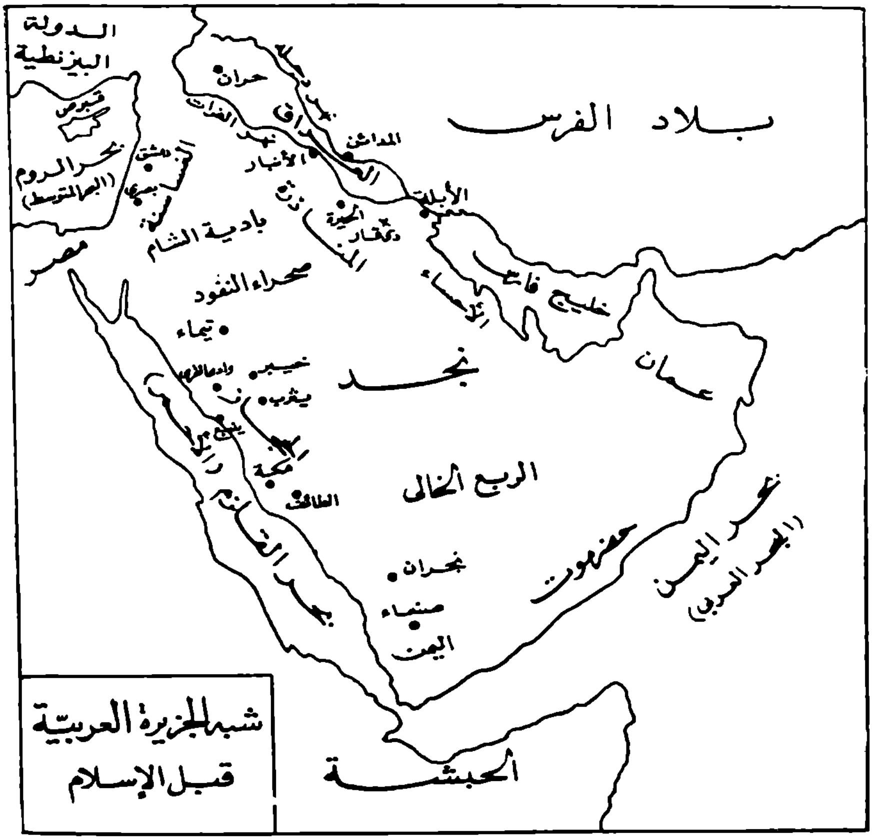
لمحة جغرافية

عن الجزيرة العربية

يسمي العرب بـــلادهم (جزيرة العرب) أو (الجزيرة العربية) وهي في الحقيقة شبه جزيرة لان الماء لا يحيط بها من جميع جهـــاتها فهي متصلة شمالاً بفلسطين وبلاد الشام والعراق . وتبلغ مساحتها ربع مساحة اوروبا أي مـــا يعادل ثلاثة ملايين كيلومـــتر مربع تقريباً . ويتـــألف القسم الغربي منها من قطرين كبيرين هما : الحجاز في الشمال واليمن في الجنوب .

فأما الحجاز فهو قطر يحجز بين تهـــامة التي تمتد على ساحل البحر الاحمر ونجد التي ترتفع في الداخل ، وهو قطر مجدب قليل المياه والامطار تكثر فيه المناطق الصخرية والأودية القاحلة وتنتشر بين أرجائه الحرارة القاسية ، ينبت فيه الكلأ عقب هطول الامطار فترعـــاه المواشي . وأخصب منطقة فيه هي الطائف حيث تكثر المياه والاشجار، وكانت تقطنها ثقيف . وأشهر مدنـــه (مكة) التي تقع في سفح جبل أبي قُبَيْس ، وفيها (الكعبة) التي كان يحج اليها العرب قبل الاسلام ، وهي قبلة المسلمين في صلواتهم وبها ولد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أشهر أماكنهـــا الصفا والمروة ومنى وجبل عرفـات والمزدلفة ، وفيها بئر زمزم المشهورة ، وكانت تقطنهـــا قبيلة قريش كما كانت قبيلة هذيل تقطن هضاباً في جنوبي مكة .

ومن أشهر مدن الحجاز ايضاً المدينـــة المنورة وكانت تسمى قبل الاسلام



شبه الجزيرة العربية
قبل الإسلام

بـ (يثرب) وتقع جنوبي جبل أُحد وفيها آبار ومياه ونخيل واشجار واليها هاجر الرسول ، وكانت تقطنها قبيلتا الأوس والخزرج . وفي شمال المدينة (خيبر) وكان يسكنها اليهود ، كما كانوا يسكنون المدينة ايضاً .

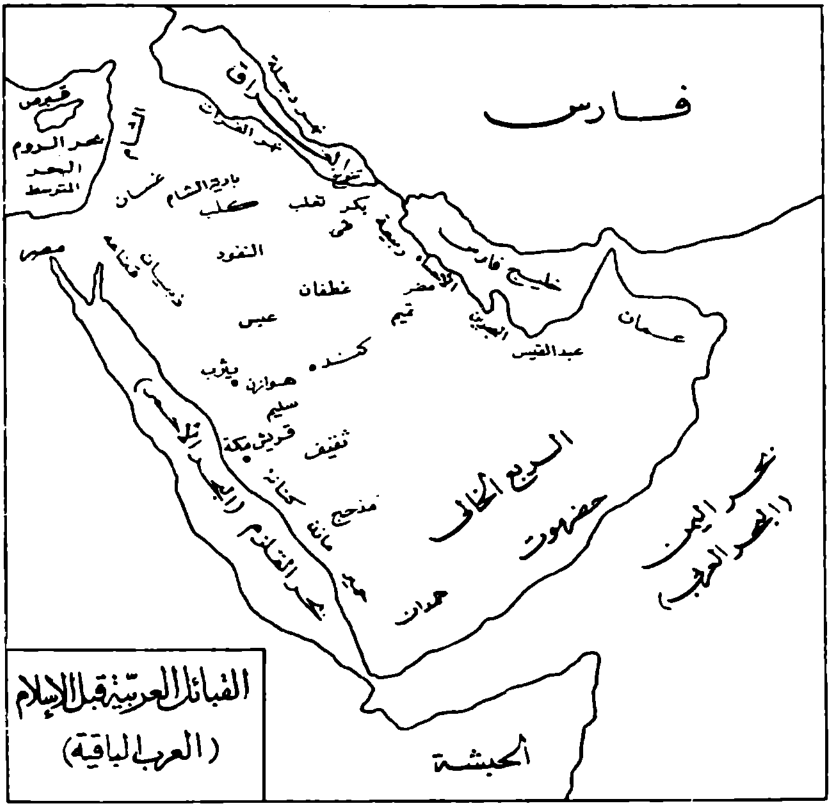
وأما اليمن فيقع في الجنوب من الجزيرة العربية وهو أكثر ثروة وغنى وحضارة من الحجاز ، فقد تحضّر أهله وعرفوا حياة التمدن والاستقرار على عكس أهل الحجاز ، واشتغلوا بالصناعة والتجارة والزراعة . ومن أشهر مدنه (نجران) في الشمال ، وكان أهلها يعتنقون النصرانية في الجاهلية . ومن مدنه سبأ وتسمى (مأرب) ، وفيها سد مأرب المشهور . ومن أشهر مدنه ايضاً (صنعاء) وهي مدينة تجارية قديمة ، وبالقرب منها قصر (غمدان) المشهور الذي ورد ذكره في كثير من قصص العرب واخبارهم .

ومن أشهر القبائل التي تسكن اليمن : همدان وكِندة ومذحِج وغيرها .

ويمتد في جنوب جزيرة العرب صقع (حضرموت) ولقد اشتهر اهله برحلاتهم التجارية . وفي الشمال الغربي منه قطر (الاحقاف) حيث كان يسكن قوم عاد الذين ورد ذكرهم في القرآن .

وفي الجنوب الشرقي من الجزيرة قطر (عُمان) وهو قطر جبلي اشتهر اهله بالملاحة وكان يسكن فيه بطن من طيء .

ومن عمان حتى العراق يمتد قطر يسمى (البحرين) ومن أشهر مدنه (هجَر) وهو موطن الشاعر طرفة بن العبد . أما أواسط الجزيرة العربية فصحارى قاحلة فيها بعض الواحات التي ينبت حولها الكلأ الذي ترعاه الماشية .



القبائل العربية قبل الإسلام
(العرب الباقية)

لمحة عن حياة العرب العامة

في العصر الجاهلي

إن الذي يعنينا من الناحية الادبية من هذا العصر تلك الفترة التي تمتد الى ما حول أواخر القرن السادس الميلادي عندما أصبحت اللغة العربية ، وهي إحدى اللغات السامية ، على النحو الذي وصل الينا في الشعر الجاهلي ونثره وخطبه وأمثاله ، وأما ما قبل هذه الفترة فلا يعنينا ، وليس لنا غرض به لأن اللغة العربية التي نعنى بآدابها وتاريخها انما عرفت في هذا العصر حينما أخذت لغة قريش تسود قبيل الاسلام جزيرة العرب كلها لاسباب سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية وعقلية .

أما حياة العرب السياسية فيدلنا ما صح من تاريخهم على انه كان لهم امارتان في الشمال : الحيرة على حدود الفرس ، والغساسنة على حدود الروم . وكان يحكم هاتين الامارتين امراء من العرب يخضعون لنظام الدول المجاورة لهم. فالحيرة تخضع في شؤونها للفرس والغساسنة يتبعون في أمورهم الروم . وكان أهل هاتين الامارتين يعيشون عيشة حضرية كما كان يعيش اهل اليمن في الجنوب عيشة حضرية ايضاً ، يزرعون ويصنعون ويترفون . وفي نجد قامت إمارة كِندة التي كان يتولاها اجداد امرىء القيس وكان آخر أمرائها حجراً أبا امرىء القيس الذي قتله بنو أسد . أما سكان أواسط الجزيرة العربية والحجاز ونجد ما عدا بعض المدن كمكة ويثرب

والطائف فكانوا اهل بداوة يحتقرون الزراعة والصناعة والتجارة ، ويعتمدون في معيشتهم على الإبل وما تخرجه ، ويتجوّلون في الصحراء يطلبون الماء والكلأ . وقد روي لنا شعر كثير ونقلت الينا قصص كثيرة عن حياتهم هذه.

ومن الصحراء الى الشمال يمتد قطر (نجد) المرتفع . ويعد هذا القطر من أصح بلاد الجزيرة العربية مناخاً ومن أجملها منظراً ، والقسم الجنوبي منه يعرف باسم (السمامة) أو (العروض) ، وهو قطر خصب كانت تسكنه قبائل طسم وجديس .

وفي شمال جزيرة العرب بادية الشام ويطلق على قسم منها اسم بادية السماوة أو صحراء النفود .

أما مناخ الجزيرة العربية فيغلب عليه بوجه عام الحر الشديد في الصيف والبرد القارس في الشتاء ، وخصوصاً في المناطق الصحراوية المتوسطة . وقد تهطل الثلوج على أعالي الجبال كجبال السراة مثلاً وتذوب في الصيف فيتولد عنها وديان موقتة تسقي البساتين والمزارع كما في مدينة الطائف مثلاً .

وهناك نوعان من الرياح :ريح الصَّبا وهي ريح شرقية معتدلة تغنى بها الشعراء، وريح السَّموم وهي ريح حارة مؤذية. وليس في الجزيرة العربية وديان دائمة الجريان إنما فيها جداول تتشكل من هطول الامطار أو ذوبان الثلوج ، ولذلك فان أفضل الفصول عند الأعراب هو فصل الربيع الذي ينبت فيه الكلأ فترعاه الماشية وتتوفر فيه المياه أكثر من بقية فصول السنة .

وأكثر الاشجار الموجودة في الجزيرة العربية النخيل . وأخصب مناطقها بلاد اليمن التي كانوا يسمونها (بلاب العرب السعيدة) .

اما حياتهم الاجتماعية فقد كانت القبيلة هي الوحدة الاجتماعية التي بني عليها نظام حياتهم وينتسب أفرادها الى أب واحد وتسودهم فكرة **العصبية**. وعلاقة القبائل مع بعضها علاقة عداء في الغالب ، يقتل القوي منهم الضعيف ويسلب ماله وعرضه . وكانت القبيلة مقسّمة الى أسر ، ونظام هذه الأسر يخضع الى

السلطة الأبوية إذ كان للأب السلطان المطلق والكلمة النافذة على افراد الاسرة جميعاً . أما أخلاقهم فقد كانت بدوية : من قلـّة للتشكي من الهموم ، ومحـالفة للصحراء ، الى سيف قاطع ، الى صفات هي المثل الاعلى للبدوي تجمعها كلمة (المروءة) وهي الشجاعة والكرم والوفاء . ولقد روي لنا شعر كثير ، ونقلت الينا قصص كثيرة عن حياتهم الاجتماعية هذه .

اما حياتهم الاقتصادية فتتلخص في اتصالهم بالامم المجاورة وذلك عن طريق التجارة . وكان القائمون بها اليمنيين في الجنوب ثم القرشيين في الشمال . وكانت تجارة اليمانيين مع الهند والشام ومصر والحبشة ثم ضعفت وحل محلها تجارة عرب الحجاز الذين كانوا يشترون السلع من اليمنيين والحبشيين ويبيعونها في اسواق مصر والشام . وكانت لقريش رحلتان : رحلة في الشتاء الى اليمن ، ورحلة في الصيف الى الشام . وكانت لهذه التجارة ولإمارات التخوم فائدة في اتصال العرب بمن جاورهم من الأمم فاستفادوا من الالفاظ الفارسية والرومية والحبشية والمصرية وأدخلوها في لغتهم .

واما عن حياتهم الدينية فنحن نعلم ان الوثنية كانت أكثر الاديان انتشاراً بينهم وكانت اللاّت والعُزى ومَناة أشهر أوثانهم. ويكاد تقديسها يعم القبائل العربيـــة . وانتشرت اليهوديـة في يثرب وفدك وخيبر واليمن . أما النصرانية فمركزها نجران في اليمن ، وكانت في ربيعـة وغسان وتغلب وبعض قضاعة .

وكان الى جانب كل هذه الديانات « الحنفاء » الذين كانوا على سنة ابراهيم ومنهم ورقة بن نوفل وعثمان بن الحارث وغيرهما .

وعلى كل فان أثر الدين في نفوس العرب كان ضعيفاً جداً .

اما عن حياتهم العقلية فاننا لا نأمل في مثل الطور الذي ذكرناه من حياتهم الاجتماعية والبدوية ان يكون عندهم علم منظـّم لان العلم لا يكون إلا في الحياة الحضرية الراقية . ولكنهم استفادوا من تجارب الحيـاة العملية فعرفوا النجوم

والأنواء والطب وخطرات فلسفية من هدي العقل السليم تسربت اليهم عن طريق التجارة وامارات الحدود واخبار الروم والفرس وماهدتهم اليه فطرتهم، ولقد ظهر كل ذلك في اشعارهم مع ما حملته اليهم اليهودية والنصرانية . وكانت تغلب عليهم الامية فلم يكن يحسن القراءة والكتابة منهم إلا قليل . ومع ذلك امتازوا بحدة في الذكاء وحضور في البديهة وفصاحة في القول . وكان الشعر والقصص والخطب والامثال أكبر مظهر لحياتهم العقلية هذه .

مصادر

١ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان
٢ ــ العرب لفيليب حتي
٣ ـ تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان
٤ ـ تاريخ اداب اللغة العربية لكارلو نالينو
٥ ـ كتاب الاصنام لابن الكلبي
٦ ــ فجر الاسلام لأحمد أمين

نشأة اللغة العربية وتطورها

اصل اللغة العربية : لغتنا العربية هي إحدى اللغات السامية التي نشأت عن أصل واحد وتشابهت في الخصائص والقواعد والالفاظ ، وهذه اللغات السامية هي : الاشورية والعبرية والسريانية والكنعانية والحبشية ، وأكثرها مات ولم يبق منها الى اليوم إلا العربية والعبرية والحبشية .

ويكاد يجمع المؤرخون على ان مهد اللغات السامية هي ارض بابل في العراق، ومنها انتشرت في الجزيرة العربية وما حولها . ولما كانت البيئات مختلفة وكذلك الازمان فقد ابتعدت تلك اللغات عن أصلها الذي تفرعت عنه وبقيت اللغة العربية أقربها من هذا الاصل لانها كانت معزولة في الجزيرة العربية ومقصورة على القبائل العربية التي كانت معزولة أيضاً في صحارى الجزيرة وحدودها .

نشأتها : هناك نظريات كثيرة في نشأة اللغات لا مجال لذكرها هنا ، على ان للغويي العرب الاقدمين مذهبين اثنين في أصل اللغة ، الأول انها إلهام من الله ، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » وبغيره . والثاني انها اصطلاح وتواطؤ كما نجد عند ابن جني في خصائصه . على ان أقرب نظريات نشأة اللغة الى التفهم والمعقول والواقع انها كلها كائنات حية ، وانها تكونت من طريق الاشارة ومحاكاة أصوات الطبيعة والحيوانات . ومن ذلك ألّف الانسان في أول أمره مقاطع بسيطة كانت هي الاساس في تشكل اللغة؛ ثم جاءت عوامل كثيرة ساعدت على انماء هذه اللغة وتوسيعها . وهكذا نشأت

لغتنا العربية نشأة بسيطة وتشكلت في أول الامر المقاطع الثنائية ثم أضيف على هذه المقاطع حرف او أكثر لاداء معانٍ جديدة ، واليك مثالاً على ذلك . فمن المقطع الثنائي (لز) تفرع : لزّ ، لزم ، لزق ، لزج . وكلهـا تؤدي معنى الالتصاق واللزوم .

ثم تضافرت عوامل أخرى أدت الى نمو العربية واتساعها ومنها :

١ ـ زيادة حرف أو أكثر على الكلمة ، في صدرها او وسطها أو آخرها . ففي الصدر مثل (له) : أله ، وله ، دله ، وكلها بمعنى التحير . وفي الوسط مثل (لم) : لدم ، لطم ، لثم ، لكم ، وكلها بمعنى الضرب .

وفي الاخير مثل (قط) : قطع ، قطف ، قطم ، وكلها بمعنى القطع .

٢ ـ التقديم والتأخير في أحرف الكلمة الواحدة مثل : جذب وجبذ ، شائك السلاح وشاكي السلاح .

٣ ـ إبدال حرف بآخر نحو : أراق وهراق بمعنى واحد .

٤ ـ نحت كلمة من كلمتين او أكثر نحو : عبشمي أي المنسوب الى عبد شمس .

٥ ـ الاشتقاق وهو أهم العوامل في نمو اللغة .

٦ ـ التعريب .

٧ ـ الاصطلاح ... وغيرها .

تطورها : واللغة العربية التي عرفناها في الشعر الجاهلي ونثره والتي نعرفها اليوم في كتب الأدب ونصوصه مرت بأطوار عديدة غابت مراحلها الاولى عنا . ولكن مؤرخي العربية اتفقوا على ان العرب عرفوا منذ أقدم عصورهم لغتين ، الاولى : لغة الجنوب أو اللغة القحطانية ؛ والثانية : لغة الشمال أو اللغة العدنانية . وكان بين هاتين اللغتين فروق كبيرة ، ثم تقاربتا تحت تأثير عوامل كثيرة كالحروب والتجارة والاسواق الادبية كسوق عكاظ قرب الطائف ، وذي المجاز ومجنة قرب مكة فمن الطبيعي ان تتغلب اللغة العدنانية

على القحطانية . ولما نزل القرآن الكريم بلغة قريش تمت للعدنانية سيادتهـا على القحطانية وسائر اللغات واللهجات العربية الاخرى ، وأصبحت معروفة بأنها اللغــة العربية الفصحى التي نجدها في القرآن والمعاجم اللغوية وشعر العرب ونثرهم .

مصادر

١ ـ المزهر	للسيوطي
٢ ـ تاريخ التمدن الاسلامي	لجرجي زيدان
٣ ـ نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها	لانستاس الكرملي
٤ ـ علم اللغة	لعبد الواحد وافي
٥ ـ مذكرات في اللغات السامية	لحسين مراد
٦ ـ الخصائص	لابن جني
٧ ـ في الأدب الجاهلي	لطه حسين

أثر الحياة العامة في العصر الجاهلي
في اللغة والادب ونهضتها

أثرت الحياة العامة في العصر الجاهلي على نهضة اللغة والأدب تأثيراً كبيراً كما رأينا ، وكان للبيئة العربية أكبر الاثر في ذلك .

ففي اللغة أدى انقسام العرب الى قبائل متفرقة الى تعدد اللهجات ، وصارت كل قبيلة تطلق على المسمى الواحد اسماً يختلف عن اسمه عند الاخرى ، كما ان كل قبيلة كانت تضع اسماء كثيرة للمسمى الواحد ، ذلك لان عدم تعدد البيئة البدوية وضيقها أدى بالعربي الى ان يعنى بكل ما حوله صغيراً كان أم كبيراً ، وبكل دقائقه . ومن هنا كثرت المفردات والجموع وتعددت الأضداد ؛ وكل هذا نجده في معاجمنا اللغوية الكبيرة كلسان العرب وتاج العروس وغيرهما .

والأدب صورة للبيئة البدوية الساذجة ، لذلك جاء ساذجاً في افكاره لا صنعة فيه ولا تكلف ، سهلاً بعيداً عن الغموض والتعقيد ومجانبة الزخارف اللفظية . وكان العربي يأخذ صوره من بيئته تلك المحدودة ، ولذلك جاءت قريبة واضحة . وبما ان الأدب كان يستمدّ مواضيعه من هذه البيئة نفسها ، فقد جاءت قليلة الحظ من التوسع والابتكار والتنوع . وكانت تدور حول حياة الانتقال وطلب الماء والكلأ والغزو والعصبية القبلية والقسوة والقوة والفخر والمدح والهجاء والاعتداد بالنفس وتحمل شظف العيش ، والحكم والاعتذار لما يلقاه من تهديد الأقوياء ، وما الى ذلك . ثم إن البيئة أوحت الى العربي معاني وصوراً مخصوصة التزمها ولم يخرج عنها إلا عندما كان يتردد على

أطراف الجزيرة العربية كإمارتي الغساسنة والمناذرة، لذلك كان يكثر من وصف ناقته لانها عماد حياته البدوية ، ومن وصف حياة الرحلة والتنقل التي حملته على الإكثار من وصف الأطلال والأسفار والطريق، ومـــا يتصل بالسفر من فراق الأحبة والغزل والحنين الى الوطن .

وكانت حياته البدوية الجـــاهلية تدعوه الى التمسك بخلق الوفاء والنخوة والمروءة والشجاعة وغيرها .

ومما تقدم نجد أن البيئة العربية أثرت في نهضة اللغــة والادب الجاهلي حتى لنستطيـع ان نقول إن الادب الجاهلي ابن بيئته البار وصورتها الصادقة الامينة.

مصادر

١ ـ أصول النقد الأدبي	لأحمد الشايب
٢ ـ علم اللغة	لعبد الواحد وافي
٣ ـ منهج البحث في اللغة والادب للانسون	تعريب محمد مندور
٤ ـ في الادب العربي	لأمين الخولي
٥ ـ في الادب الجاهلي	لطه حسين
٦ ـ تاريخ التمدن الإسلامي	لجرجي زيدان

فنون الأدب في العصر الجاهلي

الشعر ومكانة الشاعر الجاهلي

نشأة الشعر الجاهلي : من الصعب تحديد تاريخٍ لبدء الشعر الجاهلي، وأقدم ما وصل الينا منه لا يرقى الى اكثر من مئة وثلاثين سنة قبل البعثة ، وهي تلك الفترة التي سبقت الاسلام وسميت: العصر الجاهلي .

مواطنه : كل الشعراء الذين اشتهروا في العصر الجاهلي كانوا من الشمال أي من الحجاز وما يليه ، فمنهم من كان من أصل يمني ، ومنهم من كان من أصل عدناني .

خصائصه : الشعر الجاهلي ، كما قدمنا ، مرآة صادقة لحياة العرب الجاهلية؛ فقد صوروا فيه حياتهم الاجتماعية وسجلوا حياتهم الفكرية، وترجموا عن شعورهم وخلّدوا مآثرهم وذكروا حروبهم وبيئتهم وطبيعة أرضهم وحيواناتهم وخصوصاً الإبل والخيل ، لذلك يعد بحق سجلّ تاريخهم .

فنونه وأغراضه : الشعر العربي كله وبصورة خاصة الجاهلي منه، من الشعر الغنائي او الوجداني ؛ وهو الشعر الذي يصوّر فيه الشاعر نفسه ويترجم به عن قلبه ويتغنى فيه بعواطفه او عواطف قبيلته .

وأهم فنون الشعر الجاهلي وأغراضه هي :

اولاً ـ الغزل : ويدعى ايضاً النسيب والتشبيب ، وهو شعر التحدث عن

النساء ووصف مجالسهن وتحليل عواطف الهوى ، أي هو الشعر الذي يعبر به الشاعر عن حبه وغرامه . وكان بعض هذا الغزل عفيفاً كغزل زهير وعنترة ، وبعضه الآخر فاسقاً شهوانياً كغزل امرىء القيس .

ثانياً ـ الفخر : وهو شعر يتغنى فيه الشاعر بنفسه وبقومه ، وبما أتى أو أتوا من مناقب وأعمال عظيمة . وقد شغل هذا الغرض مكاناً كبيراً في الشعر العربي . وتجد أمثلة كثيرة منه عند عمرو بن كلثوم الذي كان يفخر بقبيلته ، وعنترة الذي كان يفخر ببطولته .

ثالثاً ـ المدح والرثاء : المدح تعداد صفات الاحياء والإشادة بها ، والرثاء تعداد صفات الأموات في تفجُّع ولوعة . ولقد احتل المدح مكانة أكثر من الرثاء حتى إن بيتاً واحداً من المدح كان كافياً لرفع قدر القبيلة من الحضيض الى الذروة.

رابعاً ـ الهجاء : وهو تعداد نقائص المهجوّ وقبيلته ، ويقذف به الشاعر خصماً او عدواً، مبيِّناً قبائحه وسيئاته في نفسه أو في قومه. ولقد كان البيت الواحد من الهجاء كافياً لسلب المهجو وقبيلته كثيراً من الفضائل التي يعتز بها البدوي .

خامساً ـ الوصف : وهو شعر يصور فيه الشاعر الموجودات تصويراً دقيقاً وينقلها الى القارىء نقلاً أميناً كوصف الصحارى والحروب والصيد والوحوش والمياه والمراعي والأمطار والسيوف والرماح والخيل وما الى ذلك . وكان الشعراء الجاهليون يستخدمون له التشابيه الحسّية كما رأيت . ولم يكن هذا الغرض في الشعر الجاهلي فناً مستقلاً مقصوداً لذاته ولكن كان يتخلل الفنون السابقة . فالشاعر الجاهلي كان اذا تغزّل وصف ، واذا افتخر وصف ، واذا مدح أو هجا او رثى وصف ، وهكذا .

سادساً ـ الحِكم : وهي نوع من الشعر الموجه الى الانسان لهدايته وإرشاده او تقويم اعوجاجه ضمن نطاق الحياة العملية او الدين . وكانت حكم الشعراء الجاهليين بسيطة استفادوها من تجاربهم العملية في الحياة . وممن اشتهر منهم في

هذا الغرض زهير ولبيد بن ربيعة الذي أدرك الاسلام وأسلم .

سابعاً ـ الاعتذار : وهو نوع من شعر المدح يعتذر فيه الشاعر عما بدر منه او يتبرأ مما نسبه اليه أعداؤه وحساده . والغرض منه الوصول الى العفو او عود الصداقة الى ما كانت عليه . وهو كالوصف نجده بين أغراض الشعر الجاهلي الاخرى . إلا ان النابغة الذبياني الذى اتصل بالنعمان بن المنذر ، ملك الحيرة، ومدحه وأجزل له النعمان العطاء سعى به بعض أعدائه الى الملك فغضب عليه ، ففر وأخذ يرسل اليه أجمل قصائده في الاعتذار ، وهي التي عرفت في الادب العربي بـ (الاعتذاريات) ولقد مات هذا الشاعر في زمن النبي قبل البعثة.

والمعلقات أحسن ما يمثل لنا فنون الشعر الجاهلي واغراضه ، كما انها اكثر دلالة على بلاغة الجاهليين في وصف حياتهم . ولقد سميت بـ (المطوّلات) لانها أطول قصائد الشعر الجاهلي ، ثم سميت بـ (المعلقات) لانها ُعلّقت على استار الكعبة او لانها َعلِقت في قلوب الجاهليين واذهانهم لجودتها ، وسميت ايضاً بـ (المذّهبات) لانها كتبت بماء الذهب إجلالاً لبلاغتها . وعلماء الادب واللغة يختلفون في عددها وعدد أصحابها فمنهم من جعلها ثمانياً ومنهم من جعلها عشراً، والقول المشهور فيها انها سبع وان اصحابها هم :

امرؤ القيس وزهير وَطرَ َفة بن العبد وَلبيْد بن ربيعة وعنترة وَعمْرو بن ُكلثوم والحارث بن ِحلـّزة .

مكانة الشاعر الجاهلي : كان الشاعر الجاهلي ضرورةً من ضرورات القبلية الجاهلية ، وكانت قيمته عندها كقيمة صحف الاحزاب في عصرنا ، فكما ان واجب كل صحيفة حزبية بيان وجهة نظر حزبها والدفاع عن آرائه وصدّ هجوم أعدائه ونشر ما تستطيع من مبادئه كذلك كان الشعراء في الجاهلية يعلنون مناقب القبيلة ويردّون بشعرهم كيد أعدائها ويحمّسون افرادها الى الحرب ويرّغبونهم في السلم وهكذا ..

لذلك كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر اغتبطت وأتت القبائل الاخرى

لتهنئتها به . ولذلك ايضاً كان الناس يتسابقون الى إكرام الشعراء اتقاءً لهجائهم أو رغبة في مدحهم .

وكان الشعراء في الجاهلية من أرقى الطبقات عقلاً وأدقها شعوراً، وأبعدها نظراً ، فأدركوا حقائق الحياة وصاغوها في اشعارهم حكماً رائعة ، وعرضوها على قبائلهم لتستفيد منها كما نجد عند زهير بن أبي سلمى . كذلك قالوا إن الشعراء عند الامم المتبدّية يقومون بما يقوم به الفلاسفة والعلماء عند الامم المتحضرة فيرسمون المثل العليا ، ويفتحون للناس المجالات لادراك ما حولهم من شؤون الحياة وهكذا كان يفعل الشعراء الجاهليون .

مصادر

١ ـ فن الشعر — لاحسان عباس
٢ ـ الأدب وفنونه — لعز الدين اسماعيل
٣ ـ قصة الادب في العالم — لاحمد امين وزكي نجيب محمود
٤ ـ الشعر الجاهلي — لفؤاد افرام البستاني

شاعران قديمان

أ – الشنفرى

هو ثابت بن أوس الأزدي اليمني الشهير بالشَّنْفَرى ، أسره بنو سلامان صغيراً ونشأ بينهم وهو يظن أنه سلامي حتى طلب من ابنة مولاه يوماً ان تغسل له رأسه فلطمته ، وكاشفه من كان يعتقد أنه أبوه بأنه ليس سلامياً فترك بني سلامان غاضباً وأقسم ان ينتقم لنفسه بقتل مئة منهم، فقتل تسعة وتسعين ثم قبضوا عليه وقتلوه ورموا بجمجمته في الطريق إهانة له ، فمرَّ بها رجل منهم وركلها برجله فدخلت فيها شظية من الجمجمة فمات ، وتمت المئة بموته .

والشنفرى أحد صعاليك العرب وعَدّائيها ؛ اختُلِف في مولده ومات على الأغلب في القرن السادس الميلادي تاركاً لنا أشعاراً متفرقة في كتب الأدب كالأغاني وخزانة الادب والمُفَضَّليات والحماسة ، وكلها في وصف غاراته وبطشه بمناوئيه .

على ان أشهر آثاره هي لاميّته المعروفة بـ «لامية العرب» إذا صحت نسبتها اليه . وشعره صورة لحياته الفطرية الخشنة ينقل لنا فيه بأمانة وصدق أخبار غاراته، ويقول الحقيقة دون ان يأنف من ذكر أوساخه .

ولقد اخترنا لك الأبيات الآتية من لاميته لتطّلع عليها :

١ ــ أقِيمُوا ، بَني أُمِّي ، صُدورَ مَطِيِّكُمْ
فإنِّي ، إلى قَــومٍ سِواكُم ، لَأَمْيَلُ

٢ ــ فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ واللَّيلُ مُقْمِرٌ
وشُدَّتْ ، لِطِيَّات ، مَطَايــا وأَرْحُلُ

٣ ــ وفي الأَرضِ منأىً ، للكريمِ عن الأَذى
وفيهــا ، لمن خافَ القِلَى ، مُتَعَزَّلُ

٤ ــ لَعَمْرُكَ ، ما بالأرضِ ضِيقٌ على امرئٍ
سَرَى ، راغباً أو راهباً ، وهــو يَعْقِلُ

★

---

١ ـ المفردات : أقيموا من أقام صدر مطيته بمعنى سار . المطي جمع مَطِيَّة . أمْيَلُ اسم تفضيل من مال الى الشخص أي أحبه .

المعنى : يخاطب الشاعر قومه كي يستعدوا للرحيل ، أما هو فيطلب صحبة غيرهم ممن لا يخلدون الى الدّعة .

٢ ـ المفردات : حمَّت : هيِّـأت وقُـدِّرت . شُدّت : أوثقت ورُبطت . الطيّات جمع الطِيَّة وهي الحاجة . الأرحل جمع رحل وهو ما يوضع على ظهر الدابة .

المعنى : لم يبق موجب للبقاء هنا ، وأنتم مقيمون على الذل ، فقد انكشف الأمر كما يكشف القمر الظلماء وأصبحت المطايا على أهبة الرحيل فارحلوا .

٣ ـ المنأى : المكان البعيد . القلى : الجفاء والبغض . المُتَعَزَّل : اسم مكانٍ من تعزل أي تنحى .

٤ ـ لَعَمْرُك : لفظ يستعمل في القسَم . سرى : سار ليلاً والمقصود هنا مطلق السير . راهباً أي خائفاً . وجملة (وهو يعقل) نعت لامرئٍ .

٥ ــ وإِنْ مُدَّتِ الأَيْدي إِلى الزّاد، لم أَكنْ
بأَعجَلهم ، إِذْ أَجْشَعُ القَــومِ أَعْجَلُ
٦ ــ وما ذاك إِلا بسطةٌ عن تَفَضُّلٍ
عليهم ، وكانَ الأَفضَــلَ الْمتَفَضِّلُ
٧ ــ وإِني كفاني فَقْدَ منْ ليس جازياً
بِحُسْنَى ، ولا في قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ
٨ ــ ثلاثةُ أَصحابٍ : فُؤادٌ مُشَيَّعٌ
وأَبيضُ إِصْلِيتٌ ، وصفراءُ عَيْطَلُ

*

---

٥ ــ المفردات : أجشع : اسم تفضيل من جشع أي أخذ نصيبه وطمع في أخذ نصيب غيره .

المعنى : لا يعجل في مد يده الى الطعام قبل غـيره إلا عن سعَة وتفضل على غيره .

٧و٨ــ المفردات : كفاني : أغناني . متعلَّل : ما يُتَسَلَّى بــه . مشيَّع : شجاع . الابيض : السيف . إصليت : صقيل أو مجرّد . الصفراء : صفة للقوس . العيطل : القوس الطويلة .

الإعراب ــ ثلاثةُ: فاعل كفاني في البيت السابع .

المعنى : يقول الشاعر : إنه يسلّيني عن فقدي لمن لا يجازي الحسنة بمثلها ثلاثةُ اصحاب: قلبي الشجاع، وسيفي المُصْلت، وقوسي الطويلة الصفراء. أي إن قلبه وسلاحه هما عزاؤه في فقده للصديق .

٩ ــ وليلةِ نَحْسٍ ، يَصْطَلي القَوْسَ رَبُّها
وأقطُعَهُ اللاَّتي بهــا يَتَنَبَّلُ

١٠ ــ دَعَسْتُ على غَطْشٍ وبَغْشٍ وصُحْبتي
سُعَارٌ ، وإِرْزِيزٌ ، وَوَجْرٌ ، وأفكُلُ

١١ ــ فَأَيَّمْتُ نِسْواناً وأيتَمْتُ ولدةً
وَعُدْتُ كما أبدأتُ ، واللَّيْلُ أَلْيَلُ

---

٩ ــ المفردات : النحس ضد السعد وهي هنا بمعنى البرد . الأقطُــع جمع قطع وهو السهم القصير العريض النصل . يتنبل : يرمي النبل أو يتخذه نبلاً . المعنى : إن البرد في تلك الليلة كان شديداً جداً حتى اضطر الشاعر الى ان يحرق سهامه وقوسه التي يدافع بها عن نفسه ليصطلي نارها .

١٠ ــ المفردات : دعست : دست . الغطش : الظلمة . البغش : المطر الخفيف . السُعار : حرٌ يجده الانسان من شدة الجــوع . الإرزيز : جمود من شدة البرد . الوجر : الخوف . الأفكل : الرعدة .
المعنى ــ يقول : سريت في الظلمة والمطر ، يرافقــني جوع وبرد وخوف ورعدة .

١١ ــ المفردات : أيَّمت : جعلتهن أيامى أي بلا أزواج ، والأيّم هي الأرملة . أيتمت : صيَّرتهم ايتاماً . الولدة : الأولاد. ليل أليل: أي مظلم
المعنى ــ أنهيت غارتي بعدما تركت كثــيراً من الضحايا : نِسوة فقــدن بعولتهن ، وأطفالاً صاروا أيتاماً ، ورجعت الى مكاني سالماً والليل كما هو على حاله .

الشرح الادبي والتحليل

هذه الأبيات مأخوذة من لامية الشنفرى التي بلغت سبعين بيتاً ، ونجده في الأبيات الأربعة الأولى يخاطب قومه ليجدّوا في أمورهم وينتبهوا من نومهم وغفلتهم ويستعدوا للرحيل عن أرضهم ، واذا لم يستجيبوا لندائه فانه لن يتأخر عن استبدالهم بغيرهم ممن لا يخلدون مثلهم الى الدعة والذل والسكينة . ولذلك فانه يدعوهم للرحيل عن ارضهم لانه لا موجب للبقاء فيها بعد ما حل بهم من الذل والصَّغار . ولقد كشف لهم الحقيقة كما يكشف القمر الظلام وتهيأت المطايا للرحيل وما عليهم إلا ان يلبوا نداءه فاذا أرض الله واسعة وفي جنباتها منأى لكريم النفس من الأذى ، وفي أطرافها أماكن كثيرة لمن أراد ان يعتزل بها خوفَ الكره والبغض والضغينة والحقارة والذل . ثم يقسم ان الارض لا تضيق بعاقل أراد التخلص من كل ذلك .

ويبين لنا في الأبيات الأربعة التالية آداب السلوك عنده وعند كل عربي شهم . فهو لا يعجل في مد يده الى الطعام قبل غيره اذ ان أكثر القوم نهماً هو أعجلُهم الى الطعام؛ وان تأخره في مد يده اليه لم يكن منه إلا عن فضل في الادب وسعة على غيره ، وإحجامه هذا إحجام كرم وترفّع لا إحجام ذل وصغار . ثم إنه يضرب لنا حكمة عملية في التعزي عن فقد من لا يجازي الحسنة بمثلها فيقول : إن ما يعزيه عن هذا الانسان النادر الوجود ثلاثة اصحاب : قلبه الشجاع ، وسيفه المصلت ، وقوسه الطويلة أي إن قلبه وسلاحه هما عزاؤه الوحيد في فقده لمن يجازي الحسنة بمثلها والمعروف بالمعروف .

وفي الأبيات الثلاثة الاخيرة يصف غارة من غاراته الليلية فيقول : كان البرد في تلك الليلة شديداً جداً حتى اضطر الى ان يحرق قوسه وسهامه التي يدافع بها عن نفسه ليصطلي نارها . وكان يسير في الظلام والمطر لا يرافقه إلا جوع ينهش معدته ، وبرد يهز جسمه ، وخوف ينشر الرعدة في جميع اعضائه .

ثم يبين كيف أنهى غارته وخلـّف وراءه كثيراً من الضحايا ، من نسوة فقدن بعولتهن ، وأطفال صاروا أيتاماً ، وأنه عاد من غارته سالماً والليل والجو على حالهما من التعكر .

مصادر

١ ـ المفضليات	للضبي .
٢ ـ ذيل الامالي	للقالي .
٣ ـ الشعراء الصعاليك	لشوقي ضيف .
٤ ـ الصعلكة والفتوة في الاسلام	لأحمد أمين .
٥ ـ شرح لامية العرب	لعبد الهادي التازي المغربي .

اسئلة ومواضيع

١ ـ يُعَدُّ الشنفرى من صعـــاليك العرب المشهورين ، ومن أشهر شعرائهم .

أوضح هذا القول وبيـن المقصود من لفظة الصعلكة في العصر الجاهلي .

٢ ـ يصور لنا الشنفرى في لاميته حياة البدوي وأخلاقه . أوضح ذلك وناقشه مستشهداً بما يلزمك من شعر الشنفرى في لاميته أو غيرها .

ب – المهلهل

هو عدي بن ربيعة التغلبي ، خـــال امرىء القيس ، وجد عمرو بن كلثوم لأمّهِ . ولد ونشأ في بني تغلب في نجد وكان شجاعـاً يحب المقامرة واللهو والخمر ومحادثة النساء . وكان لا يقول من الشعر إلا مقطوعات صغيرة في الغزل واللهو ؛ وبعد مقتل أخيه نظم القصائد الطوال فيه . وهو أول من هلهـــل الشعر أي رقّقه ولذلك سمي المُهَلْهِل . مـــات في القرن السادس الميلادي مسناً ، وانتهت حرب البسوس بعد موته ، تلك الحرب الطويلة التي كانت بين قبيلة تغلب وبكر .

آثاره: اشعار في رثاء أخيه كليب وذكر وقائع حرب البسوس، وهي متفرقة في كتب الادب . ويمتاز رثاؤه بالتفجع ورقة العاطفة، كما يمتاز بقية شعره بالغلو في تهديده ووعيده لبني بكر . وهو يمثل رقـــة الشعر في ربيعة وترف النشأة البدوية لأنه كان يعيش عيش أمراء العرب في ذلك الزمان . ويعد المهلهل في الطبقة الثانية بين شعراء الجاهلية . وها نحن نقدّم اليك شيئاً من رثائه لأخيه كليب لتطلع عليه :

قال بعد ان دفن أخاه وأقام على قبره :

١ أهاجَ قـــذاء عَيْني الإذكارُ ؟
هدوءاً ، فالدُّموعُ لهـــا انْحِدارُ
٢ وصار الليـــلُ مشتملاً علينـــا
كأنَّ الليلَ ليسَ لـــه نهارُ
٣ وَبت أُراقبُ الجوزاء ، حتى
تقـــاربَ من أوائِلِهـــا انْحِدارُ
٤ أُقَلّبُ مُقْلـــتي في إِثْرِ قَـــوْم
تباينتِ البـــلادُ بهم فَغَـــارُوا
٥ على مَنْ لو نُعيْتُ وكانَ حَيّاً
لقـــادَ الخيلَ يَحْجُبُها الغُبَـــارُ
٦ دعوتُكَ ، يا كليبُ ، فلم تُجِبْني
وكيف يجيبُني البَـــلَدُ القَفَـــارُ ؟
٧ أجِبْني ، يا كليبُ ، خَلاكَ ذم
ضنينـــاتُ النفوسِ لهـــا مَزَارُ

---

١ ـ هاجه : أثاره وحركه والهمزة في اول هذا الفعل للاستفهام .
٣ ـ الجوزاء : برج في السماء . الانحدار : الهبوط .
٤ ـ تباينت : تباعدت . غاروا : اختفوا .
٥ ـ قاد الخيل : أي قاد فرسانها الى الحرب .
٧ ـ الضنينات : التي يضن بها أي يبخل بها لقيمتها ونفاستها .

٨ أجبني يــا كليبُ ، خــلاك ذم
لقد فُجِعَتْ بفارسهـــا نِزَارُ

٩ سقاكَ الغيثُ إِنك كنت غيثاً
ويُسْراً حينَ يُلْتَمَسُ اليَسارُ

١٠ خُذِ العهدَ الأكيدَ عليَّ عمري
بتركي كلَّ مــا حوتِ الدِّيارُ

١١ وهجري الغانياتِ وشربَ كأسٍ
ولبْسِي جُبّــةً لا تُسْتَعارُ

١٢ ولَسْتُ بخالعٍ دِرْعي وسَيْفي
إِلى أن يخلعَ الليلَ النهارُ

١٣ وإِلا أنْ تبيدَ سَراةُ بكرٍ
فلا يبقى لها أبداً أثارُ

وقال من قصيدة يظهر فيها تفجعه وغلوه في التهديد وضربه على بني بكر معجزات الشروط ليرضى بمصالحتهم :

١ إِنّ تحت الأحجار ، حزماً ، وعزماً
وقتيلاً من الأراقِمِ ، كهلا

---

١ ـ الأراقم: قوم كليب والمهلهل .

٢ قتلتهُ ذُهلٌ[١] ؛ فلستُ براضٍ
او نُبيدَ الحيَّين : قيساً وذُهلاً
٣ ويطيرَ الحريقُ منا شراراً
فينالَ الشرارُ بكراً وعِجلاً
٤ قد قتلنا به ، ولا ثأرَ فيهِ
او تعمَّ السيوفُ شيبان قتلا
٥ ذهبَ الصلحُ او تردُّوا كُلَيْباً
او تحلُّوا على الحكومةِ حلاًّ !
٦ ذهبَ الصلحُ او تردُّوا كُلَيْباً
او اذيقَ ، الغداةَ ، شيبان ثُكْلا !
٧ ذهبَ الصلحُ او تردُّوا كُلَيْباً
او تنالَ العداةُ هُوناً وذُلاًّ !
٨ ذهبَ الصلحُ او تردُّوا كُلَيْباً
او تميلوا عن الحلائِلِ[٢] ، عُزْلا
٩ أو أرى القتلَ قد تقاضى رجالاً
لم يميلوا عن السفاهةِ جهلا

---

١ ـ ذهل وقيس وبكر وعجل وشيبان هي القبائل المعادية .
٢ ـ الحلائل: جمع الحليلة وهي الزوجة .

١٠ إنَّ تحتَ الأحجارِ والتربِ ، منه
لدفيناً عــلا عــلاءً ، وجَلاَّ

١١ عَزَّ ، واللهِ يا كليبُ ، علينا
ان ترى هامتي[1] دِهاناً وكُحْلا

الشرح الادبي والتحليل

يظهر الشاعر في الأبيات الاولى تفجعه على أخيه كليب واستعداده للأخذ بثأره حتى لا يبقى لسراة بكر أثرٌ في الدنيا فيقول : إنَّ ذِكرَ أخيه كليب أثار في عينيه قذى فسالت دموعه منها ليلاً والناس نيام . ثم يصف حاله في الليل وكيف انه كان يشعر بالوحشة وكيف ان الدنيا ضاقت به حتى إنه كان يظن نفسه في قبر مثل اخيه ، وان الظلام اشتمل عليهما معاً وانه ليس لهــذا الليل من آخر ، وانــه بات يراقب نجوم السماء طوال الليل ويذكر اخاه الذي ابتعد عنه الى الابد ولن يعود اليه ابداً ، وانه لو كان حياً ونعي اليه المهلهل لقاد الخيل الكثيرة للأخذ بالثأر فكيف لا يثأرُ هو لأخيه ؟

ثم يظهر تفجعه بشكل أكثر عندما يدعو أخاه فلا يجيبه ، وكيف يجيبه من أصبح تحت التراب دفيناً ؟ ثم يدعو لقبره ان يسقيه الغيث العميم لان فيه فارس نزار وسيدها وكريمها . ويتعهد لأخيه المقتول انه تارك كل مــا في الدنيا من ملذات ، وانه لن يخلع درعه وسيفه حتى يأخذ له بثأره .

وفي الابيات الثانية يظهر تفجعه على أخيه ويضع شروطاً للصلح لا يمكن تلبيتهــا بشكل من الاشكال . فهو يطلب الى بني شيبان ، قبيلة جساس ، وحلفائها من قيس وذُهل تنفيذ واحد من هذه الشروط المستحيلة وهي :

---

١ ـ الهامة : الرأس .

١ ـ ان يردوا له أخاه المقتول .
٢ ـ او ان ينزلوا تحت حكمه في هذه الخصومة يفعل بهم ما يشاء .
٣ ـ او ان يبتعدوا عن زوجاتهم ويتنحوا عنهن كي يتصرّف بهن كما يحلو له ويطيب

وإذا لم ينفذوا شرطاً من هذه الشروط فليس وراءهم إلا الهوان والذل والتقتيل والوبال الذي ما بعده وبال. ولما كانت هذه الشروط لا يمكن تنفيذها بشكل من الاشكال فمعنى ذلك ان الحرب ستبقى دائرة بين الطرفين وستقضي على كل شيء عندهما . وهكذا استمرت هذه الحرب ما يقرب من اربعين سنة بين تغلب وبكر ولم تنته إلا بموت المهلهل .

ومن هذه الابيات المنتخبة يتضح لنا ان شعر المهلهل كان رقيقاً ، وانه كان يعيش عيشة أمراء العرب ، وهي عيشة بدوية مترفة تقوم على الخمر والنساء والصيد وما الى ذلك ، وانه هجر كل هذه اللذات ورَهن نفسه وبقية عمره في سبيل الأخذ بثأر أخيه.

مصادر

١ ـ أيام العرب	لأحمد جاد المولى .
٢ ـ تاريخ آداب اللغة العربية	لجرجي زيدان .
٣ ـ الرثاء (من فنون الادب العربي)	لشوقي ضيف .
٤ ـ ديوان الحماسة	لأبي تمام .
٥ ـ شعراء النضرانية	للأب لويس شيخو .
٦ ـ في الأدب الجاهلي	لطه حسين .

اسئلة ومواضيع

١ ـ يمتاز شعر المهلهل برقة العاطفة والسهولة . أوضح هذا القول مستشهداً بقدر كاف من شعره .
٢ ـ قارن بين رثاء المهلهل ورثاء الخنساء ، واستشهد على ذلك بجملة صالحة من شعر الاثنين .

المعلقات وأصحابها

المعلقات

هي أفضل الشعر الجاهلي وأكثره دلالة على بلاغة الجاهليين ووصف حياتهم. ولقد سمِّيت بـ « المطوَّلات » لأنها أطول قصائد الشعر الجاهلي ، ثم سميت بـ « المعلقات » لأنها عُلِّقت على أستار الكعبة ، أو لأنها عَلِقت في قلوب الجاهليين وأذهانهم لجودتها ، وسمِّيت ايضاً بـ « المذهَّبات » لأنها كتبت بماء الذهب إجلالاً لبلاغتها . وعلماء الأدب واللغة يختلفون في عددها وعدد أصحابها . فمنهم من جعلها ثمانياً ومنهم من جعلها عشراً ، والقول المشهور فيها انها سبع وان اصحابها هم :

امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى وطَرَفة بن العبد ولَبِيْد بن ربيعة وعَنْترة بن شداد وعمرو بن كلثوم والحارث بن حِلِّزَة .

اصحاب المعلقات

١ - امرؤ القيس

هو حُنْدُجُ بنُ حُجْر من كِنْدَة، وكِنْدَةُ من اليمن وقد ولّى حسان ابن تُبّع ملكُ حِمْيَر سيدَ كِندة حُجْرَ بن عمرو بعض قبائلَ العرب التي بسط سلطانه عليها ، وفي عهد الحارث بن عمرو بن حجر اتسع سلطان كندة وفرّق المُلْكَ في اولاده الأربعة فولى ابنه حُجراً أبا امرىء القيس بني أسد بعد ما حارب حجر اللخميين وأزال نفوذهم . ثم عاد نفوذ اللخميين وتضعضع ملك اولاد الحارث بن عمرو بن حجر . وبمقتل حجر ابي امرىء القيس زال مُلك كندة . وعلى هذا فامرؤ القيس يمني إلا انه ولد في نجد ونشأ فيها ربيب الجاه والملك ، ويحيط حياته غموض كثير . وبعد مقتل أبيه قام للأخذ بثأره واستنجد قبيلتي بكر وتغلب فأعانوه على بني أسد وقتلوا منهم، واكتفت بكر وتغلب بذلك . ثم استنصر بأهله في اليمن فأعانوه إلا انه أخفق . ومن المرجح انه سافر الى القسطنطينية للأخذ بثأر أبيه وانه لم يفز بكل ما أمل من القيصر، وانه مات في اثناء عودته وذلك في منتصف القرن السادس الميلادي .

كان دينه الوثنية ، وكان يلقب بالملك الضِّلِّيل لغوايته . وكان شعره مرآة لحياته وترفه وآماله ، ذكر فيه تردده بين القبائل يستصرخها للأخذ بثأر أبيه، يمدح من نصره ويذم من خذله . وله ديوان مطبوع فيه شعر كثير . وأشهر شعره معلقته وتقع في واحد وثمانين بيتاً قالها في شبابه ، وموضوعها الغزل في ابنة عمه «عُنَيْزَة» ، وسنعرض عليك دراسة تحليلية لها من خلال النص الآتي :

١ قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
بسِقْط اللوَى بَيـن الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
٢ فتُوضِحَ ، فالْمِقْراةِ ، لم يَعْفُ رسمُها
لما نسَجَتْها مـن جَنوبٍ وشَمْألِ
٣ وُقوفاً بها صَحْبي عليَّ مطيَّهمْ
يقولون : « لا تهلِكْ أسىً وتَجَمَّلِ ! »
٤ وإِن شِفَائي عَبْرةٌ مُهَراقةٌ
فهل عند رسمٍ دارسٍ من مُعَوَّلِ

---

١ ـ سقط اللوى : مكان تجمُّع الرمال الملتوية . الدخول وحومل : موضعان. يتصور الشاعر صاحبين له يخاطبهما .

٢ ـ توضح والمقراة : موضعان . وسقط اللوى بين هذه المواضع الاربعة المذكورة . لم يعف رسمها : لم يمح أثرها . والرسم ما بقي من الديار من الآثار . نسج الريحين : اختلافهما على الاثر ، تستره الواحدة بالرمال فتكشفه الأخرى .

٣ ـ وقوفاً : حال منصوبة ، والمعنى : قفا نبك في حال حبس اصحابي مطيّهم عليّ .

٤ ـ العبرة : الدمعة . رسم دارس : الرسم الذي كاد يضمحل أثره . المعوّل : المعتمد عليه .

يقول : إن بكائي تخفيف لما أجد في نفسي من الهموم والاحزان . ثم يستفهم استفهاماً إنكارياً فيقول : ولكن ماذا ينفع البكاء عند رسم مضمحل ، أو لامعتمد يتكل عليه الانسان عند هذا الرسم لمعرفته والتحقق منه .

٥ كأني ، غَداةَ البَيْنِ ، يومَ تحمَّلوا
لدى سَمُرات الحيِّ ، ناقِفُ حَنْظَلِ

٦ ففاضت دموع العين مني ، صبابةً
على النَحْرِ ، حتى بلَّ دمعيَ مِحْمَلي

٧ ألا رُبَّ يومٍ ، لك منهُنَّ ، صالح
ولا سيَّما يوم بدارة جُلْجُلِ

٨ ويومَ عقرتُ للعذارى مطيَّتي
فيا عجباً من كوْرِها المُتَحَمَّلِ

---

٥ ــ سمرات جمع سمرة وهي شجرة العضاة . ناقف الحنظل : الحنظل نبات شديد المرارة يمتد على الارض كالقثاء والبطيخ وناقفه هو الذي يشق ثمره ليستخرج بزره فتدمع عيناه .
شبّه نفسه يوم فراق احبابه بناقف الحنظل لشدة بكائه .

٦ ــ صبابةً : مفعول لأجله . المِحْمل : حمالة السيف .

٧ ــ رُبَّ : تستعمل للتقليل ، ويومٍ مجرور لفظاً برب مرفوعٌ محلاً على انه مبتدأ . دارة جلجل : اسم موضع ، كان فيه غدير مـــاء ، وذبح فيه امرؤ القيس ناقته لبعض نساء العرب . وهذا اليوم مشهور عند امرىء القيس وتغنى به غيره من الشعراء ايضاً .

٨ ــ الكوْر : الرحل. المتحمَّل: أي المحمول. يشير الى ان العذارى حملن له حوائجه ورَحْلَ ناقته بعد ان ذبح لهن مطيته يوم دارة جلجل .

٩ فظلّ العذارى يرتمين بلحمها
وشحمٍ كهُدّاب الدِّمَقْسِ المفَتَّلِ

١٠ وليلٍ كموج البحرِ أرخى سدولَهُ
عَليَّ ، بأنواع الهمومِ ، ليبْتلي

١١ فقلت له ، لّما تمطَّى بصُلْبِهِ
وأردف أعجازاً ، وناءَ بكَلكلِ

١٢ ألا أيها الليلُ الطويل ، الا انجلي
بصبحٍ . وما الإصباحُ منكَ بأمثَلِ

---

٩ ـ الهدّاب والهدب : اسم لما استرسل من الشيء كالشعر وأطراف الثوب. الدمقس : الإبريسم الابيض .

١٠ ـ السدول : جمع سدل وهو الستار . ليبتلي : ليختبر . (ابتلاه:اختبره) .

١١ ـ تمطّى أي تمدد . الصلب : الظهر . أردف : أتبع . الاعجاز : جمع عَجُز وهو المؤخر . ناء : مقلوب نأى أي بعد . الكلكل : الصدر . يقول : قلت لهذا الليل عندما تمدّد فبعدت أوائله وتتابعت أواخره طولاً .

١٢ ـ الأمثل : الأفضل ، قال لليل الذي طال : إنجلِ وانكشفْ عن صبح، ثم قال مستدركاً : ولكن الصبح ليس بأفضل من هذا الليل لأني أقاسي الهموم نهاراً كما أعانيها ليلاً .

١٣ وقِرْبَـةِ أقوامٍ جعلتُ عِصَامَهـا
عَلى كاهـلٍ ، مني ، ذَلولٍ ، مُرَحَّلِ
١٤ ووادٍ كجَوْفِ العَيْرِ ، قَفْرٍ ، قطعتُهُ
بـه الذئبُ يَعْوي كالخليعِ المُعَيَّلِ
١٥ فقلتُ له ، لّما عَوَى : « إنَّ شَأنَنا
قليلُ الغنى ، إنْ كنتَ لّما تموَّلِ
١٦ كلانا ، اذا ما نالَ شيئاً ، أفاتَهُ
ومن يَحْتَرِثْ حَرْثي وحَرْثَكَ يَهْزِلِ »

---

١٣ ـ القربة : وعاء من الجلد يحمل فيه الماء . عصام القربة: رباطها . الكاهل: أعلى الظهر وما يلي الكتف. الذلول: الطيِّع. المرحَّل : المعتاد على الحمل . والمعنى : انه تعود خدمة الرفقاء في السفر بحمله قربة الماء على ظهره .

١٤ ـ الجوف : باطن الشيء . العَيرْ : الحمـار . قفر : خالٍ من النبت والأهل . الخليع : المقامر . المعيَّل : الذي كثر عياله . وتشبيه الوادي بجوف الحمـار بني على أسطورة قديمة عن رجل من بقية قوم عاد اسمه حمار أحرق الله له أمواله ووادیه فلم ينبت فيه بعد ذلك شيء. والمعنى: رب وادٍ كوادي الحمار مقفر من النبات والسكان قطعه امرؤ القيس سيراً على القدمين وكان الذئب يعوي فيه من الجوع كالمقامر الذي كثر عياله فهم يطالبونه بالنفقة وهو يصيح بهم ويخاصمهم لانه لا يجد ما ينفقه عليهم .

١٥ ـ شأننا : أمرنا . تَمَوَّل الرجل : صار ذا مال . المعنى : قال للذئب إن كنت غير متموّل فأمري وأمرك سيّان في قلّة الغنى .

١٦ ـ أفاته : أنفقه وبذره . الحرث في الأصل : إصلاح الارض وإلقاء البذر

١٧ وقَدْ أغْتَدِي ، والطَّيْرُ في وُكُنَاتِها
بمُنْجَرِدٍ ، قَيْــدِ الأَوابدِ ، هَيْكَلِ

١٨ مِكَرٍّ ، مِفَرٍّ ، مُقْبِلٍ ، مُدْبِرٍ معاً
كجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

١٩ لهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ ، وسَاقا نَعَامَةٍ
وإِرْخاءُ سِرْحَانٍ ، وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

فيها لينبت وهو مستعار هنا للسعي والكسب . والمعنى : ايها الذئب ، كل واحـــد منا اذا ظفر بشيء أنفقه ، ومن سعى سعيي وسعيك افتقر وعاش مهزول العيش ضعيفه .

١٧ ـ أغتدي : أذهب باكراً . الوكنات : جمع وكنة وهي عش الطـــير . المنجرد : الماضي في السير أو قليل الشعر . الأوابـد : الوحوش . وقيد الأوابد : أي سريـع في ركضه يلحق بهـــا فكأنه يقيِّدها ويمنعها من الركض . الهيكل : الضخم العظيم . والمعنى : وقـــد أذهب باكراً ، والطيور بعدُ مستقرةٌ في أعشاشها ، على جواد ماضٍ في سيره ، قليـل الشعر ، يقيد الوحوش بسرعة لحاقه بها ، ضخمٍ عظيم الالواح والجسم .

١٨ ـ مِكَـرّ : اسم مبالغة من الكر وهو العطف، من قولهم : كرَّ فرسه على عدوه أي عطفه . مِفرّ : اسم مبالغة من الفرّ وهو الرجوع . الجلمود: الصّلب من الصخر . حطه : دفعه . من علٍ : من فـوق . والمعنى : إن الكر والفرار والاقبال والإدبار مجتمعة في قوة هذا الجواد اذا أريد منه ذلك .

١٩ ـ الايطل : الخـــاصرة . الإرخـــاء : نوع من عَدْو الذئب يشبه خبب الدواب . السرحان : الذئب . التقريب : ضرب من العَـدْو يكون

٢٠ فَعَنَّ لنـــا سِرْبٌ ، كأنَّ نِعَاجَهُ
عَذارَى دُوَارٍ في مُـــلاَءٍ مُذَيَّلِ

٢١ فَأَلحَقَنَا بالهَادِيـــاتِ ، وَدُونَـــهُ
جَواحِرُهَـــا ، في صَرَّةٍ لم تَزَيَّلِ

٢٢ فَعَادَى عَدَاءً بَـــيْنَ ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ
دِرَاكـــاً ، ولم يَنْضَحْ بماءٍ فَيُغْسَلِ

بوضع الرجلـــين موضع اليدين . والتتفل : ولد الثعلب . والمعنى : شبه خاصرتي جواده بخـاصرتي الغزال في الضمور ، وساقيه بساقي النعامة في الانتصاب والطول ، وعدْوَه بارخـــاء الذئب ، وتقريبـه بتقريب ولد الثعلب ، فجمع في هذا البيت اربعة تشبيهات مما يدل على براعته في الايجاز.

٢٠ ـ عنَّ : عرض وظهر . السرب : القطيـع . النعاج : يراد بهـــا هنا إناث بقر الوحش . العذارى : الابكار : مفردها عذراء. الدوار حجر كان عرب الجاهلية ينصبونه ويطوفون حوله تشبّهاً بالطائفـين حول الكعبة اذا بعدوا عنها. المُلاء : جمع ملاءة وهي القطعة من القماش اذا كانت ذات شقين. المذيل : طويل الذيل. والمعنى : فعرض لنا قطيـع من بقرالوحش كأن أناثه عذارى يطفن حول الدوار. فشبه بقر الوحش بألوانها بالعذارى لأنهن مصونات بالخدور لا تغيِّر ألوانهـــن حرارة الشمس ، وشبه طول أذنابها بالُملاء المذيَّل ، وحسنَ مشيها بحسن تبختر العذارى .

٢١ ـ الهاديات : أوائل الطرائد ، والجواحر : المتخلفـــات منها . الصرّة : الجماعة . التزّيل : التفرّق . والمعنى : يتابـع وصف جواده بأنه سريـع الجري في الصيد حتى إنه يدرك أوائل الطرائد وأواخرها لم تتفرّق بعد.

٢٢ ـ فعـــادى عداء أي فوالى موالاة . الدراك : المتـابعة . نضح : عرق

٢٣ فَظَلَّ طُهاةُ اللحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ
صَفِيفَ شِوَاءٍ ، أو قَدِيرٍ مُعَجَّلِ
٢٤ أصَاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِيضَهُ
كلَمْـــعِ الْيَدَيْنِ ، في حَبِيٍّ مُكلَّلِ
٢٥ يُضِيءُ سَنَاهُ ، أو مصابِيحُ راهبٍ
أمَـــالَ سَلِيطاً بالذُّبَـــالِ الْمُفَتَّلِ

والمعنى : والى الجوادُ بين الثور والنعجة من بقر الوحش في شوط واحد فأدركهما قبل ان يعرق عرقاً مفرطاً يغسل جسده .

٢٣ ـ الطهاة جمع طاهٍ وهو الطابخ. منضج : شاوي اللحم أو طابخه. الصفيف: اللحم المصفوف على الحجارة لينضج . القدير : اللحم المطبوخ في القدر . والمعنى : ظل الاعوان والخدم ما بين منضجٍ شواءً مصفوفاً على الحجارة في النار ، وطابخ اللحم في القدر على عجل .

٢٤ ـ الحَبِيّ :السحاب المتراكم، سمي كذلك لانه حبا بعضه على بعض فتراكم. المكلّل : نعته بذلك لانــه صار أعلاه كالإكليــل لأسفله . لمع اليدين : تحريكهما . أي ان هذا البرق يلمع في السحاب المتراكم كتحريك اليدين .

٢٥ ـ السنــا . الضوء والنــور . السليط . الزيت . الذُبال . جمع ذبالة وهي الفتيلة . يتابع تشبيه لمعان البرق فيشبّه ضوءه وتحرّكــه بضوء مصباح الراهب في صومعته عندما يصب الزيت فيسراجه ويحرك الفتائل فيتمايل النور في حنايا الصومعة وجنباتها المظلمة ، ويراه الناظر من بعيد يخطف خطف البرق ولذلك شبه البرق به .

٢٦ قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتي ، بَيْنَ ضارجٍ
وبين العُذَيْبِ ، بَعْدَمَــا مُتَأَمَّلِي
٢٧ كأنَّ ثَبِيراً ، في عرَانين وَبْلِهِ
كبيرُ أُناسٍ ، في بِجَــادٍ مُزَمَّلِ
٢٨ كأنَّ ذُرى رَأسِ الُمجَيْمِرِ ، غُدْوةً
من السَّيْلِ ، والأغثاءِ ، فَلْكَةُ مِغزَلِ
٢٩ كأنَّ مَكَاكِيَّ الجوَاءِ ، غُدَيَّةً
صُبِحْنَ سُلافاً مِنْ رَحيقٍ مُفَلْفَلِ

---

٢٦ ـ ضارج وُعذَيب : موضعان. المتــأمل : المنظور اليه . والمعنى قعدت أنظر الى هذا السحاب والبرق انا واصحابي بــين ضارج والعذيب ونحن نتوقع هطول الامطار .

٢٧ ـ ثبير : اسم جبل . عرانين : مستعارة هنا لأوائل المطر . الوبل جمع وابل وهو المطر الغزير . البجاد : كسوة مخططة . مزمَّل : ملتفّ . والمزمل نعت لكبير وقد جُرَّت لضرورة الشعر . والمعنى : يشبه جبل ثبير وقد هطل عليه المطر فخططه بمــا جرَّه من الاعشاب والشجر والوحول ، بسيدٍ كبيرٍ في قومه يلبس كسوة مخططة .

٢٨ ـ المجيمر : اسم أكمة . الأغثاء : جمع الغُثاء وهو ما جاء به السيل من الحشيش ، والشجر ، والأوحــال . فلكة المِغْزَل : رأسه المستدير . والمعنى : يشبه أكمة المجيمر بمـا جرفه السيل اليها من الحشيش والشجر والوحل برأس المغزل المستدير .

٢٩ ـ المكاكي : جمع المكّاء ، وهو طائر يمكو في الجو أي يصفر . الجواء:

الشرح الأدبي والتحليل

هذا النص الذي شرحنا لك مفرداته ومعانيه يعطيك صورة واضحة عن معلقة امرىء القيس بكاملها ولذلك اخترناه لك . ومنه ترى انه بدأها بالبكاء على الأطلال فوقف واستوقف وبكى واستبكى، ثم انتقل الى الغزل، ووصف ايام لهوه مع أحبته كيوم « دارة جُلْجُل » . وترى ان غزله صريح لا يتعفَّف فيه ويصرح بكل شيء ؛ ثم انتقل الى وصف الليل ، ثم الى وصف حالته في السفر ووصف الوادي المقفر الذي تعوي الذئاب فيه عندما قطعه في سفره . وهو في هذا الوصف لسفره وهذا الوادي يذكرنا بالشنفرى وتأبط شراً وغيرهما من صعاليك العرب ، وهذا لا يناسب ما عرف عنه من حياة الترف والنعيم ؛ ولذلك شك بعض النقاد في نسبة أبيات وصف الوادي اليه . ثم ينتقل الى وصف جواده وشدة عدوه، ثم يصف صيده لبقر الوحش وقعوده مع جماعته لطهي لحم الصيد وَشَيِّه . يخلص من كل ذلك الى وصف البرق ثم المطر . ويختم معلَّقته بوصف الطيور التي نشطت كثيراً عقب هطول الامطار .

هذا من جهة المعلقة ، أما من جهة شعره بصورة عامة فانه يمتاز بالوصف كوصف الطبيعة والفرس والصيد ؛ كما يمتاز بوصف النساء والتشابيه المبتكرة ، فقد شبه النساء بالظباء والبَيْض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصي، كما نجد ذلك في غير المعلقة .

ولقد كان لرحلاته الكثيرة الى اليمن والشام ثم الى القسطنطينية في عهد

جمع الجو وهو الوادي . غدية تصغير غداة او غدوة . صُبحن : شربن الصبوح وهي الخمر المأخوذة صباحاً . السلاف : أجود انواع الخمر المأخوذة من العنب . الرحيق : ضرب من الطيب . المفلفل : الذي ألقي فيه الفلفل ، والمعنى : وكأن هذا النوع من الطيور المسمَّن اي المكاكي والمنتشر في الأودية بعد المطر قد سقي بأجود أنواع الخمر فهو دائم النشاط في تغريده وتتابع أصواته .

الامبراطور « يوستنيانوس » أثر كبير في توسيع خياله وغزارة صوره ونضج تفكيره حتى إنه أورث الأدب العربي كثيراً من حكمه وأمثاله المأثورة ، ومن ذلك قوله . « وحسبُكَ من غِنىً شِبَعٌ وريٌّ ». وكقوله :

لقد طَوَّفتُ في الآفاق حتَّى
رضيتُ من الغنيمةِ بالإيابِ

وقوله :

وإنَّكَ لم يَفْخَرْ عليك كفاخرٍ
ضعيفٍ ولم يَغْلِبْكَ مِثلُ مُغَلَّبِ

وقوله :

كذلك جَدِّي لا أُصَاحِبُ صاحِباً
مِنَ الناس الا خانني وتغيَّرا

وعلى كل فان ديوانه مطبوع ومشروح شروحاً عديدة مما ييسر دراسته دراسة وافية لا يتسع نطاق كتابنا لها .

مصادر

١ ـ أدباء العرب للبستاني .
٢ ـ ديوان امرىء القيس .
٣ ـ المفصل في الادب العربي للاسكندري وجماعته .
٤ ـ الملك الضليل لمحمد فريد ابو حديد .
٥ ـ شرح المعلقات السبع للزوزني .
٦ ـ في الأدب الجاهلي لطه حسين .
٧ ـ امرؤ القيس لسايم الجندي .
٨ ـ الوصف للدكتور سامي الدهان .

أسئلة ومواضيع

١ ـ قال أحد الادباء المعاصرين في امرىء القيس ما نصه : « كان جزل الالفاظ ، كثير الغريب ، جيد السبك ، بديع الخيال ، رقيق التشبيه ، وكان أول من وقف على الأطلال وبكى الديار وشبب بالنساء وشبههن بالظباء والمهى ، وأجاد في وصف الخيل والليل ، وكان شعره صورة كاملة لحياته وأخلاقه » . ناقش .

٢ ـ يقول أحدهم : « إن من قرأ مواقف امرىء القيس النسائية انتهى الى نتيجة واحدة لا شك فيها وهي انه كان محباً لا محبوباً ، وانه كان تابعاً لا متبوعاً ، يتبع النساء فيفررن منه ، ويتودد اليهن فينفرن منه » . ناقش هذا القول على ضوء غزله .

٣ ـ كان امرؤ القيس جيد التشبيه ، حسن التشخيص ، مرهف الحس . برهن على صحة هذا القول وأيد آراءك بشواهد كافية من شعره .

طرفة بن العبد

هو عمرو بن العبد البكري الذي ينتهي نسبه الى قبيلة بكر بن وائل الربيعية وطرفة لقب ' لقب به واشتهر به كأكثر الشعراء الجاهليين الذين اشتهروا بألقابهم .

وكانت قبيلة بكر تسكن البحرين ، على الخليج الفارسي ، وكان سلطان المناذرة في الحيرة قد امتدّ الى هذه المنطقة العربية ، وكان شعراؤها يقصدونهم ويمدحونهم طمعاً في عطائهم .

ولد طرفة في أسرة شاعرة فكان عمه المرقشَ الأصغر ابنَ أخِ المرقش الاكبر وكل منهما شاعر مشهور . وكان خاله المتلمس شاعراً . وكانت أخته شاعرة ، فلا غرابة والحالة هذه ان يظهر نبوغه الشعري في وقت مبكر جداً. وكان لموت أبيه وهو صغير وتولية أعمامه أمره وأمر إخوته ووالدته أثر في حياته عندما أبى أعمامه ان يقسموا له مال أبيه وعاملوه هو واخوته وأمه بظلم وقسوة ، فانطلق يقول الشعر متذمراً من ظلمهم ، وكان ذلك أول شعر له.

ولما شب انصرف الى حياة الترف واللهو شأن غيره من الشبان المترفين لأنه كان من عائلة ذات جاه ومال ، فأنفق كل ما ورثه عن أبيه . ولعل هذا ما حمل أعمامه على حبس المال عنه ولومه وتعنيفه . وكان يرد على لومهم هذا بأنه يريد ان يتمتع من الدنيا قبل ان يدركه أجله المحتوم . وهكذا ظلَّ منصرفاً الى لهوه ولذاته حتى نبذته عشيرته وأفردته إفراد البعير الأجرب ، ... ذلك عنده رد فعل دعاه الى هجاء ذويه والتعرّض لهجاء الاشراف

والملوك . وكان له من علو نسبه مـــا جرّأه على ذلك . ومن الذين تعرض لهم وهجـاهم عمرو بن هند ، ملك الحيرة ، ثم اضطر اليه فقصده مادحاً طالبـاً لمعروفه ، فاحاله الى عامله على البحرين ليأخذ جائزته منه ، واوعز ابن هند الى عامله بقتله ، فقتله ولمـّا يبلغ السادسة والعشرين من عمره . وذلـك حوالي عام ٥٧٠ م .

ترك لنا طرفة ديواناً صغيراً لأنه مات شاباً .

واشهر ما في ديوانه معلقته التي اخترنا لك منها هذا النص :

١ لِخَوْلَةَ أَطْـلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ
تلوحُ كباقي الْوَشْمِ في ظـاهِرِ الْيَدِ

٢ وُقُوفاً بهـا صَحْبِي عليَّ مَطِيَّهُمْ
يَقولون : « لا تَهْلِكْ أسىً وتجلَّدِ ! »

٣ كأنَّ حُدوجَ المـالكيَّةِ غُدْوَةً
خلايا سفينٍ ، بالنواصف مـن دَدِ

---

١ — خولة : اسم امرأة يتغزل بها الشاعر . البرقة : ارض ذات حجارة وطين . ثهمد : اسم مكان في نجـد . تلوح : تظهر وتلمع . الوشم : نوع من التزيين في الجسم ويكون بأن تغرز الابرة في مكان التزيـين ويحشى بالكحل فيبقى اثره دائماً .

٢ — وقوفاً منصوبة على الحال . المطيّ : جمع مطية وهو كل مـا يمتطى ويركب . تجلـّد : من التجلد اي التصبّر .

٣ — الحدوج : جمع حدج وهو مركب النساء . المالكية : نسبة الى مالك وهي خولة . الخلايا . جمع خليـة وهي السفينة العظيمة . السفين . جمع

٤ عَدَوْلِيَّةٌ أوْ من سفينِ ابن يامنٍ
يجورُ بها الملاَّحُ طوراً وَيَهْتَدِي
٥ يَشُقُّ حَبَابَ الماءِ حيزُومُها بها
كما قَسَمَ التُّرْبَ الْمُفَـايِلُ باليَدِ
٦ وإِنِّي لأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احتِضَارِهِ
بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وتَغْتَدِي

سفينة . النواصف : جمع ناصفة وهو مجرى الماء الى الاودية . ددِ : واد في الطريق من البصرة الى البحرين . والمعنى ، كأن مراكب خولة المالكية غدوة فراقها بنواحي وادي دد سفن عظام ، فقد شبه الابل وعليها الهوادج بالسفن العظيمة .

٤ ـ عَدوْلية . نسبة الى عَدَولي ، قرية في البحرين اشتهرت ببنـاء السفن . وابن يامن ، مـلاح من (هجر) مشهور . يجـور : ضد يهتدي . والمعنى : هذه السفن التي شبه بها الابل في البيت السابق هي من صنع قرية عَدَوْلي او من صنع ابن يامن في هجر. وشبّه سير الابل تارة على هدى واخرى على غير هدى بقيادة الملاح للسفينة على هدىً مرة وعلى غير هدى مرة اخرى.

٥ ـ حَبَاب الماء : امواجه او لجته ، الواحدة حَبابة . حيزوم السفينة : مقدمها او صدرها . الترب : الـتراب . المفايل : الذي يلعب الفيال ، وهي لعبة تكون بأن يُجمع التراب او الرمل ويدفن فيه شيء كالخاتم مثلاً ، ثم يقسم المفايل التراب بيده الى قسمين ويسأل اللاعب معه عن الدفين في أيهما هو فـان عرف ربح وان أخطأ خسر .

٦ ـ الاحتضار : الحضور. العوجاء : الناقة التي لا تستقيم في سيرها لفرط

٧ لها فَخِذَانِ أُكمِل النَحْضُ فيهما
كأنَّهما بــابــا مُنيفٍ مُمَرَّدِ
٨ كقنطَرةِ الروميِّ أقسم ربُّهــا
لَتُكْتَنَفَنْ ، حتى تُشادَ ، بِقَرْمَدِ
٩ علىٰ مثلها أمضي ، اذا قــال صاحبي
ألا ليتني أفديكَ منهــا وافتدي !

نشاطها . المرقـــال : مبالغة من الإرقال وهو بـــين السير والعَدْو . تروح وتغتدي : اي تواصل السير في الليل والنهـــار . والمعنى ، يقول : إنه اذا أدركه الهمُّ تخلـَّص منه بالسفر على هذه الناقة .

٧ ــ النحض . اللحم . المنيف : صفة للقصر العـــالي المشرف . الممرَّد : المملـَّس . والمعنى : لهذه الناقة فخذان اكتنز لحمها فشابها مصراعي باب قصر عال مملـَّس .

٨ ــ َلتـُكتـَنـَفـَن : َلتـُبْنى من أكنافها اي نواحيهـا . ُتشاد : ُترفع او ُتطلى بالشـِّيد وهو الجصّ .

المعنى : شبه النـاقة في علوها وضخامتهـــا بقنطرة لرجل روميّ يبني نواحيهـــا بالقرميد حتى تصبح عاليةً متينةً . ولقد خصَّ الروميَّ لأنه يتقن عمله ويحسنه .

٩ ــ الضمير في مثلها يعود على ناقته ، والضمير في منها يعود على الفـلاة المقفرة في بيت آخر في المعلقة . والمعنى ، اني أسافر على مثل هذه الناقة ، اذا دخلنا فلاةً مقفرةً فخاف صاحبي وقال : نحن هالكون فليتنا نفتدى .

١٠ اذا القومُ قالوا : «مَنْ فتىً ؟» خِلْتُ أنني
عُنيتُ ، فَلَمْ أكسَلْ ، ولَمْ أتَبَلَّدِ

١١ ولستُ بِحَلاّلِ التلاع مخافة
ولكنْ متى يَسْتَرْفِدِ القومُ أرْفِدِ

١٢ فإنْ تبغِني في حَلْقَةِ القومِ ، تَلْقَني
وان تَلْتَمِسْني في الحوانيتِ تَصْطَدِ

١٣ وإن يَلْتَقِ الحيُّ الجميعُ تُلاقني
إلى ذِروة البيتِ الشريفِ المُصَمَّدِ

١٤ وما زال تشْرابي الخمورَ ولذَّتي
وبيعي وإنفاقي طريفي ومُتْلَدي

---

١٠ ـ من فتى : اي من فتى يُغْني في الشدائـــد . عُنيتُ : قُصِدتُ . أتبلد : أتحير وأتردد .

١١ ـ التلاع : جمع تلعة ، وهي مجاري المياه من رؤوس الجبال الى الأودية ، حيث تشق فيها شقوقاً . الرفد : المعونة . استرفد : طلب المعونة .

١٢ ـ تبغني : تطلبني . حلقة القوم : مجتمعهم عند المشورة . الحوانيت : جمع حانوت وهو بيت الخمار .

١٣ ـ يلتقي الحي : يجتمعون للافتخار . ذروة كل شيء: أعلاه . المصمَّد : الذي يقصد اليه في الحاجات ، ومنه قوله تعـــالى : « الله الصّمد » اي الذي يقصد في طلب الحاجات .

١٤ ـ التشراب : الشراب الكثير . الطريف : المال الذي يكسبه المرء

١٥ إلى أن تحامتني العشيرةُ كلها

وأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ المعبَّدِ

١٦ الا أُيهاذا الزّاجري أحضُرَ الوغى

وأن أشهدَ اللذّاتِ ، هل أنتَ مخلِدِي ؟

١٧ فإن كنتَ لا تسطيعُ دَفعَ منيَّتي

فَدَعْني أبادرْها بما ملكتْ يَدِي

١٨ لَعَمْرُك ، إنّ الموتَ ، ما أخطأ الفتى

لكالطِـوَل المُرْخَى ، وثِنْياهُ باليدِ

بنفسه . التليد : المال الموروث .

١٥ ـ تحامتني : تجنبتني . عشيرة الرجل : اهله . البعير المعبَّد : هو البعير الاجرب المطليّ بالقطران ، المبعد عن الابل ، حتى لا يُعْديها .

١٦ ـ أحضر : منصوب بأن مضمرة ، ويجوز فيها الرفع . الوغى : الحرب . الخلود : البقاء .

١٧ ـ تسطيع اي تستطيع . المنية : الموت . دعني : أتركني . أبادرها : أعاجلها او أسبقها . والمعنى ، إن الموت لا بد منه ، ولا معنى للبخل بالمال وترك الملذّات .

١٨ ـ (ما) مصدرية ظرفية والتقدير ، إن الموت مدةَ إخطائه الفتى . الطِوَل : الحبل يُطوّل للدابة فترعى وهي مربوطة به . ثنياه : طرفاه والمعنى ، يخاطب شخصاً تخيله ويقول له : أقسم بحياتك ان الموت في مدة مجاوزته الفتى أشبَه بحبل يطوّل للدابة ترعى فيه وطرفاه بيد صاحبه ، فشبه الأجل بالحبل ، والفتى بالدابة التي لا تفلت منه .

١٩ أرى قَبْرَ نَحَّامٍ بخيلٍ بمالِهِ
كقبرِ غَوِيٍّ في البطــالةِ مُفْسِدِ
٢٠ ترى جُثْوَتَيْن من تراب عليهما
صَفَائِحُ صُمٌّ من صفيحٍ منضَّدِ
٢١ أرى الموتَ يَعْتَامُ الكِرام ، ويصطفي
عَقيلَةَ مــالِ الفاحشِ المُتَشَدِّدِ
٢٢ أرى العيشَ كنزاً ناقصاً ، كلَّ ليلَةٍ
وما تنقُصِ الأيامُ والدهرُ يَنْفَدِ
٢٣ وظُلمُ ذَوِي القُرْبَىٰ أَشَدُّ مضاضــةً
على المرءِ مِــنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

---

١٩ ــ النحام : البخيل الذي اذا طلبت منه شيئاً كــثر سعاله . الغوي : الضال والمراد به هنا المسرف في ماله في غير صالح . المفسد: المتلاف . والمعنى لا فرق بعد الموت بين قبر البخيل الذي أنفق حياته في جمع الأموال وبين قبر المبذر المتلاف الذي بدد ماله في ملذاته ولهوه ، فلا ينفع المرء ماله بعد موته .

٢٠ ــ الجثوة : الكومة . الصفــائح : جمع صفيحة وهي الحجر العريض كالبلاط المنضد المرصوف بعضه فوق بعض. وهذا البيت تفسير للبيت السابق.

٢١ ــ يعتام : يختار . عقيلة كل شيء : خيرته وأنفسه عند أهله. الفاحش المتشدد : الشديد البخل .

٢٢ ــ العيش هنا العمر والحياة . ينفد : يفنى .

٢٣ ــ المضاضة : الايجاع والايلام من مضَّه الحــزن وأمضه اذا بلغ من قلبه

٢٤ أنا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الذي تعْرِفُونَهُ
خَشَاشٌ كرأسِ الحيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ

٢٥ فآليتُ لا ينفكُّ كشْحي بِطانةً
لِعَضْبٍ رقيقِ الشفرتَيْنِ مُهَنَّدِ

٢٦ سَتُبْدِي لكَ الأَيامُ ما كنتَ جاهلاً !
ويأتيكَ بالأخبـــارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

٢٧ ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لَمْ تَبِعْ له
بتاتاً ، ولَمْ تَضْرِبْ لَهُ يَوْمَ مَوْعِدِ

وأثر في نفسه . الحسام المهند : السيف المنسوب الى الهند . والمعنى ، يتشكى طرفة من ظلم ابن عمه مالك الذي كان لا يمنحه ما يطلبه من المـال ، ويرى ان ظلم قريبه له أشد تأثيراً في نفسه من السيف القاطع .

٢٤ ـ الضرب: الخفيف اللحم. الخشاش: الدخَّال في الامور لخفته وسرعته.

٢٥ ـ الكشح : الخاصرة . العضب : السيف القاطع .

٢٦ ـ لم تزود : لم تعطه زاداً ليسافر فيحمل اليك الاخبار ، أي إن ما أقوله لك هو الحق وستنبئك الايام بصوابه وستقف على الاخبـار دون ان تـكلف نفسك عناء السعي وراءها .

٢٧ ـ باع : اشترى فهو من الاضداد . البتـــات : كساء المسافر والزاد . وهذا البيت تـــأكيد للبيت السابق ، أي يأتيك بالاخبار من لم تشترِ له زاداً وكساءً ليسافر في طلبها .

الشرح الأدبي والتحليل

أكبر آثار طرفة هي معلقته، وهي أطول المعلقات ، اذ انها بلغت (١٠٥) أبيات . والظاهر انه قالها قبل اتصاله بعمرو بن هند اي بعد ما أنفق ماله . وموضوعها تصوير ُ نفسه وشرح ُ حالته ونظرته الى الحيـاة . وهذا النص الذي شرحناه لك منها يعطيك صورة واضحة عنها . فلقد بدأها ـ كما رأيت ـ في وصف ناقته وصفاً طويلاً بلغ ثمانية وعشرين بيتـاً استقصى فيه كل عضو من اعضائها ، ولقد عرضنا عليك شيئاً منه . ثم انتقل الى الغرض المقصود من المعلقة وهو الفخر بنفسه والاعتداد بصفاته ونظراته الخاصة في الحيـاة. فهو فتى الفتيان ، وهو كريم وذو رأي ومشورة ، وذو نسب رفيع . ثم يصف انهماكه في اللهو والشراب واتلافه أمواله في هذا السبيل حتى اجتنبته العشيرة وأفردته إفراد البعير الأجرب . ويرد من عنـّفه في سلوكه وانفاقه حياته بين حضوره الوغى وشهوده اللذات قائلاً إن الحياة فانية والخلود محال ، وان الموت يساوي بين البخيل والمسرف المتلاف . ثم ينتقل الى الشكوى من ظلم قومه له ويعود الى الافتخار بنفسه . ثم يختمها بأبيات حكيمة جميلة مشهورة .

ونحن نجد في هذه المعلقة ظاهرة جديدة لم نجدها في معلقـة امرىء القيس بل لا نجدها في غيرها من المعلقات . وهذه الظاهرة تذكرنا بمسكنه وقومه في البحرين على الخليج الفارسي ، حيث المـاء والأمواج والسفن والملاحة . لذلك جاءت تشابيهه مشتقة من بيئته ، فشبّه مركب خولة بالسفينة ، وسير الابـل بالسفين « يجور بها الملاح طوراً ويهتدي » .

ولحـكم طرفة التي رأيناها في النص قيمتها من حيث انها تصور لنـا نفسيته المضطربة اليائسة خير تصوير . وتصور لنا البيئة التي كان يعيش فيها وتأثرهـا بالأفكار المسيحية . وكان طرفة صادقاً كل الصدق في تعبيره عن آرائه ونظرته الى الحياة . ولا نريد ان نناقش افـكار طرفة من حيث صوابُها او خطأهـا ولكننا نريد ان نتبين طبيعة الحِكم التي أتى بهـا ، فالحكمة في العصر الجاهلي لم

تكن وليدة النظر العميق والتفكير المجرد والتأمل الفلسفي ، وإنما كانت وليدة تجارب الحياة وأحداثها ، ولهذا كانت هذه الحِكم تتفاوت في تقديرها للحياة وشؤونها ، ولهذا ايضاً كانت مرآة صادقة لطبيعة النفس الجاهلية وما جُبلت عليه من شيم واخلاق .

فحِكم طرفة إذن هي حكم فتى في العشرين أصاب شيئاً من مال وراح ينفقه في وجوه اللذة واللهو ، وقد علمته التجارب ان الخلود في الحياة أمر لا ينال، فمن الخير اذن ان ينفق حياته لاهياً عابثاً قبل ان تدركه منيته .

وليست نظرة طرفة الى الحياة مادية كلها ، فهو حريص على الحياة والتمتع بها ولكنه لا يتوانى عن خوض الوغى والدفاع عن اللائذ به لانه يجد في خوض الوغى لذة ، ولا يمنيه بعدُ أن يموت في ساحة القتال او حتف أنفه . ونحن اذا أُعجبنا بهذه الحِكم فلأنها تنبع من حياة الشاعر ولانها تصوّر نفسه أدق تصوير ، على نقيض تلك الحِكم الجافة التي نجدها عند بعض الشعراء الآخرين كأبي العتاهية مثلاً ، والتي يظهر فيها التكلف والتصنّع .

وعلى الجملة فان معلقة طرفة تُعد من خير القصائد لما فيها من معان جديدة لم يُسبق اليها ، الى سلاسة في اللفظ ووضوح في المعنى شأنَ شعر ربيعة كله الذي يمتاز بهذا الوصف ، اذا استثنينا وصفه للناقة لما فيه من غريب اللفظ . كما تمتاز هذه المعلقة بأنها تصف حياة طبقة خاصة من الطبقات الاجتماعية عند العرب وهي طبقة الفتيان الذين يبدّدون أموالهم في اللهو والشراب غير عابئين بالحياة .

مصادر

١ ـ شرح ديوان طرفة للشنتمري .
٢ ـ شعراء النصرانية للأب لويس شيخو .
٣ ـ في الادب الجاهلي لطه حسين .
٤ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة .

أسئلة ومواضيع

١ ـ بيّن رأيك في مسلك طرفة وفي نظرته الى الحياة من خـــلال النص الذي درسناه سابقاً .

٢ ـ قال طه حسين في حديثه عن طرفة . « في شعره شخصية بارزة قوية لا يستطيع من يلمحها ان يزعم انها متكلفة او منتحلة او مستعارة ، وهـــذه الشخصية ظاهرة البداوة ، واضحة الالحاد ، بيّنة الحزن واليأس والميل الى الاباحة في قصد واعتدال » .

حلل نفسية طرفة من خلال هذا القول ، والتمس مـا يفسر هذه النوازع والمشاعر من بيئة الشاعر وعصره .

٣ ـ إختر لنفسك نصاً من ديوان طرفة واشرحه شرحاً أدبياً .

زهيرُ بنُ أبي سُلمى

هو زهير بن أبي سُلمى ، من قبيلة مُزَيَنة ، ومزينة من مضر ، فهو شاعر مُضَريّ . ولد بنجد ونشأ وشب في بني غَطَفان من بيت عريق في شاعريته. فقد كان أبوه شاعراً ، وزوج أمه أَوْس بن حَجَر شاعراً ، وأختاه سلمى والخنساء شاعرتين ، وابناه كعب وبُجَيْر شاعرين . ولعل خال أبيه بشامة ابن الغدير ، وكان شاعراً مشهوراً ، كان المدرسة الاولى لزهير في الشعر ، كما أن أوس بن حجر يعدُّ المدرسة الثانية له وعنه أخذ طريقته في الشعر التصويري الحسي .

وكان زهير يقيم هو وقومه في بلاد غطفان حيث كانت الحرب مستعرة بين قبيلتي عَبْس وذُبْيان وهما من غطفان ايضاً ؛ وكان شعر زهير يدور حول السلم بين هاتين القبيلتين والدعوة اليه ومدح هَرِم بن سِنان بن عَوْف من قبيلة ذُبْيان لنشرهما السلام في غطفان ، وكان هرم يجزل له العطاء وقد أقسم لا يسلم عليه زهير إلا أعطاه ، فكان اذا سلم على قوم ، وفيهم هرم ، قال : « السلام عليكم إلا هرماً وخيرَكم استثنيت . »

ولقد قال النقاد عن شعره انه : « كان ابعد الشعراء عن سخف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من اللفظ ، واكثرهم أمثالاً في شعره » وقالوا : « كان لا يتبع حوشي اللفظ ولا يقول الا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه » وعرف زهير بالرويّة في شعره ، وكانت قصائده تسمى « الحوليّات » .

وعرف فوق هذه الرزانة والرَّوية بالحكمة في شعره وأتى في هذا الباب بما

لم يُسبق اليه ، ولقد فضّل المسلمون حِكمه على غيرها من الحكم الجاهلية لما فيها من نظرات تتفق مع مبادىء الإسلام كقوله في معلقته :

فلا تكتمُنَّ اللهَ ما في نفوسكم ليخفى ومهما يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ
يؤَّخرْ فيوضَعْ في كتاب فيدَّخرْ ليوم حسابٍ أو يَعَجَّلْ فيُنْقمِ

وافضل شعره ما كان في مدح هرم بن سنان .

له ديوان مطبوع طبعة جيدة ، وقد نشرته دار الكتب المصرية ، وتوفي قبيل البعثة عن عمر يزيد على التسعين .

قال من قصيدة له في مدح هَرِم :

١ أَغَرُّ ، أَبْيَضُ ، فَيَّاضٌ يُفَكِّكُ عن
أيدي العُنَاة وعــنْ أعنَاقِها الرَّبَقَا
٢ وذَاكَ أَحزَمُهم رأيـاً ، اذا نَبَأٌ
من الَحوادثِ غَادَى النَاسَ أَوْ طَرَقا

---

١ ـ الأغر : الابيض (والغراء البيضاء) وهنا بمعنى المشهور . الأبيض : المنقّى من العيوب . العناة (جمع العاني) : الاسير الذليل . الربق :(جمع الربقة) حبل طويل فيه حلَق واراد بها الاغلال . يفكك : اي يفك كثيراً . والمعنى : إن هرماً خير وبركة على اسراه فيطلقهم ويفتدي اسرى غيره بماله .

٢ ـ النبأ : الخبر الشديد الوقع . غادى : اتى في الغداة . طرق : جاء ليلاً . والمعنى : إن هرماً احزم الناس رأياً عندما ينوب امرٌ في الصباح او في الليل .

٣ فَضْلَ الجيادِ على الخيلِ البِطاءِ ، فلا
يُعطِي بذلك مَمْنُونَاً ولا نَزِقَا

٤ قَدْ جَعَل المُبْتَغُون الخيرَ من هرمٍ
والسَّائلون الى أبوابِهِ طرُقَـا

٥ إِن تَلْقَ يوماً ، على علاَّتِهِ ، هَرِمَاً
تَلْقَ السَّماحَةَ منه والنَّدى خُلقا

٦ وَلَيْسَ مَانِعَ ذي قرْبَى وَذِي رَحِمٍ
يَوْماً ، ولا مُعْدِماً من خابطٍ وَرَقَا

---

٣ ـ فَضْلَ : نصبه على المفعول المطلق ، والتقدير : فَضَلَ الناسَ فَضْلَ الجياد على الخيل البطيئة الجري . الممنون : المقطوع . النزق : الذي يبطىء بعد الجري . والمعنى : منزلة الممدوح بين الناس كمنزلة الجواد بين الخيل الذي يعطيك ما عنده من الجري دون أن يقطع جريه او يبطىء فيه .

٤ ـ طرقاً : مفعول جعل الثاني ، ومفعولها الأول هو الخير .

٥ ـ على علاته : يقصد على قلة مال او عدم . والمعنى : ان تلق هرما قليل المال معدماً تجده سمحاً كريماً فكيف به وهو على غير هذه الحال .

٦ ـ ولا مُعْدماً من خابطٍ : من هنا زائدة ، والتقدير ولا معدِماً خابطاً. المعدِم : المانع ، والخابط : طالب المعروف . الوَرَق : المعروف . والأصل في معنى الخابط ان الرجل يضرب الشجر ليسقط ورقه فيعلفه ماشيته فسمي كل طالب معروف خابطاً . والمعنى ، إن هرماً يصل القريب والبعيد .

٧ ليثٌ بِعَثّرَ يَصْطادُ الرِّجــالَ ، اذا
ما كَذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أقرانِهِ ، صَدَقَا

٨ يَطْعَنُهُمْ ما ارْتَموْا ، حتَّى اذا اطَّعَنُوا
ضَارَبَ ، حتَّى اذا ما ضارَبُوا اعْتَنَقَا

٩ هَذَا ، ولَيْسَ كَمَنْ يَعْيَا بِخُطَّتِهِ
وَسْطَ النَّدِيِّ ، اذا ما نَاطِقٌ نَطَقَا .

١٠ لَوْ نَالَ حَيٌّ مِنَ الدُّنيا بِمَنْزِلةٍ
وَسْطَ السَّماءِ ، لَنَالَتْ كَفُّهُ الافُقَا

---

٧ ـ عثَّر : اسم موضع فيه سباع . كذَّب : تراجع . الأقران: ج قِرن، الصاحب في القتال . والمعنى : إن الممدوح كالاسد في إقدامه وشجاعته ، فاذا تراجع الاسد عن أقرانه ولم يصدق في حملته فان الممدوح يصدقهم .

٨ ـ المعنى : اذا ترامى المتقاتلون بالنبــال ، دخل الممدوح بين الرامين فجعل يطعنهم بالرّمح ، فاذا تطاعنوا بالرماح ضرب هو بالسيف، فاذا تضاربوا بالسيوف اعتنق هرم خصمه وصرعه بيديه . يريد انه يزيد على أعدائه في كل حال . ولقد جمع زهير في هذا البيت جميع انواع القتال في الجاهلية .

٩ ـ الخطة : الحديث . النَّديّ : مجلس القوم . والمعنى : إنه بعد ان وصفه بالكرم والشجاعة ، وصفه بالبلاغة في المحافل والجمعيات .

١٠ ـ بمنزلة : بدرجة: أي بقَدْرٍ وقيمـة يسيرة . والمعنى: لو نال الانسان وسط السماء بقدْر يسير أو قيمة ومنزلة يسيرة لنالت كف هرم الأفقَ كلا لأنه أحق بذلك وأفضل لما يتمتع به من منزلة اجتماعية كبيرة . ولو : حرف امتناع لامتناع .

ومن حكمه المأثورة :

١ سَئِمْتُ تكاليفَ الحياةِ ، ومَنْ يَعِشْ
ثمانينَ حَوْلاً ، لا أَبَالَكَ ! يَسْأَمِ

٢ وأَعْلَمُ ما في اليومِ ، والأَمسِ قَبْلَهُ
ولكنَّني عن عِلْمِ ما في غدٍ عَمِ !

٣ رأيتُ المنايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِبْ
تمِتْهُ ، ومن تخْطِئ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

٤ ومَنْ لم يُصانِعْ في أمورٍ كثيرةٍ
يُضَرَّسْ بأنيابٍ ، ويُوطَأْ بِمَنْسِمِ

---

١ ــ سئمت : مللت . تكاليف الحياة : مشاقها . لا أبا لك : كلمة جافية اي لا أباً لك حراً ، وهو لا يريد بها هنا الجفاء انما يريد التنبيه والاعلام . والمعنى : مللت مشاق الحياة وأتعابها ، فقد بلغت الثمانين ، ومن يعش هــذا العمر الطويل يملّ الحياة ويعافها .

٢ ــ العمي : الجاهل . والمعنى : الانسان يعرف الحاضر الذي يعيش فيه والماضي الذي مرّ عليه ، ولكنه يجهل المستقبل .

٣ ــ رأيت المنايا خبط عشواء : اي رأيت المنايا تخبط خبط عشواء ، والعشواء مؤنث الأعشى وهي الناقة التي لا تبصر ليلاً فتضرب أمامها على غير هدى . والمعنى : إن الموت يخبط خبط الناقة العشواء فيأخذ ارواح الناس على غير هدى ، ومن غير أجل معلوم ؛ وهذه فكرة جاهلية خاطئة .

٤ ــ صانع الناس : داراهم وجاملهم . يضرّس : يُعَضّ بالاضراس ،

٥ ومَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ في غيرِ أَهْلِهِ
يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمّاً عَلَيْهِ ويَنْدَمِ

٦ ومَنْ يَكُ ذا فَضْلٍ ، فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ
على قَوْمِهِ ، يُسْتَغْنَ عَنْهُ ويُذْمَمِ

٧ ومَنْ يُوفِ لا يُذْمَمْ ، ومَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ
إلى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ

ويُمْضَغ . المنسم : خف البعير . والمعنى : يريد الشاعر الحكيم الا يكون الانسان صريحاً مع الناس في جميع اموره وامورهم ، والعاقل من يداريهم فلا يصارحهم في عيوبهم حتى لا يصبح هدفاً لعداوتهم ، ومن لا يداري الناس قهروه واذلوه .

٥ ـ في غير اهله ، اي عند من لا يقدّره . والمعنى : من وضع معروفه في غير موضعه ، وقدمه الى من لا يستحقه كان جزاؤه الندم بدل الحمد وندم على ما صنع من معروف .

٦ ـ الفضل : المال او الاحسان او الجاه . والمعنى : الأقربون أولى بالمعروف فيجب على صاحب الفضل ان يستفيد منه قومه ، فاذا لم يستفيدوا منه استغنوا عنه وذموه .

٧ ـ يوفي أي يفي بعهده. المطمئن : الثابت والمستقرّ . لا يتجمجم : لا يتردد . والمعنى : من يف بعهده لا يُذَمّ ، ومن يؤمن بعمل الخير ايماناً صادقاً لا يتردد في القيام به .

٨ ومَنْ هَابَ أسبَابَ المنايـا يَنَلْنَهُ
وإنْ يَرْقَ أسبَـابَ السَّماءِ بِسُلَّمِ

٩ ومَنْ يَجْعَلِ المعروفَ من دون عِرْضِه
يَفِرْهُ، ومـن لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

١٠ ومَنْ لم يَذُدْ عـن حَوْضه بسلاحه
يُهَدَّمْ، ومَنْ لا يَظلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

١١ ومَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسِبْ عَدُوّاً صَديقَهُ
ومَنْ لا يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لا يُكَرَّمِ !

---

٨ ـ هاب : خاف . الاسباب : جمع سبب ، والمقصود باسباب المنايا مـا يتسبب عنه الموت كالحروب وغيرها ، والمقصود بأسباب السماء الطريق اليها . ورقي بمعنى ارتفع . والسلّم : كل ما يرتفع عليه الانسان الى محل عال . والمعنى: لا مفرّ من الموت ، ومن يحاول الفرار منه ادركه ولو صعد الى السماء .

٩ ـ يَفِرْهُ : من وفر الشيء اي كثّره والمراد به هنا : يحفظه ويصونه . المعروف : الإحسان . العرض : موضع المدح او الذم من الإنسان . والمعنى : من يجعل معروفه بين عرضه وبين الناس يحفظ عرضه من الذم ، ومن لم يفعل ذلك ولم يتق الشتم، شتمه الناس بالحق وبالباطل .

١٠ ـ الذود : الدفاع او الكف او الردع . الحوض : مـا يجب على المرء حفظه والدفاع عنه كالحريم والمال والولد والسمعة وغيرهـا . والمعنى : من لا يدفع عن عرضه استباحه الناس ، ومن ضعف عن رد العدوان عنه وعن قومه عمد الناس الى الاعتداء عليه، ومن عجز عن الاعتداء على غيره استضعفه الناس وظلموه .

١١ ـ يحسب عدواً صديقه لأنه لم يجربه . والمعنى : الغريب أعمى ولو كان

١٢ وَمَهْمَا تَكنْ عند امرىءٍ من خَليقَةٍ
وإِن خالَها تخفَى على النَّاسِ ، تُعْلَمِ
١٣ وكائِنْ تَرى مِنْ صامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ
زيـــادَتُهُ أو نَقْصُـــهُ في التَّكَلّمِ
١٤ لسانُ الفتى نِصْفٌ ، ونصفٌ فؤادُهُ
فَلَمْ يبقَ إلاَّ صورةُ اللَّحْمِ والدَّمِ

ويمكن تحليل ما جاء على الشكل الآ تي :

إنه ملَّ الحيـــاة وسئمها ، وماذا وراء الشيخوخة غـــير الملل والسأم ؟ والانسان يعرف الماضي والحـاضر ويجهـل المستقبل ، وهذه عقيدة إسلامية .

بصيرا ، لأنه لا يعرف الناس فيظن العدوَ صديقاً وبالعكس . ومن لا يحافظ على كرامته وقدره فإن الناس لا يعرفون له قدراً ولا كرامة .

١٢ ــ الخليقـــة : الصفة ، حسنةً كانت أم سيئة . والمعنى : مهما حاول الانسان ان يخفي أخلاقه فلا بُدَّ ان تظهر للناس ويعرفوهـــا سواء أَ كانت حسنة أم سيئة .

١٣ ــ كائن : بمعنى كم الخبرية التكثيرية . والمعنى : كثـــير من الصامتين يعجبك صمتهم فتستحسنهم ، وإنما يظهر لك فضل الانسان أو نقصه لا بصمته ولكن عند تكلـّمه ، ثم يتمم المعنى في البيت التالي ؛

١٤ ــ فؤاد الفتى نصف ولسانه النصف الآخر . أما صورته الباقية من اللحم والدم والعظم ففضلة لا نفع لهـــا دون القلب واللسان ، ولا معول عليها إلا معها . وكما قالت العرب في مثلها السائر : المرء بأصغريه قلبِه ولسانِه .

وإن الموت يـــأخذ أرواح الناس على غير هدى ، وهذه النظرة تختلف عن العقيدة الاسلامية . ويرشدنا الى المداراة في معاملة الناس حتى لا نقهر او نذل، والى التروي في عمل المعروف، ووضعه في موضعه . وعدم البخل على الأقربين لانهم أولى بالمعروف من غيرهم . والوفاء بالعهد والظهور بمظهر الاعتماد على النفس وعدم التردد في تحقيق ما يؤمن به الانسان . ورغم ان المنايا تخبط خبط عشواء فليس للانسان مفر منها ولو صعد الى السماء . ويجب حفظ العِرض ببـــذل الإحسان ومن ضنّ بمعروفه على الناس شتموه بالحق وبالباطل . وعلى الانسان ان يكون قوياً في الحياة فان لم تكن ذئباً أكلتك الذئـاب . ويقرر في الشطر الثاني من هذا البيت القاعدة الجاهلية المعروفة : ومن لا يظلم الناس يظلم ، وهذا مما أبطله الاسلام ، فالانسان القوي يجب ألا تدفعه قوته الى ظلم الناس والتعدي عليهم . والمرء حيث يضع نفسه فان هو كرّمها كرّمه الناس ، وإن أهانها فلا ينتظِرْ من الناس تكريمها . ثم يقرر قاعدة أخلاقية مهمة وهي ان أخلاق الانسان لا بدّ معروفة ، ومهما أوتي من دهاء لاخفائها فلن يفلح، اذن فمن الخير له ان يتخلّق بالأخلاق الحسنة . ويوصينا بألا ننخدع بالصامت المتعاقل فقد يكون جاهلاً أحمق ، على ان أمره يتضح عندما يتكلم لان لسان الفتى نصفه ونصفه الآخر عقله ولبه ، وما عدا ذلك من لحم ودم فضلة لا قيمة لها بدون التفكير وجودة النطق .

وزهير في هذه الأبيات استاذ ناصح يقدم الينـا عصارة فكره ومـا وصل اليه عقله بعد هذا العمر الطويل الذي عاشه ، فهو صادق العـــاطفة مخلص فيما يقول ؛ ونصائحه هذه تصل الى قرارة النفس لانهـــا صادرة عن قلب مخلص وعقل رزين .

وأما عن أسلوبه فهو زعيم تلك المدرسة الجـاهلية التي كانت تعتني بالشعر فتهذبه وتنقحه قبل ان تخرجه الى الناس . وزهير هو صاحب الحوليّـــات المشهورة وهي تلك القصائد التي كان ينظمها في اربعة اشهر، ويهذّبها في اربعة، ويعرضها على أخصائه في اربعة ايضاً فلا تخرج القصيدة الى الناس إلا بعد سنة.

وهذا التهذيب أبعد شعره عن كثير من الاخطاء التي كان يقع فيها اصحاب الارتجال من الشعراء الجاهليين . ولذلك جاء أسلوبه جزلاً وعبارته قوية وقالبه متيناً ومعانيه مختارة ، مفرغة في أحسن الالفاظ .

وهذه الميزات جعلته أحد الثلاثة المقدّمين في الجاهلية وهم : امرؤ القيس والنابغة وزهير .

مصادر

١ - ادباء العرب	للبستاني .
٢ - المفصل في الأدب العربي	للاسكندري وجماعته.
٣ - الوسيط في الأدب العربي	للاسكندري
٤ - الجديد في الأدب العربي	لحنا الفاخوري
٥ - ديوان زهير، طبعة دار الكتب بمصر	
٦ - زهير بن ابي سلمى	لفؤاد افرام البستاني

اسئلة ومراجع

١ - قال احدهم : « شعر زهير صورة ناطقة عن اخلاقه ، فالرزانة والتعقل والهدوء ترافقه في جميع اغراضه . وهو في شعره بارع التصوير ، متخيَّر المعاني ، منمّق اللفظ والاسلوب » .

ناقش هذا القول ، وأيدّه بالشواهد الكافية .

٢ - قال احد الكتاب المعاصرين في شعر زهير : « لعل اهم ما يمتاز به شعر زهير عن غيره من الشعراء حسن البيان وسهولة المعنى وضرب المثل وارسال الحكمة البارعة واجادة المدح ، وفي كل واحدة من هذه الاشياء كان بيِّن المنزلة مذكوراً » .

تكلم عن كل واحدة من هذه الميزات بالايضاح والبيان واستشهد بجملة صالحة من شعره .

٣ - الى أي درجة تصور حِكم زهير بيئته وثقافته البدوية ؟ .

ناقش هذا القول على ضوء الدروس التي تقدمت .

لبيدُ بن ربيعة

هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامريّ المضريّ وأمه عبسيّة . نشأ في الجاهلية شريفاً جواداً شاعراً . دخل في الاسلام وعاش طويلاً وقضى ايام شيخوخته في الكوفة .

قال اكثر شعره قبل الإسلام ، وهو شاعر بدوي يصور لنا في شعره حياة البداوة ولا سيما في معلقته التي قالها في ايام شبابه والتي تعطينا صورة واضحة عن الشعر المضري في متانته وقوته .

توفي في خلافة معاوية عن عمر يناهز المئة . وله ديوان من الشعر اشهر ما فيه معلقته التي مطلعها :

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقَامُها بِمِنىً تَأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجَامُها

وسندرس معك من شعره النصّ الآتي في رثاء اخيه :

١ بَلِينا وَمَا تَبْلَى النُّجُومُ الطَّوالِعُ

وتَبْقَى الدِّيارُ بَعْدَنا والمصَانِعُ

---

١ ـ المصانع : المدن والقرى والمباني من القصور والحصون وكل ما عظم بناؤه .

٢ وَقَدْ كُنْتُ في أكنَافِ دارِ مَضِنَّةٍ
ففارَقني جارٌ بـأرْبَدَ نَافِـعُ
٣ فـلا جَزَعٌ إن فَرَّقَ الدَّهر بَيْننا
فَكُلٌّ امرىء يوماً بهِ الدَّهر فـاجِعُ
٤ ومـا المرءُ إلاَّ كالشِّهاب وضَوْئهِ
يَحُورُ رَمَاداً بَعْـدَ إذْ هُوَ سَاطِعُ
٥ ومـا المالُ والأَهلونَ إلاَّ ودائِعٌ
ولا بُدَّ يومـاً أن تُرَدَّ الودائِعُ
٦ وما النَّاسُ إلا عاملان ، فعامِلٌ
يُتَبِّرُ مـا يُبْنَى وآخرُ دَافِعُ
٧ فَمِنْهُمْ سَعيدٌ آخِذٌ بنَصيبِه
وَمِنْهُم شَقِيٌّ ، بالَمعيشَةِ قَانِعُ

---

٢ ــ الأكناف جمع كنف وهو الجانب . الدار المضنَّة : هي الدار التي يُضن بها ويحرص على سكانها . اربد : اسم مكان . نجد في هذين البيتين رثاء ساذجاً لا تـكلـّف فيه ولا مغالاة .

٣ ــ الجزع : عدم الصبر . فاجع : موجع ، اسم فاعل من فجع أي أوجع.

٤ ــ الشهاب هو النجم والمقصود به هنا الشعلة من النار اذا كانت ساطعة النور كالشهاب . يحور : يصير او يتحول .

٦ ــ يُتَبِّر : يُهَدِّم او يخرِّب .

٨ أَلَيْسَ وَرَائِي ، إِنْ تَراخَتْ مَنيَّتي
لُزُومُ العَصَا تُحْنَى عَلَيْها الْأَصابِعُ
٩ أُخَبِّرُ أَخْبارَ القُرُونِ التي مَضَتْ
أدِبُّ ، كأنّي ، كُلَّما قُمْتُ ، راكِعُ
١٠ فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ
تَقَادُمُ عَهْدِ القَيْنِ ، والنَّصْلُ قاطِعُ
١١ فلا تَبْعَدَنْ ، إِنَّ المَنِيَّةَ مَوْعِدٌ
عَلَيْنَا ، فَدَانٍ لِلطلوعِ وَطَالِعُ

---

٨ ـ تراخت منيتي : تأخر موتي . والمعنى : اليس مصيري ان تأخر موتي ان أُصبح شيخاً ضعيفاً ادبُّ على العصا ؟ !

٩ ـ الراكع : المنحني الخافض الرأس ومنـــه ركع المصلّي في الصلاة . والمعنى : اذا تأخرت منيّتي وكبرت اصبحت شيخاً ليس لي عمل الا أن انقل أخبار الماضي الى الناس ، واحدودب ظهري فلا استطيع القيام او المشي الا منحنياً على العصا كأني راكع .

١٠ ـ اخلق : أبلى . جفنه : غمده وقرابه . القين : حداد السيوف . وفاعل اخلق هو تقادمُ، وجفن مفعول به . والمعنى : إنه أصبح بعد ما كبر وشاخ كالسيف الذي بلي قرابه لبعد عهده بحداده الذي يصلحه ، الا أن نصل هذا السيف لا يزال قاطعاً . ويريد أن نفسه رغم شيخوخته وضعفه وحاجته الى من يساعده بقيت ابية شريفة .

١١ ـ فلا تبعدن : خطاب لأخيه . دانٍ : قريب . الطلوع : الغياب فهي

١٢ أعاذِلُ ما يُدْرِيكَ ، إلاَّ تَظَنِّياً
إذا رَحَلَ السُّفَّارُ ، مَنْ هو رَاجِعُ

١٣ أأَجزَعُ مِمَّا أَحدَثَ الدَّهرُ بالفتى ؟
وأيُّ كريمٍ لم تُصِبْهُ الْقَوَارِعُ

١٤ لَعَمْرُكَ ، مَا تَدْرِي الضَّوارِبُ بالحصى
ولا زاجراتُ الطَّيْرِ ، ما اللهُ صَانِعُ

من الاضداد . طالع : غائب . والمعنى : يخاطب أخاه بقوله: لن تكون بعيداً عنا لأن المنية تترصدنا ، وسوف نلحق بك إن عاجلاً او آجلاً. والناس صنفان: صنف قربت منيته ، وصنف آخر عاجلته فمات .

١٢ ـ أعاذل : خطاب لمن يلومه على صبره، أي يا لائمي. تظنياً أي بالظن والحدس . السُّفار : المسافرون ومفرده سافر .

١٣ ـ الجزع : الخوف . القوارع : المصائب التي تصيب الانسان ومفردها قارعة والمعنى : يخاطب من يلومه ويقول له : أأجزع لما أحدثه الدهر بي من المصائب وليس الجزع من صفات الرجل الكريم .

١٤ ـ الضوارب بالحصى : اللواتي يرمين بالحصى طيراً جاثماً ويزجرنه حتى اذا طار الى اليمين تفاءلن واذا طار الى اليسار تشاءمن، ومثلُهن زاجرات الطير، وهذا ضرب من العرافة الذي كان في الجاهلية وأبطله الاسلام . والمعنى : يخاطب لائمه ويقسم له بعمره أنه لا تدري المتكهنات بالغيب ما يصنعه الله في المستقبل .

ومن قوله في الحكم :

١ ألا كلُّ شَيْءٍ ، ما خلا اللهَ ، باطِلُ
وكلُّ نعيمٍ ، لا مَحالَةَ ، زائِلُ

٢ وَكُلُّ أُناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بينَهُمْ
دُوَيْهِيَةٌ ، تَصْفَرُّ مِنْها الأَنامِلُ

٣ وكلُّ امْرِئٍ يَوْماً سَيُعْلَمُ سَعْيُهُ
اذا كُشِفَتْ عِنْدَ الإِلهِ الْحصَائِلُ

---

١ ـ ما خلا الله : ما مصدرية ظرفية و (خلا) فعل ماض جامد للاستثناء مبني على الفتح المقدّر على الالف ، والفاعل مستتر تقديره هو يعود على بعض المدلول عليه بالمستثنى منه و (الله) : مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة . والمراد بالباطل هنا الزائل والفاني . ولا محالة أي لا بد ولا حيلة . والمعنى : أنبهكم بأن كل شيء من نعيم وغيره قابل للبطلان والزوال أي الفناء والهلاك إلا الله سبحانه وتعالى فانه واجب البقاء وكل شيء هالكٌ إلا وجهه. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعجب بهذا البيت كثيراً وقد قال: أصدق كلمة قالها شاعر هي قول لبيد ألا كل شيء .

٢ ـ دويهية : تصغير داهية والداهية هي الموت والتصغير هنا للتعظيم . واصفرار الأنامل كناية عن الموت .

٣ ـ سعيه : نتيجة عمله. الحصائل جمع حصيلة، ما يحصل عليه الانسان من شيء ، وهي هنا بمعنى نتائج الاعمال . والمعنى : سَيُعْلَمُ سَعْيُ كل امرىءٍ عندما تكشف عند الاله نتائج الاعمال يوم القيامة .

٤ إِذا الْمَرْءُ أَسْرَى لَيْلَةً خالَ أَنَّهُ
قَضَى عَمَلاً ، وَالْمَرْءُ ، مَا عَاشَ عَامِلُ

٥ حَبَائِلُهُ مَبْثُوثَةٌ بِسَبِيلِهِ وَيَفْنَى إِذا مَا أَخْطَأَتْهُ الْحَبَائِلُ

٦ فَقُولا له ، إِن كان يَقْسِمُ أَمْرَهُ
أَلَمّا يَعِظْكَ الدَّهْرُ ؟! أُمُّكَ هَابِلُ

---

٤ ـ اسرى : سار في الليل . والمعنى : اذا المرء سافر ليلة وتحمل مشاق السفر في الليل ظن انه قضى عملاً فيجب ان يستريح مع ان العمل لا ينقطع مدة الحياة ، والمرء عامل ما دام حياً لأن الحياة جهاد .

٥ ـ الحبائل : أشراك الموت . مبثوثة : منتشرة . والسبيل هنا الطريق. ويفنى بمعنى يهرم . والمعنى : ماذا يستطيع ان يعمل الانسان في هذه الحياة واسباب الموت منتشرة في كل طريق يسلكه، فاذاوقع في احداها هلك عاجلاً واذا اخطأته عمّر طويلاً وهرم حتى يفنى ويموت . وهذا شأن العامل فكيف بالعاجز العاطل عن العمل !

٦ ـ يقسم أمره : ينظر فيه كيف يفعل اي إنه حائر في امره . ألمّا : الهمزة للتوبيخ و (لمّا) نافية جازمة . هابل اي ثاكل ومنه: هبلته امه ، اي ثكلته ، وجملة (أمك هابل) تستعمل للدعاء على الشخص او للإعجاب بـه . والمعنى : يتخيل صاحبين له ويقول لهما : اذا رأيتما المرء حائراً في اموره فقولا له : ثكلتك امك ألم تتعظ من حوادث الدهر . وتمـام المعنى في البيت الذي يليه .

٧ فَتَعْلَمَ أنْ لا أنتَ تُدْرِكُ ما مَضَى
ولا أنتَ ، ممَّا تحْذَرُ النَّفْسُ ، وَائِلُ

٨ أرَى النَّاسَ لا يَدْرُونَ مَا قَدْرُ أمْرِهِمْ
بَلَىٰ ، كُلُّ ذِي رَأْيٍ إِلى اللهِ واسِلُ

الشرح الأدبي والتحليل

اذا رجعنا الى النص الأول الذي قاله في رثاء أخيه رأينا فيه من اللوعة والأسى والعاطفة الصادقة والرثاء الهادىء الساذج البعيد عن التكلف والمغالاة ما يدل على عقل الشاعر وسمو نفسه رخبرته الواسعة في الحياة ، ذلك مما حبس نفسه عن اظهار عواطف الحزن والاسى والتفجع على اخيه لأن كل امرىء في هذه الحياة لا بد ملاقٍ حتفه . لذلك فانه لم يكن في رثائه لاخيه نائحاً باكياً انما كان واعظاً مرشداً القى علينا حكمه السامية التي عزّى فيها نفسه وقارن بين مصيبته ومصائب الناس فهانت عليه وتحملها راضياً بقضاء الله وقدره .

وفي النص الثاني نجد حكماً صادرة عن قلب اشتد عليه الحزن فلم يجد شيئاً يعزي نفسه به إلا التأمل في هذه الحياة وكشف حقيقتها في هذه الحكم ؛ ولذلك جاءت حكمه صادرة عن نفسه ملتصقة بها بعكس حكم زهير التي هي عبارة عن آراء عامة موجهة الى الناس دون ان يكون لنفسه نصيب غيره من

---

٧ ــ وائل : ناجٍ والمعنى : إن الانسان لا يستطيع ارجاع ايامه التي مضت ولا هو ناجٍ من الموت الذي يحذره .

٨ ــ الواسل : صاحب الوسيلة . والمعنى : ارى الناس لا يعرفون حقيقة قيمتهم في هذه الحياة اذ انهم مخلوقات ضعيفة ، والعاقل منهم هو الذي يتخذ الى الله الوسيلة التي تكون سبب نجاته ، وهذه الوسيلة هي صالح الأعمال ليس غير .

المحن . أما لبيد فقد جعل لنفسه نصيب غيره وشعر بنكبات الحياة واستطاع ان ينقل هذا الشعور الينا فشعرنا معه بشعوره .

ومجمل آراء لبيد في هذين النصّين وفي جميع حكمه ان حياة الانسان الى زوال ، وأن ما يملكه الانسان ما هو إلا وديعة لا بد من ردّها ان عاجلاً او آجلاً ؛ وأن الناس صنفان لا ثالث لهما : بانٍ وهادم ، لذلك كانت السعادة نصيب قسم من البشر والشقاء نصيب القسم الآخر . وعلى الانسان ألا يجزع اذا أصابته مصيبة بل عليه ان يصبر ويتحمل ولا سيما اذا كان كريماً ، فالكل الى زوال وفناء ولن يبقى إلا وجه ربك ذي الجلال والاكرام .

مصادر

١ ـ أدباء العرب — للبستاني .
٢ ـ المفصل في الادب العربي — للاسكندري وجماعته .
٣ ـ الوسيط في الأدب العربي — للاسكندري ومصطفى عناني .
٤ ـ طرفة ولبيد — لفؤاد افرام البستاني .
٥ ـ المعلقات العشر — للشنقيطي .
٦ ـ الجديد في الادب العربي وتاريخه — لحنا الفاخوري .
٧ ـ الادب العربي وتاريخه — لمحمد هاشم عطية .

أسئلة ومواضيع

١ ـ قال أحد أدبائنا المعاصرين : « حِكم لبيد ذات نزعة كئيبة ، وهي نتيجة نظرة جريئة وصادقة الى الحياة لانها ملتصقة بنفسه » .

حلل حِكم لبيد على ضوء هذا الحُكم وناقشه .

٢ ـ « إن حكم زهير هي آراء عامة موجهة الى الناس وهي لا تخلو من عمق رغم ما فيها من السطحية والسذاجة ، أما حكم لبيد فهي حكم القلب الذي اشتد عليه الحزن، والنفس التي لم تجد ما تتعزى به غير التأمل في حقيقة الحياة . »

قارن بين حكم زهير ولبيد على ضوء هذا الحكم واستشهد على ما تقول بشيء من شعر الرجلين .

٣ ـ هل تظهر لك في حكم لبيد نزعته الدينية ؟ برهن على ذلك .

عمرو بن كلثوم

هو عمرو بن كلثوم سيّد تغلب وفارسها وأحد شعراء العرب المجيدين للفخر. أمه ليلى بنت مهلهل أحد الشعراء المشهورين . وكانت قبيلته تسكن اراضي الجزيرة وما حولها . وكانت بينها وبين قبيلة بكر حرب البسوس حتى أصلح بينهما المنذر ملك الحيرة واتخذ من الطرفين رهائن من الشبان كيلا تعود القبيلتان الى القتال . وظل الحال على ذلك في عهد ابنه وخلفه عمرو بن هند . وحدث ان ارسل هذا الملك جماعة من رهائن بكر وتغلب في شأن من شؤونه، ونزلوا على ماء لبني شيبان من بكر . ورفض هؤلاء فاحتكم الطرفان الى الملك ، وارسلت كل قبيلة وفدها ليدلي بحجته امامه . وكان على رأس وفد تغلب سيّدها وشاعرها عمرو بن كلثوم، وعلى رأس وفد بكر الشاعر الحارث بن حلّزة . وتفاخرت القبيلتان بين يدي الملك . وفي هذه المناسبة قال عمرو بن كلثوم بعض معلّقته ومنها هذه الأبيات التي نريد دراستها ، كما قال الحارث ابن حلّزة قسماً من معلّقته أيضاً كما سنرى في دراستنا له .

قال عمرو بن كلثوم في الفخر والتعصب القبلي :

١ أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينَا ۝ وَلاَ تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدرِينا

*

---

١ ـ هبي : قومي . الصحن : القدح الواسع . اصبحينا : اسقينا الصبوح وهو الشراب في الصباح . الأندرين : قرية في جنوب حلب من سوريا . والمعنى:

٢ أَبَا هِنْدٍ فلا تَعْجَلْ علينا ؛ وأَنْظِرْنا ، نُخَبِّرْكَ اليَقِينَا :
٣ بأَنَّا نُورِدُ الرَّاياتِ بِيضاً ونُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قد رَوِينا !
٤ وأَيَّامٍ لنا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنَا المَلْكَ فيها أن نَدِينا
٥ وسَيِّدِ مَعْشَرٍ قد تَوَّجُوه بتاجِ المُلْكِ ، يَحمي المُحْجَرينا
٦ ـ تركْنا الخيلَ عاكفةً عليه ، مقلَّدَةً أَعِنَّتَها ، صُفُونا ،

يطلب الشاعر الى امرأة ان تسقيه وصحبه من خمور الأنـــدرين منذ الصباح وذلك دلالة على اشتغال باله بهموم كثيرة يريد أن يتسلى عنها بشرب الخمر .

٢ ـ أبا هند : يريد الملك عمرو بن هند ، ملك الحيرة وأحد ملوك العرب في الجاهلية . أنظرْنا : أمهلنا . والمعنى : لا تعجل علينا يا ابا هند وأمهلنـا حتى نخبرك الخبر اليقين عن مفاخر قومنا وشجاعتهم .

٣ ـ أورد الأبل : أتى بها الى الماء لتشرب . أصدرها : ردّها عـن الماء بعد الشرب . والمعنى : إننا نأتي براياتنا الى الحرب بيضاء ونعود بهـــا بعد الحرب حمراء قد ارتوت من دماء اعدائنا .

٤ ـ الأيام : الحروب . الغرُّ : المشهورة . نـــدين : نخضع . والمعنى : ونخبرك بحروب لنا كثيرة ومشهورة عصينا الملك فيها ، فلم نخضع له او نذل .

٥ ـ المعشر : القـــوم . المحجرون : الملتجئون الى من يحميهم . والمعنى : وربَّ سيِّد مشهور في قبيلته قادر على حماية من يلتجىء اليه لقوته ومَنَعَتِهِ . وتمام المعنى في البيت الذي يليه .

٦ ـ عاكفة : قائمة . مقلدة اعنتها : جاهزة ، والاعنة جمـــع عنان وهو لجام الفرس . الصفون : صفة للخيل التي ترفع احدى قوائمها ، والمعنى : هـــذا السيد على بأسه ومنعته قتلناه ونزلنا عن خيولنا لنأخذ سلبه بينما وقفت الخيول صافنة استعداداً للطوارىء .

٧ وأنزَلْنا البيوتَ بذي طُلُوحٍ	الى الشّاماتِ ، نَنْفِي الُموعِدِينا
٨ وقد هَرّتْ كِلابُ الحَيِّ مِنّا	وشَذَّبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا
٩ مَتَى نَنْقُلْ الى قَوْمٍ رَحَانا	يكونوا في اللِّقاءِ لها طحينا
١٠ يكونُ ثِفَالُها شَرْقِيَّ نَجْدٍ	ولَهْوَتُها قُضَاعَةَ أجْمَعِينا
١١ نُطَاعِنُ ما تراخى النَّاسُ عَنَّا	ونَضْرِبُ بالسُّيوفِ ، إِذا غُشِينا

---

٧ ـ انزلنا البيوت : نصبنا خيامنا . ذو طلوح : مكان في جنوبي نجد بين اليمامة ومكة . الشامات : جمع شامة اي محلة وتسمّى بها بلاد الشام أحياناً . ننفي : نزيل . الموعِدين : الأعداء الذين يهددونهم ويوعدونهم . والمعنى : انزلنا بيوتنا في تلك المواضع على بعد ما بين طرفيها ، واحللناها وبسطنا سيطرتنا عليها وطردنا اعداءنا منها .

٨ ـ هرّت الكلاب : نبحت خوفاً . القتادة : واحدة القتاد وهو شجر له شوك . التشذيب : قطع اغصان الشجرة او شوكها ، واراد بتشذيب القتاد : كسر الشوكة . من يلينا : من يجاورنا . والمعنى : انكرتنا كلاب الحي لمّا لبسنا عدة الحرب فنبحت علينا خوفاً وكسرنا شوكة من يلينا من الأعداء لسطوتنا وبأسنا .

٩ ـ الرحى : الطاحون . والمعنى : اذا دارت رحى الحرب بيننا وبين قبيلة اخرى طحنّاها طحناً لقوتنا وشجاعتنا .

١٠ ـ الثفال : خرقة او جلدة توضع تحت الرحى ليقع عليها الطحين . اللهوة : القبضة من الحب تلقى في فم الرحى . قضاعة : قبيلة عربية معروفة . والمعنى : يقصد ان حرب قبيلته تشبه الرحى ، وهي تدور شرقي نجد وتفني قضاعة بأسرها .

١١ ـ الطعن : الضرب بالرماح . تراخى : ابتعد . غشي : اقترب .

١٢ بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا الخَطِّيِّ لُدْنٍ ذَوابِلَ : أو ببِيضٍ يعتلينا

١٣ وَرِثْنَا المَجْدَ ، قَــد عَلِمتْ مَعَدٌّ !
نُطَـاعِنُ دُونَهُ حَتى يَبِينَـا

١٤ ونَحْنُ ، اذا عِمَادُ الحيِّ خَرَّتْ
عَنِ الأَحفَاضِ ، نَمْنَعُ مَنْ يلينا .

والمعنى : إننا نحسن استعمال السلاح فنطعن اعداءنا بالرماح اذا اقتربوا منا ولم يكونوا ملاصقين لنا ، فاذا لاحقونا ضربناهم بالسيوف .

١٢ ـ السمر : صفة للرماح . القنا الخطي : الرماح المنسوبة الى بلدة الخط على ساحل البحرين من الخليج الفارسي كانت تجلب اليها الرماح من الهند قديماً . اللُّدْن : جمع مفرده لَدْن أي ليِّن . ذوابل : يابسة لجفاف مائها أي هي رماح مرنة في صلابة . البيض : السيوف . يعتلين : تعلو رؤوس القوم . والمعنى : وصف الرماح التي يطاعن قومه بهـا الاعداء بأنها سمر لذبولها وجفافها . وهي من القنا الخطية المعروفة بمرونتها وصلابتها . ووصف سيوفهم بأنها بيضاء تعتلي رؤوس الاعداء وتشقها .

١٣ ـ مَعَدُّ بن عدنان : أبو العدنانيين الذين كانوا أغلبية سكان الشمال أي الحجاز ، ويقابلهم القحطانيون الذين كانوا أغلبية سكان الجنوب أي اليمن ، والشاعر من شعب معدّ . يبين : يظهر . والمعنى : لتعلم قبائل معد جميعها ، أننا لم نضيِّعْ المجد الذي ورثناه عن آبائنا ولم نفرِّط به بل دافعنا عنه حتى لا يزول عنا ، وحتى يعترف به أعداؤنا قبل أصدقائنا .

١٤ ـ العماد : جمع عمود . خَرَّتْ : سقطت . الأحفاض جمع حَفَض وهو متاع البيت . والمعنى : نحن أقوياء لا يطمع فينـا احد في سلم ولا في حرب ، نحمي أنفسنا ونمنع جيراننا وقت الشدة حين لا يحميهم أحد غيرنا .

١٥ نُدافِعُ عنهم الأعداء قُدْماً ونَحمِلُ عَنْهُمُ ما حَمَّلونا

١٦ ألا ! لا يَعْلَمِ الأقوامُ أنَّـا
تَضَعْضَعْنَا وأنَّـا قَدْ وَنينَـا !

١٧ ألا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ علَيْنا
فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجـاهِلِينا !

الشرح الأَدبي والتحليل

بدأ الشاعر معلقته بوصف الخمرة والغزل على عادة الشعراء الجـاهليين . ثم أخذ يعدد مفاخر قومه : فهم يوردون الرايات ويصدرونهـا حمراً مرتوية ، وكم من حروب مشهورة لهم مع القبـائل الأخرى انتصروا فيها ، وكم من أسياد أقوياء قضوا عليهم . ثم يصف مقدرتهم على الحرب ، فاذا دارت رحاها بينهم وبين أعدائهم كانت لهوتها أجساد الأعداء فتسحقها سحقاً . ثم يشير الى مهارتهم في القتال، فهم يطعنون بالرماح اذا دنا العدو منهم ولم يلاصقهم فـاذا لاصقهم ضربوا بالسيوف التي تعلو الرؤوس وتشقها . ثم يعدد دواعي الفخر عند قبيلته

---

١٥ ـ قُدْماً أي تقدُّماً . وقد ورد صدر هذا البيت عـلى الشكل الآتي ايضاً : نعمُّ أناسنا ونعِفُّ عنهم .

١٦ ـ الأقوام : يعني بهـم بني بكر . التضعضع : التكسُّر والتذلُّل . ونينا : فترنا ، من الونى أي الفتور .

١٧ ـ الجهل : السَّفَه وهو ضد الحـلم والعقل . والمعنى : أراد أن من يسفه علينا ويطيش نجازيه ونوقفه عند حده . وهذا البيت ختام المعلقة .

ومنها وراثة المجد والمحافظة عليه وحماية الجار في الحرب ورعـايته في السلم ، ويمزج كل هذا بالتهديد والوعيد مع التهويل والمبالغة :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أما مفردات النص فقد جاءت قوية عنيفة مثل (هبي ، لا تعجل، عصينا، أن ندينا ، نخفي الموعدينا ، شذّبنا ، قتادة ، طحينا ، نطاعن ، نضرب ..)

والسبب في ذلك ان النص في الفخر فلا تلائمه إلا الألفاظ القوية .

أما الصور فحسيّة واقعية مأخوذة من محيط الشاعر الحسّي الضيّق المحدود، شأن غيره من الشعراء الجاهليين فهو يعبر عن الواقع بالخبر اليقين ، وهرير الكلاب ، وتشذيب القتادة . ويعبر عن بطش قبيلته وفتكها بطحن الرّحى ، وعن السطوة والمجد بامتداد سلطان قبيلته من الحجاز الى بـلاد الشام ، وعن الدفاع وحماية الأنصار والجيران في الحرب بعماد الحيّ اذا خرّت على الأحفاض. أما الاسلوب فقويٌ وسهل في آن واحد ؛ ولعل السبب في ذلك انه ارتجل هذه الأبيات بين يدي الملك عمرو بن هند عندما تفاخرت قبيلته مع بني بكر ، والارتجال يضفي على الشعر ثوباً فضفاضاً من السهولة واليسر . ولعل من طبع الشاعر الميل الى الألفاظ السهلة وتفضيل الجمل البعيدة عن التعقيد اللفظي والمعنوي . هذا كله الى عاطفة قوية صادقة تسود النص بأجمعه .

مصادر

١ ـ أدباء العرب — للبستاني
٢ ـ المفصل في تاريخ الادب العربي — للاسكندري وجماعته
٣ ـ الوسيط في الادب العربي — للاسكندري
٤ ـ الجديد في الادب العربي — لحنا الفاخوري
٥ ـ شرح المعلقات السبع — للزوزني
٦ ـ عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة — لفؤاد افرام البستاني، الروائع، عدد ٢٦

اسئلة ومواضيع

١ ـ قال اصحاب المفصّل في شعر ابن كلثوم ، « والميزة الواضحة في شعره : السهولة والقوة ، والاعتداد بالنفس والقبيلة ، والمبالغة في الفخر ، وانه شعر صدر عن سيد قومه يعتز بسيادته وسيادة قبيلته ويتغنّى بفعالها وفعاله » .

اوضح هذا القول وناقشه .

٢ ـ قال عمرو بن كلثوم يمدح قومه :

١ مَعَاذَ الإلهِ أنْ تَنُوحَ نِساؤنا على هالكٍ او أنْ نَضِجَّ من القَتْلِ

٢ قِراعُ السيوفِ بالسيوف أَحَلَّنَا
بأرضٍ بَرَاحٍ ذي أراك وذي أَثْلِ

٣ فما أبقتِ الايامُ مِلْمَالِ عندنا
سوى جِذْمِ أذْوادٍ مُحَذَّفَةِ النَّسْلِ

٤ ثلاثةُ أثلاثٍ ، فأثمانُ خَيْلِنا
وأقواتُنَا وما نَسُوقُ إلى القَتْلِ

اشرح هذه الابيات شرحاً ادبياً بعد شرح مفرداتها الصعبة من المعجم .

٣ ـ قال بعض النقاد : إن القصيدة الجاهلية اشبه ما تكون بالقبيلة الجاهلية من ناحية تركيبها الداخلي . فهل ترى هذا القول منطبقاً على معلقة ابن كلثوم ؟ اوضح .

الحارث بن حِلِّزة

هو أبو ظَلَيم الحارث بن حِلِّزة البكري من سادات قومه في العراق ، ينتهي نسبه الى ربيعة فهو شاعر ربعي . كان رجلاً حكيماً هادئاً رزيناً صاحب مصانعة ودهاء ، يقابل الأحداث والخطوب بهدوء وروية يوصلانه الى النجاح في اغلب الاحيان .

كان يسكن وقومه الجزيرة وما حولها مع التغلبيين . وقصة العداوة بين القبيلتين الاختين بكر وتغلب معروفة . وكثيراً ما سعى الساعون بينهما في الصلح فكان لا يلبث ان يُنقَض.

دافع عن قومه ، بني بكر ، يوم التقاضي عند الملك عمرو بن هند ، كما قدمنا ، واستطاع ان يفنّد اقوال التغلبيين ويرد حججهم ويعدد مفاخر قومه ويثير ذكراً للعداوة التي كانت قائمة بين الملك وتغلب وللصلة التي كانت قائمة بينه وبين بكر . كل ذلك في اسلوب حسن التسلسل قوي الحجة فاعجب الملك بقصيدته وقرّبه اليه واكرمه وحكم له ولقومه ضد التغلبيين .

وكان الحارث بن حلزة عندما انشد معلقته او بعضها في حضرة الملك قد شاخ وهرم بينما كان عمرو بن كلثوم لا يزال شاباً مندفعاً .

توفي الحارث بن حِلّزة في أواخر القرن السادس لميلاد المسيح ولم يصل الينا من آثاره الشعرية كاملاً غير معلقته وما عداها فقليل ليس فيه غناء . ولقد اخترنا منها النص الذي يدور حول التقاضي عند الملك عمرو بن هند لصلته الوثيقة بنص عمرو بن كلثوم الذي درسناه سابقاً .

بدأ الشاعر قصيدته بالغزل فقال :

١ آذَنَتْنَا بِبَيْنِهـا أَسْمَاءُ ... رُبَّ ثـاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثواءُ
٢ وأتانا مِنَ الحوَادِثِ والأنْـ ... ـبَاءِ ، خَطْبٌ نُعْنَى به ونُسَاءُ
٣ أنَّ إِخْوانَنَا الأَرَاقِمَ يَغْلُو ... نَ عَلَيْنَا ، في قِيلِهِمْ إِحْفَاءُ
٤ يَخْلِطُونَ البَرِيءَ مِنَّا بذي الذَّنْـ ... ـبِ ، ولا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلاءُ!
٥ زَعَمُوا أنَّ كلَّ مَنْ ضربَ العيـ ... ـرَ مُوَالٍ لنا ، وأنَّا الوَلاءُ

---

١ ـ آذنتنا : أعلمتنا . ببينها : بفراقها . اسماء : اسم صاحبته . الثاوي : المقيم ، والثواء : الاقامة . والمعنى : أخبرتنا أسماء بعزمها على الرحيل ثم قال : رب مقيم تكره إقامته اذا طالت إلا ان اسماء ليست من هذا الصنف .

٢ ـ الخطب : الأمر العظيم . نعنى به : نهتم به ويصيبنا منه العناء . نُساء : نكدَّر ويصيبنا منه سوء وكدر .

٣ ـ الأراقم : الحيات وهو لقب لبطون من تغلب معـادية لبكر قبيلة الشاعر . يغلون : من الغلو وهو تجاوز الحـد . القيل : القول . الاحفـاء : الالحاح الشديد . والمعنى : إن ما بلغنا من الاخبار أساء الينا وهي ان الأراقم اخواننا وأبناء عمومتنا ، يبالغون في نسبة أمور الينا لم تصدر عنـا ولم نفعلها .

٤ ـ الخليّ : الخالي من الذنب ، البريء . الخلاء : الخلو من الذنب ، البراءة . والمعنى . لا تنفع البريء براءته من الذنب عندهم لانهم يأخذون البريء بذنب المجرم .

٥ ـ يختلف معنى هذا البيت باختلاف المقصود من لفظة العير ، فاذا كانت بمعنى السيد ، كان المقصود منها كليب وائل ويصبح المعنى . زعم بنو تغلب ان كل من رضي بموت كليب فهو من حلفائنا . واذا كانت بمعنى الحمار كان المقصود

٦ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فلمَّا أَصْبَحُوا ، أَصْبَحتْ لهم ضوضاءُ
٧ مِنْ مُنَادٍ ، ومِنْ مُجِيبٍ ، ومِنْ تَصْ هَـال خَيْلٍ ، خِلالَ ذَاكَ رُغَـاءُ
٨ أَيُّها النَّاطِقُ الْمرَقِّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرو ، وَهَلْ لِذَاكَ بَقَاءُ !
٩ لا تَخَلْنَا على غراتِكَ إِنَّا ، قَبْلُ ما قَدْ وَشَى بنا الأعداءُ

من البيت انهم يلزموننا ذنوب الناس وان كانت تافهة كمن ضرب حمـاراً فانه مذنب وانه من موالينـا ونحن أنصاره . واذا كانت بمعنى الوتد صار معنى البيت على الشكل الآتي : إن كل من ضرب وتد خيمة أو نصبهـا على الارض فهو من موالينا في نظر التغلبيين . وفي كل هذه المعاني إجحاف وتحامل إذ انهم يلزمونهم ذنوب الناس وهم منها براء . وانـّا الولاء : أي أصحاب الولاء .

٦ ــ الضمير في أجمعوا يعود على بني تغلب والمقصود انهـم عقدوا النية على مقاتلتنا في العشي . الضوضاء : الجلبـة والصياح . والمعنى : تشاوروا في الليل على أمر محاربتنا واتفقوا ، ولما جاء الصبح علت ضوضاؤهم وارتفع صياحهم في النداء على حربنا .

٧ ــ الرغـاء : صوت البعير . في هذا البيت يفصّل الضوضاء ويقول : اختلطت أصوات المنـادين الى الحرب بصهيل الخيل ورغاء الابل وكل ذلك دلالة على تأهبهم وتجمعهم على حربنا .

٨ ــ المرقش : الذي يزين القول بحجج باطلة . وهل لذاك بقاء : أي وهل لتزيينك الباطل دوام ، وهل هنا للسؤال الانكاري .

٩ ــ لا تخلنا : لا تحسبنا . الغراة : الإغراء والوشاية . ومفعول خال الثاني محذوف والتقدير : لا تخلنا متذللين أو ما في معناه . و (ما) زائدة للتوكيد

١٠ فبقينا على الشَّنَاءةِ تَنْمِيـ ـنَا حُصُونٌ ، وعِزَّةٌ قَعْسَاءُ

١١ قَبْلَ ما الْيَوْمِ ، بَيَّضَتْ بعُيُونِ النَّا ـسِ ، فيهـا تَعَيُّـطٌ وإِبَـاءُ .

١٢ وكأنَّ ٱلْمَنُونَ تَرْدِي بنا أرْ عَنَ ، جَوْناً ، يَنْجَابُ عَنْهُ ٱلْعَماءُ

١٣ مُكْفَهِرّاً على ٱلحوادثِ، لا تَرْ تُوهُ لِلدَّهْرِ مُؤْيِـدٌ صَمَّاءُ

والمعنى : لا تحسبنا خاضعين متذللين او خائفين لوشايتك بنـا عند الملك او إغرائه بنا ، فقد وشى قبلك بنا اليه أعداء كثيرون فلم يفلحوا لرجاحة عقله وبعد بصره في الأمور وفطنته .

١٠ ــ الشناءة : البغضاء . تنمينا : ترفعنا . الهمة القعساء : الثـابتة . والمعنى : بقينا على بغضكم إيانا وإغرائكم الملوك بنا في حصون منيعة من ان يصيبنا منكم مكروه .

١١ ــ قبل ما اليوم : ما زائدة . بيّضت : أعمت . بعيون : الباء زائدة. التعيّط : الارتفاع والامتناع . والمعنى : إن عزتنا القعساء ارتفعت وامتنعت قبل هذا اليوم حتى أعمت عيون من يحسدنا من النـاس ولم يستطيعوا ان ينالونا بسوء .

١٢ ــ تردي : ترمي وترجم . الأرعن : وصف للجبل العظـيم الشاهق . الجون : للأسود والابيض فهو من الأضداد . ينجاب عنه : ينشق عنه. العماء : السحاب . والمعنى : وكأن المنون او الدهر اذا رمانا انما يرمي جبـلاً عالياً شامخاً ينشق عنه السحاب، ويريد: ان مصائب الدهر لا تؤثر فيهم كما لا تؤثر في مثل هذا الجبل .

١٣ ــ مكفهراً . مترا كمـاً بعضه على بعض . لا ترتوه : لا تضعفه ولا تنقصه أي لا تنال منه . المُؤْيِد : الداهية . الصماء : الشديدة . والمعنى :

١٤ أيّمَا خُطّةٍ أرَدْتمْ فَأدُّو هَا إلَيْنَا، تَسْعى بها الأمْلاءُ

١٥ إنْ نَبَشْتُم ما بيْنَ مِلْحَةَ فالصَّاقِب، فيه الأمواتُ والأحيَاءُ

١٦ أوْ نَقَشْتُم، فالنَّقْشُ يَجْشَمُهُ النَّا
سُ، وفيــه الإسْقَامُ والإبْرَاءُ

١٧ أوْ سَكَتُّمْ عَنَّا، فَكُنَّا كمَنْ أغْ
مَضَ عَيْنَـاً في جَفْنِهَا الأقْذَاءُ

إن هذا الجبل الذي شبّه قومه به منيع على حوادث الدهر لا تنال منه الدواهي الشديدة.

١٤ ـ الخطة: الطريقة او الحل. أدوها: إبعثوها لنا. الأمـلاء: جمع مـلأ وهو الشريف او الرئيس. والمعنى. إبعثوا الينا بـأي خطة او حل للمفاوضة به مع جماعات من أشراف القوم ورؤسائهم لنحلّ ما بيننا وبينكم من خلاف.

١٥ ـ مِلْحة والصاقب: موضعان. وأراد بالأموات القتـلى الذين لم يؤخذ بثأرهم، وبالأحياء القتلى الذين أخذ بثأرهم. والمعنى: إن أثرتم ما كان بيننا وبينكم من الحروب في هذين الموضعين وجدتم قتلى أمواتاً لم يُثأر لهم وهم قتلاكم، وقتلى احياءً ثُئر لهم وهم قتلانا.

١٦ ـ نقشتم: استقصيتم وبحثتم. النقش: الاستقصاء. يجشمه: يتكلّفه على مشقة. والمعنى: اذا استقصيتم البحث عما جرى بيننا وبينكم كانت النتيجة بيان ذنبكم وظهور براءتنا. والمعنى: وكَنَى بالسقم عن الذنب وبالبرء اي الشفاء عن البراءة.

١٧ ـ الأقذاء: جمع قذى وهو مـا يقع في العين من الاوساخ فيؤلمها.

١٨ أَوْ مَنَعْتُم ما تُسْأَلُون ، فَمَنْ حُدِّ
ثْتُمُوهُ لَـــهُ علينا العَـــلاَءُ ؟

١٩ فَمَلَكْنَا بِذلِـــك النَّاسَ ، حَتَّى
مَلَـــكَ الْمُنْذِرُ بنُ مَـــاءِ السَّماءِ

٢٠ مَلِـــكٌ أَضْرَعَ ٱلْبَرِيَّةَ ، لا يُو
جَدُ فِيهَـــا ، لِمَـــا لَدَيْهِ كِفَـــاءُ

والمعنى : ان سكتم عنا نسكت عنكم ونكون قـــد اغضينا اعيننا على القذى لان الحق بجانبنا ولأنكم اسأتم الينا .

١٨ ـ والمعنى : أن رفضتم ما يعرض عليكم من الصلح والتراضي فلسنا عاجزين عن مقابلتكم بمثـــل صنيعكم فمن الذي اخبركم ان له العلوّ علينا حتى تطمعوا فينا ؟

١٩ ـ المنذر بن ماء السماء : هو والد عمرو بن هند ويعرف بالمنذر الثالث توفي عام ٥٦٢ م . وفي هذا البيت إقواء .

٢٠ ـ أضرع : أخضع . البرية : الناس . لما لديه : اي لما لديه من العزة والسلطان . كِفاءُ : اي كفء له ومساوٍ . والمعنى : يمدح المنذر بن ماء السماء فيقول : إنه لا يوجد من يساويه في المعالي وليس له كفء بـــين الناس قاطبة لأنه لا يوجد فيهم معادل له .

الشرح الأدبي والتحليل

لم يطل الشاعر وقوفه على الأطلال ووصف ناقته كما كان يفعل غيره من أصحاب اللهو والغزل كامرىء القيس مثلاً فهو صاحب جد وحزم ، لذلك ألمح الى كل هذا واسرع في الدخول الى الموضوع وصرف اليه كل انتباهه وجهده ليستطيع الدفاع عن قومه ، فِعْلَ المحامي القدير الذي يريد ان يربح دعواه . ثم عالج موضوعه بكل دهاء وحيلة وهدوء ؛ فانظر اليه في قوله : « إن اخواننا الأراقم » والى ما فيه من نعومة وملاطفة في موقف خصام مثل موقفه ذاك وقابل هذا القول اللطيف اللين بقول عمرو بن كلثوم القاسي الخشن: « الا لا يجهلن احد علينا ! » لترى الفرق بين هذين الشاعرين من حيث الخبث والدهاء والمكر والاحتيال لربح الدعوى .

وبعد ذلك يأخذ الشاعر في الرد على خصمه عمرو بن كلثوم وتفنيد آراء التغلبيين وتسفيه شكواهم وبيان فسادها . ثم ينتقل الى ذكر مفاخر قومه ثم الى مدح عمرو بن هند ووالده ...

وهكذا استطاع شاعرنا الداهية اللبق الوصول الى غرضه بحنكته ودهائه وحسن تنسيقه للدفاع الذي ضمنه معلقته حتى استمال الملك اليه ففضل قصيدته على قصيدة عمرو بن كلثوم وقرب الحارث اليه وأجازه وحكم لقومه بني بكر مع ان الحق يجانب التغلبيين .

مصادر

١ تاريخ الأدب العربي — لحنا الفاخوري .
٢ المفصل في تاريخ الأدب العربي — للاسكندري وجماعته .
٣ ادباء العرب — للبستاني .
٤ الوسيط في الأدب العربي وتاريخه — للاسكندري .
٥ عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة — لفؤاد افرام البستاني .

اسئلة ومواضيع

١ ـ لا يوجد في الشعر العربي عامة والجاهلي خاصة ملاحم طويلة ولكن فيه وصفاً لأيام العرب ووقائعهم الحربية . فهل تجد مثالاً على ذلك في معلّقة الحارث بن حلّزة ؟ اوضح ذلك مستشهداً بشيء من شعره .

٢ ـ عندما انشد الحارث بن حلّزة معلقته أمام عمرو بن هند كان شيخاً هرماً وقوراً هادئاً ، فيه رزانة الشيخوخة ، وحكمة الشيوخ .

فهل تحقق لك ذلك في دراستك لمعلقته ومقارنتها مع معلقة ابن كلثوم من هذه الزاوية . اوضح ذلك .

٣ ـ قارن بين فخر عمرو بن كلثوم ، وفخر الحارث بن حلّزة وبيّن أيهما ألصق بنفس صاحبه وأقرب الى نفس القارىء ؟ ولماذا ؟

عنترةُ بنُ شدَّاد

ولد بنجد من أب شريف وأَمَة حبَشيَّة سوداء ، تدعى (زبيبة) فورث عنها سواد بشرته حتى عُدَّ من أغربة العرب أي (سودانها) . ولما كان ابن أمة لم يصله أبوه بنسبه وبقي في عداد العبيد يرعى ابل أبيه وخيله على عادة العرب في أبنائهم المولودين من الإماء . إلا انه كره ذل العبد وتعلم الفروسية وقول الشعر حتى صار أحد فرسان العرب وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة. وقد ردّ غاراتٍ كثيرةً عن قومه وأنقذهم من كثير من المهالك فأعتقه أبوه وجعله حراً . وخاض مع قومه حرب داحس والغبراء حتى ضرب المثل بشجاعته وطار صيته بين جميع القبائل العربية . ولقد قدمنا في ترجمتنا لزهير ان الحرب كانت مستمِرَّة بين قبيلتين من قبائل غطفان وهما عبس وذبيان . وكانت حروب داحس والغبراء هذه وكذلك حرب البسوس وغيرها من ايام العرب مصدر ثروة كبيرة للأدب العربي فملىء بالفخر والهجاء ، والتحريض على القتال والأخذ بالثأر ، وبقصص تدور وقائعها حول ما كان بين الفريقين . وكما كان شعر عنترة يدور حول وصف الأطوار الاخيرة من هذه الحرب ، كان شعر زهير يدور حول السلم بين القبيلتين والدعوة اليه كما قدّمنا .

ومات عنترة قبل الاسلام ، وله ديوان شعر مطبوع أكثره في الفخر والحماسة . ولقد اخترنا لك نصاً للدراسة مأخوذاً من معلقته التي نظمها مفاخراً خصماً له من بني عبس كان قد عيّره بسواده وأمّه فردّ عليه عنترة بهذه القصيدة التي يفتخر فيها بشجاعته وأخلاقه الكريمة ويتغزل بابنة عمه عبلة :

١ هَلْ غـادَرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ !؟
أمْ هَلْ عَرَفتَ الدَّارَ ، بعد تَوَهُّمِ !؟

٢ يا دارَ عبلةَ بـالجِواءِ ، تَكَلَّمِي ،
وعِمي صباحاً ، دارَ عبلةَ ، وآسْلَمي !

٣ فَوَقَفْتُ فيهـا نـاقتي ، وكأنَّهـا
فَـدَنٌ ، لأقْضِيَ حـاجَةَ المُتَلَوِّمِ

٤ وتَحُلُّ عَبْلَةُ بالجِواءِ ، وأهْلُنـا
بالحَزْنِ ، فالصَّمَّانِ ، فالمُتَثَلَّمِ

---

١ ـ المتردَّم : المحـل الذي يُرفأ ويصلح . وهَلْ في البيت للاستفهـام الإنـكاري . والمعنى : لم يترك الشعراء المتقدمون لنا ، نحن المتأخرين ، شيئاً يُرقع ويُصلح ، يريد انهم لم يتركوا فناً من فنون الشعر إلا طرقوه وأتوا به على جميع معانيه . ثم يسأل نفسه : هل عرف دار عبلة بعد طول العهد بها أم لا ؟

٢ ـ الجواء : موضع في نجد . والمعنى: لقد عرف دار محبوبته عبلة ولذلك وقف عليها وطلب منها ان تتكلم وترد عليه التحية ، كما دعا لها بالبقـاء والسلامة من عوادي الرياح والامطار .

٣ ـ الفدن : القصر شبه به ناقته لضخامتهـا . المتلوّم : المنتظر ويريد نفسه . والمعنى : أوقفت ناقتي عند أطلال دار المحبوبة كي أقضي ما بنفسي من الجزع للفراق ولأبكي على تلك الايام السعيدة التي كانت لي في هذه الديار .

٤ ـ الجِواء والحَزْن والصَّمَّان والمتثلم : أسماء أماكن . والمعنى : يـذكر

٥ هَلاَّ سألْتِ الخيلَ ! ياٱبْنَةَ مالِكٍ ،
إنْ كنتِ جاهِلَةً بما لم تَعْلَمِي
٦ يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوقيعةَ أنَّني
أغشَى الوَغى ، وأعِفُّ عِنْدَ ٱلْمَغْنَمِ
٧ ولقد شَرِبْتُ من المُدامَةِ ، بعدما
رَكَدَ الهَوَاجِرُ ، بالمَشُوفِ المُعْلَمِ

مواضع نزول محبوبته عبلة ومواضع نزول أهله .

٥ ـ هَلاَّ : حرف تحضيض ، وهو طلب الشيء مع العنف . وأراد بالخيل راكبيها من الفرسان . وابنة مالك هي عبلة ابنة عمه التي أحبها وتغزل بها كما قدمنا . بما لم تعلمي : عما لم تعلمي . والمعنى : يطلب الى ابنة عمه ان تسأل الابطال والشجعان عما لا تعلمه عن بطولته وشجاعته إذا كانت لا تزال تجهل ذلك . وجواب الطلب في البيت الذي يليه .

٦ ـ المفردات : شهد : حَضَرَ . الوقيعة : المعركة . أغشى : اقتحم . الوغى : الحرب ، أعفّ : أترك . المغنم : جمع الغنائم اثناء الحرب واقتسامها بعده . والمعنى : اذا سألتِ الأبطال أخبروك بأنني أخوض الحرب وأتراجع عند جمع الغنائم واقتسامها وأترك نصيبي لغيري ممن حاربوا معي .

٧ ـ المدامة : الخمرة . ركد : سكن . الهواجر : جمع هاجرة وهي الظهيرة ، أشد أوقات النهار حرّاً . المشوف : المجلوّ وهي صفة للدينار الجديد . المعلم : الذي فيه كتابة او نقش . والمعنى : شربت خمرة غالية الثمن بعدما اشتد الحر وقت الظهيرة . والعرب في الجاهلية كانوا يفتخرون بشرب الخمر واللعب بالميسر لانهما من دلائل الكرم والغنى .

٨ بزجاجةٍ صفراءَ ، ذاتِ أسِرَّةٍ ،
قُرِنَتْ بأزْهَرَ ، في الشِّمالِ ، مُفَدَّمِ

٩ فإذا شَرِبْتُ ، فــإنَّني مُسْتَهْلِكٌ
مــالي ، وعِرْضي وَافِرٌ لَمْ يُكْلَمِ

١٠ وإذا صَحَوْتُ ، فَمَا أُقَصِّرُ عن ندى ؛
وكما علمتِ شمائِــلي وتَكَرُّمي !

---

٨ ـ الزجاجة : الطاس . الاسرَّة : الخطوط ، وزجاجة ذات اسرة اي طاس مخططة . الأزهر : الإبريق الأبيض ولعله اراد انه من الفضة . وقرنت بأزهر اي جعلت الزجاجة الى جانب ابريق من الفضة . في الشمال : اي مبرّد بريح الشمال الباردة. مُفدَّم : عليه الفِدام وهي المصفاة التي توضع في فم الابريق ليصفّى بها ما فيه . والمعنى ؛ يقول : إنه شرب الخمر المصفّاة التي صبها من ذلك الإبريق الأبيض الفضي بكأس مخططة .

٩ ـ المستهلك : المنفق ، اسم فاعل من فعل استهلك اي انفق . العرض : الشرف وهو موضع المدح او الذم من الانسان. وافِر: تام. لم يُكلم: اي لم يذم ولم يجرح . والمعنى ؛ يقول : اذا شربت الخمر فــإني استهلك مالي لجودي وكرمي . ثم استدرك فقـــال : ولكني احافظ على عرضي فيظل موفوراً لا يجرحه أحد ، لئلا يظن السامع انه يستهلك شرفه في حالة السكر كما يفعل بعض شاربي الخمر من الجهال الحمقى .

١٠ ـ الندى : الجود . الشمائل : الاخلاق جمع شميلة وهي السجية والطبع. والمعنى : استدرك في هذا البيت على مـا قاله في البيت السابق بانه يبقى على كرمه واخلاقه الحسنة المعروفة في حال صحوه . ولقد جاء بهذا الاستدراك كي

١١ ومُدَجّجٍ كرِهَ الكُماةُ نِزَالَهُ ،
لا مُمْعِنٍ هَرَباً ، ولا مُسْتَسْلِمِ

١٢ جادت يَدَايَ لَهُ بعاجِلِ طعنةٍ
بمثقَّفٍ ، صَدْقِ الكُعُوبِ ، مُقوَّمِ

١٣ فَشَكَكْتُ بالرُّمحِ الأَصَمِّ ثيابَهُ ،
لَيْسَ الكريمُ على ٱلْقَنَا بِمُحَرَّمِ

١٤ فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ ،
يَقْضُمْنَ حُسْنَ بنانِهِ ، والمِعْصَمِ

لا يظن السامع ان كرمه واخلاقه التي اشار اليها في البيت السابق من مفعول السكر ، وان الشاعر يتركها اذا صحا . كلا ، إنها عادة متأصلة في نفسه سواء كان في حالة السكر ام في حالة الصحو .

١١ ـ المدجج : التام السلاح او الذي استتر كله بالسلاح . الكماة : جمع كميّ وهو البطل . لا ممعن هرباً .. اي لا هو يهرب ولا يستسلم ولكنه يقاتل ، ونصب هرباً على انه مفعول لأجله . والمعنى : يصف شجاعة ذلك البطل المدجج بالسلاح الذي تخاف الأبطال نزاله لشدة بأسه .

١٢ ـ المثقّف : الرمح المقوم بالثقاف . صدق : صلب . الكعوب : عقد الأنابيب في قناة الرمح ، وصدق الكعوب اي صُلب .

١٣ ـ الأصمّ : الصلب المتين . والمعنى : نظمتُ ثيابه بالرمح اي أنفذته من ثيابه وجسمه وان خصمي رجل شجاع وكريم ، واجسام الكرام غير محرّمة على الرماح .

١٤ ـ الجزر : جمع جزرة وهي الشاة المذبوحة وقوله جزر السباع : اي

١٥ لمّا رأيتُ القومَ أقبل جَمعُهُم
يَتذامَرون ، كررتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ

١٦ يَدْعُونَ عَنْتَرَ ، والرِّماحُ كأنَّها
أشطَانُ بِئْرٍ في لَبانِ الأَدْهَمِ

١٧ ما زِلْت أرميهم بِثُغْرَةِ نحرِهِ ،
ولَبانِهِ ، حتّى تَسَرْبَلَ بالدّمِ

فريسة للسباع . ينشنه : يتناولنه . يقضمن : من القضم وهو الأكل . البنان : اطراف الأصابع . المعصم : موقع السوار من الزند . وقوله : حسن بنانه والمعصم : كناية عن انه منعم مترف وهذا تأكيد لما قاله في البيت السابق من انه رجل كريم .

١٥ ــ القوم : أراد بهم قومه ، كما يدل على ذلك البيت الذي يليه . يتذامرون : يحض بعضهم بعضاً على التقدم الى المعركة . غير مذمم : غير مذموم . والمعنى : حينما سمعت قومي يحض بعضهم بعضاً ى خوض المعركة هجمت وانا محمود القتال وغير ملوم فيه ، ودون ان يحضني أحد عليه .

١٦ ــ الضمير في (يدعون) يعود على قومه في البيت السابق . الاشطان : الحبال ، جمع مفرده شطن وهو حبل البئر . اللبان : صدر الحصان . الأدهم : الاسود ، صفة للحصان . والمعنى ، يريد ان يقول : دعاه قومه الى خوض المعركة ورماح الأعداء كانت ممدودة الى صدر جواده كأنها حبال البئر الطويلة ، أي استنجد به قومه عندما حميت المعركة واشتد وطيس الحرب .

١٧ ــ الثغرة : نقرة النحر بين عظمي الترقوة . حتى تسربل : حتى صار الدم له كالسربال . والسربال هو الثوب الذي يغطي الجسم كله . والمعنى ،

١٨ فازْورَّ من وقْع القنا بلَبَانهِ ،
وشكا اليَّ بعَبرةٍ وتَحَمْحُمِ
١٩ لو كان يدري ما المحاورةُ ، اشتكىٰ ،
ولكان ، لو عَلِمَ الكلامَ ، مكلمي
٢٠ ولقد شفى نفسي ، وأبرأ سُقْمَهَا
قيلُ الفوارس : « ويك عنتر ، أقدِمِ ! »

أراد ان يقول : ما زلت أرمي الاعداء بنحر جـوادي وصدره ، حتى تخضّب جسمه بالدم وصار الدم بمنزلة الثوب له .

١٨ ـ ازورّ : مال وأعرض من الألم . العبرة : الدّمعة . التحمحم : صوت الحصان المتقطع الذي يطلب به المساعدة . والمعنى : مال حصاني وأعرَض لما أصابه من جروح فصحت به وسقته الى الحرب فشكا إليّ باكياً محمحماً كي أرق له وأعطف عليه .

١٩ ـ المحاورة : المخاطبة من حاوره أي خاطبه . والمعنى، يقول : لو كان حصاني يعرف الكلام لأفصح بالشكوى عما أصابه من ألم الجراح .

٢٠ ـ قيل : بمعنى قول . ويك : ويلك وهي اسم فعل مضـارع بمعنى أتعجب . والمعنى ، يريد ان يقول إن استنجـاد قومه به والتجاءهم اليه في المعارك شفى نفسه مما أصابها من ألم تحقير قومه له لأنـه كان ابن أمة ، اسود اللون مشقوق الشفة السفلى ، وكأنه كان يشمت بهم عندما كانوا يستنجدون به وينفي بذلك عنه حزنه وألمه منهم .

الشرح الادبي والتحليل

بدأ الشاعر معلّقته بالغزل فوقف واستوقف ، ونادى وخاطب على عـادة الشعراء الجاهليين ثم وجه الخطاب الى ابنة عمه كي تشهد له بمـا عرف عنه من سماحة في الاخلاق وشجاعة وعفة عند المغنم . واذا كانت في شكّ او جهل من ذلك فلتسأل الابطال عن المعارك التي خاضها والكتائب التي قادهـــا . ثم يصور لنا مجلساً من مجالس شرابه وأدوات هـــذا الشراب ويبيّن لنا أنه غني كريم يبذل ماله ويصون عرضه سواء أكان في حالة السكر أم في حالة الصحو. ثم يذكر لنا كيف انه كثيراً ما جندل أبطـالاً يكره الكماة نزالهم ؛ وهـذا دليل على شجاعته وقوته لان خصومه كانوا شجعاناً أقوياء يصمدون في المعارك لا جبناء رعاديد يخافون من الحرب ويهربون منها . ثم ينتقل الى وصف موقعة من مواقعه والأعداء يهاجمون قومه فيستنجدون به حتى اذا مـــا أقدم وخاض المعركة ونازل الاعداء ونال منهم كل منال ، شفى نفسه من قومه الذين احتقروه لسواده ولكونه مشقوق الشفة السفلى وابن أمَة حبشية سوداء . وها هو الآن قد نال حريته وسيادته وتزوج بابنة عمه التي لا يتزوج بها إلا سيد حر وبطـل شجاع مثله .

ويتضح لنا من هذا النص ان عنترة كان يعتني بشعره كزهير ويميل الى القصة والحوار كما رأينـــاه مع ابنة عمه او مع حصانه ، ويميل ايضاً الى التصوير الحسي كما رأينا في تصويره لهذه المعركة . أما تشابيهه وصوره فهي بدوية حسية مأخوذة من محيطه كما هو الحال عند عمرو بن كلثوم وزهير بن أبي سلمى وغيرهما من الشعراء الجاهليين . فالرماح كأشطان البئر ، والفرس تسربل بدمه وشكا الى صاحبه بعبرة وتحمحم . كما اننا نجد في هذا النص صوراً من الحياة الاجتماعية عند العرب ، فهو يشرب شرب السادات بكأس مخططـة وإبريق من الفضة ، ويشتري المُدامة المعتقة الغالية . وهو شجاع ، والشجاعة من أهم الصفات التي يفتخر بها العربي . ولقد كانت شجاعته سبباً في عتقه من الرق وزواجه بابنة

عمه سليلة الأشراف والأمجاد . وكذلك الشعر وهو من أهم مـــا يفتخر بـه العربي ، فهو شاعر وصاحب معلقة . وكان للشاعر في حيـاة القبيلة الاجتماعية المكانة الاولى فهو يدافع عنها بلسانه ويشيد بمفاخرها . ولقد كان عنترة شاعر الابطال وبطل الشعراء بلا منازع .

مصادر

١ ـ أدباء العرب — للبستاني .
٢ ـ المفصل في الادب العربي — للاسكندري وجماعته .
٣ ـ الوسيط في تاريخ الادب العربي — للاسكندري
٤ ـ الجديد في الادب العربي — لحنا الفاخوري .
٥ ـ أبو الفوارس — لفريد ابو حديد .
٦ ، شعراء النصرانية — للأب لويس شيخو .
٧ - عنترة بن شداد — لفؤاد افرام البستاني .

اسئلة ومواضيع

١ ـ ما هي الدوافع النفسية التي خلقت من عنترة فارساً مغواراً وشاعراً ممتازاً ؟

حلل هذه الدوافع ثم عدد الخصال التي فاخر بها عنترة ممثلاً لها بنماذج من شعره .

٢ ـ اقرأ جانباً من « سيرة عنترة » ثم بيِّن الفرق بين عنترة كما يصوّره التاريخ وكتب الأدب ، وعنترة كما تصوره السيرة .

٣ ـ هل تجد عند عنترة الأسلوب القصصي في معلّقته ؟ أوضح ذلــك مستشهداً بقدر الإمكان من شعره .

٤ ـ ما هو المثل الأعلى عند عنترة في حياته ؟ أوضح ذلك من خلال شعره .

٥ ـ ما هي الاغراض الشعرية التي توفق فيها عنترة والتي دار اكثر شعره حولها ؟ بين ذلك بعد اطلاعك على ديوانه .

شاعران جاهليان آخران

١ - النابغة الذبياني

هو زياد بن معاوية ، والنابغة لقب لقّب به ، ويكنى أبا أمامة ، وهو من شعراء الطبقة الأولى الجاهلية . كانت ولادته حوالي عام ٥٣٥ م ووفاته حوالي عام ٦٠٤ م ، اذن فقـد عاش في الثلثين الاخيرين من القرن السادس الميلادي ، وتوفي قبيل البعثة . وهو من قبيلة ذبيان واليها ينتسب ، وذبيان من غطفان ، وغطفان من قيس ، وقيس من مضر فهو شاعر مضري . ولم يحدثنا التاريخ عن نشأته وحياته قبل اتصاله بالمناذرة والغساسنة شأن اكثر الشعراء الجاهليين .

ولسنا بحاجة الى الكلام هنا عن تاريخ المناذرة والغساسنة الذين اتصل بهم شاعرنا، فكل من الفريقين كان من عرب الجنوب الذين هاجروا الى الشمال. وكان للمناذرة امارة الحيرة الخاضعة للنفوذ الفارسي ، وللغساسنة امـارة غسان الخاضعة لنفوذ الروم . وكان بـين هاتين الإمارتين حروب متصلة يثيرها الروم والفرس ومن اشهرها يوم حليمة . وكانت بعض القبائل العربيـة تشترك في هذه الحروب وتستفيد من العداوة التقليدية القائمة بين هاتين الإمارتين .

ولقد اتصل النابغة بالنعمان بن المنذر (أبي قابوس) الذي امتد حكمه من سنة ٥٨٠ الى ٦٠٢ م ، وانقطع اليه ، ورغم هـذا الانقطاع كان يتردد على

الغساسنة بالشام من حين لآخر يمدحهم وينال عطاءهم . وكان النعمان غير راض عن اتصال شاعره بالغساسنة . وكان اعداؤه يتحينون الفرص للإيقاع به عند صديقه النعمان ، فكانوا يوغرون صدره بوشاياتهم الكاذبة حتى توفقوا الى ذلك عندما حملوا اليه شعراً على لسان النابغة في هجائه وفي وصف زوجته المتجردة وصفاً فاحشاً مكشوفاً . ولما بلغ النابغة هذا الخبر هرب خوفاً من انتقام النعمان وراح يرسل اليه القصيدة تلو الاخرى في تكذيب هذه الوشايات المغرضة . وهكذا انقطع النابغة الى الغساسنة بعد غضب النعمان عليه واتصل بعمرو بن الحارث ، ولما توفي هذا اتصل بخليفته النعمان السادس الذي قتل عام ٦٠٠ م فرثاه . ثم عاد بعد ذلك الى النعمان بن المنذر بعد ان قبل اعتذاره وعفا عنه .

وعندما كان يتردد بين بلاطي المناذرة والغساسنة كانت تُضْرب له قبّة من أدَم في سوق عكاظ ويأتيه الشعراء ويعرضون عليه قصائدهم، وكان يحكم بينهم . وسنعرض عليك نصاً من قصيدة له في الاعتذار للنعمان بن المنذر ومطلعها :

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْيَاءِ ، فالسَّنَد ،

أقوَتْ ، وطالَ عَلَيْها سَالِفُ الأَبَدِ

وفيها يقول :

١ فلا ، لَعَمْرُ الَّذي مَسَّحْتُ كعبَتَهُ

وما هُرِيقَ على الأنصابِ من جَسَدِ

---

١ ـ مَسَّحَ الكعبة : طـاف بها ولمسها . الأنصاب : جمع نُصُب وهي حجارة كانت تنصب في الجاهلية لتذبح عليها الذبائح . الجسد هنا معناه الدم . المعنى : يبدأ في هذا البيت بتبرير نفسه مما ألحقه به أعـداؤه من التهم فيحلف برب الكعبة التي طاف بها، ويحلف بدماء الذبائح التي يذبحها الحجاج الى الكعبة .

٢ والمؤمنِ العائذات الطيرَ ، تمسَحُها
رُكبانُ مكّةَ ، بين الغَيْلِ وٱلسَّعَدِ

٣ ما قُلْتُ مِنْ سَيِّءٍ مِمَّا أُتِيتَ به ،
إذاً فلا رَفَعَتْ سَوْطي إليَّ يدي !

٤ إذاً فعاقَبَني رَبِّي مُعاقبةً
قَرَّتْ بها عَيْنُ مَنْ يَأتِيكَ بالفَنَدِ

٥ - إلا مقالةَ أقوامٍ شقيتُ بهـا
كانت مقالتُهُم قَرْعاً على ٱلكَبِدِ

---

٢ ـ المؤمن : اسم فاعل من آمنه وأراد به الله . العائذات : جمع عـائذة وهي الطير التي عاذت بالحرم أي التجأت اليه فـأمنت فلا تصاد ولا تطرد ، وهي مفعول به لمؤمن . والضمير في (تمسحها) يعود على الطير ، والرّكبان فاعل تمسح . الغيل والسَّعد : غيضتان كانتا بين مكة ومنى . والمعنى : يحلف بالله الذي أزال الخوف عن طيور مكة والتي صارت من آمنها تقع على الركبان القادمين الى مكة فيمسحونها بأيديهم تحبباً اليها ، وذلك بين الغيل والسَّعَد .

٣ ـ ما قلت : جواب القسم في البيتين السابقين . والمعنى : ما قلت الكلام الذي اتهمني به الاعداء ، واذا كنت قلته شلَّ الله يدي حتى لا يمكنني رفـع سوطي بها على خفـَّته .

٤ ـ الفند : الكذب والافـتراء على الناس . قرَّت عينه أي فرحت وارتاحت .

٦ هذا ، لأَبرأ مــن قولٍ قُذِفْتُ بــهِ
طارتْ نوافِذُهُ حَرّاً على كبدي

٧ أُنبِئْتُ أنَّ أبا قابوسَ أوعدَني
ولا قرارَ على زأْرٍ مِنَ الأَسَدِ

٨ مهلاً ! فداءٌ لك الأقوامُ كلُّهُمُ
وما أُثَمِّرُ مِنْ مَالٍ ومِنْ وَلَدِ !

٩ لا تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لا كِفَاءَ لَهُ
وإنْ تأثَّفَكَ الأعداءُ بالرِّفَدِ

---

٦ ـ هذا أي هذا القسم . قُذفت به : رُميتُ به . النوافذ : جمع نافذة وهي حدة القول وضرره وتأثيره على من رُمي به .

٧ ـ أبو قابوس : كنية النعمان بن المنذر . أوعدني : هـــددني . القرار : الإطمئنان . الزأر هو الزئير أي صوت الاسد . المعنى : جعل تهديد النعمان له بمنزلة زئير الاسد الذي لا يطمئن من سمعه في مكانه . والشطر الثاني من هذا البيت ذهب مذهب المثل .

٨ ـ أثمِر : أجمع وأنمّي . ومهلاً مقصود بها الدعاء هنا .

٩ ـ الركن : الأمر العظيم . لا كفاء له : ليس له نظير ولا مثيل . تأثفك الاعداءُ : اجتمعوا حولك وكانوا بمنزلة الاثافي التي توضع عليها القدر . الرفــد : المعاونة . المعنى : لا ترمني بالأمر العظيم الذي لا نظير له وهو سخطك فاني لا أستطيع احتماله . ولا تسمع فيَّ قول الوشاة الذين التفوا حولك يعاون بعضهم بعضاً على الايقاع بي عندك .

١٠ ها إِنَّ ذي عذرةٌ ، إلا تكُنْ نَفَعَتْ

فإِنَّ صاحبها مُشَارِكُ النكَدِ

الشرح الادبي والتحليل

يراد بجانب الاعتذار في هذه القصيدة التي عرضنا عليك نصّاً منهـا او بالاعتذاريات بوجه عام هذه القصائد التي قالها النابغة يعتذر فيها للنعمان عن الأمر الذي عزاه اليه حسّاده في مجلسه . وقد وجدنا النـابغة في هذا النص ينكر أشد الانكار هذه التهمة التي ألصقت به (وهي هجاؤه للنعمان أو تغزله الفاحش بالمتجردة زوج النعمان .)

واعتذاريات النابغة يشيع فيها الحزن والاخلاص والالم والرجاء كما رأينا في هذا النص . فهو حزين لبعدهٌ عن النعمان صديقه ولأنه يراه غاضباً عليهٌ لغير ذنب ارتكبه . وهو مخلص في تودده الى النعمان ويدل على ذلك شدة إلحاحه عليه في تصديقه ، وهو متألم لانه يرى حساده يشُون بـه فيصغي النعمان الى إفترائهم وينقم على شاعره وهو يرجو أخيراً ان يصدّقه النعمان فيعفو عنـه ويستدعيه اليه .

وطريقة النابغة في الاعتذار انه يظهر شدة خوفه من توعد النعمان له :

أُنبئت ان ابا قابوسَ أوعدني

ولا قرارَ على زأرٍ من الأسد

ويبدو ان شاعرنا لم يكن صادقاً في شعوره هذا اذ انه لم يكن توعد النعمان له بالذي يخيفه حقاً وهو في دار قومـه او في بلاط الغساسنة ، ولكنه كان

---

١٠ ـ ها: للتنبيه. ذي : اسم اشارة أي هذه. العذرة : الاعتذار. النكد: سوء الحظ والطالع . المعنى : هذا هو اعتذاري فان لم ينفعني عندك فـاني لا شك سيء الحظ منحوس الطالع .

حريصاً على استرضاء النعمان رغبة في جوائزه . وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية من الفضة والذهب بفضل عطايا النعمان وأبيه وجدّه . واعتذاريات النابغة تُعَدّ من أروع شعره واصدقه وهو اول من أوجـــد باب الاعتذار في الشعر العربي على الاطلاق .

مصادر

١ ـ ديوان النابغة الذبياني .

٢ ـ الأغاني ج ١١ طبعة دار الكتب بمصر

٣ ـ خزانة الأدب للبغدادي ج ٢

٤ ـ النابغة الذبياني لسليم الجندي . دمشق .

٥ ـ النابغة الذبياني عمر الدسوقي ، مصر .

٦ ـ النابغة الذبياني لفؤاد افرام البستاني .

اسئلة ومواضيع

١ ـ قال ابن سلاّم : « قال من احتج للنابغة : «كان احسنهم ديباجة شعر ، واكثرهم رونق كلام ، واجزلهم بيتاً ، كأن شعره كلام ليس فيه تكلف » .

اوضح مقصد هذا الناقد ممثلاً له بنماذج من شعر النابغة ثم ناقشه .

٢ ـ قال ابو الفرج الاصفهاني في حديثه عن النابغة : « وهو احد الاشراف الذين غضّ الشعر منهم ، وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء .. »

اوضح قولي ابي الفرج وناقشه .

٣ ـ يقول أصحاب المُفَضَّل : « ويعد شعر النابغة خطوة جديدة في رقي الشعر بعد امرىء القيس ، فانـــه أحسن ديباجة ، وأغزر معنى ، وأسلس كلاماً . » بين الى اي حد كان لشعر النابغة اثر في الأدب العربي .

٢ - الأعشى ميمون

هو مَيْمون بن قيس من بكر بن وائل . ولقّب بالأعشى لضعف في بصره . واشترك معه في هذا اللقب شعراء كثيرون ولذلك سموه أعشى ميمون وأعشى قيس تمييزاً له عن الآخرين ، ويسمونه ايضاً « صنّاجة العرب » لما كان لشعره من وقع بليغ في نفوس سامعيه ولأثره البعيد في أطراف الجزيرة العربية التي كان يجوبها متكسباً طالباً العطاء ، فكان شعره يُتغنّى به في كل حي من الاحياء العربية ويروى في كل منزل نزل فيه .

ولم يكن تجواله هذا سبباً في ربحه المادي فقط إنما كان سبباً في ربحه المعنوي ايضاً ؛ فقد اتسعت ثقافته وكثر أصدقاؤه الذين كانوا يفضلون شعره على غيره . ومن هنا كانت له هذه الشهرة الواسعة في أطراف الجزيرة وحتى الحيرة ونجران . وكان يأتي سوق عكاظ كل سنة فتضرب له قبة من أدَم وتتحاكم اليه الشعراء فيحكم بينهم مفضلاً هذا على ذاك كما كان يفعل النابغة .

عاش الاعشى طويلاً حتى أدرك الاسلام ووفد على رسول الله (صلعم) قبل فتح مكة ليسلم ، ولكن قريش خافت من اسلامه حتى لا يكون نصيراً للدعوة الاسلامية ومهاجماً لقريش وأصنامها فرصدته على الطريق واتصل به أبو سفيان وأعطاه مئة من الابل على ان يؤخر وفوده على الرسول حتى العام القادم وقال له : « نحن واياه في هدنة فتأخذ مئة من الإبل وترجع الى بلدك سنتَك هذه وتنظر ما يصير اليه أمرنا معه ، فان ظهرنا عليه كنت قدأخذت خلفاً ، وإن ظهر علينا أتيته » فأخذ الإبل وعاد إلا انه رمى به جمله على

الطريق فمات على الشرك .

ويعد الأعشى من الشعراء البارزين في العصر الجاهلي ، وله ديوان مطبوع في اوروبا ومصر وفيه مطولة عدها بعض العلماء من المعلقات ومطلعها :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ
وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أيُّها الرَّجُلُ ؟

ومنها اخترنا لك نصاً لدراسته :

١ قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَّما جِئْتُ زائِرَهَا
« ويلي عليك ، وويلي مِنْكَ ، يا رَجُلُ ! »
٢ إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً ؛ لا نِعَالَ لنا
إِنّا كذلك ما نَحْفَى ونَنْتَعِلُ

---

١ ــ ويلي عليك : أتفجّع عليك لأن في زيارتك لي هلاكاً لك. ويلي منك: أتفجّع منك لأن زيارتك لي ستؤدي الى هلاكي .

٢ ــ إمّا: مشكّلة من (إنْ) و (ما) . وال (ما) في قوله: ما نحفى زائدة. المعنى : أخذ يعاتب هريرة ويدافع عن نفسه بأن الفقر الذي رأته عليه شيء طارىء بفعل مصائب الزمان التي تراكمت عليه وانه كان فيما مضى شاباً مترفاً يشرب الخمر ويجلس الى القيان ويطرب وينعم على عادة الشبان المترفين من العرب فقال لها : إن ترينا نتبذّل مرة فنمشي حفاة ونتنعَّم أخرى فكذلك حالنا ، والانسان يكون تارة فقيراً وتارة غنياً فهذا حال الدنيا .

٣ وَقَدْ أقودُ الصِّبا يوماً ، فيتبَعُني
وقد يصاحِبُني ذو الشِّرَّةِ الغَزِلُ
٤ وَقَدْ غَدَوْتُ الى الحانوتِ يَتْبَعُني
شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ
٥ في فِتْيَةٍ كسيوفِ الهندِ قد عَلِمُوا
أنْ هَالِكٌ كلُّ مَنْ يَحفَىٰ وَينْتَعِلُ

---

٣ ــ أقود الصبا أي أتصابى وآتي بأفعال الشبـــاب الفتيان . الشِّرَّة : الحدة وهي نشاط الشباب . الغزِل : الذي يحب الغزل. والمعنى : قد أتصابى يوماً ويتصابى معي من الفتيان الغزل النشيط .

٤ ــ الحـــانوت : بيت الخمّار . الشاوي : الذي يشوي اللحم . المِشَلّ : سوّاق الإبل . الشلول والشلشل : الخفيف النشيط في عمـــله . الشوِل : من شوَّل بالشيء الذي اشتراه المشتري أي حمله له . والمعنى : وقد أغدو مبكراً الى حانوت الخمرة لأشرب ومعي غـــلام لشوي اللحم والطهي ، يسوق دابتي بنشاط ويحمل لي ما اشتريته بفرح وخفة . وهذه الكلمـــات التي وردت في الشطر الثاني من البيت متقاربة في حروفها ومعانيها ومتنافرة في لفظها لذلك جاءت ثقيلةً على اللسان وعسيرة في النطق ، وليس هذا من فصاحة الكلام .

٥ ــ في فتية كسيوف الهند اي كسيوف الهند في المضاء والصرامة و(أنْ) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وجملة (هالك كل من يحفى وينتعل) في محل رفع خبرها . المعنى : قد غدوت الى حانوت الخمار مع فتية رجحت عقولهم وعلموا ان جميع الناس هالكون لا محالة ولذلك بادروا الى اللذات قبل ان يموتوا ويحرموا منها .

٦ نَازَعْتُهم قُضُبَ الرَّيحانِ متَّكِئاً

وَقَهْوَةً مُزَّةً راوُوقُها خَضِلُ

٧ لا يستفيقون منها ، وهي وَاهِنَةٌ

إلاَّ بهاتِ ، وإنْ عَلُّوا ، وإن نَهِلُوا ؛

٨ من كل ذلك يومٌ قد لَهَوْتُ بهِ

وفي التجاربِ طولُ اللهوِ والغَزَلُ

٩ أبْلِغْ يزيدَ بني شَيْبَانَ مَأْلُكَةً

« أبا ثُبَيْتٍ أمَا تَنْفَكُّ تَأْتَكِلُ »

---

٦ – الريحان : كل نبات طيب الرائحة ، ونازعتهم قضب الريحان اي نازعتهم حسن الأحاديث وظريفها . متكئاً : حال منصوبة . القهوة : الخمرة . الراووق : الاناء الذي تروق فيه الخمر . خضل : دائم الندى فلا يجف من كثرة الشرب به .

٧ – واهنة : دائمة وموجودة امامهم . إلاّ بهات : اي الا بقولهم للساقي هات . علّوا : من العَلَل وهو الشرب الثاني . النَهَل وهو الشرب الأول . المعنى : لا ينتبهون الا اذا ابطأ الساقي عليهم فيصيحون به هات ولو انهم كانوا قد شربوا مرة بعد مرة .

٨ – في التجارب اي في تجاربي . المعنى : لقد لهوت كثيراً وتغزلت طويلاً في تجاربي التي مرت علي في حياتي .

٩ – المألكة : الرِسالة ، وتأتكل اي يأكل بعضك بعضاً غيظاً وغضباً .

١٠ ألسْتَ مُنْتَهِياً عن نَحْتِ أثْلَتِنَا
وَلَسْتَ ضَائِرَهَا ما أطَّتِ الإِبلُ

١١ كنَاطِحٍ صَخْرَةَ يَوْماً لِيُوهِنَها
فَلَمْ يَضِرْهَا وأوهَى قَرْنَهُ الوعِلُ

١٢ سَائِلْ بني أسَدٍ عَنَّا ، فقد عَلِمُوا
أنْ سوف يأتيكَ من أنبائِنا شَكَلُ

١٣ واسأل قُشَيْراً ، وعبدَ الله كلَّهُمُ ،
واسألْ ربيعةَ عنَّا كيفَ نَفْتَعِلُ :

١٤ إِنّا نقاتِلُهم حتّى نُقَتِّلَهُمْ
عند اللِّقاء ، وإِن جارُوا ، وإِنْ جَهِلُوا

---

١٠ – الاثلة : شجرة الأثل والمقصود بها هنا المجد المؤثل اي القديم والعريق ونحت الاثلة كناية عن الذم والانتقاص من شرف الانسان . وأطت الابل اي حنت الى اوطانها . والمعنى : لست بضارّ لنا ابداً .

١١ – أوهى : اضعف . الوعل : الأيل حيوان كالماعز الا ان قرونه كبيرة ومتفرعة كغصن الشجرة . المعنى : انك تكلف نفسك ما لا تستطيعه ولن يعود ضرر عملك هذا الا عليك وحدك .

١٢ – شَكَل : اشكال وأخلاط اي سوف تأتيك اخبار مشكلة او مختلفة عن بطشنا وقوتنا .

١٣ – المعنى : إن افعالنا عظيمة وخارقة .

١٤ – هذا البيت جواب للبيت السابق .

١٥ كلاَّ ! زَعَمْتُمْ بأَنّا لا نقاتِلُكم
إِنا لأمثالِكم يا قومَنَا قُتُلُ

١٦ نحن الفوارسُ يَوْمَ الحِنْوِ ضاحِيةً
جَنْبَيْ فُطَيْمَةَ ، لا مِيلٌ ولا عُزُلُ

١٧ قالوا : الطعانُ . فقلنا : تلك عادتُنا ،
أو تنزِلونَ ، فإِنا مَعْشَرٌ نُزُلُ

---

١٥ - قُتُل جمع قتول اسم مبالغة من اسم الفاعل على وزن (فَعُول) ومثله غفور .

١٦ – يوم الحنْو : يوم من ايامهم المعروفة . فُطَيمة : اسم موضع في البحرين انتصر فيه قومه على بني شيبان . الميل : جمع الأميل وهو الجبان الذي لا يثبت في القتال ويميل في الحرب . العزل : جمع أعزل وهو الذي لا يحمل سلاحه وحركت الزاي بالضم لضرورة الوزن . المعنى : نحن الفوارس الذين انتصرنا علانيــة يوم الحنو الذي كان بجانبي وادي فطيمة حيث لم نكن وقت ذلك من الفارين ولا عزلاً من السلاح .

١٧ – الطعانُ : خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : امركم الطعان . والطعان يكون بالرماح كما ان الضرب يكون بالسيوف . المعنى : اذا اردتم القتال بالرماح فنحن مستعدون . واذا نزلتم عن خيولكم ضربناكم بالسيوف بــدل المطاعنة بالرماح وانا مثلكم لنازلون .

الشرح الأدبي والتحليل

يفتتح الأعشى قصيدته هذه بالغزل على عادة الشعراء الجاهليين كما رأينا ، ثم ينتقل الى ذكر الشراب . ولقد انفرد من بين الشعراء الجاهليين في وصف الخمر ، إلا انه لم يصفها على طريقة عمرو بن كلثوم وطرفة وغيرهما من الذين وصفوها للفخر بشربها فقط ، إنما وصفها ووصف معها الساقي والنديم ومجلس الشراب ، وصوّر السكارى تصويراً دقيقاً . كل ذلك في أسلوب سلس جميل لا يخلو من ظرف وفكاهة . ثم ينتقل الى الغرض الذي من اجله نظم قصيدته هذه وهو التهديد والوعيد ليزيد الشيباني والفخر عليه وتذكيره بانتصارات قومه على القبائل الاخرى المعادية ؛ وبهذا القسم يختم قصيدته هذه .

ولا بد من الاشارة الى ان الاعشى سهل الاسلوب ، واضح المعنى ، قليل الغريب ، حتى اننا لم نحتج إلا الى شرح بعض الالفاظ حتى صار معنى البيت واضحاً . والسبب في ذلك ان الشعر في أواخر العصر الجاهلي قد تطور تطوراً ظاهراً فمال الى السهولة والوضوح . ونحن نلمس هذا التطور ليس فقط عند الأعشى إنما نلمسه عند معظم الشعراء الذين أدركوا الاسلام كالأعشى ولبيد والحطيئة وغيرهم .

ويعدّ شاعرنا هذا في الطبقة الاولى بعد امرىء القيس والنابغة وزهير . على انه يفوقهم جميعاً في وصف الخمرة ومجالسها وأدواتها وكل ما يتعلق بها من قصص وحوار بارعين حتى إنه يعد استاذ الأخطل وأبي نواس في كل ذلك .

مصادر

١ ـ رجال المعلقات العشر — لمصطفى الغلاييني .

١ ـ المفصل في تاريخ الادب العربي — للاسكندري وجماعته

٢ ـ أدباءالعرب — للبستاني

٣ ـ الوسيط — للاسكندري ومصطفى عناني بك .

٤ ـ الديوان

٥ ـ الأعشى الاكبر — لفؤاد افرام البستاني

أسئلة ومواضيع

١ ـ قال أصحاب المجمل : « امتاز الأعشى بإكثاره من وصف الخمر وما اليها من نديمٍ وساقٍ وقينة وعود ، وأطال في ذلك حتى عد إمام الأخطل وأبي نواس في هذا كله » .

هل تستطيـع أن توضح ذلك من خلال دراستك لشعره في الخمر ؟

٣ ـ كان الأعشى كثير الأسفار والاضطراب في الارض ولذلك امتاز شعره بمعارفه الواسعة .

ناقش هذا القول وأوضحه من خلال دراستك لشعر الأعشى الأكبر .

النثر الجاهلي وأنواعه

نقصد بقولنا النثر الجاهلي : النثر الفني الذي يعد أدباً ، لا لغة الحديث والتخاطب ، وقد تأخر في الظهور عن الشعر الجاهلي لانه يحتاج الى حياة عقلية راقية ، وتقدم في المدنية . وهو عند الامم كلها يتأخر في الظهور والتقدم عن الشعر لان هذا يعتمد في الدرجة الاولى على العاطفة والخيال ، وهما أقوى عند الامم الابتدائية من العقل والعلم اللذين يعتمد عليهما النثر الفني .

والنثر الجاهلي الذي وصل الينا : خطب ، وكتب ، ووصايا ، وأحاديث كهان ، وحكم ، وامثال ، وقصص عن العرب وايامهم . وسندرس ثلاثة من هذه الانواع فقط .

أ ـ الخطابة

التعريف بها : الخطابة هي فن إقناع السامعين والتأثير فيهم بشرط ان يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال أي موافقاً للمكان والزمان والبيئة الاجتماعية والثقافة والحياة العقلية عند الجماهير التي يخاطبها الخطيب .

ولقد ظهرت الخطابة في العصر الجاهلي مع ظهور الشعر لأن الجاهليين كانوا أمة بدوية تعمها الأميّة ولا تخضع لقانون ينظم أحوالها ، ولا الى سلطان واحد تخضع له، بل غالباً ما كانت العلاقة بين القبائل علاقة عداء، لذلك كانت الخطابة ضرورية لها ضرورة الشعر .

دواعيها – ومن دواعي الخطابة في الجاهلية :

١ – انتشار الأميّة .

٢ – ازدهار الحرّية والاستقلال القبلي والحروب ، فقد كانت القبيلة تفتخر بخطبائها كما كانت تزهى بشعرائها .

٣ – غلبة الفصاحة والبلاغة عليهم .

٤ – تفرّقهم الى قبائل وعشائر متقاتلة او متحالفة .

٥ – شنّ الغارات لأتفه الأسباب مما كانت تمسُّ الحاجة معه الى الخطيب الذي يرّغب في الحرب .

٦ – الدعوة الى السلم واصلاح ذات البين بين القبائل المتعادية .

٧ – المفاخرة والمنافرة ، وهو أن يفخر رجل على آخر ، او قبيلة على أخرى فتتنافرا الى حكمَ يحكم بينهما .

٨ – الوفود : فقد كانت وفود القبائل تفد على الملوك والأمراء كالمناذرة والغساسنة الذين كثرت الوفود عليهم إمّا لاشعال نيران حرب ، او دعوة الى السلم ، او طمع في الأموال والعطايا فكثرت بذلك الخطب بين أيديهم .

٩ – النصح والإرشاد والدعوة الى عمل الخير ، كما كان يقع في الاسواق الادبية كسوق عكاظ مثلاً .

اسلوبها – اما أسلوب الخطابة الجاهلية فقد امتاز :

١ – بغلبة السجع عليه ، كما سنجد في خطبة قُسّ بن ساعدة التي سندرسها .

٢ – جزالة الألفاظ والتراكيب .

٣ – بساطة الأفكار لسذاجة العقلية العربية في ذلك العصر .

٤ – الإيجاز في التعبير ، فالفقرات قصيرة في الغالب وهي مع ذلك وافية بالغرض .

٥ – قلـّة العناية بتزويق الكلام وتهذيبه وتجميله بالزخارف اللفظية .

٦ – ضعف الترابط بين الجمل وعدم مراعاة التسلسل المنطقي في الأفكار مما لا تقوى عليه العقلية البدوية .

منزلة الخطيب – اما منزلة الخطيب فكانت دون منزلة الشاعر عندما كان هذا لا يمدح متكسّباً ، فلما ظهرت طبقة من الشعراء تتكسب بشعرها رجحت منزلة الخطيب الجاهلي على منزلة الشاعر الجاهلي . ومن اشهر الخطباء الجاهليين :

قَيْسُ بن خارجة بن سِنان ، خطيب حرب داحس والغبراء[1] .

خُوَيْلد بن عمرو الغطفاني خطيب يوم الفجار[2] .

قس بن ساعدة الإيادي خطيب سوق عكاظ[3] .

٤ – اكثم بن صيفي وهو زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى .

٥ – هاشم بن عبد مناف الذي كان يحثّ قريشاً على اكرام زوار بيت الله الحرام . وغيرهم كثيرون .

واليك نموذجاً من الخطابة الجاهلية ، وهو خطبة لقس بن ساعدة الأيادي يروى ان الرسول سمعها منه قبل البعثة واستحسنها .

التعريف بالخطيب – قُسُّ بن ساعدة الأيادي: هو خطيب العرب قاطبة، كان يضرب به المثل في البلاغة والحكمة . وكان يؤمن بوحدانية الله والبعث ،

---

١ – داحس والغبراء : حرب ضروس نشبت بين عبس وفزارة ثم بين عبس وذبيان وانتهت في ايام الشاعر زهير .

٢ – يوم الفجار : حرب كانت بين قريش وهوازن ، حضرها النبي (صلعم) وكان صبياً لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره واشترك فيها مع اعمامه .

٣ – قس بن ساعدة الإيادي خطيب الجاهلية وستأتي ترجمته .

ويدعو قبيلته، إيادَ خاصة، والعرب عامة الى ترك عبادة الأوثان ويهديهم الى عبادة الله . ويقال إن الرسول صلى الله عليه وسلم سمعه قبل البعثة يخطب في سوق عكاظ فاعجب بكلامه واثنى عليه . ويذكر بعض المؤرخين انـه كان نصرانياً .

ولقد نسب اليه انه أول من وقف من الخطباء على مكان مرتفع ، وانه اول من اتكأ على السيف والعصا ، وانه اول من قال في خطبته : (أما بعد) . وعاش قس بن ساعدة الايادي عمراً طويـــلاً حتى توفي قبيل البعثة . وكان بمثابة الزعيم الديني والناصح الحكيم والمرشد الأمين لقبيلة إياد .

نَصُّ الخطبة

أيُّها النـّاسُ ! إجتمِعوا ثم اسمعُوا وعُوا[١] . مَنْ عاشَ مـــاتَ ، ومن ماتَ فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت . آياتٌ مُحْكَمَات[٢] ، مَطَرٌ ونبـات ، وآباءٌ وأمَّهات ، وذاهبٌ وآتٍ ، ونجومٌ تمور[٣] وبحورٌ لا تغُور[٤] وسقفٌ مرفوعٌ ، ومِهادٌ[٥] موضوع ، وليلٌ داجٍ[٦] ، ونهارٌ ساجٍ[٧] ، وسَمـاءٌ ذات أبراج[٨] ، وجبالٌ مُرساة ، وأرضٌ مُدحاة[٩] . وأنهار مجراة . إنَّ في السماء لخبراً[١٠] ، وإن في الأرض لعبراً . ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضُوا فأقاموا ؟ أم تُركوا فناموا ؟

يُقسِمُ قُسُّ باللهِ قَسَماً لا إثم فيه : إنَّ للهِ ديناً هو أرضَى لكُم وأفضلُ من دينـكم الذي أنتم عليه . إنكم لتأتون من الأمر منكراً[١١] .

---

(١) عوا : من فعل وعى يعي الكلام استوعبه وحفظه . (٢) الايات : العلامات ومحكمات اي متقنات (٣) تمور تتحرك وتتألق . (٤) لا تغور : لا تنشف، من غار الماء اي غاض او نشف(٥)مهاد : فراش او بساط (٦) داج : مظلم (٧) ساج : ساكن . (٨) الابراج : مجموعات من النجوم وعددها اثنـا عشر برجاً (٩) مدحاة : مبسوطة (١٠) اي ان في صنع السماء دليلاً على خالق عظيم وصانع قدير . (١١) اي انكم بعبادتكم للأوثان لتأتون منكراً من الأمر .

الشرح الأدبي والتحليل

غرض قس من خطبته هذه هو الوعظ والارشاد فهو يريد ان يعظ قومه بني اياد ويرشدهم ، وافكار الخطبة تدور حول هذا الغرض ، ولذلك وجّه نظر قومه الى مظاهر الطبيعة ، وما فيها من ليل ونهار ، وأرض وسماء ، وبحار وجبال ، كما وجه نظرهم الى سنن الطبيعة التي لا تتبدل ، والأقوام التي هلكت قبلهم ليتعظوا ويعتبروا ويوقنوا بأن مصيرهم مصيرُ من سبقهم من الأمم البائدة أمثال عاد وثمود وغيرهما .

وليس في افكار قس جدة او طرافة ولا عمق، وهي تدلنا دلالة واضحة على ما كانت عليه عقلية العرب في الجاهلية من سذاجة وبساطة . ولا شك ان ما حمل قساً على توجيه هذه الخطبة الى قومه هو ألمه لمسلكهم الضالّ في الحياة .

ونجد أن الالفاظ سهلة واضحة ، مع بعدنا عن العصر الذي قيلت فيه . كما نلاحظ قصر الفقرات ، وغلبة السجع على النص بأجمعه : مات ، فات ، آت ، تمور ، تغور .. الخ .

ولا بد ان لقس خطباً أخرى لم تصلنا وهي التي جعلت له منزلة الخطيب الممتاز في العصر الجاهلي .

ب ـ الأمثال

المثل قول موجز سائر قيل أولاً في حادثة معينة ، ثم أُطلق في الحوادث المماثلة لها دون تغيير في لفظه ، ولو كان فيه مخالفة لقواعد النحو واللغة . والأمثال خير من يصور لنا حياة الامة العقلية والاجتماعية، ولقد اشتهر العرب بضرب الامثال والحكم في جميع المناسبات ولذلك كانت أمثالهم من أغزر الامثال بالنسبة للأمم الأخرى .

وتختلف الامثال باختلاف حياة الامة الاجتماعية فالامم البحرية تختلف أمثالها عن حياة الامم الصحراوية ، كما تختلف الامثال باختلاف حظ الامم من الرقي والتقدم . ولقد اختلطت عند العرب الامثال الجاهلية بالاسلامية اختلاطاً كبيراً، فأحياناً يصعب التفريق بينها،واحياناً أخرى يسهل. وذلك تبعاً للحادثة التي قيل فيها المثل . واليك طائفة من هذه الأمثال :

١ ـ وكلُّ إناء بالذي فيه يَنْضَحُ .

يُضرب لمن نمَّ فعله عن خبث أصله .

٢ ـ كلُّ فتاةٍ بأبيها معجبةٌ .

يضرب لمن يفخر بقومه ويُعْجب بما يخصُّه .

٣ ـ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبى .

يضرب للأمر اذا جاوز الحد ولم يمكن احتماله .

---

١ ـ ينضح : يرشح .

٣ ـ الزبى : جمع زُبْية : الرابية المرتفعة التي لا يعلوها الماء ، والحفرة تحفر للأسد .

٤ ـ أَحَشَفاً وسوءَ كِيْلَةٍ .

يضرب لمن تتراكم عليه المصائب .

٥ ـ إياكِ أعني واسمعي يا جارة .

يضرب لمن يلوم انساناً ويقصد غيره .

٦ ـ أوَّلُ الشَّجَرِ النَّواةُ .

يضرب لتوّلد الأمور الكبيرة من التافهة .

٧ ـ عند الرِّهان تُعرَفُ السوابق .

يضرب للمغرور الذي يدعي ما ليس بمقدوره ان يفعله .

٨ ـ عَيْنُكَ عَبْرَى والفؤادُ في دَدٍ .

يضرب للمنافق الذي يظهر خلاف ما يبطن .

٩ ـ وافق شَنٌّ طبَقَة .

يضرب للموافقة في الامور .

١٠ ـ غمامُ أرضٍ جادَ آخرين .

يضرب لمن يعطي الغرباء ويتخلى عن أهله .

١١ ـ رُبَّ أخٍ لك لم تَلِدْه أمُّك .

يضرب للصديق المخلص الذي يكون في إخلاصه كأخيك .

١٢ ـ تَسْمَعُ بالمُعَيْدِيّ خيرٌ من ان تراه .

يضرب لمن خبره أفضل من رؤيته .

---

٤ ـ الحشف : اردأ انواع التمر .

٥ ـ اعني : أقصد .

٦ ـ النواة : بذرة التمر وبذرة كل ثمرة .

٨ ـ عين عبرى : عين دامعة . الدَّد : اللهو واللعب .

٩ ـ شن رجل عاقل صادف امرأة اسمها طبقة فاعجبته وتزوجها وكان يوافقها في كل امر سواء كانت على هدىً او ضلال ، فضرب بها المثل .

١٣ ـ اذا كنتَ في قومٍ فاحلُب في إنائهم .

يضرب لموافقة الجماعة .

١٤ ـ رُبَّ رَمْيَةٍ من غير رامٍ .

يضرب للرجل يخطىء كثيراً ويصيب احياناً .

١٥ ـ إنَّ البُغَاثَ بأرضنا يستنسر .

يضرب للضعيف الذي يصبح قوياً بعدما يضعف من هم حوله .

١٦ ـ كلامُكَ كالعَسَلِ وفعلك كالأسَل .

يضرب للمخادع الكاذب الذي تخالف أفعالُهُ اقوالَهُ .

١٧ ـ كُلُّ شاةٍ برِجلها معلّقة .

اي كلٌّ مسؤول عن عمله .

١٨ ـ يَدُك منكَ وإن كانت شلاّء .

يضرب لابن جلدتك الذي يلزمك امرُه في الخير والشر .

١٩ ـ جوّع كلبك يتبعك ، وسمّنه يأكلك .

يضرب فيما يجب معاملة اللئام به .

٢٠ ـ أنتَ تَئِقٌ وأنا مَئِقٌ فكيف نتّفِق .

يضرب للشخصين اللّذين يختلفان في أخلاقهما ولا يمكن ان يتفقا ابداً .

---

١٦ ـ الأسل : الرماح .

٢٠ ـ التئق : المتأني . والمئق : السريع الى البكاء ويقصد به هنا العجول المتهور في اعماله .

ج - قصص العرب وايامهم

وهي قصص وحكايات تروى فيها أخبارهم وحروبهم ومغامراتهم ؛ وقد ورد منها الشيء الكثير في أمهات كتب الأدب كالاغاني لأبي الفرج الاصفهاني، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والحيوان للجاحظ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه وغيرها . إلا ان أكثر القصص قد روي بألفاظ الرواة الذين كانوا يحتفظون بالمعنى وينسجون له الاسلوب بألفاظهم . وإليك نموذجاً من هذه القصص .

وافق شنّ طبقة (١)

« كان شَنٌ رجلاً من دهاةِ العرب وعقلائهم . وقال يوماً : واللهِ لأطوفنّ حتى أجد امرأةً مثلي أتزوجها . فبينا هو في بَعض مسيره إذ وافقه رجلٌ في الطريق فسأله شنّ : أين تريد ؟ فقال : موضعَ كذا - يريد القرية التي يقصدها شنّ - فوافقه ، حتى اذا أخذا في مسيرهما قال له شنّ : أتَحمِلُني أم أحملُك ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ، أنا راكب ، وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحملني ؟ فسكت عنه شنّ .

وسارا حتى اذا قربا من القرية اذا بزرع قد استَحْصَد[٢] ؛ فقال شنّ : أترى هذا الزرع أُكِلَ أم لا ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ، ترى نبتاً مستَحْصِداً فتقول : أُكِلَ أم لا ؟ فسكت عنه شنّ .

حتى اذا دخلا القرية لقيتهما جنازة[٣] . فقال شنّ : أترى صاحب هذا

---

١ - من مجمع الامثال للميداني : جزء ٢ ص ٢١١ .

١ - استحصد آن ان يحصد .

٢ - الميت المحمول على النعش .

النعش حياً أم ميتاً ؟ فقال له الرجل : ما رأيت أجهلَ منكَ ! ترى جنازة تسأل عنها ، أميِّت صاحبُها أم حي ؟

فسكت شنّ وأراد مفارقتَهُ ، فأبى الرجل ان يتركه حتى يصيرَ به الى منزله . فمضى معه . وكان للرجل بنت يقال لها طبقة ؛ فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها بمرافقته إياه ، وشكا اليها جهله ، وحدَّثها بحديثه . فقالت : يا أبتِ ، ما هذا بجاهل ! أما قوله : أتحملني أم أحملُك ؟ فأراد بذلك أتحدثني أم أحدِّثك حتى نقطع طريقنا . وأما قوله : أترى هذا الزرع أُكِلَ أم لا ؟ فأراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنَه أم لا ؟ وأما قوله في الجنازة ، فأراد هل تركَ الميّت عقباً يحْيا بهم ذكرُهُ أم لا ! فخرج الرَّجل الى شنّ فحادثه ساعة ، ثم قال : أتحبُّ ان أفسِّرَ لك ما سألتني عنه ؟ قال : نعم ، ففسره ، فقال شنّ : ما هذا من كلامك ، فأخبرْني مَن صاحبه ؟ قال : ابنةٌ لي .

فخَطَبَها اليه ، فزوَّجه إياها ، وحملها الى أهله ، فلما رأوها قالوا : وافق شنٌّ طبقة[1] .

مَيْزَةُ النَّثرِ الجاهليِّ وخَصَائِصُهُ

لم يصل الينا النثر الجاهلي ناضجاً مزدهراً كالشعر الجاهلي ، ولم يصل الينا من النثر إلا الشيء القليل بخلاف الشعر الذي وصلنا منه الشيء الكثير بالنسبة للنثر ، والسبب في ذلك سهولة حفظ الشعر بسبب الوزن ، وصعوبة حفظ النثر لعدم خضوعه للوزن . ولما كان الجاهليون أميين لا يعرف القراءة والكتابة منهم إلا القليل النادر ، كان حفظ النثر عليهم أصعب من حفظ الشعر .

---

١ ـ أضفنا هذه القصة إتماماً للفائدة ، ولذلك لم نشرحها شرحاً أدبياً .

وسواء كان النثر الجاهلي أمثالاً أم خطباً أم وصايا فانه يمتاز بسهولة افكاره وعدم عمقها أو تعقدها لأنها كانت مـــأخوذة من محيط الأعرابي المحدود ومن ثقافته السطحية البسيطة . إلا اننا نشاهد في النثر الجاهلي حكماً كثيرة هي خلاصة تجاربهم في الحياة ونتيجة اصطفائهم لتلك التجارب التي يعرضونهـا على الناس مفتخرين بها على انها مرآة صافية لعقولهم .

ويمتاز النثر الجاهلي بصدق العاطفة ، وقوة الدلالة على شخصية قائله ، وعدم التكلّف في التشبيه والتشخيص وما يماثلها ، والاكتفاء بمـــا جاء منهما عفو الخاطر ، وانها شديدة الصلة بالبيئة .

ويمتاز النثر الجاهلي ايضاً بعدم التكلّف في الاسلوب إلا ما كان في نثر الكهان والوعّاظ كقس بن ساعدة الايادي وغيره : وما نجده في سائر النثر الجاهلي من سجع بين فقراته وتوازن بين جمله فقد جاء عفوياً واقتضاه المعنى ولم يُقصد اليه قصداً ، ولم يقع فيه جور على الافكار والمعاني ابداً ، لذلك كان وقعه على النفس لطيفاً وحسناً .

وجمل النثر الجـــاهلي قصيرة مفككة لا يرتبط بعضها ببعض بالروابط المعروفة كحروف العطف او غيرها . ولذلك بامكاننا ان نقدم بعض الجمل في نص جاهلي ونؤخر غيرها دون ان يفسد المعنى العام للنص ، وسبب ذلك عدم ترابط الأفكار في ذهن قائل النص نفسه .

ويمتاز النثر الجاهلي ايضاً بإيجازه الشديد ، وقصر نصوصه حتى ان معظمها لا يتجاوز بضعة اسطر ، والسبب في ذلك انه من الصعب جداً حفظها لو كانت طويلة ، ولان معين أفكار الجاهلي قليل إذ أنه يعتمد فيه على محيطه المحدود وحياته البسيطة كما قدمنا .

أسئلة ومواضيع

١ – لقد جرى الجاهليون في نثرهم مع الطبع وان كثر فيه السجع ، وهو صورة صادقة عمّا فطرتهم عليه بداوتهم .

أوضح هذا القول بإيجاز واذكر أهم خصائص النثر الجـــاهلي ، وأورد ثلاثة أسطر مشكولة منه على الأقل .

٢ ـ قال أحدهم : « إن الأمثال الجاهلية تمثل الحيـــاة العقلية والاخلاقية عند الجاهليين أكثر من الشعر الجاهلي، لأن هذا مرآة لآراء الطبقة النيّرة وهم الشعراء ، أما الأمثال فهي مرآة لآراء الشعب بأجمعه .

أوضح هذا القول وناقشه وأيّد رأيك بطائفة صالحة من الأمثال الجاهلية

٣ ـ الأمثال الجاهلية تصور عقلية العربي وأخلاقه . أوضح .

مصادر

١ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي — لشوقي ضيف .
٢ ـ أيام العرب في الجاهلية — لجاد المولى وجماعته .
٣ ـ جمهرة خطب العرب — لأحمد زكي صفوت .
٤ ـ مجمع الأمثال — للميداني .
٥ ـ الادب العربي وتاريخه — لمحمد هاشم عطية .
٦ ـ أدباء العرب — للبستاني .
٧ ـ الخطابة عند العرب — لمحمد الخضر الحسين .
٨ ـ المفصل في الادب العربي — للاسكندري وجماعته .

من الشعراء المخضرمين

١ ـ الخنساء

هي السيدة تُماضِرُ بنت عمرو بن الشَّريد السُّلميّة ، والخنساء (أي الظبية) لقب لقبت به لجمال في عينيها .

ولدت الخنساء عام ٥٧٥ م. وكانت في شبابها بارعة الجمال ، شاعرة بقوة شخصيتها ، خطبها كثيرون من أشراف العرب وفرسانهم ، ومنهم دريد بن الصِّمة ، الشاعر الفارس المشهور ، وكان شيخاً فردّته ، فهجاها فقيل لها : ألا تجيبينه يا خناس ؟ فقالت : « لا أجمع عليه أن أردّه وان أهجوه » .

وتزوجت من شباب قومها مرتين او ثلاثاً ، وكان لها اربعة اولاد وبنت واحدة وأخوان : شقيقها معاوية ، وأخوها لابيها صخر . وكانت تحبها حباً جماً ولا سيما صخراً . ولما قتل معاوية جزعت عليه ، فلما قتل صخر جزعت جزعاً شديداً وبكته بكاءً مراً ، وظلت على ذلك حتى وافاها أجلها . وكانت تحب صخراً لما امتاز به من الكرم والشجاعة والوفاء والعطف عليها ، فقد شاطرها ماله مراراً لأن زوجها كان مبذراً متلافاً . وكانت كلما جاءت الى أخيها صخر شاطرها ماله وخيّرها في اختيار أحسن الشطرين ، ولما لامته زوجته مرة على ذلك ، قال :

تاللهِ لا أمنحُها شرارها   فهي حَصَانٌ قد كفتني عارها

وإنْ هلكتُ مَزّقت خِمارَها   واتخذتْ من شَعَرٍ صدارها

فلما قتل صخر لبست عليه الحداد واتخذت لنفسها صداراً من الشعر ، وآلت على نفسها ألا تنزعه حتى الموت .

ولما جاء الاسلام وفدت على الرسول صلى الله عليه وسلم ، في وفد من قومها بني سُلَيْم وأسلمت معهم ، ولكنها ما كانت لتنسى أخويها ، وظلت تبكي عليهما وتلبس الحداد رغم ان الاسلام نهى عن ذلك . ولما قيل لها مرة : لِمَ تبكين أخويك وهما في النار ؟ قالت: « ذاك أطول لحزني فانني كنت أبكي لهما من الثأر ، وأنا اليوم أبكي لهما من النار . »

ولما وقعت حرب القادسية أشركت أولادها الاربعة فيها وأوصتهم حين خروجهم الى القتال بوصية مؤثرة فاستشهدوا جميعاً ، ولما بلغها خبرهم قالت : « الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم ، واني لأرجو من ربي ان يجمعني معهم في مستقرّ رحمته » . وماتت في خلافة معاوية بعدما عمرت طويلاً .

وتعد الخنساء أشعر النساء وأرثاهن وأحزنهن على فقيد . ولشعرها وقع أليم في النفس لانه صادر عن فؤاد محزون ، وقلب مفجوع ، وفوق ذلك فهو سهل الاسلوب ، حسن الديباجة ، له نغمة موسيقية مؤثرة وبذلك فاقت الكثيرين من فحول الشعراء .

لها ديوان مطبوع عدة طبعات وكله في رثاء أخويها ولا سيما صخراً ، وأكثره من نظمها في الجاهلية .

قالت ترثي أخاها صخراً :

١ يُؤَرِّقُني التَّذَكُّرُ حين أُمسِي فأُصبِحُ قد بُلِيتُ بِفَرْطِ نُكْسِ

٢ على صخرٍ وأيُّ فتىً كصخرٍ ليوم كريهةٍ وطِعَانِ خَلْسِ ؟!

---

١ ــ الفرط : الافراط والزيادة . النكس : عودة المرض بعد نقاهة .

٢ ــ الكريهة : الحرب الشديدة، وفي الأصل الشدة المكروهة من كل شيء. الطعان الخلس كطعان المخالسة : الطعان السريع الخاطف .

٣ وضيفٍ طارقٍ أو مستجيرٍ ... يُروَّعُ قلبُه من كلِّ جَرْسِ

٤ يذكّرني طلوعُ الشمسِ صخراً ... وأذكرُه لكلِّ غروبِ شمسِ

٥ ولولا كثرةُ الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلتُ نفسي

٦ وما يبكين مثلَ أخي ولكن ... أُسلّي النفسَ عنه بالتأسّي

٧ فقد ودّعتُ يومَ فراقِ صخرٍ ... أبي حسّانَ لذّاتي وأُنسي

٨ فيا لهفي عليه ولهفَ أمي ... أيصبحُ في الضريحِ وفيه يُمسي؟!

٩ فلا واللهِ لا أنساه حتى ... أُفارقَ مُهجتي ويُشقَّ رمسي

---

٣ ـ الطارق: الضيف الذي يطرق الباب ليلاً. الجرس: الصوت الخفي. ومعنى البيتين (٢و٣): أنها تبكي على أخيها صخر الذي لم يكن له مثيل في الشجاعة وإجادة القتال السريع، وفي إكرامه للضيف، وإجارته الخائف الذي يرتعد لسماع أضعف الاصوات.

٤ ـ يذكرها طلوع الشمس أخاها لانه كان ينطلق فيه الى الغزو، ويذكرها غروب الشمس أخاها لانه كان يعود فيه بالغنائم.

٦ ـ التأسي: التعزي والتصبر. والمعنى: ان النساء الباكيات لا يبكين رجالاً يساوون أخي في صفاته الكريمة، ولكني أعزي نفسي بأني لست الوحيدة التي فقدت عزيزاً لها، وهذا ما يخفف من حزني.

٧ ـ أبي: بدل من صخر. وأبو حسان كنية له.

٨ ـ اللهف: الحسرة.

الشرح الادبي والتحليل

هذه الأبيات في رثاء أخيها صخر الذي كان يعطف عليها كثيراً في حياته ، لذلك أحبته حباً ملك عليها فؤادها ، وطغى على حبها لأخيها الشقيق معاوية ولزوجها وأولادها وللناس جميعاً ، وهذه الأبيات ليست إلا صورة صادقة عن شعرها في أخيها صخر ، وانت تلمس حين تقرأها او حين تقرأ سائر شعرها صدق العاطفة عندها ، وعمق الحزن وشدة اللوعة التي حرقت قلبها ومزقته حزناً على صخر فكانت حياتها كلها دموعاً وبكاء قطع كبدها وقرّح مآقيها . وهكذا ظلت تبكيه كل حياتها حتى شاخت وعميت عيناها من الحزن والبكاء عليه .

ولا يسعك وانت تقرأ هذه الأبيات إلا ان تأخذك الشفقة على الخنساء فتحزن لحزنها وتبكي لبكائها لانها تتذكر أخاها في المساء فلا تستطيع النوم ، واذا جاء الصباح جاء معه الحزن والبكاء ، فهي شقية دائماً وابداً . وكيف لا تكون شقية وقد مات أخوها الذي كان يرجى للحروب ، ولإكرام الضيوف ، ولإجارة الملهوف والخائفين . وهذه الصفات تحمل الخنساء على الاعجاب به والبكاء عليه فكيف لا تبكيه أخته وهو رئيس الجماعة وفارسها ؟

وإذا أرسلت الشمس أشعتها صباحاً ذكرتها به ، وإذا غربت مساء ذكرتها به ، وكل ما في الكون يذكرها به ، لذلك فهي دائمة الحزن والبكاء عليه ولا ترى معنى للحياة بعده فتفكر في الانتحار لانه الوسيلة الوحيدة التي تخلصها من آلامها واحزانها ولكنها تعدل عن ذلك لانها ترى حولها نساء كثيرات يبكين رجالاً أعزاء عليهن . وهذا ما يخفف عنها شيئاً من اللوعة والحزن ؛ إلا أن هؤلاء النسوة لا يبكين رجالاً مثل صخر في شجاعته وكرمه وجماله وسيادته ، ومع ذلك فإن لها في ذلك بعض العزاء والصبر . ولكنها لن تنسى أخاها . وكيف تنسى أبا حسان الذي أصبح في الضريح وفارقها الى الأبد ؟ فلتودع لذاتها وأنسها حزناً عليه حتى يطويها القبر كما طواه . ٧

هذه الابيات كسائر شعرها سهلة الاسلوب ، قليلة الغريب ، عذبة ، رقيقة ،

ليس فيها تكلف ولا صنعة . وما هي إلا دموع تنحدر من العين وآهات تنبعث من الصدر ، وصور باكية كصور النساء يبكين ، واللحد يشق، والروح تفارق الجسد وتتركه جثة هامدة . وهي صور واقعية تبعث على الحزن والألم العميقين.

وفي الابيات ظاهرة واضحة ، هي كثرة ترداد اسم صخر وذلك من شدة اللوعة ، وصدق العاطفة وقوتها ، ومن أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره .

أسئلة ومواضيع

١ ـ قال أحدهم في شعر الخنساء : « ما هي إلا قمرية على الغصون تبكي لفقد أليفها ، فاذا شجاك نواح القماري فشعر الخنساء لا بد ان يشجوك ، فهو ذوب العاطفة المتألمة ، والنفس الدامية ، والوفاء الاخوي الثاكل » .

أوضح هذا القول مؤيداً قولك بنماذج من شعرها في رثاء أخويها .

٢ ـ كانت الخنساء تستهل قصائدها بخطاب عينيها ، واذا قرَّح البكاء عينيها خاطبت نفسها على سبيل التشكك او تجاهل العارف . واذا انتهت من خطاب عينيها والتلهُّف على أخيها راحت تعدد شمائله فلم تترك مكرمة إلا جعلتها فيه .

فهل تستطيع بيان ذلك مستنداً الى ما عرفته من شعرها في الرثاء ؟

٣ ـ رأيت المهلهل يرثي أخاه ، ورأيت الخنساء ترثي أخاها .

قارن بين رثاء الخنساء والمهلهل من ناحية العواطف والافكار والاسلوب واستشهد على ذلك من شعر الاثنين .

مصادر

١ ـ أدباء العرب — للبستاني
٢ ـ الجديد في الأدب العربي وتاريخه — لحنا الفاخوري
٣ ـ ديوان الخنساء — طبع المطبعة الكاثوليكية في بيروت
٤ ـ الخنساء — لفؤاد افرام البستاني
٥ ـ الرثاء — لشوقي ضيف
٦ ـ المفصل في تاريخ الادب العربي — للاسكندري وجماعته
٧ ـ شاعرات العرب — لبشير يموت

٢ - الحُطَيْئَةُ

هو جَرْوَل بن أَوْس بن مالك من قبيلة عبس المضرية ، والحطيئة لقب لُقِّب به لقِصَره وقربه من الارض ، وكنيته أبو مُليكة نسبة الى احدى بناته .

والحطيئة شاعر مخضرم كالخنساء ، ولد قبل الاسلام بعشرين سنة ، وكان مطعوناً في نسبه لأن أمه أَمَة ومات أبوه ولم يعترف به ، فكان ينتسب الى عبس مَرَّة والى بني ذُهْل مَرَّة أخرى ، وكان لهذا أثر كبير في نقمته على الناس .

كان تلميذاً لزهير بن أبي سلمى وراوية له فتأثر بأسلوبه في الشعر وحذا حذوه في تهذيب قصائده . ولقد أدرك الاسلام وأسلم ، ولكن تأثير الدين في نفسه كان ضئيلاً ولذلك ارتد مع المرتدين بعد وفاة الرسول ، إلا انه لم يجهر بكفره خوفاً من العقاب ، ثم عاد الى الاسلام ، ولذلك كان الناس يشكّون في عقيدته .

وكان الحطيئة أكثر شعراء الجاهلية هجاءً إلا ان هجاءه كان بعيداً عن الفحش والإقذاع فقد هجا الزبرقان بن بدر ، وكان عمر قد منع الهجاء اتقاء للفتنة بين القبائل ، والسبب في ذلك ان الزبرقان وعده بإكرامه وعطائه وأرسله الى اهله إلا ان هؤلاء أساءوا معاملته في غيبة الزبرقان لمّا قدم على عمر في سنة مُجْدبَة ليؤدي صدقات قومه . فتركهم الحطيئة وذهب الى خصومهم بني شمّاس من بني انف الناقة فمدحهم وهجا اولئك ، ورمى الزبرقان بالبخل

وضعف الهمة والقعود عن طلب المعـــالي وفضّل عليه أعداءه من آل شماس، فعاقبه عمر على ذلك بالسجن . ولم يزل الحطيئة يستعطفه بشعره ويمدحه حتى رقّ له وأطلق سراحه واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثـــة آلاف درهم واشترط عليه ألا يهجو بعدها احداً من الناس . وظلّ كذلك حتى توفي عمر فعاد الى الهجاء لان مورد رزقه عليه، إذ انه كان يتنقل بين القبائل فمن أكرمه مدحه ومن لم يكرمه هجاه .

وكان طمّاعاً يسأل ويُلحف في السؤال، وقد وُصف بالدناءة وخِسّة النفس وبأنه نزّاع الى الشر قليل الخير؛ ويظهر ان الدافع له الى كل ذلك كان غضبه على الناس ونقمته عليهم لأنه كان مدفوع النسب . ووصف بالبخل الشديد حتى انه كان يطرد ضيوفه ويسيء لفقره الشديد وانه كان لا يحصل على المال إلا بشق الأنفس سبب في ذلك . ومع كل هـــذا فقد كان شديد الحب لاسرته وكانت عاطفته الابوية قوية جداً كما تظهر من أبياته التي استعطف بها عمر حين سجنه .

ومات في خلافة معاوية سنة ٥٩ للهجرة عن عمر ناهز الثمانين وله ديوان من الشعر اكثره في الهجاء والمدح وفيه الفخر والغزل ، وشعره كثير مدسوس عليه . وله شعر اختلطت فيه الروح الجاهلية بالروح الاسلامية ، والسبب في ذلك ان ايمانه لم يكن قوياً وإنْ أثّـر الاسلام في الفاظه ومعانيه الا انه لم يؤثر في قلبه . والسبب في ذلك انه كان يحب الحياة البدوية الجاهلية التي لا تخضع لسلطـــة او نظام بعكس الحياة الاسلامية التي تخضع لسلطـــة الدين ونظام الاسلام .

قال يهجو الزبرقان وقومه ويمدح بغيضاً وقومه آل شمّاس :

١ ما كانَ ذَنْبُ بغيض ، لا أبا لكُمُ
في بائسٍ جـــاءَ يحدو آخر الناس

---

١ - يحدو : يسوق ابله رافعاً صوته بالحداء وهو الغناء للابـل . ويعني بالبائس نفسه .

٢ لقد مَرَيْتُكُمُ لو أنَّ دِرَّتَكُمْ
يوماً يجيءُ بها مَسْحي وإِبساسي

٣ فما ملكتُ بأنْ كانتْ نفوسُكُمُ
كفاركٍ كرهتْ ثوبي وإِلباسي

٤ لّما بدا ليَ منكُمْ غيبُ أنفُسكُمْ
ولم يكنْ لجراحي منكُمُ آسِ

٥ أزمعْتُ يأساً مُبيناً من نوالِكُمُ
ولنْ ترى طارداً للحُرِّ كالياسِ

٦ جارٌ لقومٍ أطالوا هونَ منزلهِ
وغادروهُ مُقيماً بينَ أرماسِ

---

٢ مريتكم : طلبت ما عندكم من خير ، وأصله من مَرى ضرع الناقة

يقال : لله درّه اي لله مـــا خرج منه من خير

٤ ـ غيب أنفسكم : اي اخلاق انفسكم التي

الآسي : المداوي والطبيب

٥ ـ أزمعت : صممت . الياس اصلها اليأس ، خففت همزتها

٦ ـ الجار ، هنا : الضيف المستجير اللائذ . الهون : المذلة . الأرماس

٧ مَلوا قِراه وهَرَّتْهُ كِـلابُهمُ
وجَرَّحوهُ بأنيابٍ وأضْراسِ

٨ دَعِ المكارمَ لا تَرْحَلْ لبُغْيَتِها
واقْعُدْ فإنَّكَ أنتَ الطَّاعِمُ الكاسي

٩ سِيري أُمامُ فإنَّ الأكثرينَ حَصًى
والأَكرَمينَ أباً مِنْ آلِ شَمَّاسِ

١٠ مَنْ يَفْعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازِيَهُ
لا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ والنَّاسِ

وقال يستعطف عمر بن الخطاب ويمدحه حين سجنه :

القبور جمع رَمْس اي تركوه كالميت بين اموات القبور وكأنه جعلهم كالأموات لانهم لم يكرموه .

٧ ـ القِرَى : إكرام الضيف او الضيافة مطلقاً. هَرَّته : نبحته . جرَّحوه : اكثروا من جرحه (مبالغة جَرَح) .

٨ ـ دَعِ المكارم : اي اقطع الامـل من نيلها . والطاعم هـنا بمعنى المُطْعَم وكذلك الكاسي بمعنى المكسُوّ وكلاهما اسم فاعل بمعنى اسم المفعول. والمعنى : اقعد عن طلب المعالي فلست اهلاً لها وحسبك ان تأكل وتلبس فقط .

٩ ـ أمامُ : ترخيم أمامَة وهي زوجته . الحَصَى : العدد . الاكرمين أبا : اي الذين هم اكرم الناس اباً .

١٠ ـ الجوازي : جمع جازية اي المكافأة . العرف : المعروف ، ويعد هذا البيت من أصدق الأبيات التي قيلت في الاسلام ويظهر فيه اثر استاذه زهير ابن ابي سلمى واضحاً .

١ ماذا تَقُولُ لأفراخٍ بِذِي مَرَخٍ
زُغْبِ الحَوَاصِل ، لا ماءٌ ولا شَجَرُ
٢ أَلقَيْتَ كاسِبَهم في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ
فَاغْفِرْ ، عليكَ سلامُ اللهِ يا عُمَرُ
٣ أنت الامينُ الذي من بعد صاحِبِه
أَلقى إِليكَ مَقاليدَ النُّهى البَشَرُ
٤ لم يُؤثِرُوكَ بها ، إذْ قَدَّمُوكَ لها
لِكنْ لأَنْفُسِهم كانت بكَ الأَثَرُ
٥ فامنُنْ عَلى صِبْيَةٍ بالرَّمْلِ مسكَنُهم
بينَ الاَباطِحِ ، تغْشاهم بها القِرَرُ

---

١ ـ الأفراخ : صغار الطيور ، شبه اولاده الصغار بصغار الطيور . ذو مَرَخ : واد بالحجاز . زغب : جمع ازغب : القصير الريش . والحواصل : جمع حوصلة وهي معدة الطائر .

٢ ـ الكاسب : الذي يكسب لهم القوت . المظلمة : اراد بها البئر التي سجنه عمر فيها . فاغفر : يقصد به الدعاء ، والاستعطاف .

٣ ـ صاحبه : اراد به أبا بكر . المقاليد: جمع مِقلاد . مفتاح النُهى: جمع نُهية وهو العقل او غاية الأمر الذي ينتهي اليها .

٤ ـ لم يؤثروك : لم يفضلوك ويكرموك . بها : يعني الخلافة . الاثر : جمع أَثْرة : المكرمة .

٥ ـ الرَّمل : اسم موضع كانت تسكن فيه عائلة الشاعر . الاباطح : جمع

٦ أهلي فِداؤكَ ، كم بيني وبينَهُمُ   من عرضِ داويّةٍ تعمى بها الخُبَرُ

الشرح الأدبي والتحليل

يهجو الحطيئة في الأبيات الأولى الزبرقان بن بدر وقومه لأنهم قصّروا في ضيافته ، ويمدح بغيضاً وقومه آل شماس لأنهم استطاعوا ان يستجلبوه اليهم ويبالغوا في اكرامه وحسن ضيافته نكاية بالزبرقان وقومه . والحطيئة يبرر عمله هذا وعمل بغيض وقومه بعدما جرّب آل الزبرقان فلم يجد عندهم حسن وفاء ، ثم وجد بغيضاً وميلاً لا فتوراً فعند ذلك صمم على تركهم الى آل شماس ، وليس عليه لوم في ذلك . ثم يخاطب الزبرقان في البيت الاخير المشهور الذي جرده فيه من علو النفس وطلب المعالي وجعله شخصاً عادياً لم يخلق الا للأكل واللباس فقط كغيره من الناس العاديين الخالين من كل موهبة . وهذا اصعب شيء على العربي اذا كان سيداً في قومه . وفي الابيات الثانية يستعطف الخليفة عمر بن الخطاب ويمدحه ليخلي سبيله من سجنه بعدما هجا الزبرقان في ابياته السابقة ثم اطلق سراحه واشترى منه اعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم على الا يهجو بعد ذلك احداً . الا انه عاد الى هجاء الناس بعد موت عمر لانه كان يعتبر الهجاء والمدح بابين من ابواب الرزق . وهو يعطينا في هذه الابيات صوراً واقعية جميلة وذلك في تشبيه اولاده بالطيور الصغيرة التي لم ينبت ريشها بعد ، وهي في اشد الحاجة الى من يكسب لها قوتها . ثم يصور لنا كيف انه القى بكاسبها في بئر

أبطح ، مسيل للماء فيه حصى . القر : جمع قرة اي البرد الشديد .

٦ ـ الداوية : الفلاة الواسعة . تعمى : تضل . الخبر : جمع خبير وهو الذي يعرف المسالك والطرق في الصحاري والفلوات .

مظلمة وقطع عن تلك الصغار اسباب العيش والقوت . ثم مدحه بانه الأمين الذي القى الناس مقاليد امورهم اليه بعد صاحبه ابي بكر ، وان الناس في مبايعته بالخلافة لم يفضلوه هو ولم ينظروا الى مصلحته ، انمـــا فضلوا انفسهم ونظروا الى مصلحتهم وحدهم فقط .

مصادر

١ ـ الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني ، الجزء الثاني من طبعة دار الكتب بمصر .

٢ ـ خزانة الأدب للبغدادي .

٣ ـ ديوان الحطيئة شرح السكري .

٤ ـ ادباء العرب للبستاني .

٥ ـ الحطيئة لفؤاد افرام البستاني .

٦ ـ الحطيئة شاعر من عبقر لعبدالله انيس الطباع .

٧ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة .

٨ ـ طبقات الشعراء لابن سلام .

٩ ـ فن الهجاء لايليا حاوي .

أسئلة ومواضيع

١ ـ قال أبو عبيدة : « كان الحطيئة متين الشعر ، شرود القافية ، وكان دنيء النفس ، وما تشاء ان تطعن في شعر شاعر الا وجدت فيه مطعناً ، وما أقل ما تجد ذلك في شعره » .

أوضح هذا القول وناقشه معتمداً على نماذج من شعر الشاعر .

٢ ـ كان الحطيئة من « عبيد الشعر » . فما هو المقصود بهذا القول ، وماذا تعرف عن هذه الطائفة من الشعراء ؟

٣ ـ هل ترى أن الشعر جهد وصنعة أم انه طبع واسترسال مع الطبيعة الشعرية ومجافاة للجهد والتكلف ؟

أوضح هذين المذهبين مستشهداً بطائفة صالحة من كل منهما وقارن ذلك بشعر الحطيئة .

٣ - كَعْبُ بنُ زُهَيْر

هو كعب بن زهير بن أبي سُلْمى شاعر مخضرم ، نشأ في بيت كل أفراده شعراء ، فأبوه زهير فحل من فحول الشعراء الجاهليين كما لا يخفى على أحد ، وأخوه بجير وأخته سلمى شاعران ، وخال أبيه بَشامة بن الغدير شاعر فشبَّ كعب شاعراً رقيقاً؛ ولما انتشر الاسلام وأخذ الناس يدخلون فيه أفواجاً سبقه إليه أخوه بُجَيْر فغضب لذلك كعب وقاطع أخاه كما كان يفعل الجاهليون الذين كانوا يقاطعون إخوتهم وأقاربهم اذا أسلموا ، وأرسل الى أخيه أبياتاً يلومه فيها على اسلامه ويهجو الرسول . ولما بلغ ذلك رسول الله (صلعم) أهدر دمه فما كان من أخيه إلا ان أخبره بأن الرسول قد أهدر دمه واذا أراد النجاة فما عليه إلا ان يأتي الرسول مسلماً مستأمناً فانه لا يقتل أحداً جاءه تائباً. ولما أخذ كعب كتاب أخيه ضاقت به الارض ولم يجد له مخلصاً ولا مخرجاً فقدم المدينة متنكراً واستجار بأبي بكر الصديق (رضي) فجاء به الى الرسول وهو وهو متلثم بعمامته وقال : يا رسول الله هذا رجل جاء يبايعك على الاسلام، ثم حسر كعب عن وجهه وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هذا مكان العائذ بك . أنا كعب بن زهير جئت تائباً مسلماً فأمّنه الرسول .

وعند ذلك أنشده قصيدته التي مطلعها :

بَانَتْ سُعَادُ فقلبي اليومَ متبُولُ
مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

وكان لهذه القصيدة المشهورة الأثر الكبير في نفس الرسول الكريمة ، فعفا عنه ، وخلع عليه بردته ، واليك جزءاً منها :

١ وقَالَ كلُّ خليلٍ كنتُ آمُلُهُ
لا أُلهِيَنَّكَ إِنِي عَنْكَ مَشْغُولُ

٢ فَقُلْتُ خَلُّوا سبيلِي لا أبا لَكُمُ
فكلُّ ما قَدَّرَ الرَّحمنُ مَفْعُولُ

٣ كلُّ ابنِ أُنْثَى وإِن طالت سلامتُه
يوماً على آلةٍ حَدْباءَ مَحْمُولُ

٤ نُبِّئْتُ أنَّ رسول اللهِ أوعدني
والعفْو عند رسول اللهِ مأمولُ

---

١ ـ آمله : أرجو مساعدته . لا ألهينك : أي لا أشغلنك عما أنت فيه من الخوف والجزع . والمعنى: لا أشغلنَّك عما انت فيه من حالتك حين بلغك وعيد رسول الله فافعل ما ترى .

٢ ـ خلّوا سبيلي : دعوني أمضي في سبيلي لاجئاً الى رسول الله . لا أباً لكم : تعبير يقال في المدح والذم ولكنه وضع في الاصل للذم ومعناه : لا أباً حرّاً لكم .

٣ ـ الآلة الحدباء : النعش الذي يُنقل عليه الميِّت الى المقبرة .

٤ ـ أوعدني : هدّدني . مأمول : متوقع .

٥ مَهْلاً ، هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ ال

قُرآن فيها مَواعِيظٌ ، وتَفْصِيلُ

٦ لا تَأْخُذَنّي بأقوالِ الوُشاة ، ولم

أُذْنبْ ، وإنْ كثُرَتْ فيَّ الأقاويلُ

٧ لَقَدْ أقومُ مَقَاماً لو يَقُومُ به

أرَى وأسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الفِيلُ

٨ لَظَلَّ يَرْعُدُ ، إلاَّ أنْ يكونَ له

من الرَّسولِ ، بإذن اللهِ ، تَنْوِيلُ

---

٥ ـ نافلة القرآن عطية القرآن التفصيل التوضيح في الكلام

٦ ـ الوشاة جمع واشٍ وهو الذي يسعى للوقيعة بين الناس لا تؤخذني بأقوال الوشاة : لا تعاقبني بسبب أقوال الوشاة فانهم لا يريدون بي إلا شراً

٧ ـ فاعل يقوم هو الفيل وقد حذف لانه يفسره المذكور في آخر البيت. والمعنى ركبتُ مركباً صعباً رأيتُ فيه وسمعت ما لو رآه الفيل وسمعه لظل يرتعد خوفاً وفزعاً ولقد ضرب المثل بالفيل للتهويل لأن الفيل أضخم الحيوانات التي عرفها العرب وأشدها قوة وكانوا يروون عنه الأساطير الكثيرة حتى ظن بعضهم ان الفيّال ـ يجب أن يكون من أضخم الرجال جثة ومن أشدهم قوة لأن الفيل من أعظم الحيوانات. (ومعنى يقوم به : يكون فيه).

٨ ـ يرعُد تعتريه الرِعدة وهي الهزة والاضطراب من الخوف والتنويل العطاء وأراد به هنا التأمين والعفو، والمعنى : لو ان الفيل قام هذا المقام فسمع ورأى ما سمعت انا وما رأيت لأخذته الرعدة من الهول والخوف رغم ضخامة جسمه

٩ ما زِلْتُ أَقْتَطِعُ ٱلبيْداءَ ، مُدَّرِعاً
جُنْحَ الظَّلامِ ، وثوبُ الليلِ مسبولُ

١٠ حتَّى وَضَعْتُ يميني ، لا انازِعها ،
في كَفِّ ذي نَقَماتٍ قيلُهُ القيلُ

١١ إنّ ٱلرَّسولَ لَنُورٌ يُسْتَضاءُ به
مُهَنَّدٌ من سُيوفِ اللهِ مَسْلولُ

١٢ في عُصْبَةٍ من قُرَيْشٍ قالَ قائِلُهُم
بِبطنِ مَكَّةَ ، لَمّا أسْلَموا : « زُولوا ! »

١٣ زالوا ؛ فما زالَ أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ،
عندَ ٱللِّقاءِ ، ولا مِيلٌ مَعازيـــلُ

---

٩ ـ البيداء : الفلاة المقفرة . مُدَّرِعاً : متخذاً الظلام كالدرع والوقاية لتخفيني عن أعين الناس . مسبول : منتشر .

١٠ ـ وضعت يميني : يريد صافحت الرسول مسلماً مستأمناً . قيله القيل : قوله الحق الفصل . والمعنى : لا زلت مضطرباً في ذلك الموقف الذي أشرت اليه حتى وضعت يدي في يد الرسول .

١١ ـ يستضاء به : يهتدى به . مهند : سيف منسوب الى الهند ، وكانت السيوف الهندية أحسن السيوف عند العرب .

١٢ ـ العصبة : الجماعة . قائلهم : يعني عمر بن الخطاب . زولوا : أمر من زال يزول أي تحولوا . والمراد بذلك الهجرة من مكة الى المدينة حين هاجر المسلمون خفية وهاجر عمر جهرة .

١٣ ـ انكاس : جمع نِكْس وهو الضعيف والجبان . كُشُف : جمع

١٤ شُمُّ العرانينِ أبطـالٌ لَبُوسُهُمُ
من نسْجِ داودَ ، في الهيجا ، سرابيلُ
١٥ لا يفرحون إِذا نالت رماحُهُمُ
قوماً وليسوا مجازيعاً إِذا نِيلُوا
١٦ لا يَقَعُ الطَّعْن إِلاَّ في نحورِهِمُ ؛
وما لهم عن حياضِ الموتِ تَهْلِيلُ

أكشف وهو الذي ينكشف في الحرب وينهزم . مِيل : جمع أميــل ، وهو الذي لا يثبت على سرج فرسه لانه لا يحسن الفروسية . معازيل : جمع معزال وهو الاعزل من السلاح . المعنى : لما قال قائلهم : هاجروا ، هاجروا شجعاناً غير ضعاف ولا جبناء وليسوا خالين من السلاح .

١٤ ـ شم : جمع أشم وهو المرتفع . العرانين : جمع عرنين ، وهو طرف الأنف ، وارتفاع الانف كناية عن عزة النفس والأَنفَة . لبوسهم : ما يلبس من السلاح . نسج داود : صنع داود ، والمراد به الدروع ، وكان نبي الله داود يصنعها كما علّمه الله ، ولقد ورد ذلك كثيراً في أشعار العرب . الهيجــاء : الحرب . سرابيل : جمع سربال وهو القميص ، وأراد انهم كانوا يتسربلون بالدروع المحكمة الصنع .

١٥ـ مجازيع : جمع مجزاع ، مبــالغة في الجزع أي الخوف . ونالت : أصابت . ونيلوا : أصيبوا .

١٦ ـ لا يقع الطعن إلا في نحـورهم : أي في أعناقهم كنــاية عن انهم لا يهربون من الحرب . وحياض الموت : موارد الهلاك أي الحروب والمواقع . تهليل : تــأخر وفزع . والمعنى : انهم لا يفرون ، ولذلك فالطعن يقع في أعناقهم لا في ظهورهم، وهذه علامة الشجعان.

الشرح الادبي والتحليل

استهل كعب قصيدته هذه بالغزل ، ثم أخذ يصف حالته بعد ما هدر الرسول دمه ، وكيف كان هائماً على وجهه لا يجد مخلصاً يعتمد عليه ولا ملاذاً يلتجيء اليه ؛ ويعتذر للرسول عما بلغه عنه ويمدحه واصحابه ويصف هجرتهم وما لاقوه في سبيل نشر الدعوة الاسلامية وبلاءهم في الحروب والوقائع في سبيلها .

ويتجلّى في هذا النص الوصف الرائع للحالة النفسية التي كان يعانيها كعب عندما أهدر الرسول دمه وتخلّى عنه اصحابه فضاقت به الدنيا على سعتها ولم يجد له منفذاً ، كما يتجلى فيه التسليم بالقضاء والقدر حيث لا مفرّ من ذلك .

ولقد عرفنا الاستعطاف والاعتذار عند النابغة الذبياني الذي كان زعيم هذا الغرض من أغراض الشعر العربي ؛ ولقد تأثر كعب بالنابغة حينما اعتذر للنعمان ابن المنذر واقتفى أثره عندما جاء الى الرسول واعتذر منه في قصيدته « بانت سعاد.. » فكلاهما كان يتبرأ مما نسب اليه ، ويعتبر ما قيل في حقه وشاية كاذبة لا يستحق عليها عقاباً .

لئن كنتَ قــد بُلِّغتَ عني وشايةً
لَمُبْلِغُكَ الــواشي أغشُّ وأكذَبُ

*

لا تأخذنّي بــأقوال الوشاة ، ولم
أُذنب ، وإن كثُرت فيَّ الأقــاويلُ

ورأينا في النص ظاهرة تكرار الشاعر لفظ الرسول وذلك طلبــا لعطفه وليلين بذلك قلبه وليؤكد له ايمانه برسالته .

ولقد أحسن كعب في تشبيهه الرسول بالنور والسيف وهذه هي حقيقة الاسلام : هداية ونور يبددان ظلام الجهل والكفر ، وقوة تقضي على الوثنية والشرك .

ونجد اثر البيئة العربية في شعر كعب ظاهراً .. وذلك في تشبيهه الرسول بالسيف الهندي المسلول وفي التعبير عن ميادين القتال بالحياض ، ووصفه ملابس الحروب ودروعها على الشكل الذي وردت فيه عند العرب قبل الاسلام وبعده .

ونجد ايضاً أن كعباً من مدرسة ابيه ، ويظهر في شعره الطابع الجاهلي ، وذلك في قوة الأسلوب ، وجمال التشبيه ، وروعة التصوير ، كما يظهر فيه الطابع الاسلامي في معانيه والفاظه على السواء .

مصادر

١ ـ حديث الاربعاء — لطه حسين .
٢ ـ الوسيط في تاريخ الأدب العربي — للاسكندري .
٣ ـ المفصل في تاريخ الأدب العربي — للاسكندري وجماعته ،
٤ ـ ديوان كعب — طبع دار الكتب المصرية .
٥ ـ كعب بن زهير — لفؤاد افرام البستاني .

أسئلة ومواضيع

١ ـ كان كعب من مدرسة ابيه في الشعر ، اي انه من « عبيد الشعر ». فهل تحقق لك ذلك من قصيدته ، بانت سعاد ؟

٢ ـ اختر لنا نصاً لكعب من ديوانه على الا يزيد على ثمانية أبيات وادرسه دراسة ادبية .

٣ ـ اعتذر النابغة للنعمان بن المنذر ، واعتذر كعب للرسول صلى الله عليه وسلم ، فهل تستطيع المقارنة بين هذين الاعتذارين من ناحية العواطف والأفكار ؟ .

٤ - حسان بن ثابت الانصاري

هو أبو الوليد حسّان بن ثابت الأنصاري الخزرجي ، ولد بالمدينة قبل الهجرة بنحو ستين عاماً ونشأ بها في بني النجار ، اخوال الرسول بيثرب ، وفي بيت عريق في الشعر ، فقد كان ابوه وجده شاعرين ، وكان ابنه عبد الرحمن وكذلك حفيده سعيد بن عبد الرحمن شاعرين ، وكان هو اشعرهم جميعاً بل اشعر اهل المدر اي اهل المدينة ومكة والطائف وقرى البحرين .

وكان في الجاهلية من الشعراء المتكسبين بشعرهم فعرض شعره على ملوك العرب وخصوصاً الغساسنة في الشام كما قصد ملوك الحيرة احياناً ومدحهم جميعاً ونال عطاياهم وخصوصاً الغساسنة ..

وكان قبل الاسلام شاعر قومه الخزرج ، يرد عنهم هجمات قيس بن الخطيم شاعر الأوس ، وكان بين هاتين القبيلتين الاختين حروب في الجاهلية حتى دخلتا في الاسلام وهاجر الرسول الى المدينة فوحد بينهما ، ومات قيس بن الخطيم قبيل الهجرة واصبح حسان شاعر الرسول والمدافع عنه وعن الدين الاسلامي . فجعل يرد هجمات شعراء قريش الذين كانوا ضد الدعوة بينما كان قومه الانصار يدافعون عن الدين الجديد بسيوفهم وارواحهم .

وعاش حسان النصف الثاني من حياته في الاسلام مما خلّفه له اهله ومما كان يقسمه له الرسول من الغنائم والهدايا ، وظل الخلفاء يقسمون له كما كان يقسم الرسول . وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ٥٤ للهجرة بعد ما كفّ بصره وبلغ من العمر مائة وعشرين سنة . وقد ترك لنا ديواناً من الشعر مطبوعاً فيه

الهجاء والمـــدح والفخر والحكم . وكان هجاؤه في الجاهلية مناقضة لقيس بن الخطيم، وفي الاسلام دفاعاً عن الرسول والدعوة والمسلمين . وامـــا مدحه في الاسلام فقد كان يخص به الرسول وكبار الصحابة وقومه المدافعين عن الدين . وكان فخره بمآثر قومه الانصار وفرسان المسلمين، وبفصاحته وبلاغته وانتشار شعره . واما حكمه فقد استمدها من تجاربه في حياته الجاهلية والاسلامية كما زادها الاسلام رونقاً وصواباً ، وهي كثيرة تكاد لا تخلو منهـــا قصيدة من قصائده . واليك نموذجاً من شعره في الجاهلية يمدح به الغساسنة .

قال يمدح اولاد جفنة ويفتخر :

١ للهِ دَرُّ عِصابَـــةٍ نـــادمتُهُمْ ،
يوماً بجِلِّقَ ، في الزّمانِ الأولِ !
٢ يَمْشُون في الحُلَلِ المضاعَفِ نَسْجُها
مَشْيَ الجِـــمالِ الى الجمالِ البُزَّلِ ،
٣ الضاربون الكبشَ يَبْرُقُ بيْضُـــهُ
ضَرْباً يَطِيحُ لـــه بَنَانُ المَفْصِلِ

---

١ ـ العصابة : الجماعة من النـاس ويقصد بها أمراء الغساسنة . جلّق : دمشق .

٢ ـ الحلل : الدروع . المضاعف نسجها : التي نسجت بشكل مضاعف أي حلقتين حلقتين. البُزّل: جمع البازل وهو البعير الذي بزل نابُه أي طلع، وذلك عندما يبلغ التاسعة من عمره. والبازل من الرجال هو الذي كملت تجربته واختباره في الحياة .

٣ ـ الكبش : سيد القوم وقائدهم . البيض : جمع بيضة وهي الخوذة التي

٤ والخـــالطون فقيرَهمْ بغنيِّهمْ ،

والمنعِمُون على الضعيفِ المُرْمِلِ ؛

٥ أولادُ جَفْنَةَ حَولَ قَبْرِ أبيهِمُ ،

قبرِ ابن مــاريةَ الكريمِ ٱلمُفْضِلِ .

٦ يُغْشَوْنَ حتّى ما تَهِرُّ كلابُهم ،

لا يَسْألون عــن السوادِ المقبلِ ،

٧ يَسْقُون مَنْ وَرَدَ ٱلْبَرِيصَ عليهِمُ

بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ ،

تلبس على الرأس لوقايته في الحرب . يطيح : يسقط . المفصل : ملتقى العظمين من الجسم . والمعنى : يضربون أعداءهم بسيوف حادة حتى انهـــا تقطع اجزاء الجسم الصغيرة في سرعة .

٤ ـ المرمل : الفقير الذي نفد زاده والتصق بالرمل لشدة فقره وضعفـــه وهو يصفهم في هذا البيت بالتواضع والرفق والكرم .

٥ ـ جفنة : جَدُّ أمراء الغساسنة . ابن مارية : أحـــد الامراء الغسانيين ويظهر انه توفي في ايام مدح الشاعر لهـم . والمعنى : ان اولاد هذا الامـــير المتوفى أقاموا على قبره يعقرون الابل ويتصدّقون بلحومها على الفقراء والمحتاجين.

٦ ـ يغشون : من فعل غشيه أي جاءه : والمعنى : يكثر تردد الضيوف والفقراء عليهم حتى ان كلابهم قد اعتادت مشاهدة الغرباء من النـــاس في ديارهم فلا تنبح على أحدٍ منهم .

٧ ـ البريص : مكان بدمشق . بردى : أراد مـــاء بردى وهو نهر دمشق

٨ بيضُ الوجوه ، كريمةٌ أحسابُهُمْ
شُمُّ الأُنوفِ من الطرازِ الأوَّلِ
٩ فلبِثْتُ أزمانـــاً طوالاً فيهمُ ،
ثُمَّ ٱدَّرَكْتُ كأنَّني لم أفْعَلِ
١٠ إمَّا تَرَيْ رأسي تَغَيَّرَ لونُـــهُ
شَمَطاً ؛ فأصبح كالثُّغامِ المُحْوِلِ ،
١١ ولقد شَرِبْتُ الخمْرَ من حانوتها
صهباء صافيةً كطَعْمِ الفُلْفُلِ ،

العظيم . يصفّق : يمزج . الرحيق : أطيب انواع الخمرة . السلسل : العذب البارد . والمعنى : يسقون من ورد عليهم من الضيوف ماء بردى الممزوج بالخمرة الجيدة الباردة المصفّاة .

٨ ـ الاحساب : جمع حسب وهو الشرف . وشم الانوف كناية عن عزة النفس . الطراز : الشكل او الصنف .

٩ ـ ادّركت : لحقت بقومي . والمعنى : مكثت زمناً طويلاً عند الغساسنة ثم لحقت بقومي وكأن لم يكن شيء من ذلك ، اذ انه لم يبق من تلك الايام السعيدة الا الاحاديث والذكر .

١٠ ـ (إما) : إن الشرطية المدغمة في (ما) . الشَمَط : بياض الشعر يخالطه سواده . الثّغام : نبات يبيض ورقه اذا كبر ويبس . المحول : الذي اتى عليه الحوْل . وجواب الشرط محذوف والتقدير : لا تجزعي ، اي ان رأيت شعري قد شاب واصبح كنبات الثغام فلا تجزعي .

١١ ـ حانوت الخمرة : الحانة ومحل بيعها .

١٢ بزجاجةٍ رَقَصَتْ بما في قَعْرِها
رَقْصَ القَلوصِ براكبٍ مُسْتَعْجِلِ
١٣ نَسَبي أصيلٌ في الكرامِ ومِذْوَدِي
تكوي مواسِمُهُ جُنُوبَ المصطلي
١٤ ولقد تُقَلِّدُنا العشيرةُ أمْرَها ،
ونَسُودُ يومَ النائباتِ ، ونَعْتَلي ؛
١٥ ويَسُودُ سَيِّدُنا جَحَاجِحَ سادةً ،
ويُصيبُ قائِلُنا سَواءَ ٱلْمَفْصِلِ ؛
١٦ ونُحَاوِلُ الأمرَ المهمَّ خطابُهُ
فيهم ، ونَفْصِلُ كلَّ أمرٍ مُعْضِلِ ؛

---

١٢ ـ رقصت بما في قعرها اي صعدت الفقاقيع من أسفل الى اعلى لشدة ثوران الخمرة في هذه الزجاجة . القلوص : الناقة الفتية .

١٣ ـ المذود : اللسان . المواسم : جمع ميسم وهي اداة يكوى بها . والمصطلي : المستدفىء واراد به من يصطلي بنار هجائه ويتعرض له . والمعنى : إن لسانه يشبه المكواة التي تكوي من تصيبه وتحرقه .

١٥ ـ الجحاجح : جمع جحجاح: السيد الكريم في قومه . سواء : وسط . والمعنى : يسودون العشيرة ويصيبون في معالجة الامر العظيم والمعضل الكبير .

١٦ ـ المهم : المشكل . المعضل : الامر العظيم . ومعنى هذا البيت كالسابق فهو تأكيد له .

١٧ وتَزُورُ أبوابَ الملوكِ ركابُنا ؛
ومَتَى نُحكَّمْ في البَرِيَّةِ ، نَعْدِلِ .

الشرح الادبي والتحليل

هذا النص من قصيدة يمدح بها اولاد جفنة إجمالاً وعمرو بن الحارث الغساني خاصة . وبعد ان يتغزل على عادة الشعراء الجاهليين ينتقل الى المديح فيذكر ايامه عند الغساسنة، ويشيد ببطولاتهم في الحروب، ويصفهم بالتواضع والرفق بالناس والجود . ثم يتطرق الى ذكر عادة من عادات العرب وهي قيام اولاد جفنة على قبر أبيهم يعقرون الابل ويتصدقون بلحومها على الفقراء والمعوزين ، ويبيّن ان كرمهم هذا ليس كرم المناسبات، إنما هو طبع متأصل فيهم. والدليل على ذلك ان كلابهم لا تنبح على الغرباء الذين يغشون منازلهم لانها اعتادت على ذلك وهم لا يقتصرون في إكرام الضيف على الضروري من الطعام إنما يسقونه الخمرة الطيبة الممزوجة بماء بردى السلسل العذب. وذلك دلالة على سعة كرمهم وترفهم . ثم يشير الى انهم اشراف أباً عن جد يأبون الذل . ويذكر مقامه عندهم بالخير ويقول : ذهبت تلك المجالس السعيدة ولم يبق منها إلا الذكرى . ويصف لنا مجلس شراب من مجالسه معهم، ثم ينتقل الى الافتخار بنفسه وقومه وانهم حلفاء للملوك، ساسةٌ يعالجون الأمور بعقل وحكمة، قادرون على سياسة الرعية وحكمها حكماً عادلاً .

وأسلوب حسان في هذا النص كما هو في جميع شعره قوي مهذّب ، ذلك لانه من مدرسة زهير ، فقد كان يعتني بشعره وينقحه ويهذبه قدر ما يستطيع ولا يخرجه الى الناس إلا وهو على أحسن ما يكون من الصقل والتهذيب . واذا رأينا أن معانيه في هذا النص جاهلية بحتة فقد دخلت أسلوبه ، بعد الاسلام ،

---

١٧ ـ ركابنا : وفودنا. نحكّم : نعطى السلطة والحكم على الناس. البريّة : المخلوقات والرعايا .

المعاني الاسلامية لأنه تـأثر بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وزال ما كان في أسلوبه من صعوبة ووعورة قبل الاسلام ، وأصبح سلساً مألوفاً بفضل البيئة والدين الجديدين .

مصادر

١ ـ حسان بن ثابت	لفؤاد افرام البستاني
٢ ـ أدباء العرب	للبستاني
٣ « المفصل في تاريخ الادب العربي	للاسكندري وجماعته
٤ « الوسيط في تاريخ الادب العربي	للاسكندري
٥ « الحياة الادبية بعد ظهور الاسلام	لمحمد عبد المنعم خفاجي

أسئلة ومواضيع

١ ـ قـال أصحـاب المفصَّل عن شعر حسان : « وكان أجزل شعره وأقواه وأحصفه ما قاله في شبيبته وكهولته في الجاهلية .. ولما اسلم كان قد مضى من عمره ستون سنة ولكنها لم تطفىء من شعلة خاطرة ولم تفُلَّ مِنْ غَرْبِ لِسَانه .

ناقش هذا الحكم على ضوء اطلاعك على ديوانه واوضحه مستشهداً بشيء من شعره في الجاهلية والاسلام .

٢ ـ قال حسّان يمدح بني غسّان :

١ لله دَرُّ عِصَابَةٍ نادَمْتُهم ، يَوْماً بِجِلَّقَ في الزّمانِ الأوّلِ
٢ أولادُ جَفْنَةَ حولَ قَبْرِ أبيهم، قَبْرِ ابن مارِيَةَ الكريمِ المُفْضِلِ
٣ يُغْشَوْنَ حتّى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ لا يَسْأَلُونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ

٤ يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهِمُ
بَرَدَى يُصَفَّقُ بـــالرَّحيقِ السَلْسَلِ
٥ بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم
شُمُّ الأُنوفِ من الطِّرازِ الأوَّلِ

والمطلوب شرح هذه الأبيات شرحاً ادبياً .

٣ ـ قال حسّان في الحكم :

رُبَّ حلْمٍ أضاعَهُ عَدَمُ الما ل وجَهْلٍ غَطَّى عليه النَّعِيمُ
إنَّ دَهْراً يَبُورُ فيه ذوو العِ لْمِ لَدَهْرٌ هو العَتُوُّ الزَّنِيمُ

اشرح قول حسان هذا ، وائتنا بشيء من حكمه بعد اطلاعك على ديوانه .

٤ ـ كان شعر حسان في الاسلام أضعف من شعره في الجاهلية . ناقش هذا الرأي واوضحه مؤيداً رأيك بالامثلة من شعره في الجاهلية والاسلام .

الادب
في
صدر الإسلام والعهد الأُموي

الشعر

في العصر الإسلامي والأموي

مَيْزَةُ الشعر الاسلامي : رأينـا ان الشعر في العصر الجاهلي كان سلاحاً ماضياً بيد القبائل العربية لا يقل مضاءً عن السيف . وكانت القبائـل تذود بالشعر عن نفسها وتدفع هجمات شعراء القبائل الاخرى المعادية لهـا . لذلك كان الشاعر لسان حال قبيلته الناطق والمدافع عنها . وكانت القبائل تفرح بظهور الشاعر عندها كما تفرح بظهور الفارس . وكان للشعراء عنـد قبائلهم مكانة سامية ومنزلة رفيعة .

ولما جاء الاسلام وتوحدت القبائل في أمة عربية واحدة كان من الطبيعي ان يحارب هذا الدين الجديد الشعر الذي يثير العصبية القبلية ويوقد الفتن بـين المسلمين ، لذلـك هاجم القرآن الكريم الشعراء المشركين صراحة بقوله : « والشعراء يتّبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون » . وتوعد الرسول جماعة من الشعراء المشركين مثل كعب بن زهير ، كما قتل جماعة اخرى منهم. وعلى العكس شجع الرسولُ الشعر الذي كان يدافع عن الدين الجديد ويباركه . فقد جاء بعد الآيات السابقة : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » . وممـا أُثر عنه صلى الله عليه وسلم قوله : « إن من الشعر لحكمة » وكان عليه السلام يحرّض شعراء الأنصار كحسان بن ثابت وكعب

ابن مالك وعبدالله بن رواحة على الرد على شعراء قريش الوثنيين مثل عبدالله ابن الزبعرى وضرار بن الخطاب وغيرهما . وكان يقول لحسّان محرّضاً : اهجم ومعك روح القدس جبريل ، واذهب الى ابي بكر كي يطلعك على هنات قريش لانه اعلم بانساب العرب .

وكان خلفاؤه من بعده يتذوقون الشعر الجيد ، فقد أثر عن عمر بن الخطاب انه فضل زهيراً على جميع الشعراء الجاهليين لانه كان لا يعاظل في الكلام ولا يمدح الرجل الا بما فيه، وانه كتب الى أبي موسى الاشعري يقول له : « مُرْ مَنْ قِبَلَكَ بتعلم الشعر فانه يدل على معالي الاخلاق ، وصواب الرأي ، ومعرفة بالانساب » .

وقاوم الخلفاء الراشدون الشعر الذي يثير العصبية القبلية كي لا يعود العرب الى حالتهم الأولى التي كانوا عليها في العصر الجاهلي، كما نهوا عن انشاء الشعر الوثني الذي كان شعراء قريش يهاجمون فيه الانصار ويقاومون به الدعوة، والشعر الذي كان يهاجم به الشعراء المسلمون قريش ويردون عليهم فيه وكان عمر يقول : « في ذلك شتم الحي بالميت وتجديد الضغائن » .

وهكذا حاول الخلفاء الراشدون صرف الناس عن الشعر على قدر الامكان وتحويل انظارهم الى حفظ القرآن والحديث وما الى ذلك . ومن ذلك انه حين قدم والد الفرزدق ، غالب ، على علي بن أبي طالب ومعه ابنه الفرزدق ليسمعه شيئاً من شعره ويعطي رأيه فيه اشار عليه ان يحفّظه القرآن فذلك أفضل له وأحسن .

وهكذا انصرف الناس في عهد الراشدين عن الشعر الا ما كان من شعراء الفاتحين في الفخر بالدين الاسلامي والتباهي بانتصارات المسلمين الرائعة . وهذا النوع من الشعر نراه بغزارة في كتب المغازي والفتوح . وعلى العموم فان الاسلام نزع من نفوس الشعراء بواعث الشر التي كانت في نفوس الشعراء الجاهليين ، وصغّرت بلاغةُ القرآن الكريم من قيمة الشعر في عيونهم حتى تركه

بعضهم مثل لبيد العامري الذي بهرته بلاغة القرآن وفصاحة الحديث فلم ير للشعر قيمة يجانبها وترك قوله . ولما جاء العهد الأموي كان أول ما لجأ اليه الخلفاء الامويون لتثبيت حكمهم إذكاء نار العصبية القبلية ليشغلوا القبائل عن المطالبة بالخلافة، واخذوا يسيرون على سياسة ، فرّق تسد. وكانوا يقرّبون هذه القبيلة لتثور تلك . وهكذا تجددت الضغائن بين الأمويين والهاشميين من جهة ، وبين الانصار والمهاجرين من جهة اخرى. كما تجددت الفتن بين اليمانيين والعدنانيين، وانقسم العدنانيون الى ربعية ومضرية ، وانقسمت المضرية الى قيسيين وتغلبيين، وعادت الأمور على اسوأ مما كانت عليه في الجاهلية . واخذ الشعراء يتهاجون وينقض بعضهم بعضاً . وأخذ الشاعر يستعيد مكانته عند قبيلته والقبائل المحالفة لها، وعاد الناس الى ولعهم بسماع هذا النوع من الشعر وتتبعه والمفاضلة بين قائليه . وكتب الآدب كالأغاني وغيره مملوءة بهذه الانواع من الاحاديث .

وكان لكل حزب شعراؤه المدافعون عن آرائه والمناضلون دونه . وعرف الخلفاء قيمة الشعر وضرورته لهم فقرّبوا الشعراء وأغدقوا على فحولهم العطايا الكثيرة ليدافعوا عن سياستهم تجاه الاحزاب الاخرى المناوئة لهم . وكان شاعر الأمويين السياسي في ذلك الوقت هو الاخطل النصراني،وكانت له من الدالة على عبد الملك بن مروان انه كان يدخل عليه وصليبه يتدلى على صدره وينشده الشعر وهو سكران ، وربما تطاول في شعره على الاسلام وخليفة المسلمين . وكان عبد الملك يحتمل كل هذا منه لاسباب سياسية ليس إلا .

وبقي للشعر طيلة العصر الأموي أثره على القبائل فكان بيت واحد منه كافياً لان يرفع منزلة القبيلة او يحط منها . ولقد رأينا ان بني انف الناقة كانوا لا يجرأون على ذكر اسم قبيلتهم ، وكانوا ينتسبون الى قريع حتى قال فيهم الحطيئة بيته المشهور

قومٌ هُمُ الأنفُ والأذناب غيرُهُمُ
ومَن يُساوي بأنفِ النّاقةِ الذّنَبَا

فصاروا يتطاولون بنسبهم ويمدُّون أصواتهم به .

وعلى العكس كان بنو نمير من أشد القبائل افتخاراً بنسبهم حتى قال فيهم جرير بيته المعروف :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ من نُمَيْرٍ فلا كعْباً بلَغْتَ ولا كِلابا

فعند ذلك صاروا يخجلون من الناس ويتوارون عنهم .

تطوره بالنسبة للشعر الجاهلي : لم يكن الشعر الإسلامي في الحقيقة إلا امتداداً للشعر الجاهلي. وهذا لا يعني أنه كان صورة طبق الاصل عنه، فالشعر الأموي يمثل حياة إسلامية خاضعة لسلطان الاسلام على عكس الشعر الجاهلي الذي كان يمثل الحياة الجاهلية بجميع شوائبها . ولا بد لهذا الانقلاب العظيم الذي حدث في حياة العرب من أن يترك آثاراً واضحة في أدبهم . لذلك فاننا نجد النثر في هذا العصر كان أكثر تأثراً بالعوامل الجديدة ، وأكثر تقدماً من الشعر ، فقد أثـّر القرآن والاسلام في النثر تأثيراً كبيراً . وكذلك الشعر فهو خاضع لسنـّة التطور كغيره من الفنون الأدبية . وها نحن نبيّن لك ما طرأ عليه من تغيير في العصر الاسلامي والأموي من ناحية أسلوبه وأوزانه وقوافيه ومعانيه وما ظهر فيه من فنون جديدة .

١ ـ الأسلوب : ظل الشعر في هذا العصر كما كان عليه في العصر الجاهلي جزلاً فصيحاً ، بليغ العبارة ، ذلك لأن الخلفاء الراشدين والامويين كانوا من العرب الخُلـَّص الذين لا ترضيهم إلا أساليب الشعراء القدامى . وكان نقاد الأدب متعصبين لأساليب القدماء من الشعراء الجاهليين والمخضرمين . وكانت اللغة لا تزال بعيدة عن اللحن، بل كانت أكثر دقة من لغة الجاهليين لان شعراء هذا العصر كانوا يحسبون حساب النقاد الذين كانوا يتسقـَّطون أخطاءهم ، فاضطروا الى تجويد اساليبهم والعناية بها وتجنـُّب ما كان يقع فيه الجاهليون من أخطاء وعيوب في الاوزان والقوافي . ولما بدأ اللحن يفشو في العصر الاموي

وبدأ الموالي يتعلمون اللغة العربية ويقولون الشعر، رأى النقاد والرواة أن الشعر العربي الصحيح قد شارف على الانتهاء ، وأطلقوا على الشعراء الذين ظهروا في أواخر العصر الأموي اسم المولّدين فلم يجيزوا الاستشهاد بأشعارهم . وبقي الشعر الجاهلي والاسلامي عندهم هو وحده النموذج الكامل للشعر العربي الصحيح . أما ما عداه فلم يعتدُّوا به ولم يقيموا له وزناً .

وكما حرص شعراء هذا العصر على محاكاة الشعر الجاهلي في فخامة الالفاظ وجزالتها وجديّة المواضيع تمسكوا ايضاً بنظام القصيدة الجاهلية ، ولم يحيدوا عنه . وكما ان الشاعر الجاهلي كان يبدأ قصيدته بالغزل ووصف الأطلال ثم ينتقل الى وصف الناقة او الفرس والى وصف الرحلة والانتقال والطريق وما اليه ، ثم بعد ذلك ينتقل الى الغرض الذي أنشأ القصيدة من اجله وهو الفخر او الهجاء أو المدح او الرثاء ، كذلك نجد الشعراء الاسلاميين قد التزموا هذه المراحل ونسجوا قصائدهم على هذا المنوال ، وخصوصاً في المديح الذي كانوا يعتنون به عناية فائقة حتى جاءت مدائحهم في كثير من الاحيان أروع من من المدائح الجاهلية وفضّلها النقاد القدامى على مدائح الجاهليين أنفسهم .

أما وحدة القصيدة فلم تكن موجودة إلا عند شعراء الغزل الذين كان مقرهم في الحجاز كما سنرى عند دراستنا لنص الغزل في هذا العصر .

٢ ـ **الاوزان والقوافي** : بقي الشعر في هذا العصر كما كان عليه في العصر الجاهلي من ناحية الاوزان والقوافي وطرق النظم ، إلا ان الشعراء الاسلاميين كانوا ينتبهون الى عيوب القافية والاوزان ويتحاشونها أكثر من الجاهليين كما قدمنا .

واعتنى جماعة من شعراء هذا العصر بالأراجيز حتى جعلوها قريبة من القصائد وضمّنوها اغراضها . والاراجيز هي تلك القصائد المنظومة على بحر الرَّجز . وكان الجاهليون لا يقولون في هذا البحر الا الأبيات القليلة لحداء ابلهم . ر وصف صحاريهم وللتغني والتسلّي بها ، حتى جاء فحول الرجاز في

هذا العصر كأبي النجم العجلي والعجّاج التميمي وابنه رؤبة وغيرهم فأطالوا الأراجيز وفاقوا الجاهليين كثيراً فيها وضمّنوها اغراض الشعر المهمة كالمديح والفخر والرثاء واهجاء ووصف الصيد وما الى ذلـك ، وجعلوها فنـاً مستقلاً بذاته .

٣ ـ المعاني والأخيلة : كانت معـــاني الشعراء الجاهليين ساذجة بسيطة معادة مكررة ، لأنهـــا كانت مأخوذة من بيئتهم البدوية البسيطة الضّيقة المحدودة . لذلك فاننا لا نجد جديداً في اشعار الجاهليين الا عند اولئك الذين كانوا يتجاوزون حدود جزيرتهم ويتصلون بالممالك المتحضرة كاليمن في الجنوب وامـارتي الغساسنة والمناذرة في الشمال ، كما كان يفعل النابغة الذبياني وحسّان ابن ثابت والاعشى وغيرهم .

اما في العصر الأموي فقد خالط العرب الأعاجم واقتبسوا منهم مظاهر الحضارة وعاشوا عيشة مترفة بالنسبة للعصر الجاهلي. واثرت البيئة الجديدة على معانيهم واخيلتهم وجعلتها اكثر اتساعاً وتجديداً وتنوعاً من معاني الجاهليين واخيلتهم . ولا يذهبن بك الظن الى ان هذا الأثر كان عاماً شاملاً بـــل على العكس كان محدوداً ضيّقاً ، لأن اكثر الشعراء كانوا ينشأون نشأة بدويـــة يحرصون معها على الطابع الجاهلي في اشعارهم ، حتى إنــه كان منهم من لم تؤثر الحضارة في شعره لا من قريب ولا من بعيد كذي الرّمــة مثلاً . وعلى العموم فإن اثر الحضارة الجديد لم يظهر في الشعر الاسلامي الا في اواخر العصر الأموي، لذلك فاننا لا نجد كبير فرق بين معاني الجاهليين ومعاني شعراء صدر الاسلام واول العصر الأموي . يضاف الى هذا ما ادخله الدين الجديد على ثقافة الشعراء من المعاني والافكار الاسلامية الجديدة .

٤ ـ ظهور فنون جديدة : لعـــل أوضح مظاهر تطور الشعر في العصر الاسلامي والأموي هو ظهور فنون جديدة كانت ضعيفة في الجاهلية وقويت في الاسلام كالرجز الذي تقـــدم ذكره ، والغزل والشعر السياسي والنقائض

وسنتكلم عنها . امـــا بقية الأغراض كالمدح والهجاء والفخر فقد تطورت عما كانت عليه في العصر الجاهلي، وكذلك وصف القتال والغزوات والفتوح ؛ كما ان وصف الخمرة خطا خطوة كبيرة على يد الأخطل والوليد بن يزيد . وارتقى فن الرثاء بفضل الخنساء وجرير وغيرهما .

٥ ـ تأثير القرآن في الأساليب والمعاني الشعرية : كان للقرآن الكريم أثر عظيم على الفاظ الشعراء واساليبهم ، وذلـــك عندما حاولوا محاكاة اساليبه والاقتباس منه ، فرقّت الفاظهم وعذبت اساليبهم وزوّدَهم بجملة صالحة من التعابير والاصطلاحات الفنيّة الرائعة . كما ظهر أثره قويـــاً في شعر الخوارج والشيعة على الخصوص ، وفي رقة اساليب الشعراء الغزلين كعمر بن ابي ربيعة وجميل بثينة وكثّير عزة وغيرهم. وأضاف الى معاني الشعراء التي كانت معروفة ومتداولة بينهم معاني دينية وفقهية جديدة ما كانوا يعرفونها من قبل .

الغزل

أوليته ، نهضته ، مميزاته ، الحضري منه والبدوي

أوليته : كان الغزل معروفاً في العصر الجاهلي ، وكان الجاهليون يُصَدِّرون به قصائدهم حتى كان الابتداء بالنسيب سُنَّة مُتَّبَعَة عندهم ، وكثيراً ما كان هذا النسيب تقليدياً ليس فيه عاطفة حقيقية يشعر بها الشاعر كما كان الأمر عند زهير بن أبي سلمى وغيره . وكان عندهم الغزل الإباحي الذي نجده عند امرىء القيس وأمثاله من الماجنين المستهترين ، والغزل العفيف الذي نجده عند عنترة ابن شداد وغيره . وكيفما كان أمر الغزل عند الجاهليين ، تقليدياً أم إباحياً أم عفيفاً فانهم لم يفردوا له باباً مستقلاً ولم يجعلوه غرضاً من أغراضهم ، إنما كانوا يستفتحون به قصائدهم فقط ، ويسمونه النسيب أو التشبيب .

ولما جاء العصر الاسلامي والأموي ظل هذا النوع من الغزل التقليدي قائماً في مطالع القصائد . وكان الشاعر يلتزمه في قصائد المديح خاصة . ولم يكن هذا النسيب يختلف عن النسيب الجاهلي من حيث خصائصه العامة ؛ فقد بقي الشاعر الاسلامي والأموي يعنى كالجاهليّ بالناحية المادية عند المرأة ، يصف جمالها وتأثير هذا الجمال على النفس ويهتم بجسمها فقط ، ويصف كل ما يتعلق بها من ديار وأطلال وبكاء ولوعة وفراق وشوق وحنين وما الى ذلك .

وظل هذا النوع من الغزل معروفاً في الشام والعراق لان شعراء هذين القطرين كانوا مشغولين بالمنازعات السياسية والدينية والعصبية القبلية التي كانت

نيرانها مُستَعِرَة على أشد ما يكون فيها . ونحن نجد هذا الغزل التقليدي في مطالع قصائد شعراء الخوارج والشيعة وأنصار الأمويين وفحول شعراء هذا العصر كجرير والفرزدق والأخطل وغيرهم .

نهضته : على أنّ أمر الغزل في هذا العصر يختلف في الحجاز وما حوله عما كان عليه في الشام والعراق . فقد ازدهر في هذا العصر في الحجاز فن الغزل ازدهاراً عظيماً ، ذلك لان بني أمية عزلوا الحجازيين عن السياسة عزلاً تاماً ، وجعلوا هذا القطر منفى لأشراف قريش والأنصار ، بعدما نقلوا عاصمتهم الى الشام . وكانوا يغدقون عليهم الأموال والعطايا حتى يظلوا بعيدين عن السياسة وعن المطالبة بالخلافة . وكانوا اذا آزروا الزبيريين أو الشيعة نكل بهم الأمويون شر تنكيل .

ولما يئس الحجازيون من السياسة أظهروا الطاعة الى بني أمية مكرهين وانصرف شيوخهم الى دراسة القرآن والحديث والسنَّة ، وشبانهم الى اللهو والغناء والشعر . واتبّع الأمويون هذه الخطة مع شعراء الحجاز ايضاً ، واستطاعوا ان يصرفوهم عن التدخل في شؤون السياسة ، ومن تجرأ على مناصرة أعدائهم قلبوا له ظهر المجن وحاولوا قتله أو التنكيل به ، أو يعدل عن ذلك ويظهر لهم الطاعة ، كما حدث لعبيد الله بن قيس الرقيات ، شاعر الزبيريين الذي لم ينج من القتل إلا بصعوبة والذي لم يستطع العيش بعد القضاء على الزبيريين إلا بعد ما صار موالياً للأمويين .

وسنتكلم عن مميزات هذا الفن الغزلي في مدرستيه الحضرية والبدوية .

المدرسة الغزلية الحضرية : ولما انصرف شعراء الحجاز عن السياسة تفرّغوا الى اللهو والغناء والنساء والشعر سيما وان معظمهم من ابناء المهاجرين والأنصار الذين ورثوا عن آبائهم الاموال الطائلة والغنائم الوافرة التي جمعوها إبّان الفتوح . وهذا ما ساعدهم على الانصراف الى حياة اللهو والتغني بمشاعرهم الذاتية . ومما ساعدهم على الانصراف الى هذا النوع من الحياة كثرة مجالس

الغناء والطرب في الحجاز عامة وفي المدينة ومكة خاصة ، وما كان في هذه المجالس من قيان ومغنين ومغنيات أمثال معبد وطويس وابن مُحرز وجميلة وغيرهم . وقصص هذه المجالس وأولئك المغنين وأخبارهم ملأت كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني وغيره من كتب الأدب .

ولم يشارك الشعراء في هذه المجالس باللهو والاستمتاع الى الغناء فقط ، انما كانوا يمدّون هذه المجالس بما تحتاج اليه من شعر يغنّيه المغنون والمغنيات ويتسابقون في الإجادة فيه .

ولم تكن مجالس الغناء شغل شعراء الحجاز فقط بل ان مواسم الحج لم تكن لتقلّ عن هذه المجالس من هذه الناحية . وكان شعراء الحجاز يتعرَّضون الى الحجيج الوافدين من جميع أقطار الدولة الاسلامية كالعراق والشام ومصر وغيرها ، ويتتبَّعون الحاجَّات الشريفات الجميلات ويبذلون جميع الوسائط للتعرف عليهن ثم التغزل بهن . وكان التعرّض للمسلمات في الحج أم في خارجه أمراً منكراً يعاقب عليه الخلفاء الراشدون بالجلد . وكان الاشراف يخافون على نسائهم وبناتهم من هذا التعرض ويمنعونهن من ارتياد مواسم الحج خوف التغزل بهن . إلا أن سياسة الأمويين نحو الحجاز جعلتهم لا يتشددون فيهذا الامر حتى صار موسم الحج عند شعراء الحجاز معرض جمال . أما النساء وحتى الشريفات منهن فكن يرتحن الى ذكر الشعراء لهن والتشبيب بهن ، بل ذهبن الى أبعد من هذا وكن يتعرضن الى هؤلاء الشعراء في بعض الأحيان كي يشببوا بهن ويشهّروا بجمالهن كما فعلت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان التي استاءت لان عمر بن أبي ربيعة لم يشبب بها عندما قدمت مكة للحج وأرسلت اليه من ينبهه الى ذلك حتى قال قصيدة رائعة في التشبيب بها .

كل هذه العوامل ساعدت على ازدهار الغزل على أيدي هؤلاء الشعراء حتى صار فناً مستقلاً مقصوداً لذاته .

وكان هذا الغزل المترف **مطبوعاً بالطابع العملي ولم يكن صادقاً دوماً .**

ولم يقتصر هؤلاء الشعراء المتحضرون المترفون في غزلهم على امرأة واحدة انما كانوا يتغزلون بجميع النساء الجميلات اللائي كانوا يصادفونهن في مجالس اللهو ومواسم الحج . ولقد اشتهر من هؤلاء الشعراء عمر بن أبي ربيعة وعبدالله بن عمر المعروف بالعَرْجي والأحوص وعُبيد الله بن قيس الرقيّات وغيرهم كثير .

المدرسة الغزلية البدوية : وهناك طائفة أخرى من الشعراء الغزلين في هذا العصر قالوا اشعاراً كثيرة في الغزل ، الا أنهم لم يكونوا من أبناء المهاجرين والأنصار المترفين ، ولا من المتحضرين في مكة والمدينة ، وانما من أبناء البوادي والقفار في نجد والحجاز . ولقد صرفهم الإسلام عن الموضوعات التي كانت تدعو الى العصبية الجاهلية كما صرفهم عن حياة القتال والغزو المتواصل ، وأثر فيهم تأثيراً كبيراً ، فرقّت طباعهم ، ولانت نفوسهم . وصرف الأمويون قبائلهم عن السياسة كما صرفوا أهل المدن والحاضرة ، فقالوا غزلاً لا يختلف عن غزل الجاهليين في اسلوبه ومعانيه ، الا انه كان اكثر رقة وجمالاً وعفة لأن بيئتهم الضعيفة الفقيرة ما كانت لتتيح لهم الانغماس في حياة اللهو التي انغمس فيها شعراء الحواضر المترفون . **لذلك جاء غزلهم عفيفاً ليس فيه مجون ولا تعهر** ، صادراً عن طبيعة بدوية عفيفة ونفوس تأثرت بتعاليم الإسلام التي تدعو الى العفة والإعراض عنْ المجون والدعارة متفقاً مع بيئتهم الفقيرة التي ما كانت تسمح لهم بالانغماس في حياة اللهو والمجون والفسق والفجور التي انغمس بها شعراء حاضرة الحجاز الأغنياء .

وكان من الطبيعي ان يقصروا قصائدهم على الغزل وحده لا أن يجعلوا مطالعها مقصورة عليه فقط كما كان يقنع به الجاهليون ومن حذا حذوهم من الشعراء في هذا العصر . ولم يختلفوا عن الجاهليين في هذا الأمر فقط بل اختلفوا عنهم في أنهم لم يقصروا شعرهم على المرأة وذكر محاسنها فقط انما عبروا فيه الى جانب ذلك عن عواطفهم وحبهم واخلاصهم ، وصار الغزل عندهم يقوم على دعامتين اساسيتين هما : المرأة ومشاعرهم الخاصّة . كما ان الغزل صار عندهم مقصوداً لذاته لا يشركون معه غرضاً آخر من اغراض الشعر الاخرى

التي كانت معروفة عندهم .

وامتاز هؤلاء الشعراء عن شعراء الحضر بانهم لم يتغزلوا بعـــدد كبير من النساء انما قصروا غزلهم على امرأة واحدة احبوها وأفنوا حياتهم في سبيلها ، وكانوا ينسبون اليها فيقال : مجنون ليـلى ، وجميل بثينة، وكُثَيِّر عَزَّة . كما انهم كانوا يتشابهون في اساليبهم ومعانيهم . وانت لا تجد فرقاً جوهرياً بينهم عندما تقرأ اشعارهم ؛ بل انت اذا قرأت شعر احدهم وقفت على فنهم واسلوبهم ومعانيهم جميعاً . كما انهم كانوا يتشابهون في حياتهم والأحداث التي مرَّت عليهم وقصصهم واخبارهم ؛ والنتائج التي وصلوا اليها في هـــذا الحب تـكاد تكون متشابهة ، فكلهم حرم الزواج من المرأة التي احبها ، واضطر اهلها الى رفـع امره الى السلطان لانه لم يكفَّ عن التشبيب بها ، واهدر السلطان دمه فهام في البوادي والقفار مستيقظاً حيناً ومغشياً عليه أحياناً أخرى حتى توافيـه منيته بعيداً عن عشيرته ومن يحب او بعيداً عن قطره في بلاد أخرى نائيـة كمصر والشام والعراق وغيرها .

هؤلاء الشعراء عرفوا بالعذريين نسبة الى قبيـلة عُذْرَة اليمانية التي اشتهر افرادها بهذا النوع من الحب العفيف الشريف حتى صار يعرف بهم وينسب اليهم .

واشهر شعراء هـــذه المدرسة جميل بن معمر صاحب بثينة ، وكثـيِّر بن عبدالرحمن صاحب عزة ، وقيس بن الملوح صاحب ليلى والمعروف بمجنون ليلى ، وقيس بن ذريح صاحب لبنى وغيرهم كثير .

واخبار هؤلاء الشعراء نجدها في كتب الأدب وخصوصاً في الاغـــاني الى جانب اخبار شعراء المدرسة الحضرية التي تقدم ذكرها .

واليك مختارات من شعر زعيمي هاتين المدرستين وهما عمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة ليتضح اليك أمرهما اكثر :

عمر بن أبي ربيعة

هو عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي ، ويكنّى أبا الخطّاب . ولد بالمدينة سنة ٢٣ هـ ، وهي السنة التي قتـــل فيها عمر بن الخطاب ، وكان والده تاجراً موسراً وعامــلاً للنبي والخلفاء الثلاثة الذين جاءوا بعده فشبّ ابنه في بيت الجاه والمال . ولما بدأ يقول شعره الغزلي ولا يتورّع فيه كان الناس يقولون اشارة الى سنة ولادته ومقتل عمر : ايُّ حق رفع واي باطل وضع . امه يمنية وابوه كان عاملاً على احدى ولايات اليمن عندما قتل عمر بن الخطاب . ويرى بعض النقاد القدامى ان الغزل انما جاء ابن أبي ربيعة من أصله اليمني .

نشأ عمر اذن نشأة مترفة ، وتوفر له الشباب والفراغ والمال ، فانصرف الى اللهو والعبث وساعده استعداده الشعري وسياسة الأمويين نحـــو الحجاز والبيئة الحجازية في ذلك الحين على الانصراف الى فن الغزل والانهماك في اللهو والاحتفال بمجالس الغناء والمجون فراح يتغزل بهؤلاء النسوة اللائي يجلس اليهن في مجالس اللّهو ، ويصادفهن في مواسم الحج . وكان شعره في اول الأمر هذياناً كما سمّاه جرير ، ولم يكترث به احد من فحول الشعراء في عصره. الا انه ما زال يذلل الصعوبات التي كانت تعترضه حتى أصبح بحق زعيم الشعراء الغزلين دون استثناء ، وهذا ما عناه جرير بقوله عنه : « ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر » .

وكان عمر من الذين يرون أن قلب الانسان يتسع لأكثر من حبيب واحد ، ولذلك فان قلبه كان يتسع لكل النساء الجميلات ، وكما قال هو عن نفسه : اني

موكل بالجمال اتبعه اينما وجدته . فكان اذا جــاء موسم الحج اعتمر وارتدى أفخر الثياب واسبل لمتّه وخرج من مكـّة يعترض الحواج اللائي جئن من المدينة او الشام او العراق ، ويبذل الوسائل المختلفة لمحادثتهن . وكان يترقب حين يتوجهن للطواف حـول الكعبة ، وينظر اليهن محرمات ويرى منهن ما لا يستطيع ان يراه خارج الحرم ثم يصفهن ويتغزّل بهن . واخباره مع هؤلاء الحواج كثيرة في كتب الأدب ، وخصوصاً في الاغاني . وكثيراً ما كانت المرأة تتصدّى له ليشبب بها بل كن يستأن اذا لم يتغزل بهن كما قدمنا .

والذي ساعده على بلوغ هذه المرتبة في قلوب النساء نهضة المرأة العربية في العصر الأموي والحرّية الواسعة التي حصلت عليها بالنسبة الى ما كانت عليه في العصر الجاهلي . فقد بــدأت في العصر الأموي تقعد الى الرّجال وتحادثهم وتنشدهم الشعر وينشدونها . وكان للتسرّي وكثرة الإمـاء واختلاط العرب بالعجم اثر كبير في الحيــاة الاجتماعية . وتطورت حيـاة المرأة العربية حتى صارت الشريفات يتسابقن الى الزينة والتبرّج ، ويتنافسن في ابراز محاسنهن ، ويرتحن الى تشبيب عمر وغيره من الشعراء بهن .

وكان الاشراف الذين يخشون على نسائهم يمنعونهن من ارتياد مواسم الحج خوف ان يشبب بهن الشعراء . وكذلك كان الخلفاء يهددون الشعراء بالقتل إنْ هم تعرَّضوا لنسائهم في مواسم الحج كما فعل عبد الملك بن مروان والحجاج الذي ارسل يتوعد عمر إن هو تعَرَّض او شبب بفاطمة بنت عبد الملك حين قدومها الى الحج . ومع ذلك فان هذا التهديد لم يمنع عمر من التشبيب بها الا انه كنَّى عن اسمها ، ولم يصرّح به في قصيدته التي مطلعها :

رَاعَ الفؤادَ تَفَرُّقُ الْأَحْبَابِ

يَوْمَ الرَّحِيلِ ، فَهَاجَ لي أَطْرابي

وهكذا ظلَّ عمر بن أبي ربيعة منصرفاً الى حياته تلكَ وقلبهُ يتنقَّل من

حسناء الى اخرى ، يهوى تارة الثريا بنت علي ، وتارة زينب بنت موسى ، وتارة هند بنت الحارث وغيرهن من شريفات قريش . وكان له معهن مجالس واحاديث وصلات مشبوهة أو غير مشبوهة . وكثيراً ما كان يقع بينه وبين صاحباته فتور او تقاطع فكان ابن أبي العتيق [1] يسفُر بينه وبين حسناواته ، الى ان ذهب شبابه ووخطه شيبه ، ومالت نفسه الى الزهد ، وملّت العبث والمجون فآلى على نفسه الا يقول بيتاً من الشعر في الغزل الا اعتق رقبة من عبيده . ولكنه ظل يتحسَّر على ايام شبابه ولهوه وبقي على هذا الحال حتى وافاه اجله سنة ٩٣ هـ .

واختلف الرواة في سبب موته فمنهم من قال ان عمر بن عبد العزيز نفاه وابعده عن الحجاز فاراد ان يتقرّب الى الله ويتوب ويكفر عما بدر منه بالجهاد فخرج اليه واحترقت سفينته فمات . ومنهم من زعم انه جرح بغصن شجرة وتسمم دمه فمات ومنهم من زعم غير ذلك .

وعلى كل حال فان ابن أبي ربيعة زعيم الغزلين ليس فقط في العصر الأموي، ولكنه زعيمهم في الادب العربي على الاطلاق .

واليك نصاً من رائيته التي ُتعدُّ من أروع قصائده الغزلية ، والتي تمثل فنه القصصي أصدق تمثيل :

---

١) ابن ابي العتيق : من ادباء قريش وله اخبار كثيرة مع ابن ابي ربيعة وغيره من الشعراء الغزلين ذكرها صاحب الاغاني في مناسبات عديدة .

١ أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ
غَدَاةَ غَدٍ ، أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ ؟

٢ لِحَاجَةِ نَفْسٍ لم تَقُلْ في جَوَابِها
فَتُبْلِـغَ عُذْراً ، والمَقَـالَةُ تُعْذِرُ

٣ تَهِيمُ الى نُعْمٍ ، فلا الشَّمْلُ جامِعٌ
ولا الحَبْلُ مَوْصُولٌ ، ولا القَلْبُ مُقْصِرُ

---

١ ـ نُعم : امرأة من قريش أحبها عمر . الغادي : الذي يسير غـدوة أي باكراً . المبكر : السائر باكراً . الرائح : السائر في وقت الرّواح وهو العشي. المهجِّر : السائر في الهاجرة أي وقت اشتداد الحر .

المعنى : يتخيل الشاعر شخصاً يسأله : هل هو منصرف عن نُعم ؟ ولماذا؟ والجواب في البيت الذي يليه .

٢ ـ تعذر : تنْفي العذر . والمعنى : يقول مخـــاطباً نفسه : وهل انت مصمم على ترك نعم يوماً لحاجة في نفسك ؟ وهذه الحاجة غاية في الكتمان فـلا يجوز ان تبوح بها لتقدم العذر لنفسك على انصرافـك عن نُعم . اذن فلن يقبل منك عذر ما دمت لا تستطيع ان تبوح بهذا السر .

٣ ـ الشمل جامع أي مجموع ، مجاز عقلي من اسناد مـــا بني للفاعل الى المفعول مثل مكان عامر أي معمور ، وعيشة راضية أي مرضية . والشمل : ما تفرق من الامر . الحبل موصول : يقصد بـه الصلة بعد القطيعة . مقصر : اسم فاعل من أقصر عن الشيء أي كف عنه وامتنع . القلب : يعني قلبـــه . والمعنى : مع ان الشمل متفرق وحبـل الوصل مقطوع فـــان قلبه لا يكفّ عن حبها .

٤ وَلاَ قُرْبُ نُعْمٍ إِنْ دَنَتْ لَكَ نَافِعٌ
ولا نَأْيُها يُسْلِي ، ولا أَنْتَ تَصْبِرُ

٥ إِذا زُرْتُ نُعْماً لم يزلْ ذو قَرَابَــةٍ
لهـــا ، كلَّما لاقَيْتُــــهُ ، يَتَنَمَّرُ

٦ عَزِيزٌ عليه أنْ أُلِمَّ بِبَيْتِهــــا ،
يُسِرُّ لِيَ الشَّحْنَاءَ ، والبُغْضُ مُظْهَرُ

٧ ولَيْلَةَ ذِي دَوْرَانَ جَشَّمْتِنِي السُّرَى ،
وقَـــدْ يَجْشَمُ الهَوْلَ المُحِبُّ المُغَرِّرُ

٨ فَبِتُّ رَقِيبـــاً لِلرِّفاقِ عَـــلى شَفاً ،
أُحاذِرُ مِنْهُمْ مَـــن يَطُوفُ ، وأَنْظُرُ

---

٤ ـ النأي : البعادُ . يسلي : ينسي .

٥ ـ يتنمَّر : يغضب ويثور كالنمر .

٦ ـ ألمَّ بالبيت : مرَّ به او زاره . يُسرُّ : يضمر . الشحنــاء : العداوة . البغض مظهر : ظاهر على وجهه .

٧ ـ ذو دوران : اسم مكان . جَشَّمه : كلَّفه . السُّرى : السير ليلاً . المغرر : الذي يغرر بنفسه ويعرّضها للتهلكة .

٨ ـ الشفا : الحد او النهاية ، وقوله بت على شفا أي على حذر .

٩ فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُم ، وأُطْفِئَتْ
مَصَابِيحُ ، شُبَّتْ في العِشَاءِ ، وأَنْوُرُ

١٠ وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَهُ ،
ورَوَّحَ رُعْيَانٌ ، ونَوَّمَ سُمَّرُ

١١ ونَفَّضْتُ عَنِّي النَّوْمَ ، أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ الـ
حُبَابِ ، ورُكْني خَشْيَةَ القَوْمِ ، أَزْوَرُ

١٢ فَحَيَّيْتُ إِذْ فَاجَأْتُها ، فَتَوَلَّهَتْ ،
وكادَتْ بِمَكْنُونِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ

١٣ وقَالَتْ ، وعَضَّتْ بالبَنَانِ : « فَضَحْتَني !
وأنْتَ امْرُؤٌ ، مَيْسُورُ أَمْرِكَ أَعْسَرُ ! »

---

٩ ـ الضمير في (منهم) يعود على الرفاق وهم رهطه وجماعته في سفره . شُبَّت : أُوقِدَت . الأنوُرُ : جمع نار .

١٠ ـ روَّح الرعيان : عادوا بالمواشي الى مَراحها أي المكان الذي تبيت فيه . نوَّم : نام . السُّمَّر : جمع سامر وهو الذي يسمر ويتحدث في الليل . والتضعيف في (روَّح ونوَّم) للمبالغة .

١١ ـ ونفضت عني النوم : أي فركت عيني من النعاس . الحباب : الحية أي ينسل انسلال الحية كي لا يشعر به أحد . الركن : الجانب . أزوَرْ : مائل.

١٢ ـ تولـهت : تحسَّرَت وحزنت بخوف . المكنون: المخفوض .

١٣ ـ البنان : الاصابع . وقوله : ميسور أمرك أعسر : أي ما يبدو سهلا

١٤ «أَرَيْتَكَ، إِذْ هُنَّا عَلَيْكَ، أَلَمْ تَخَفْ؟
رقيباً، وَحَوْلِي من عَدُوِّكَ حُضَّرُ»

١٥ «فَوَاللهِ مَا أدري، أَتَعجِيلُ حَاجَةٍ،
سَرَتْ بِكَ، أَمْ قَدْ نَامَ من كنتَ تَحْذَرُ؟»

١٦ فَقُلْتُ لها: «بَلْ قَادَني الشَّوْقُ والهَوىٰ
إِليكِ، وما عَيْنٌ من النَّاسِ تَنْظُرُ»

١٧ فقَالَتْ، وقدْ لانَتْ وأَفْرَخَ روْعُها:
كَلاكَ بِحِفْظٍ رَبُّـكَ الْمتَكَبِّرُ!»

١٨ فأنتَ، أبا الخَطَّاب، غيرَ مُدَافَعٍ،
عَلَيَّ أميرٌ، مـا مَكَثْتَ، مُؤَمَّرُ»

من الامور هو صعب عليه لشدة الرقابة.

١٤ ـ أرَيتك: أصلها أرأيتك أي أخبرني. والهمزة للاستفهم الانكاري. هُنَّا: سهلنا من هان الامر. حُضَّر: حاضرون.

١٥ ـ سرت بك: أي كلفتك السير ليلاً.

١٧ ـ أفرخ: هدأ. لانت: سايرت. الروع: القلب. كلاك: كلأك؛ حفظك. المتكبر: صفة من صفات الله وحده.

١٨ ـ أبا الخطاب: كنية عمر بن أبي ربيعة وهو منادى، أداة النداء محذوفة. غير مُدافع: غير مزاحم. ما مكثت: أي مدة مكوثك وبقائك عندي. مؤمر: لك الامر وعليَّ الطاعة.

١٩ فَيا لكَ مِنْ ليْلٍ تَقَاصَرَ طولُهُ ،

ومــــا كانَ ليْلي قَبْلَ ذَلـــكَ يَقْصُرُ

٢٠ ويا لكَ مِنْ مَلْهىً هُناكَ ومَجْلِسٍ ،

لنــا ، لم يُكَدِّرْه علينــا مُكَدِّرُ

٢١ فلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْـــلُ إلاَّ أقلَّهُ ،

وكادَتْ توالي نجْمِهِ تتَغَوَّرُ ،

٢٢ أشارَتْ : « بأنَّ الحَيَّ قدْ حانَ مِنْهُمُ

هُبُوبٌ ، ولكنْ مَوْعِدٌ لكَ عَزْوَرُ »

٢٣ فما راعني إلاَّ مُنادٍ : « تَرَحَّلُوا »

وقد لاحَ مَفْتُوقٌ ، من الصُّبْحِ ، أشقَرُ

---

١٩ : تقاصر طوله : أي لم يشعر بطوله لانه من اوقات السرور وعكسه ليالي البعاد تكون طويلة لانها ليالي عذاب .

٢٠ ـ يكدّره : يعكّره . والمكدّر : المعكّر .

٢١ ـ التوالي : البواقي . تغوّر : تغيب .

٢٢ ـ الهبوب : الاستيقاظ من النوم . عَزْوَرُ : اسم موضع قرب مكة وقد ضربت له موعداً للقاء فيه .

٢٣ ـ راعني : خوّفني . تَرَحّلُوا أي شدُّوا رحالكم للسفر . مفتوق : منشق . أشقر : أصابه نور الشمس الاشقر .

٢٤ فلمّا رأتْ مَنْ قدْ تنَبَّهَ مِنْهُمُ ،
وأيْقَاظَهُمْ ، قالتْ : « أَشِرْ ، كيفَ تأمُرُ ؟ »

٢٥ فقُلْتُ : « أُبادِيهِمْ فإمَّا أفوتُهُمْ ،
وإمَّا ينَالُ السَّيْفُ ثَأراً فَيَثْأرُ

٢٦ فقالت : « أتحْقِيقاً لما قال كاشحٌ
علينا ، وتصْدِيقاً لِما كانَ يُؤثَرُ ؟ »

٢٧ « فإِنْ كانَ ما لا بُدَّ مِنْهُ ، فَغَيْرُهُ
منَ ٱلأمْرِ ، أَدْنَى لِلخَفَاءِ ، وأَسْتَرُ »

٢٨ أُقصُ على أُخْتَيَّ بَدْءَ حَدِيثِنا ،
ومَالِيَ مِنْ أنْ تَعْلَمَا مُتَأَخَّرُ »

٢٩ لعَلَّهما أنْ تطْلُبا لكَ مخْرَجاً ،
وأنْ ترْحُبا صدْراً بما كنتُ أحْصَرُ »

---

٢٤ ـ أيقاظ : جمع يقظان وهو معطوف على من قد تنبه . أشر كيف تأمر : ما هو المخرج مما وقعنا فيه .

٢٥ ـ أُباديهم : أبدأهم بالعدوان . أفوتهم : أسبقهم وأنجو منهم . يثأر : أي يثأر لهم مني .

٢٦ ـ الكاشح : المبغض . يؤثر : ينقل ويحكى .

٢٧ ـ أدنى للخفاء : أقرب للخفاء . أكثر تستراً .

٢٨ ـ بدء حديثنا أي القصة من أولها . متأخَّرُ : تأخُّر .

٢٩ ـ ترْحُبا : تتسعا، ومنه الرحب أي الواسع. أحْصر: يضيق به صدري.

٣٠ فقَالتْ لأُخْتَيْها : « أعينا علَى فَتىً ،
أتى زَائِراً ، والأَمْرُ للأَمْرِ يُقْدَرُ »
٣١ فأقْبلَتَا ، فارْتاعَتَا ، ثُمَّ قالتا :
أقلِّي عَلَيْكِ اللَّومَ ، فالَخطْبُ أَيْسَرُ »
٣٢ « يَقُومُ فَيَمشِي بَيْنَنا مُتَنَكِّراً ،
فلا سِرُّنا يَفْشُو ، ولا هُوَ يَظْهَرُ »
٣٣ فكانَ مِجَنِّي دونَ مَنْ كُنتُ أَتَّقِي ،
ثلاثُ شُخُوصٍ : كاعِبَانِ ومُعْصِرُ
٣٤ فلمَّا أَجَزْنَا ساحَةَ الحيِّ قُلْنَ لي :
« أَلَمْ تَتَّقِ الأَعداءَ واللَّيْلُ مُقْمِرُ ؟ »
٣٥ وقُلْنَ : « أَهَذَا دأبُكَ الدَّهْرَ سادِراً
أما تستَحِي ، أوْ ترْعَوِي ، أوْ تُفَكِّرُ ؟ »

---

٣٠ ـ الامر للأمر يُقدر : أي يُدَبَّر ويُهيّأ .
٣١ ـ الخطب : الامر العظيم . أيسر : أسهل مما تظنين .
٣٢ ـ يفشو : يفتضح .
٣٣ ـ مِجني : ترسي ، خبر مقدم لكان واسمها ثلاث . شخوص : اشخاص . الكاعب : المرأة التي ارتفع ثديها وظهر . المعصر : الفتاة التي بلغت سن الشباب .
٣٤ ـ أجزنا : قطعنا .
٣٥ ـ دأبُك : عادتك . الدهر : أي دائماً . السادر : الذي لا يهتم ولا يفكر

٣٦ «إِذا جِئْتَ فامْنَحْ طَرْفَ عَيْنَيْكَ غَيْرَنا
لِكَيْ يَحْسَبُوا انَّ الهَوَى حيثُ تَنْظُرُ»

الشرح الادبي والتحليل

أول ما يلفت النظر في رائية عمر هذا الحوار بينه وبين نعم ، وهذا الغزل القصصي الذي اتصف بـه شعر عمر عامة ، والذي نجده عند امرىء القيس أيضاً، إلا ان عمر فاق استاذه وتقدّم عليه في هذا الفن القصصي اشواطاً بعيدة.

يستهلّ الشاعر قصيدته بذكر صاحبته ويجرّد من نفسه شخصاً ويسأل نفسه : هل هو مزمع على الانصراف عنها ولماذا ؟ وهل هو مصمم على القطيعة لحاجة في نفسه لا يريد ان يبوح بها ؟ وبما انه لا يجوز له ان يبوح بها فلن يستطيع ان ينتحل عذراً معقولاً لهذه القطيعة . ثم يتابع مخاطبة نفسه فيقول : أهيم بنعم رغم ان الفرقة واقعة ، ولا أمل في الوصال، ذلك لان قلبي لا يكف عن حبها ، ولا ينفعني قربها لاني لا أستطيع الوصول اليها كما أنّ بعدها عني لا ينسيني حبها ولا انا أصبر على هذا البعاد . ثم يقول واذا قدر الله لي وزرتها فان أقرباءها يكرهون هذه الزيارة ويتنكرون لها، وهم يضمرون لي العداوة في الباطن ولا يستطيعون إخفاءها فتظهر على وجوههم عندما ألتقي بهم . ونلاحظ ظاهرة تكرار اسم نعم في هذه الابيات لانه يتلذذ بهذا التكرار ويرتاح اليه .

ثم ينتقل الى ذكر زيارة لها في مكان ما يقال له دَوْران، فيذكر ما لاقى

بالعواقب . ترعوي : ترجع عن جهلك وضلالك . تفكر : أي تفكر في الامر قبل الإقدام عليه .

٣٦ ـ فامنح طرف عينيك غيرنا : أي حول نظرك عنا كي لا ينتبه احد الى أنك تقصدنا وفي ذلك إبعاد للشبهة .

في سبيل هذه الزيارة من الاخطار والأهوال ، ويصف كيف انـــه انتظر حتى انقطع الصوت، وأطفئت النيران، ورجع الرعيان من المراعي ، ونام السامرون وغاب القمر الذي كان ينتظر غيوبه ، عند ذلك قام يمشي مشية الحية وينساب انسيابها كي لا يشعر به أحد من النائمين ، ولما وصل الى خبـائها وحيَّاها بهتت وتلهفت وتحسرت وكادت ترفع صوتها خوفـــاً وتفضح مجيئه . وهنـا يصور لنا كيف عضت على اصبعها فعل المرأة عند الخوف والمباغتة .

ثم قالت له : أخبرني هل هان أمري عليك الى هذا الحد حتى جئت على هذا الشكل فلم تخف رقيباً مع كثرتهم حولي ؟ وهل دفعك الى هذا حـاجة عجلى أم انك أمنت الرقباء بعدما استغرقوا في نومهم ؟

ويجيبها : هو الشوق والهوى قـــادني اليكِ ولا عين من النـاس تنظر . ولا تكاد تسمع هذا الجواب حتى ترتاح اليه ويهـــدأ قلبها ويذهب خوفهـــا فدعت الى الله ان يحفظه ويحرسه من أعدائه ، وزادت على ذلك بأن قالت له: أنت آمري ما مكثت عندي وليس عليك إلا ان تأمر وما علي الا أن أطيع. وهذا تجاوب في الحب ما بعده تجاوب . ثم يقول : كان ليله قصيراً لأنه ليلَ سرور وسعادة ، ولذلك فانه لم يشعر به ، وكثيراً ما طال ليله قبل ذلك لانه ليلُ الفراق والعذاب . ولقد واتاه الزمان فاستمتع بليلته هذه ما استمتع دون ان يعكـِّر صفوَه مُعكـِّرٌ . ويذكر انه بعدما مضى الليـــل الا أقله وهمَّ بالانصراف وضربت له موعداً آخر في عَزْوَرَ فاجأه صوت مناد في الحي. وهنا وقع في الفخ فقد استيقظ أهل الحي وافتضح أمره ولم يعد يستطيع الخروج ؛ فعرض عليها فكرة استعمال السلاح ومبادرتهم الى القتال، فإما ان ينجو واما ان يثأروا منه . الا انها لم تستحسن الطريقة لان أقل ما يقال فيها انها تأكيد لما قال الاعداء عنها وتصديق لكل ما نقل عنها من الاخبار . ورأت ان تلجأ الى الحيلة والمكر والدهاء وذهبت الى أختين لها أطلعتها على حقيقـة أمرهما فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا : لا تخافي فالامر أيسر مما تظنين ، يقوم فيمشي بيننـا متستراً بزي المرأة ويخرج ، فلا سرنا يبدو ، ولا هو يظهر . ثم يقول : وكان

ترسي الذي دافعت به عن نفسيً ، ثلاث شخوص، ولم يقل ثلاث نساء، كاعبين ومعصر . ولم يكد يخرج من الحي حتى وجهن اليه اللوم وقلن لـــه : أهذا هو حالك طول العمر ؟ أما آن لك ان تستحي او ترجع عن غيك او تفكـــر في أمورك فلا تقدم عليها بهذا الشكل من الطيش والتهوّر ؟ ولكن نفسية المرأة هي هي لا تتغير ولا تتبدل فهي تقول لا وتريد بها نعم ، ولذلك طلبن اليه ان يعود ثانية وعلـّمنه درساً في المكر والخداع وذلك بأن ينظر اذا جاء مرةأخرى الى مكان فتاة أخرى كي يبعد الشبهة عنهن .

مقتطفات اخرى من غزل عمر

قال حين هجرته الـثُريا بنت علي ، وكان يحبها حباً جماً :

١ قالَ لي صاحبي ليعلمَ ما بي أَتُحِبُّ القَتُولَ ، أختَ الرَّبابِ

٢ قلتُ : وَجدِي بها كوَجْدِكَ بالعذْ ـبِ ، إذا مــا مُنِعْتَ طَعْمَ الشَّرابِ

٣ مَنْ رَسُولي إلىٰ الثرَيّا بِأني ضِقْتُ ذَرْعاً بِهجْرِها ، والعتاب

٤ ابرَزُوها مِثلَ المهاةِ تَهادىٰ بَيْنَ خَمْسٍ كواعِبٍ أتْرابِ

---

١ ـ القتول على وزن فعول بمعنى فاعـــل كالغفور بمعنى غافر ، وهي من الصفات التي يستوي فيها المذكر والمؤنث ، أي القاتلة . الرباب : اخت الثريا التي قال عمر هذه الابيات فيها .

٢ ـ الوجد : الشوق الشديد . العذب : الماء العذب .

٣ ـ ضقت ذرعاً بهجرها وعتابها : اي لم اعد احتملها .

٤ ـ المهاة : البقرة الوحشية. تهادى : اصلها تتهادى اي تتمايل . الكواعب:

٥ وَهْيَ مكنونةٌ تَحَيَّرَ منها ، في أديم الخدَّينِ ، ماء الشّبابِ
٦ دُمْيَةٌ عندَ راهبٍ ذيٱجتهادٍ صَوَّرُوها في جانبِ المِحْرابِ
٧ ثم قالوا : تُحِبُّها ؟ قلت بَهراً ! عَدَدَ النَّجْمِ والحصى والتُّرابِ
٨ غَصَبَتْنِي مَجَّاجَةُ المسكِ عَقْلِي فَسَلُوها : ماذا أَحَلَّ اغتصابي

وَحَجَّتْ رملة بنت عبدالله بن خلف الخزاعي فقال فيها :

١ أصبحَ القلبُ في الحِبالِ رَهينا مُقْصَداً ، يَوْمَ فارَقَ الظَّاعنينا
٢ قلتُ : مَنْ أَنْتمُ ؟ فَصَدَّتْ وقالتْ أمُبِدٌّ سُؤالَكَ العالمينا

جمع كاعب وهي الناهدة الثدي . الأتراب : جمع ترب وهو صديقك الذي في سنك .

٥ ـ المكنونة : المصونة والمستورة . تحيَّر: اجتمع. اديم الخد : صفحته . ماء الشباب : رونقه .

٦ ـ الدمية : الصورة او التمثال . ذي اجتهاد : مجتهد في عبادة الله .

٧ ـ بهراً : عجباً او كثيراً .

٨ ـ مجّاجة المسك التي يمجُّ المسك منها اي يتضوّع ويفوح.

١ ـ الحبال : اراد بها حبال الهوى . الرهين : المرهون والاسير . المقصد : من أقصده بالسهم اذا رماه بـه فأصاب منه مقتلاً . الظاعن : الراحل ، ضد المقيم .

٢ ـ صَدّت : اعرضت . أُمبدٌّ : أمُقَسّمٌ سؤالك على الناس جميعاً ، أملزمٌ .

٣ نحن مِنْ ساكنِي العراقِ وكنا قَبْلَهُ قاطنينَ مَكةَ حينا
٤ قَدْ صَدَقْنَاكَ إِذْ سألتَ فَمَنْ أَنْـ
تَ عسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُؤُونـــا
٥ وَنَرى أَنَّنَا قَدْ عَرَفْنَاكَ بالنَّعْـ ـتِ بِظَنٍّ ومـــا قَتَلْنَا يَقِينَا
٦ بِسَوادِ الثَّنِيَّتين ونعتٍ قـــد نَرَاهُ لناظِرٍ مُسْتَبِينا

ومن استنطاقه الرَّبع قوله :

١ سائِلا الرَّبْعَ بالبُلَيِّ وقُولا هِجْتَ شَوْقاً لنا، الغداةَ ،طويلا
٢ أينَ حَيٌّ حَلُّوكَ إِذْ أنتَ محفو فٌ بِهِمْ آهِلٌ أراكَ جميلا
٣ قال: ساروا فأمعنُوا فاستَقَلُّوا وبرغمي لو استطعْتُ سبيلا
٤ سَئِمونا وما سَئِمْنَا مُقَامَاً وأَحَبُّوا دَمَـــاثةً وسُهُولا

---

٣ ـ قاطنين : ساكنين .
٥ ـ ما قتلنا يقيناً : أي لم نعلم العلم اليقين .
٦ ـ الثنيّة وتجمع على ثنايا ، وهي الاسنان الاربعة التي في مقدم الفم .
مستبين : واضح .

١ ـ الربع : الدار او المكان الذي تنزل فيه القبيلة . بُلَـيّ : اسم مكان .
٢ ـ محفوف : من حفّ بالشيء اذا أحاط به . آهل : عامر .
٣ ـ استقلوا : واصلوا السير في الليل والنهار .
٤ ـ الدماثة : السهولة واللين في اخلاق الانسان .

مصادر

١ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة	
٢ ـ الاغاني	للأصفهاني ، الجزء الاول من طبعة دار الكتب بمصر
٣ ـ حديث الاربعاء	لطه حسين
٤ ـ المفصل في تاريخ الادب العربي	للاسكندري وجماعته
٥ ـ أدباء العرب	للبستاني .
٦ ـ الجديد في الادب العربي وتاريخه	لحنا الفاخوري .
٧ ـ حب عمر بن أبي ربيعة وشعره	للدكتور زكي مبارك .
٨ ـ شاعر الغزل	لعباس محمود العقاد .
٩ ـ الغزل	للدكتور سامي الدهان .

اسئلة ومواضيع

١ ـ اعترف النقّاد القدامى والمحدثون لعمر بزعامة الغزلين ، فهل لك في بيان ميزاته الشعرية التي رشحته لهذه المنزلة؟ إيتِ بأمثلة من شعره على ذلك .

٢ ـ اقرأ في كتاب الاغاني بعض قصص عمر مع صواحبه ولَخصْ بعضها لزملائك ، والتمس اسباب انتشار هذا اللون من الحياة اللاهية في الحجاز وما حولها .

٣ ـ بيّن هل في رائية عمر فن قصصي وحوار ؟

وأظهر قيمة هذا الفن عند عمر بن أبي ربيعة موضحاً رأيك بالشواهد الكافية من شعره .

جميل بثينة

هو جميلُ بنُ عبدالله بن مَعْمَر العذري المعروف بجميل بثينة ، من قبيلة عُذْرَة اليمانية التي اشتهرت بحبها العفيف ، والتي كانت تنزل وادي القُرى قرب المدينة المنورة .

احب ابنة عمه بثينة وهما غلامان صغيران ، وبدأ حبهما بسباب وقتال بينهما لضرب بثينة إبلاً له ، ولما شبّا هام بها هياماً قوياً ، وتغنى بها في اشعاره ، حتى اشتهر أمرهما ، ولما خطبها الى أهلها ردوه خوفاً من تعيير الناس لهم ، وزوجوها رجلاً آخر ، فزاده ذلك تعلّقاً بها واشتد ألمه عليها .

وكانت بثينة شديدة الشغف به ، ولما واصل تردده عليها واكتشف امرهما وكاد يقتله اهلها لولا أن حذرته بثينة فهجاهم، رفعوا امره الى والي المدينة آنذاك وهو مروان بن الحكم من قبل معاوية بن ابي سفيان ، فأهدر دمه ، فهرب الى اليمن ولم يعد الى بلده الا بعد ان عزل مروان .

ورحل اهلها الى الشام فلحق بهم ، فأنبّوه ، فانقطع عنها والالم يحز في فؤاده . ورحل الى مصر ، واتصل بعبد العزيز بن مروان ، وهو يوم ذاك والٍ عليها فاكرمه ، وبقي عنده حتى اعتلّ ومات سنة ٨٢ هـ فحزنت عليه حزناً شديداً .

كان جميل حسن الهيئة ، طويل القامة ، أنيق المظهر ، كثير الاعتداد بنفسه ، شديد الغرور ، وقد روت كتب الأدب الكثير من القصص والاخبار

حول حبه لبثينة ، واكثرها موضوع مختلق لظهور التناقض فيها .

ترك لنا ديواناً من الشعر كان معروفاً حتى القرن السابع الهجري ، الا انــه ضاع ولم يبق من شعره الا مــا كان متفرقاً في كتب الأدب ، واكثره في الغزل واقلّه في الفخر والهجاء .

ومن شعره قوله يصف حبه لبثينة وحزنه لفراقها وهو مسافر الى مصر :

١ ألاَ ليْتَ رَيْعانَ الصِّفاءِ جديدُ   ودَهْراً توَلَّى يا بُثَيْنَ يعُودُ

٢ فنَغْنَى كما كنَّا نكونُ وأنْتُمُ   صديقٌ وإِذْ ما تبذلين زهيد

٣ ومَا أنسَ مِلأشياءِ لا أنسَ قولها   وقد قُرِّبَتْ نِضْوي: أمِصْرَ تُريدُ ؟

٤ ولا قَوْلها لولا العيونُ التي ترى   أتَيْتُكَ فاعذُرني فَدَتْكَ جُدودُ

٥ خليليَّ ما أُخْفِي من الوجدِ ظاهِرٌ   ودمعي بما أُخْفي الغدَاةَ شهيد

---

١ ـ ريعان الصفاء : أوله وافضله . تولى : ذهب ومضى . والمعنى : يتمنى ان يعود اليه عهد الصفاء والسعادة والهناء الذي تولى وذهب .

٢ ـ نغنى : نقيم . نكون : نوجد او نعيش . صديق : تستعمل للمذكر والمؤنث . ما تبذلين : ما تنيلين من امنيات الحب . زهيد : قليل .

٣ ـ ملأشياء : من الاشياء ، وحذفُ النون من (من) لغــة عند العرب . نضوي : ناقتي . والنضو : الحيوان الهزيل .

٤ ـ الجدود : جمع جد اي أبو الأب .

٥ ـ الـوَجد : الحب الشديد . الغداة : أول النهار . شهيد : شاهد .

٦ إذا قلتُ ما بي يا بُثَيْنَةُ قاتلي
من الحبِّ ! قالت ، ثابتٌ ويزيدُ !
٧ وإنْ قُلْتُ رُدِّي بعضَ عقلي أعِشْ بِهِ
مع النَّاس قالت ، ذاكَ منك بعيدُ
٨ يَمُوتُ الهوى منِّي إِذا ما لقيتُها وَيَحْيا إِذا فارقْتُها فيعُودُ
٩ يقولونَ : جاهدْ يا جميلُ بغزوةٍ وأيَّ جهادٍ غيرَهُنَّ أُرِيدُ ؟
١٠ لكلِّ حديثٍ بينهنَّ بشاشةٌ وكلُّ قتيلٍ بينهنَّ شهيدُ

هذا النص مأخوذ من قصيدة يصف فيها جميل حبه لبثينة وحزنه لفراقها لما أراد السفر الى مصر وودعته الوداع الاخير قبل سفره . وهـذه الابيات تمثل لنا العاشق الشديد الوجد ، الدائم الحب ، الذي تسامى حبه عن المادة وترفع عن الفحش فتحاشى كل مـا يسيء الى سمعة المحبوبة وشرفها . وحب جميل صورة صادقة للحب العذري الشريف العفيف الذي اشتهر بـه قومه بنو عذرة حتى أصبح ينسب اليهم كل حب شريف فيقال له : الحب العذري .

واذا اعدنا النظر في هذه الأبيات وجدنا ان جميل لا يصف جمال محبوبته المادي وانما يصف ما يخالجـه من حالات وجدانية يشعر بها اثناء الوصال والهجر وما يتنازع نفسه من ألم ويأس ، وما تسبب له هـذه الحالات من السرور او الحزن .

كل ذلك في حوار جميل يدور بينه وبينها او بينه وبين اصحابه .

يتمنى جميل ان يعود الى اول عهد الشباب وان يرجع اليه عهد السعادة

---

٦ ـ ثابت اي هو ثابت ، خبر لمبتدأ محذوف ، وهو بمعنى : باق .

والهناء الذي تولى فيقيم مع محبوبته سعيدين كما كانا من قبل صديقين ليس بينهما جفاء ، وليس بينه وبين اهلها عداء ولو كان ما يناله من الحب شيئاً زهيداً .

ومهما يَنْسَ من الاشياء فانه لن ينسى قول بثينة له وهي تودعه وقد قرَّبوا له ناقته : هل تريد السفر الى مصر ؟ ! كما انــه لا ينسى قولها له ايضاً : لولا خشية الرقبـــاء من حولي لجئت اليك ، ولا تفديتها له بالأهل ، ودعاءها له بالسلامة . واذا قال لها : ان الحب سيقتله قالت دلالاً : انه باقٍ وسوف يزيد ايضاً .

ولقد اخذت منه عقــله فاصبح سادراً ساهماً لا يرعوي ولا يفكر . واذا سألها ان ترد اليه بعض عقله حتى يستطيع العيش بين الناس ومخاطبتهم لم تلب له طلبه . كما ان هذا الحب لا يضعف في قلبه ليستريح قليلاً من آلامه وليرجع الى رشده . ثم يتحدث عن حبه العذري ، فهو يمني نفسه قبل لقائها بكثير من نعم الوصال ، فاذا لقيها سما به حبّه وغلبه حياؤه على كل شيء ، واذا فارقها استيقظت نزعاته واشتدت اشواقه ، وهكذا حاله دائمــاً مما دعا الناس الى الاشفاق عليه فطلبوا منه ان يجاهد في سبيل الله لعله ينسى هذا الحب ، فما كان منه الا ان اجابهم بانه لا يبغي جهاداً غير جهاده في حب النساء . ولقد اطلق الكلام عليهن جميعاً . ولكنه لا يريــد منهن الا واحـــدة هي بثينة ، وكل من يقتله الحب يموت شهيداً عظيم الثواب عند الله لانـــه يموت مجاهداً في سبيلهن .

ونجد في النص العاطفة الصادقة وقوة الشعور وقليلاً من الصور البيانية التي هي وليدة الطبع .

وتمتاز تراكيبه بسهولتها ووضوحها وعذوبتها كما تمتاز الفاظه بالبعد عـــن الغريب والتنافر .

ويمتاز النص بصورة عامة بموسيقاه وجمال ادائه وما فيه من حوار لطيف .

والخلاصة إن هذا النص يمثل الحب العذري العنيف العفيف خير تمثيل .

وقال يصف حبَّه لبثينة :

١ لقد فرح الواشون أنْ صَرَمَت حَبْلي
بُثَيْنَةُ أو أبدت لنا جـانب البُخْلِ

٢ يقولون : «مهلاً يا جميلُ !» ، وإنني
لأُقْسِمُ مالي عـن بُثَيْنَةَ مـن مَهْلِ

٣ أحِلْماً فقبْـلَ اليومِ كان أوانُـهُ
أمَ ٱخشى فقبـلَ اليومِ أُوعـدْتُ بالقتل

٤ إذا مـا تراجعْنا الذي كان بيننـا
جرى الدَّمْعُ من عَيْنَيْ بثينة بالكُحْلِ

٥ كلانا بكى أو كاد يبكي صَبابةً
إلى إلْفه واستعجلَتْ عـبْرَةً قبلي

---

١ ـ صرم : قطع ، وصرمت حبله أي هجرته . البخل هنا معناه الضنّ بالتلاقي والوصال .

٢ ـ مهلاً : صبراً .

٣ ـ الحِلم : العقـل ، وجعل همزة (أخشى) همزة وصـل للضرورة . أوعدت : هُدّدت .

٤ ـ تراجعنا الذي كان بيننا : تذاكرناه وتحدثنا عنه .

٥ ـ الصبابة : شدة الشوق . الألف : الحبيب الذي يـألفه حبيبه . العَبرة : الدمعة .

٦ أجِـدَّكَ لا ألقى بثينةَ مرَّةً
من الدّهر إلا خائفاً أو على رحل
٧ خليليَّ فيا عشتما هــل رأيْتُما
قتيلاً بكى من حُبِّ قاتلهِ قبلي ؟
٨ أبيتُ مع الهُلاَّكِ ضيفاً لأهلها
وأهْلي قريبٌ موسِعون ذُوو فَضْلِ
٩ فإن وُجِدَتْ نَعْلٌ بأرض مُضِلَّةٍ
من الأرض يوماً فاعلمي أنهــا نعلي

---

٦ ــ أجدك أي أبجدٍ منك ، وهي منصوبة على نزع الخافض، او على انها مفعول مطلق فيكون التقدير : أتجد جدّك . لا ألقى : أي هكذا حالي دائماً لا ألقى بثينة إلا خائفاً او مسافراً ، فهذا الفعل يفيد العادة والاستمرار هنا .

٧ ــ فيا عشتما أي طول حياتكما.. والقتيل أي المحب المتألم الشديد الحب . والقاتل هو المحبوب الكثير الدلال والصدّ .

٨ ــ الهلاك : الصعاليك الذين ينزلون عند الاغنياء ليأكلوا . موسعون : أغنياء أي يعيشون في سَعَةٍ من الرزق .

٩ ــ النعل : الحذاء وهي مؤنثة . الارض المضلة هي التي لا يهتدي فيهــا السالك، والشاعر ضال لا يعرف طريقه لانه يائس . ويقصد بالنعل الضائعة أي فقده وموته وحيداً في الارض المضلّة . والمقصود من هذا البيت انه يستجدي فيه عطف محبوبته وحنانها .

وقال يخاطب بثينة وقد َتوَّعده أهلها بالقتل :

١ فليت رجالاً فيكِ قد نذروا دمي
وهمُّوا بقتلي يـــا بُثَيْنَ لقُوني

٢ إذا ما رأوْني طالعـــاً من ثنِيَّةٍ
يقولونَ من هذا ؟ وقَـــدْ عرفوني

٣ يقُولون لي : أهلاً وسهلاً ومرحباً
ولو ظَفروا بي خـــالياً قتلوني ...

٤ ولو أرْسلتْ يوماً بثينةُ تبتغي
يميني ، ولوْ عزَّتْ علَيَّ يميني

٥ لاعطَيتُها مـــا جاء يبغي رسولها
وقلتُ لهـــا بعْدَ اليمين : سليني

---

١ ـ نذروا دمي فيك أي نذروا ان يقتلوني بسبب حبي لك .

٢ ـ الثنية : العقبة ، ويقال فلان طلاع الثنايا أي عالي الهمة يطلب معالي الامور .

٣ ـ خالياً : منفرداً .

٤ ـ يميني : يده اليمنى .

٥ ـ سليني : أي أطلبي مني ما هو أغلى من يميني لأقدمه اليك.

٦ لحا اللهُ مــن لا ينفَعُ الودُّ عنده
ومن حَبْلُهُ ، إنْ مُدَّ ، غيرُ متينِ

٧ ومنْ هــو ذو وجهين ليسَ بدائم
على العهــد خلاَّفٌ بكـــل يمين

مصادر

١ - جميل بثينة — لعباس محمود العقاد .
٢ - المفصل في تاريخ الادب العربي — للاسكندري وجماعته .
٣ - أدباء العرب — للبستاني .
٤ - الجديد في الادب العربي وتاريخه — لحنا الفاخوري .
٥ - الغزل — للدكتور سامي الدهان .

اسئلة ومواضيع

١ - كان جميل يشبب ببثينة على طريقة أهل الجاهلية في البكاء على الأطلال ووصف الديار وجمال الحبيبة وبيان ما في نفسه من حرقة ولوعة وألم ، لا على مذهب عمر بن أبي ربيعة في الغزل القصصي وحكاية ما يحدث له مع النساء . فهل لك ان تأتينا بأمثلة من شعر الشاعرين تبين فيها ذلك ؟

٢ - إشرح إحدى القطعتين المعروضتين عليك في الدراسة التي قدمناها لك عن جميل شرحاً أدبياً .

٣ - خــذ مقطوعة من شعر ابن أبي ربيعة من التي تقدمت معك وأخرى لجميل بثينة وقارن بين غزل الاثنين مبيّناً مَيِّزات كل منهما .

---

٦ - لحا الله : لعن الله . الحبل : حبل الود والصداقة .

٧ - ذو وجهين : المتقلب في مودته . الخلاف : الكثير الخلف في يمينه ، وهو صيغة مبالغة .

الشعر السياسي

مميزاته – اسباب نهضته – الأحزاب السياسية والدور الذي قام به شعراؤها

كلنا يعلم أن هذه الأمة العربية انما اعزها الله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ان كانت لا شأن لها ، وتَوَحَّدت قبائلها تحت زعامته . وبعد وفاته اصبحت زعامة المسلمين امراً تتزاحم عليه القبائل العربية وتتقاتل من أجله ، فنشأت الأحزاب السياسية . واول خلاف كان على الزعامة بين المهاجرين والأنصار عقب وفاة الرسول . وكانت الغلبة في ذلك لقريش التي استأثرت بالحكم ، ولكن ما كاد يتولىّ ابو بكر الأمر حتى ارتدت عن الاسلام قبائل كثيرة من العرب لسببين : **الأول** انها لم ترضَ بزعامة قريش عليها ، **والثاني** ان أثر الدين في نفوسها كان ضعيفاً وقيوده عليها كانت ثقيلة . واشتغل ابو بكر في حرب المرتدين حتى افاءوا واذعنوا الى سلطان قريش ودفعوا ما عليهم الى بيت مال المسلمين .

وفي عهد عمر اشتغل المسلمون بالفتوح وانشغلوا عن السياسة الداخلية فلم يحدث خلاف بينهم على الزعامة وكانت مدة خلافته من أهدإ ما يكون في تاريخ الاسلام والمسلمين .

ولما آل الأمر الى عثمان رضي الله عنه واستأثر الأمويون بالحكم ، برزت هناك جماعة من المسلمين ترى ان الخلافة يجب ان تكون في آل علي، اي في الهاشميين لا في الأمويين ، وهؤلاء هم الخليّة الأولى لحزب الشيعة .

على ان استيلاء بني امية على الحكم في عهد عثمان واستئثارهم بأموال المسلمين واموالهم كان السبب الأول في الاكثار من اعداء عثمان والناقمين على سياسته حتى انتهى الامر بقتله ومبايعة علي بالخلافة .

ولكن بعض القرشيين لم يكونوا راضين عن مبايعة علي ، وكانوا يطمعون بالخلافة بعد عثمان فقاموا يطالبون بالخلافة تحت ستار المطالبة بدمه . وهكذا نشأ النزاع بين علي واصحاب الجمل ثم بين علي ومعاوية ، وانقسم المسلمون الى حزبين : احدهما يناصر معاوية والآخر يناصر علياً . وعلى أثر موقعة صفّين ظهر حزب ثالث ، هو حزب الخوارج . وهكذا بدأ التطاحن بين هذه الأحزاب الثلاثة حول الخلافة حتى انتهى الأمر بقتل علي وانتصار معاوية وعودة الخلافة الى الأمويين واستقرار الحكم في ايديهم يرثه الأبناء عن الآباء .

ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، فقد قام ابن الزبير في الحجاز يطالب بالخلافة ، وامتنع عن مبايعة يزيد ، وعظم أمره ، وظل يحارب الأمويين عشر سنوات وكاد الأمر يتم له لولا سوء سياسته وتدبيره . واخيراً قُتل ابن الزبير في خلافة عبد الملك بن مروان وقضي على حزبه قضاءاً مبرماً .

أما حزب الخوارج فقد ظلّ يناضل الأمويين ويزعجهم ، ولم يستطيعوا القضاء عليه قضاءً مبرماً كما فعلوا بالحزب الزبيري إنما استطاعوا ان يضعضعوه ويكسروا شوكته ، فلم تبق له أدنى مقاومة سيما بعد انقسامه على نفسه .

وأما حزب الشيعة فقد كان أضعف هذه الاحزاب . ناصره الناس بقلوبهم أكثر مما ناصروه بسيوفهم ، وبطش الأمويون بزعمائه بلا شفقة ولا رحمة مما دعا الشيعة الى الأخذ بمبدأ التقيّة خوف بطش الأمويين والعباسيين من بعدهم .

هذه الاحزاب التي كانت تناوىء الامويين لم تستطع ان تشكل جبهة واحدة ضدهم ، إنما كانت منشقة على نفسها ومتفرقة الى فرق كثيرة مما أضعف جبهتها وجعل الحزب الاموي أقوى منها جميعاً .

وكانت سياسة الامويين عربية أكثر منها اسلامية فعاملوا الموالي الذين انضموا تحت لواء الدولة الاسلامية معاملة السيد للمسود وأذلوهم ، مما أوغر صدورهم على الامويين خاصة والعرب عامة ، فشاركوا في جميع الثورات التي قامت ضد الامويين وعاونوا الشيعة والخوارج وكان لهم آخر الامر اليد الطولى في القضاء على الدولة الأموية وإقامة الدولة العباسية التي خضعت في أول امرها خضوعاً مطلقاً لسلطان الفرس .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان هذه الاحزاب التي كانت تصطرع في عهد الامويين لم يكن صراعها حربياً فقط بل كان لسانياً ايضاً . فقد كان لكل حزب شعراؤه وخطباؤه الذين يدافعون عنه وينشرون مبادئه ويأتون بالحجج والبراهين على ان الخلافة من حق حزبهم دون سواه . وبعد ان كانت هذه الاحزاب سياسية بحتة صار لبعضها أصول دينية ، وصار الشعر المقول على ألسنة شعرائها ذا صبغة سياسية ودينية في آن واحد ، وهذا ما نجده عند شعراء الشيعة والخوارج .

وكان أكثر الشعراء في صف الامويين لانهم أصحاب السلطان وأقدر الجميع على اصطناع الشعراء بكثرة العطاء ، فكان في صفهم فحول الشعراء أمثال الاخطل والفرزدق وجرير ومسكين الدارمي وأبي صخر الهذلي وعدي بن الرقاع ونُصَيْب وأبو العباس الاعمى وأعشى ربيعة وغيرهم كثير ، ومعظمهم من المتكسبين الذين كانوا يناصرون الامويين رغبة في عطائهم ، وخوفاً من انتقامهم .

أما شعراء الشيعة فلم يجعلوا شعرهم كله وقفاً على حزبهم كما كان يفعل شعراء الخوارج ، انما كانوا يعانون فنوناً شعرية اخرى الى جانب شعرهم السياسي . وهذا لا يتعارض مع صحة عقيدتهم . فقد كانوا يعتقدون بحق الحزب الشيعي بالخلافة . وكثيراً ما كانوا يلجأون الى التقيَّة خوفاً من الخلفاء الامويين ويمدحونهم تكسُّباً . ولهذا لا نستطيع ان نجد في شعرهم تلك القوة التي نجدها

في شعر الخوارج . وأشهر شعراء الشيعة كثيِّر عزَّة وأيمن بن خُرَيم الأسدي والسيد الحِمْيَري وغيرهم .

أما الحزب الزبيري فلم يكن له كثير من الشعراء لما عرف به عبدالله بن الزبير من البخل والشح فانفضّ عنه ولم يبق بجانبه إلا عبيدالله بن قيس الرقيات الذي كان يؤمن ايماناً قوياً بقرشيته وينعى على بني أمية تفريقهم لقريش وجعلهم الشام مركز دولتهم مما أدى الى ضياع سلطان قريش وإضعاف شأنها بين القبائل العربية . وهكذا بقي ابن قيس الرقيات يناصر الزبيريين حتى قتل مصعب ثم أخوه عبدالله وقضي على هذا الحزب، فاختفى مدة طويلة ثم اضطر الى مصانعة الامويين ومدحهم .

وسندرس معك من شعراء الشيعة أشهرهم وهو الكميت بن زيد الأسدي ، ومن الشعراء الزبيريين عبيدالله بن قيس الرقيات الذي يكاد يكون اللسان الوحيد لهذا الحزب .

الكُمَيْت بن زيد

هو أبو المستَهِل الكميت بنُ زَيْد الاسدي المضري الكوفي ، كان أشعر شعراء الشيعة الهاشمية ، ومن أعلم أهل زمانه بأيام العرب وأنسابها ومناقبها وأعرفهم باللغة واشعار العرب .

ولد سنة ٦٠ هـ. بالكوفة ونشأ بها بين قومه بني أسد من مضر وأخذ عنهم الفصاحة والبلاغة ، وكان معلم صبية بالمسجد بالكوفة ، وقال الشعر الجيد وهو صغير إلا انه كان لا يذيعه ولا يتكسب به حتى عرضه على الشاعر الفرزدق فأعجبه ونصحه بإذاعته وعندئذ أذاع القصائد البديعة الطويلة التي سماها « الهاشميات » . ثم تكسب بشعره ومدح كبار بني هاشم وسادات أهل البيت واحتج لهم بشعره ودافع عنهم دفاع المخلص مما عرَّضه للموت مراراً.

وكان بنو أمية قد أوقدوا نار العصبية بين اليمانية والمضرية لاغراضهم السياسية ، وهجا شاعر من اليمانية آل علي وشيعته ومضر بأجمعها فانبرى له الكميت وهجا اليمانية وأيقظ في هجائه العصبية الجاهلية بين العدنانية على أشد ما يمكن ان تكون .

وكان والي الكوفة آنذاك خالد بن عبدالله القسري يمانياً فغضب على الكميت وأبلغ شعره في مدح آل البيت الى الخليفة هشام بن عبد الملك فأمره بقتله فقبض عليه وسجنه ، إلا انه هرب من السجن الى الشام واستجار بالخليفة هشام ومدحه بقصيدة اعتذر فيها عما كان من تشيعه وتاب عما بدر منه فعفا عنه وأجازه ، وكتب لخالد ألا يتعرض له بعد ذلك أبداً . وعاد الكميت الى العراق

وبقي يهجو اليمانية حتى مات عام ١٢٦ هـ.

وكان شعره السياسي من أقوى العوامل التي شتتت شمل الوحدة العربية بما أحياه من العصبية الجاهلية التي عادت عليها بأسوأ العواقب ، كما أنه فتح للشيعة باب المناقشة والحِجاج في أمر الخلافة بما جاء به من البراهين القوية والمنطقية في قصائده الهاشميات التي انتشرت انتشار البرق وسرت سريان الكهرباء في تلك الاوساط في ذلك الحين كما سترى في هذا النص الذي سنشرحه لك .

١ طَرِبْتُ وما شوقاً الى البيضِ أَطْرَبُ
ولا لعِباً مني ، وذو الشيبِ يلْعبُ
٢ ولكنْ الى أهلِ الفضائلِ والنُهى
وخيرِ بني حوَّاء ، والخيرُ يُطْلَبُ
٣ الى النَّفَرِ البيضِ الَّذين بحُبِّهم الى اللهِ فيما نابني أتقَرَّبُ
٤ بني هاشمٍ ، رهْطِ النبيِّ فإنَّني بهمْ ولهُم أرضى مِراراً وأغْضَب
٥ فطَائِفَةٌ قدْ كفَّرَتني بحبِّكم وطائفةٌ قالوا : مُسيءٌ ومُذنبُ
٦ فما ساءني تكفيرُ هاتيك منهم ولا عيبُ هاتيكَ التي هي أَعْيَبُ

---

١ ـ البيض : النساء .

٢ ـ النهى : جمع نهية وهي العقل .

٣ ـ البيض : أراد بها هنا الاشراف والكرام . نابني : أصابني .

٤ ـ رهط النبي : أهله وجماعته .

٧ بأيِّ كتابٍ أم بأيَّةِ سُنَّةٍ يُرى حُبُّهم عاراً عليَّ ويُكْتَبُ
٨ ومَاليَ إلا آلَ أحْمَدَ شيعَةٌ وماليَ إلا مذْهَبَ الحق مذْهب
٩ وقالوا ورِثنَاها أبانا وأُمَّنا وما ورَّثتْهم ذاك أمٌّ ولا أبُ
١٠ يَروْنَ لهم حقَّاً على النّاس واجباً
سفاهاً وحقُّ الهاشميّين أوْجبُ
١١ يَقُولونَ لم يورَثْ ، ولولا تراثُهُ
لقد شركتْ فيه بكيلٌ وأرْحبُ
١٢ فإنْ هيَ لم تَصْلُحْ لقوم سواهُمُ
فإنَّ ذوي القُربى أحقُّ وأقْرَبُ

الشرح الادبي والتحليل

هذه القصيدة إحدى قصائد الكميت التي قالها في مدح بني هاشم والاحتجاج لهم بالخلافة ، وهي القصائد المعروفة بالهاشميات . ولقد نالت هذه الهاشمية شهرة بعيدة حتى قالوا : إن من لم يحفظها فليس بهاشمي .

وكانت العادة ، كما قدمنا، ان يفتتح الشعراء قصائدهم بالبكاء على الاطلال والتغزل بأسماء هريرة وهند وليلى وغيرهن . أما الكميت فلم يكن مشغولاً بهذا ، إنما كان مشغولاً بحب بني هاشم أولئك الاشراف الكرام أصحاب العقول الراجحة والاخلاق الفاضلة الذين سمت مكانتهم على جميع المنازل ، اذن

---

٩ ـ الضمير في قالوا يعود على بني أمية . ورثناها أي الخلافة .

فليس عليه حرج في اتخاذهم شيعة طالما ان مذهبهم هو مذهب الحق . وهو لا يرى في هذا الحب عاراً ، ولا يرى فيه ضلالاً ، وإنما العار والضلال في عـــدم حبهم والهداية بهديهم ، لذلك فانه لا يلحقه عار بهذا الحب ، إنما يلحق العار اولئك الذين كفـّروه بهذا الحب وعابوه عليه .

وبعد ان ينتهي من اعلان حبه وولائه للهاشميين ويصرّح بذلك تصريحاً لا مواربة فيه ، ينتقل الى الكلام على بني أميّة ويبيّن أنهم مغتصبون للخلافة وانهم انتزعوها من اصحابها الشرعيين انتزاعاً .

ثم يعرض حجة الامويـــين ويردها عليهم قائلاً : إنهم يدّعون انهم ورثوا الخلافة عن أبيهم وأمهم ودعواهم هذه ظـــاهرة البطلان بيّنة الخطأ لانهم لم يرثوا في الحقيقة شيئاً عن ابيهم ولا عن امهم ، إنما اغتصبوا الخلافة اغتصابـاً فلماذا اذن يتطاولون على الناس ويتشدقون بأنهم اصحاب الحق الاول فيها بينما حق الهاشميين أوضح وأوجب .

وفي البيتين الاخـيرين يرد حجة اخرى من الحجج الهامة التي يحتج بهـــا الامويون في أمر الخلافة وهي ان الرسول لم يوص بها لأحد من بعده لا لعلي ولا لغيره ويقول لهم : اذا كان هذا الامر صواباً فمعنى ذلك ان الخلافـــة ليست وقفاً على قريش دون غيرها وانه يحق لكل قبيلة من القبائل العربية ان تتولى أمرها دون تمييز بين قريش وغيرها مثل بكيل وأرحب ، اذن فلا يحق لقريش ان تتفرد بها وحدها . واذا قلتم إن الخلافة لا تصلح إلا لقريش دون سائر العرب فلا جدال في ان آل الرسول هم أحق من جميع القرشيين بها .

ونلاحظ أن الشاعر يعتمد على الجدل المنطقي والبراهـــين القوية في أمر الخلافـــة ، وليس هذا الامر مقتصراً على هذه القصيدة وحدها إنما نجده في جميع قصائده ، ويضاف اليه تصوير عاطفي جميل لحبه واخلاصه الى آل البيت كما نرى في هذا النص .

وهذه الحجج والبراهين التي كان يعتمد عليها في هاشمياته هي التي أفسحت

المجال امامها حتى سرت سريان الكهرباء في جميع البلاد الاسلامية ، وهي التي جعلت من الكميت شاعر الشيعة الاول لانه لم يعتمد كغيره من شعرائها على الناحية العاطفية فقط .

ويتضح لنا من هذا النص ايضاً ان الكميت كان صادقاً في حبه للهاشميين مخلصاً لهم ، وهذا ما عرَّضه لسخط الامويين وأذاهم ، وانه ما كان يسعى الى ربح مادي ابداً ولو كان كذلك لناله عن طريق الأمويين شأن غيره من الشعراء في ذلك العصر .

اسئلة ومواضيع

١ ـ يقول الجاحظ : ما فتح للشيعة باب الِحجاج بالشعر الا الكميت ، في قوله :

فان هي لم تَصْلُحْ لحيٍّ سواهمُ فانَّ ذوي القربى أحق وأَوْجَبُ
يقولون : لم يورَث ، ولولا تراثُهُ لقد شَرَكتْ فيه بكيلٌ وأرْحَبُ

ناقش هذا القول وأوضحه بعد بيان مذهب الكميت السياسي .

٢ ـ يقال : « إنَّ اجود شعر الكميت ما قاله في بني هاشم وخصوصاً في هاشمياته التي يشيع فيها الحزن لما آل اليه امرهم ، وعاطفة النقمة على بني امية الذين اغتصبوا الخلافة من اصحاب الحق فيها ؛ وان ما مدح به الأمويين كان بارد العاطفة ظاهر التكلف » .

ناقش هذا القول مستشهداً بشعره على ما تقول .

٣ ـ قال الكميت من هاشمية له :

١ الا هَلْ عَمٍ في رأيهِ متأمِلٌ وهل مُدْبِرٌ بعد الإِساءةِ مُقْبِلُ
٢ وهل أُمَّةٌ مُستيقظون لِرُشْدِهم فيكشِفَ عنه النَعسةُ المتزملُ
٣ كلامُ النبيِّينَ الهداةِ كلامُنا وأفعالُ أهل الجاهليَّةِ نَفْعَلُ
٤ رضِينا بدُنْيا لا نُريدُ فِراقها على أنّنا فيها نموتُ ونُقْتَلُ
٥ فتلك ملوكُ السَّوْءِ قد طالَ ملكُهم
فحتَّامَ حتَّامَ العنــاءُ المطَوَّلُ ؟
٦ لهم كلَّ عامٍ بِدعةٌ يُحْدِثُونها
أزالوا بهـــا أتبــاعَهم ثم أوجَلوا
٧ تَحِلُّ دماءُ المسلمين لدَيْهِمُ ويحرُمُ طَلْعُ النَّخْلَةِ المُتَهَدِّلُ
٨ وليسَ لنا في الفيْءِ حظٌّ لديهِمُ وليس لنا في رحلة الناس أرْحُلُ
٩ فيا ربِّ هلْ الاَّ بكَ النَّصْرُ يُرتجى
عليهم وهــل الاَّ عليك المعَوَّلُ ؟

المطلوب شرح هذه الابيات شرحاً ادبياً .

مصادر

١ – الشعر السياسي لأحمد الشايب .
٢ – الأدب العربي وتاريخه لمحمود مصطفى .
٣ – الوسيط في الأدب العربي للاسكندري .
٤ – الشعر الأموي لعبد الرزاق حميدة .
٥ – ديوان الكميت الكميت .

عبيد الله بن قيس الرقيات

هو عُبَيدُ اللهِ بنُ قيس الرُّقَـيَّات القرشيّ نسباً ومذهباً ، من شعراء الغزل والسياسة . كان حريصاً على سيادة قريش ، يرى انها وحدها الجديرة بالسلطان على الأرض يساعدها في ذلـــك أقرب العرب اليها وهم المضريون ، لذلك كان ناقماً على الأمويين لاعتزازهم باليمنيين على المضريين. وناصر ابنَ الزبير عليهم ؛ فمذهبه السياسي اذن لا يعتمد على الدين انما يعتمد على العصبية القبلية وعلى ان قريشاً افضل العرب وانهم اهل السلطان والحكم . وهذا هو السبب الذي جعله يحب قريشاً جميعها ويتألم لما وقع بينها من اختلافٍ في الرأي أدّى الى فرقتها وتطاحنها ؛ وكم كان يود ان تظل كلمتها مجتمعة كما كان الأمر في عهد الشيخين ابي بكر وعمر . لذلك ناصر ابن الزبير ولزم اخاه مصعباً حتى انتصر عليهما عبد الملك بن مروان وقتلهما فاختفى عبيد الله في الكوفة عند امرأة تدعى (كثيرة) ولبث عندها زمناً طويلاً لا تعرفه ولا يعرفها ولا تسأله عن شأنه ولا يسألها عن شأنها حتى سمع يوماً منادياً ينادي بان الأمويين اهدروا دمه وبرأوا ذمتهم ممن يؤويه فاشفق على هـــذه المرأة التي احسنت اليه ورحل عنها الى المدينة واستجار بعبدالله بن جعفر احد زعماء الهاشميين الذي شفع له بعد لأي عند عبد الملك وظفر له بالأمـــان . ثم ذهب عبيدالله الى الخليفة عبد الملك ومدحه الا انه لم يرتح الى مدحه ، فذهب الى اخيه عبد العزيز بن مروان الذي كان والياً على مِصْر ولزمه واقام عنده حتى مات سنة ٧٥ هـ .

ومما تقدم نرى انه كان زبيرياً فلما قضي على هـــذا الحزب التجأ الى سيد

هاشمي واستعان به حتى نال الأمان من بني امية ، ثم لزم زعيماً من زعمائهم الى ان مات ؛ فنحن لا نجد تناقضاً ولا اضطراباً في مذهبه السياسي ؛ فقد كان قرشي المذهب يدعو الى السلطان لقريش والى ان تكون اهواؤها وآراؤها متفقة مجتمعة . ولقد تحقق هذا بعد ان قُتل ابن الزبير واجتمعت قريش كلها حول بني أمية واستقر السلطان لها كما كان قبل الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية ولا جناح عليه بعدئذٍ ان يمدح الأمويين او اي علم من اعلام قريش لانه لا يناقض نفسه ولا يخالف مبدأه السياسي في هذا المدح . وانظر معي الى هذا النص الذي يمثل رأيه السياسي واضحاً صريحاً ويأسف فيه على تفرُّقِ قريش ويمدح مصعب بن الزبير :

١ أَقفَرَتْ بعْدَ عبدِ شَمْسٍ كداءُ فَكُدَيٌّ فالرُّكنُ فالبَطْحَاءُ

٢ فمِنىً ، فالجِمارُ من عبدِ شمسٍ مُقْفِراتٌ فبَلْدَحٌ فَحِرَاءُ

٣ حَبَّذَا العيشُ حينَ قومي جميع لم تُفَرِّقْ أُمورَها الأَهْواءُ

٤ قَبْلَ أنْ تطمعَ القبائلُ في مُلْ كِ قُرَيْشٍ وتَشْمَتَ الأَعْداءُ

---

١ ـ عبد شمس : جدُّ الامويين . كداء : جبل بجوار مكة وكذلك كُدَي . الركن : الجانب العظيم من البناء وهو هنا جانب الكعبة . البطحاء: مسيل واسع فيه حصى دقيق ، قرب مكة واليه تنسب قريش فيقال : قريش البطحاء .

٢ ـ الجمار : موضع بِمِنى . بلدح : مكان قرب مكة على طريق جدة . حِراء : جبل بمكة فيه غار حراء المعروف .

٣ ـ حبذا العيش : أسلوب للمدح . حين قومي جميع أي حين كانت قريش مؤتلفة . الاهواء الميول والنزعات .

٥ أيها المشتهي فنـاء قريشٍ   بيَدِ الله عُمرُهـا والفناءُ
٦ إن تُودِّع من البلاد قُرَيشٌ   لا يكنْ بَعْدَهُمْ لحيٍّ بقاءُ
٧ لو تَقَفَّىٰ وتتركُ الناس كانوا   غنمَ الذئبِ غابَ عنها الرّعاءُ
٨ لم نزل آمنين يَحْسُدُنا النَّا   سُ ، ويجري لنا بذاك الثراءُ
٩ لو بكتْ هذه السماءُ على قو   مٍ كِرام بكت علينـا السماءُ
١٠ إنما « مُصْعَبٌ » شهابٌ من اللَّـ   ـهِ تجلَّتْ عنْ وجْهِهِ الظلماءُ
١١ مُلكُهُ مُلكُ قُوَّةٍ ليسَ فيه   جَبَروتٌ ولا به كبرياءُ
١٢ يتَّقي اللهَ في الأمور وقد أفـ   ـلحَ من كان هَمَّهُ الإتّقاءُ
١٣ عَيْنُ فابكي على قريشٍ وهل يُرْ
جِعُ ما فات - إن بكيتُ - البكاءُ

---

٦ - تودع : تهلك ويذهب أمرها .

٧ - تقفى : تذهب . الرعاء جمع راع .

٨ - الثراء : الخير والغنى .

١٠ - مصعب هو مصعب بن الزبير والي العراق من قبل أخيه عبدالله بن الزبير . الشهاب : الكوكب . تجلـّت : انكشفت .

١١ - الجبروت : الظلم والطغيان .

١٢ - همه : مقصده ومراده .

١٣ - عين أي يا عينُ ،وفاعل يرجع هو البكاء، وجملة ان بكيت معترضة.

١٤ مَعْشَرٌ حَتْفُهم سيوفُ بني العَ
لاّتِ يخشَون أَن يضيعَ اللِّواءْ
١٥ تَرَكَ الرأسَ كالثَّغَامَةِ مني نكَبَاتٌ تسري بها الأنباءْ
١٦ ليس للهِ حُرْمَةٌ مِثْلُ بيْتٍ نحن حُجَّابُهُ عليه المُلاءْ
١٧ خَصَّهُ اللهُ بالكرامةِ فالْبا دون والعاكِفُونَ فيه سواءْ
١٨ كيفَ نوْمِي على الفِراش ولّما
يَشْمَلِ الشامَ غارةٌ شَعْوَاءْ
١٩ تُذْهِلُ الشيخَ عن بنيه وتُبْدي
عن بُرَاها العقيلَةُ العَذْراءْ

---

١٤ ـ حتفهم : موتهم . بنو العلات : الاقارب والمعنى : ان قريشاً منقسمة على نفسها وتتطاحن على الملك ومن هلك منها فانما يهلك بيد أبنائها .

١٥ ـ الثغامة : شجرة لها زهر أبيض والمراد انه صار أشيب .

١٦ ـ الحرمة : المهابة ، وما لا يحل انتهاكه . الملاء : جمع ملاءة وهي الثوب والمراد به أستار الكعبة .

١٧ : البادون : من هم خارج البيت الحرام . العاكفون : المقيمون في المسجد والمراد من يسكن مكة ومن هو خارجها من العرب .

١٨ ـ غارة شعواء : حملة متفرّقة ويريد بها حرب الامويين الذين كانت الشام عاصمتهم .

١٩ ـ تذهل ; تنسي . البرى : زينة المرأة وحليها كالسوار والقرط والخلخال وما الى ذلك ومفرده : برة . العقيلة : الكريمة المخدرة من النساء .

٢٠ أنا عنكم بني أمَيَّةَ مُزْوَ رٌ ، وأَنْتُمْ في نفْسيَ الأعداءُ
٢١ إِنَّ قَتْلَى بالطَّفِ قدأوْجَعَتْني كانَ منكم لئن قُتِلْتُم شِفَاءُ

الشرح الادبي والتحليل

نحن نعلم ان معاوية كان أوصى بأن تكون الخلافة من بعده لابنه يزيد فلم يرضَ عن ذلك طائفة من سادات قريش . فلما مات وتولى الامر بعده يزيد لم يبايعه عبدالله بن الزبير ، وأنكر على الأمويين استئثارهم بالخلافة وامتنع في مكة وشايعه أهل الحجاز وقوي حزبه ، وكان بينه وبين الامويين صراع شديد .

وكان شاعرنا عبيدالله ممن انضم الى هذا الحزب وناصره كما رأينا في ترجمته. وهو في هذا النص يأسى لتفرق قريش ويشيد بأيام عزها في ظل الوحدة عندما كان شملها مجتمعاً ويدعو الى الألفة ومقاومة دواعي الفرقة والخلاف فيقول : إن مكة وما حولها قد أقفرت بعد قريش ويأسف على تفرقها شيعاً واحزاباً تتقاتل من اجل الخلافة ويخاطب من يشمت بقريش ويدعو عليها بالفناء فيقول: إن بقاءها وعمرها بيد الله وانها لو ذهبت وفنيت لما كان لقبيلة بعدها بقاء، ولأصبح الناس كالغنم التي تركتها رعاتها فريسة للذئاب . ولو ان السماء بكت على قوم كرام لبكت على قريش ، فعلى رِسلك أيها الشامت المعيِّر فيها .

ثم ينتقل الى مدح مصعب بن الزبير فيشبهه بشهاب من الله انقضّ على الارض ليطهرها وينير ظلامها. وهذا التشبيه رائع جداً ، ثم يصفه بالعدل وإحقاق

العذراء : البكر . ولا تسفر العقيلة والبكر إلا اذا اشتد الهول والفزع .

٢٠ ـ مزور : مائل عنهم وكاره لهم .

٢١ ـ الطَّف : موضع قرب مكة دارت فيه معركة بين الامويين والزبيريين .

الحق دون ظلم وطغيان وانه يتوخى في كل ما يعمل تقوى الله وطاعته والخوف منه . ثم يلتفت الى عينه ويطلب منها البكاء لما وصلت اليه قريش من سوء ؛ فقد انقسمت على نفسها في سبيل الخلافة وراحت تقتتل فما من هالك منها إلا بيد ابنائها وهذه الحال تركت رأسه يشيب قبل أوانه . ثم يفتخر بأن قريش حجّاب بيت الله وان لها الكرامة في مكة وخارجها . ويتساءل كيف أستطيع النوم على الفراش قبل ان تصيب دمشق ، أي الامويين ، حرب شعواء لا تبقي ولا تذر لأنهم اسباب الفتنة .

ويُصَرِّح في البيتين الاخيرين بكرهه لبني أميّة خاصة وحدبه على قريش عامة .

وهذا النص يعطينا صورة واضحة عن شعره الرقيق السهل وأسلوبه اللين العذب لانه تأثر بفصاحة القرآن وبلاغته ونهل من نبعه فجاء بهذا الشعر السلس العذب .

اسئلة ومواضيع

١ ـ يدعو الشاعر الى وحدة الصفوف وجمع الكلمة ، ويعبّر عن حزنه للتفرق والاختلاف . صوِّر هذه المعاني بأسلوبك مستشهداً بكلمات الشاعر .

٢ ـ يشيع في هذه القصيدة احساس بالأسى والتحسر فما الذي أثار أسى الشاعر وتحسره ? وما الدعوة التي يدعو اليها ?

مصادر

١ ـ الشعر السياسي — لاحمد الشايب .
٢ ـ الشعر الاموي — لعبد الرزاق حميدة .
٣ ـ الادب العربي وتاريخه — لمحمود مصطفى .
٤ ـ ديوان ابن قيس الرقيات — عبيد الله بن قيس الرقيات

شعراء البلاط

١ ـ الأخطل

هو غياث بن غوث التغلبي النصراني ، والأخطل لقب لقب بـه لبذاءة لسانه . ولد الأخطل في خلافة عمر ونشأ في قبيلة تغلب النصرانية التي كانت تقطن اراضي الجزيرة ، وهي المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات . وكانت هذه القبيلة في الجاهلية نصرانية ولما جاء الاسلام اسلم قسم منها وبقي القسم الآخر على دينه ومنهم رهط الأخطل .

وكانت قبيلة تغلب أموية المذهب ، فكانت ضد الانصار وغيرهم ممن لا يرون رأي الأمويين في الخلافة . ولقد اغرى يزيد بن معاوية الأخطل النصراني بهجاء الانصار فهجاهم هجاءً مقذعاً ، مما دعا شاعرهم النعمان بن بشير ان يشكوه الى معاوية الذي وعده بمعاقبته ، الا ان ابنه يزيد حال دون ذلك .

ولما تولى يزيد الخلافة كان الأخطل شاعره الخاص . وعقب وفاته اضطرب امر الخلافة من جديد وانحازت قبيلة قيس الى جانب ابن الزبير لأن يزيد كان قد قرّب اصهاره اليمانيين اليه ، ومالت اليمانية واهل الشام الى بني امية وبايعوا مروان بن الحكم ، ووقعت بين الطرفين موقعة (مرج راهط) التي كان النصر فيها حليف الأمويين ، وتشتت شمل القيسية ، ولجأت قيس وزعيمها زُفر بن الحارث الى الجزيرة وأقامت بين نهري دجلة والفرات حيث تقيم تغلب.

وكانت العلاقات بين القبيلتين حسنة في بادىء الأمر ولكنها لم تلبث ان فسدت ، ونشبت الحرب بين الطرفين . وفي احدى المواقع قتل أبو الأخطل واسر الاخطل نفسه . واطلق الآسرون سراحه بعدما ظنوه عبداً .

لهذا نقم الأخطل على قبيلة قيس وعلى شاعرها جرير الذي كان يدافع عنها ، وهذا ما دعاه لأن يكون بجانب الفرزدق ضد جرير مما أدى الى استفحال الهجاء بينهما ، ذلك الهجاء الذي لم ينقطع الا بموت الأخطل .

وفي عهد خلافة عبد الملك بن مروان أصبح الأخطل شاعر البلاط الأموي ، وخصَّ الأمويين باجمل مدائحه وفضّلهم على جميع القبائل العربية . وكان يرى انهم احق بالخلافة من الجميع . وكان عبد الملك يعرف له هذا الحق فقرَّبه واجزل له العطاء . وكان الأخطل يعرف لنفسه هذه المنزلة ويتطاول بها على عبد الملك ، ويدخل عليه وهو سكران وينشده الشعر الذي يجاهر به في شرب الخمرة .

ولم تقتصر علاقة الأخطل مع عبد الملك على هذا . انما كان الشاعر سفيراً لقبيلته عند الخليفة ، وكان يقضي لها كثيراً من الأمور ويحلّ لها ما استطاع من المشاكل ، ولا ينسى اثناء ذلك عصبيّته القبلية وعداوته لقيس ، ولما اراد عبد الملك تقريب زُفر بن الحارث ذكَّره بقوله :

فقد ينبت المرعى على دِمَن الثَّرى وتبقى حزازات الصُّدور كماهيا

فما كان من عبد الملك الا ان ضرب صدر زُفر برجله والقاه عن السرير الذي كان يجلس عليه بجانبه حتى قال زُفر : ما ايقنت بالموت قريباً مني مثل تلك الساعة. وهكذا استطاع الأخطل ان يفسد هذا الصلح الذي اراده الخليفة وزُفر في آن واحد .

وكان الأخطل شاعر الحزب الأموي الأول، وكان الأمويون في أشد الحاجة اليه ليدافعوا به عن خلافتهم وسياستهم ويردوا على الاحزاب الأخرى معارضتها.

واشتهر الاخطل بالمدح ، وله قصائد رائعة في مدح الخلفاء الأمويين الذين ظل متصلاً بهم بعد عبد الملك حتى توفي في آخر خلافة الوليد عام ٩٥ هـ . وكما اشتهر الأخطل بالمدح اشتهر بالهجاء . واشتهر ايضاً في وصف الخمرة ، وله فيها شعر رائع لانه كان نصرانياً ، لذلك استطاع ان يصفها بما لم يستطع وصفها به احد من الشعراء المسلمين في عصره . ومن قوله فيها :

١ كأني غَداةَ انْصَعْنَ لِلْبَيْنِ ، مُسْلَمٌ
بِضَرْبَةِ عُنْقٍ ، أو غَوِيٌّ مُعَذَّلُ

٢ صَرِيعُ مُدامٍ يَرْفَعُ الشَّرْبُ رأسَهُ
لِيَحْيا ، وقدْ ماتَتْ عِظامٌ ومَفْصِلُ

٣ نُهادِيه أحياناً ، وحيناً نَجُرُّهُ وما كادَ إلّا بالحُشاشَةِ يَعْقِلُ

٤ إذا رَفَعُوا عظْماً تحامَلَ صَدْرُهُ وآخرُ ، مِمّا نالَ مِنْها ، مُخَبَّلُ

---

١ ــ الغداة والغُدُوُّ : الرواح في الصباح او قبل طلوع الشمس . انصعن : خضعن ، من الانصياع اي الخضوع ، البين : الفراق . مسلم : مستسلم او مستكين ، بضربة عنق اي كمن ضربت عنقه . اي انه مكره على تحمل هذا الفراق فلا يستطيع المقاومة ابداً . الغوي : من الغواية ، وهو الذي يلام على غوايته . معذّل : من العذل وهو اللوم .

٢ ــ الشرب : جمع شارب ، وهو الذي يشرب الخمرة . المفصل : مكان التقاء كل عظمين في الجسم .

٣ ــ نهاديه : نسانده لضعفه وعدم مقدرته على المشي من فعل الخمرة في رأسه . الحشاشة : بقية الرمق اي بقية الروح قبيل الموت .

٥ فقُلْتُ اصْبَحُوني ، لا أبا لأبيكُمُ !
وما وضَعُوا الأثقالَ الا ليَفْعَلُوا

٦ أناخُوا ، فَجَرُّوا شاصِياتٍ كأنَّها رجالٌ من السُّودان لم يتَسَرْبَلُوا

٧ فصَبُّوا عُقاراً في إِناء كأنَّها ، إِذا لمحُوها ، جُذْوَةٌ تتأكّلُ

٨ تَمُرُّ بها الأيدي سنيحاً وبارحاً وتُوضَعُ باللّهمَّ حيٍّ ، وتُحمَلُ

٩ وتُوقَفُ ، أحياناً ، فيَفْصِلُ بيننا غناءُ مُغَنٍّ ، أو شِواءُ مُرَعْبَلُ

١٠ فلَذَّتْ لِمُرْتاحٍ وطابتْ لشاربٍ وراجَعَني منها ، مراحٌ وأخيَلُ

١١ تَدِبُّ دَبيباً في العظام ، كأنَّهُ دَبيبُ نِمالٍ في نَقاً يتَهَيَّلُ

١٢ فقُلْتُ : اقْتُلُوها عنكُمُ بِمِزاجها فأطْيِبْ بِها مَقْتُولةً حينَ تُقْتَلُ

---

٦ ـ الشاصيات : زقاق الخمر المملوءة .

٧ ـ العقار : الخمرة . الجذوة : الجمرة .

٨ ـ سنيحاً وبارحاً : من اليمين ومن اليسار . وتوضع باللهم أي يسمّى عليها في وضعها ورفعها .

٩ ـ مرعبل : مشرّح كي تصل اليه النار وتنضجه .

١٠ ـ المراح : النشاط . الأخيل : من الخيلاء وهو الكبر .

١١ ـ النقا : ما ارتفع من الرّمل . يتهيّل : يتحدّر .

١٢ ـ اقتلوها : امزجوها بالماء. أطيب : صيغة تعجب على وزن (أفعل).

الشرح الادبي والتحليل

تدل هذه الابيات على دقة تصوير الاخطل وجمال وصفه للخمر وطول باعه في هذا الفن ، وان كان لم يفرد قصائد خاصة به ؛ وكل ما جاء في وصفه للخمر كان متفرقاً في مطالع مدائحه وأهاجيه وليس هذا بالشيء القليل بل انه كثير وكثير حتى ان ديوانه حافل به .

ويتضح لنا من هذا النص ان الاخطل كان يَعْشَقُ الخمرة ويراها رفيقة حياته ، يطرد بها همومه ، ويثير بها خواطره ، ويناجي بهـا روحه . وهو مدمن لها يشربها في الصباح والمساء، ويشربها منفرداً أو مع الإخوان، حتى انه كثيراً ما كان يدخل على الخليفة عبد الملك بن مروان ولحيـته تنفض خمراً . وهو يحدثنا في هذه الابيات أنه صريع مدام وقد ماتت منه المفاصل والعظام. وان الخمرة التي صرعته كانت معتّقة ، ولقِدمها اسودت شاصياتها حتى صارت تشبه رجالاً من السودان عراة . وعندما كان يصبها الساقي في الاناء كان يراها وكأنها جذوة تتأكل من اضطرامها واحتدامها . وما يكاد الشاربون يرونها حتى تمتد أيديهم اليها من اليمين والشمال فترفع كأساً وتضع أخرى، ويسمّون عليها في رفعها ووضعها . وكانوا لا يتوقفون عن شربها إلا للاصغاء الى غنـاء مغنٍّ او تناول الشواء اللذيذ الناضج . ولا يكاد ينقضي هـذا المجلس حتى تتصل الخمرة بالنفوس فترتاح اليها وتطيب بها ويخالطها النشاط والكبرياء ، وتدب في العظام دبيب نمال في نقاً يتهيل . ولا يكاد الشاعر يبلغ هذه الدرجـة من السكر حتى يطلب الى السقاة ان يمزجوها بالماء فلعلها تصبح أطيب وألذ ، أو لعل مفعولها في النفوس يصبح أقلَّ تأثيراً .

ومن كل ما تقدم يتضح لنا ان الأخطل يصف الخمر في دقة وحيوية وحب وشغف فيقدم الينا بذلك لوحات تصويرية فنية رائعة .

مصادر

١ ـ الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني — ج ٨ طبعة دار الكتب .

٢ ـ ديوان الاخطل — نشر الاب صالحاني اليسوعي في بيروت .

٣ ـ نقائض جرير والاخطل — أبو تمام ، نشر الاب صالحاني « «

٤ ـ شعراء النصرانية — للأب لويس شيخو .

٥ ـ أدباء العرب — للبستاني .

٦ ـ المفصل فى تاريخ الادب العربي — للاسكندري وجماعته .

٧ ـ الجديد فى تاريخ الادب العربي — لحنا الفاخوري

اسئلة ومواضيع

١ ـ شبَّه أبو عمرو الاخطل بالنابغة الذبياني . مـــا هي وجوه الشبه التي تجدها بين طريقتي الشاعرين ؟ أذكرها ومثّل لها .

٢ ـ قال أبو عبيدة : « الاخطل أشبه بالجاهلية، وأشدهم –أي معاصريه– أسرَ شعرٍ ، وأقلهم سقطاً » .

بِمَ كان الاخطل شبيهاً بشعراء الجاهلية ، ولِمَ كان أقلّ معاصريه سقطاً ؟ وضّح ذلك مؤيداً قولك بالأمثلة .

٣ ـ قالوا : إن الاخطل يجيد نعت الملوك ويصيب وصف الخمر . أوضح هذا القول واستشهد عليه بشعر الرجل .

٢ - الفرزدق

هو أبو فِراس هَمّام بن غالب بن صعصعة الذي ينتهي نسبه الى مجاشع بن دارم من تميم ، ولقب بالفرزدق لجهامة في وجهه .

ولد في اواخر خلافة عمر ، ونشأ في بادية البصرة في بيت من أشرف بيوت تميم وارفعها نسباً . وكان أبوه غالب معدوداً من أجواد العرب وكرمائهم المعروفين كما اشتهر جده صعصعة بافتداء الموءودات في الجاهلية . ولقد افتخر الفرزدق بذلك مراراً في شعره ومن ذلك قوله :

وجَدّي الذي منع الوائدات   وأحيا الوئيد فلم يُوأدِ

نشأ الفرزدق في بيت العز والمجد وكان لا بد له من الافتخار بآبائه واجداده فكان يجيد الفخر ويتفوق فيه على خصمه جرير الذي نشأ في بيت وضيع حقير ومن قبيلة ليست عريقة في المجد . والى ذلك اشار مخاطباً جريراً في قوله:

أولئك آبائي فجئْني بمثلهم   اذا جمعتْنا يا جريرُ المجامعُ

وشب الفرزدق منذ نعومة اظفاره على قول الشعر ، ولما علم أبوه بأمره جاء به الى البصرة ليسمع علي بن أبي طالب شعره ويرى رأيه فيه ، فأشار الإمام على ابيه غالب ان يحفظه القرآن ليقوى به شعره . وهكذا بدأ الفرزدق في تعلّم القرآن وحفظه .

ويمكن ان نستنتج من هذه الحادثة ان آل الفرزدق كانوا ممن يتشيعون الى

آل البيت . ويحدثنا الرواة عن الفرزدق انه كان من اكثر الشعراء المضريين تشيعاً وعطفاً على آل البيت ، يمدحهم ويفاخر بهم ويحبهم دون مقابل . وهو اذا مدحهم تدفق شعره حماسة وعاطفة وكان مدحه لهم خالياً من كل تكلف ومن اي عاطفة كاذبة ، كما انه لم يكن متكسباً فيه .

وبالمقابل لم تكن علاقته حسنة مع الأمويين ولا مع ولاتهم ، ولقد عرَّض نفسه لغضب زياد بن أبيه الذي كان والياً على العراق من قبل معاوية مما اضطره للهرب الى الحجاز والاستجارة باميرها سعيد بن العاص ، فمدحه وفضّله على الأمويين ، وبقي عنده حتى تولى مروان بن الحكم المدينة فأخرجه منها لفسقه وفجوره ، وبذلك عيّره جرير مرَّات عديدة في شعره .

وظل الفرزدق بعيداً عن البصرة حتى مات زياد سنة ٥٣ هـ فعاد اليها واتصل بأميرها عبيد الله بن زياد ومدحه فأحسن وفادته وأجزل له العطاء .

ولما قام ابن الزبير مطالباً بالخلافة وبايعه أهل العراق وناصره المضريون كان الفرزدق من الشعراء المضريين الذين ناصروه انتقاماً من الأمويين . ولما قضي على هذا الحزب اضطر الفرزدق الى ممالأة الامويين خوفاً من انتقامهم ، فاتصل بعاملهم الحجاج ومدحه بقصائد من أجود شعره .

ولم تدم هذه العلاقة الحسنة طويلاً فقد هجا عمر بن هبيرة والي العراق من قبل يزيد بن عبد الملك فسجنه ، ثم اطلق سراحه فمدحه . وهجا خالد بن عبدالله القسري والي العراق من قبل هشام بن عبد الملك فسجنه ثم استعطفه ومدحه فاطلق سراحه .

ويتضح لنا من هذا ان علاقة الفرزدق مع الولاة الامويين كانت مضطربة لأنه لم يكن مخلصاً لهم ، انما كان يمالئهم خوفاً من انتقامهم . وكان يهجو الواحد منهم فاذا عاقبه مدحه ، فاذا عزل او حلّت به كارثة عاد الى هجائه ، وعندما كان يلومه احد على هذا التقلّب كان يقول : « نكون مع الواحد ما كان الله معه ، فاذا تخلّى عنه انقلبنا عليه » .

ولم تكن صلته بالخلفاء الأمويين أفضل من صلته بولاتهم ولذلك لم يستطيعوا الاعتماد عليه وفضّلوا عليه الاخطل النصراني .

ومما زاد في اضطراب حياة الفرزدق هذه مـــا كان بينه وبين جرير من عداوة وهجاء مستمر لم ينقطع الا بموت الفرزدق سنة ١١٠ هـ .

اما من الناحية الأخلاقية فقد كان الفرزدق فاسقاً يجاهر بفسقه وشربه للخمرة مما اضطر الولاة الى نفيه مراراً . ويتضح لنا من هذا ان اثر الإسلام والقرآن في نفس الفرزدق واخلاقه لم يكن قوياً شأن الكثيرين من الأعراب الجفاة .

وسنعرض عليك نصاً من قصيدته في مدح زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب مخاطباً بها هشام بن عبد الملك في احدى زياراته لمكة عندما كان أميراً :

١ هذا الذي تَعْرِفُ البطحاءُ وطْأَتَهُ
والبيتُ يعْرِفُهُ ، والحِلُّ والحَرَمُ !

٢ هذا ابنُ خيْرِ عبـــادِ اللهِ كلِّهمُ !
هذا التقيُّ ، النَّقِيُّ ، الطاهرُ ، العَلَمُ !

٣ هذا ابنُ فاطمةٍ ، إنْ كنتَ جاهلَه ،
بجَدِّهِ أنبيـــاءُ اللهِ قـــد خُتِمُوا

---

١ ـ البطحاء : ارض مكة . الوطأة : موضع القـــدم . البيت : الكعبة المشرفة . الحرم هنا يعني مكة والحل ما سواها .

٢ ـ العلم : السيد ، المعروف .

٤ وليس قولكَ : «من هذا ؟» بضائره،
العُرْبُ تعْرفُ مَنْ انكرتَ والعَجَمُ.
٥ كلتا يديَهِ غياثٌ عمَّ نفْعُها
يُستوكفانِ ، ولا يَعْروهما عدَمُ
٦ سهْلُ الخليقةِ لا تُخْشَى بوادِرُهُ
يَزِينُهُ اثنانِ : حسْنُ الْخلْقِ والشِّيَمُ
٧ مَا قالَ : لا ، قطُّ ، الَّا في تشَهُّدِهِ ،
لوْلا التَّشَهُّدُ كانتْ لاءَهُ نعَمُ !
٨ عمَّ البَرِيَّةَ بالإِحسانِ ، فانقشَعَتْ
عنْها الغياهِبُ ، والإِمْلاقُ والعَدَمُ
٩ إِذا رأَتهُ قُرَيشٌ قال قائِلُها :
«الى مكارمِ هذا ينْتَهي الكرَمُ » .

---

٤ ــ الضائر : المضرّ .
٥ ــ الغياث : الغيث وهنا العون . استوكف المـاء : استقطره ليجري . يعروهما : يصيبهما . العدم : الفقر .
٦ ــ البوادر : جمع بادرة ، وهي ما يبدر من الانسان اثناء غضبه . الشيم : الطباع .
٧ ــ كانت لاءَهُ نعم : أي كانت لاؤه نعماً .
٨ ــ البريّة : النــاس . انقشعت : انكشفت . الغياهب : الظلمــات .

١٠ يُغضي حياءً ، ويُغضَى مِنْ مَهابَتِهِ ،
فما يُكلَّمُ إلا حِينَ يَبْتَسِمُ
١١ مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ نبعَتُهُ ،
طابتْ مغَارِسُهُ والخِيمُ ، والشِيَمُ
١٢ مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دينٌ ، وبُغْضهمُ ،
كفْرٌ ، وقُرْبُهُمُ مَنْجىً ومُعْتَصَمُ
١٣ مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكرِ اللهِ ذِكرُهُمُ ،
في كلِّ بَدْءٍ ، ومخْتُومٌ بِهِ الكَلِمُ
١٤ إنْ عُدَّ أَهلُ التُّقى كانوا أَئمتَهُمْ
أوْ قِيلَ :«مَنْ خيْرُ أَهلِ الأَرْضِ ؟»قيلَ : هُمُ

الاملاق : الفقر المدقع . العُدْم : الفقر .

١٠ ـ يريد ان قريشاً التي هي أكرم العرب تقر له بالكرم .

١٠ ـ يغضي : يخفض بصره حياءً وخجلاً .

١١ ـ النبعة : الاصل . المغارس : مواضع الغرس . الخيم : الطبيعة .

١٢ ـ المعشر : القوم . والجار والمجرور من معشر متعلقان بمشتقة أي مشتقة من رسول الله من معشر . المعتصم : الملجأ .

١٣ ـ أي ذكرهم بعد ذكر الله .

١٤ ـ الأئمة : جمع الامام وهو من يقتدى به .

الشرح الادبي والتحليل

قال الفرزدق هذه القصيدة التي اخترناها لك منها هذا النص لما حج هشام بن عبد الملك ، في أيام أبيه ، وطاف بالبيت الحرام ، وحاول جاهداً ان يلمس الحجر الاسود الشريف فلم يستطع الى ذلك سبيلا ، فقعد على كرسي ومعه جماعة من اهل الشام وأعيانها ينتظر انفضاض الناس حتى يصل الى الحجر الاسود . وفي تلك الاثناء جاء زين العابدين فطاف بالبيت ، ولما انتهى الى الحجر الاسود أفسح الناس له المجال فاستلمه بسهولة ويسر ، فتعجب رجل من أعيان الشام ممن كانوا مع هشام وسأله : « من هذا الذي هابته الناس هذه الهيبة ؟ » فقال : هشام في مكر ودهاء : « لا أعرفه » وغرضه من ذلك ألا يعرفَ أهل الشام قدر زين العابدين فيرغبوا فيه . واتفق ان كان الفرزدق حاضراً فقال لهشام : بل أنا أعرفه ، ثم اندفع ينشد هذه القصيدة ارتجالاً وقد بلغ عدد أبياتها الثلاثين وهي التي اخترنا لك منها النص السابق ، وتعد هذه القصيدة من أجمل قصائد المدح في الشعر العربي .

يقول الشاعر مخاطباً هشام : « إن الشخص الذي أنكرته يعرفه أهل الارض قاطبة ، فهو ابن خير عباد الله وهو التقي ، النقي ، الطاهر ، العلم . وكيف لا وهو ابن خير عباد الله علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء والذي بجده ختم الله الانبياء . وقولك متجاهلاً قدره ومكانته : « إني لا أعرفه » لا يضيره ابداً وهو أجلُّ وأعلى من ان يؤثر على مكانته ما قصدت اليه .

ثم يعدد صفات الممدوح فهو أكرم أهل الارض وأحلمهم فلا يخشى غضبه ، حسن الهيئة والاخلاق ، جمع بين جمال النفس والجسم في آن واحد ، وهو لا يردُّ سائلا ولا يقول : لا ، إلا في التشهد ، ولولا تشهده لكانت لاؤه نعماً دائماً . عمّ إحسانه الناس جميعاً وانكشفت عنهم الظلمات بفضله ، وذهب الفقر والعدم من كثرة عطائه ، ولذلك أقرت له قريش بالفضل والكرم وهي أكرم العرب

وأفضلهم . يغضي بصره من الخجل ومع ذلك تبقى له هيبته فلا يتجرأ احد على محادثته الا اذا ابتسم له ابتسامة التشجيع وشجعه على الحديث معه . ولا غرابة في كل ما تقدم ولا مبالغة ما دامت شجرته مشتقة من شجرة الرسول . فما اطيب تلك المغارس وما انقى تلك السجايا ! .

ان حبّ آل الرسول ايمان، وبغضهم كفر، والتقريب اليهم ملجأ لكل لائذٍ ومعتصم بل هو تقرب الى الله . وذكرهم مقدم بعد ذكر الله ، وكل مسلم يبدأ كلامه بحمد الله والثناء عليه لا بد ان يختمه بالصلاة والسلام على النبي محمد وآله. لذلك فهم أئمة أهل التقى والفضل بل هم خير اهل الارض قاطبة .

وأحب ان تلفت نظرك الى جمال استعمال اسم الاشارة في قوله: هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ، وما في تكرار هذا اللفظ من الجمال وحسن الوقع في النفس ، وما فيه من جلال ويمن وبركة . وهذا النص أو قل هذه القصيدة ما هي إلا عاطفة مضطرمة وشعلة وقادة بحب آل البيت، عاطفة من يؤمن بما لهم من فضل وكرامة وبركة على سائر البشر فيتقرب الى الله بحبهم ومدحهم .

ولقد أرسل اليه زين العابدين اربعة آلاف درهم عندما سمع هذه القصيدة فرفض الفرزدق استلامها وردها اليه شاكراً وقال له : « إنما مدحتك بما انت أهله » . وهذا أكبر دليل على ان مدحه لزين العابدين لم يكن تكسباً إنما كان عن اخلاص وصدق وتقدير واجلال .

وقال الفرزدق يهجو ابليس الذي زين له الموبقات وتاب عنها بعد ما تقدمت به السن :

١ أَطَعْتُكَ ، يا إِبليسُ ،سبْعِين حِجَّةً ،
فلَمَّا انْتَهَى شيْبي وتَمَّ تِمَامِي

---

١ ــ الحجة : السنة. تم تمامه : أي بلغ اجله ونهايته .

٢ فَرَرْتُ الى ربّي ، وأيْقَنْتُ أنني
مُلاقٍ ، لِأيّامِ المَنُونِ ، حِمَامِي
٣ ألاَ طَالَما قَدْ بِتُّ يُوضِعُ نَاقَتِي ،
أبو الجنّ ، ابليسٌ بغيرِ خِطَامِ
٤ يُبَشّرُني أنْ لَنْ أمُوتَ ، وأنّهُ
سيُخْلِدُني في جَنّـةٍ وسَـلاَمِ
٥ وما أنْتَ ، يا إبْلِيسُ بالمَرْءِ أبْتَغِي
رِضَـاهُ ، ولا يَقْتَادُني بِزِمَـامِ

---

٢ ــ المنون : الدهر والاجل . الحمام : الموت أي انه ملاق اجله لما يدور عليه من حوادث الدهر وصروفه .

٣ ــ يوضِع الناقة : يسيّرها حيث يشاء . ابو الجن : كنية ابليس اي ابو العفاريت . الخطام : كل ما وضع بأنف البعير او الناقة لتقاد به ، الزمـــام . اي : طالما قاد ابليس زمام شهواتي وسار بي الى الضلال فـيما مضى فلن أطيعه بعد الآن ابداً .

٥ ــ يقتادني بزمام ، أي يخدعني فأنقاد اليه .

أسئلة ومواضيع

١ ـ ان الفرزدق لم يبرع في فن من فنون الشعر مثلما برع في الفخر ، ذلك لان شرف آبائه واجداده كما قدمنا في ترجمته قد مهّد له سبيل القول ففاخر بهم وتطاول على الناس جميعاً وخصوصاً على خصمه جرير . وكان الفرزدق اذا فخر برهطه وقومه الاقربين نسب اليهم كل مكرمة عرفت بها تميم واذا هجا جريراً ورهطه ألصق بهم كل نقيصة عرفت بها تميم .

أوضح هذا القول مستشهداً بشعر الفرزدق .

٢ ـ كان الفرزدق خصب المخيلة : قوي الابتكار والتوليد فهل ترى ذلك في شعره ؟ أوضح .

٣ ـ عرف الفرزدق بالغزل القصصي الذي جارى به امرأ القيس وعمر بن أبي ربيعة .

إيتنا بشيء من غزله يوضح هذا القول .

مصادر

١ ـ الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني — الجزء التاسع عشر من طبعة بولاق .

٢ ـ الفرزدق — لخليل مردم بك

٣ ـ ديوان الفرزدق — تحقيق الصاوي .

٤ ـ نقائض جرير والفرزدق .

٥ ـ تاريخ النقائض — لأحمد الشايب .

٦ ـ الفرزدق — لفؤاد افرام البستاني .

٧ ـ الفرزدق — لمدوح حقي .

٨ ـ الادب العربي وتاريخه — لحنا الفاخوري .

جَرير

هو جَرير بن عَطِيَّة بن الخَطَفَى ويلقب بأبي حزرة ، من قبيلة كليب ابن يربوع أحد بطون تميم . ولد في خلافة عثمان بمدينة قرب البصرة يقال لها (اليمامة) ونشأ وترعرع بين قوم لم يكن لهم حظ من الشرف والغنى كما كان لقوم الفرزدق ورهطه . وكان عطية أبو جرير وضيع القدر شحيماً حتى كان يقول عنه : « أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً وغلبهم جميعاً » .

بدأ جرير حياته برعي ماشية أبيه وجَده الخَطَفَى ، وكان هذا شاعراً معروفاً وعالماً بأنساب العرب وأخبارهم ومن هنا كان له الفضل الكبير في تنشئة جرير تنشئة شعرية وفي الكشف عن عبقريته .

وكان جرير شاعر كليب المدافع عنها والمفاخر بها بين القبائل ، ولما هجا الشاعر غسان السَّليطي قومه رد عليه وأسكته ، ولما عرَّض البعيث المجاشعي ببني يربوع انقضَّ عليه جرير بأقذع الهجاء وتغلب عليه فاستعان بنو مجاشع بشاعرهم الفرزدق . وهكذا اتصل الهجاء بين جرير والفرزدق واستمر حتى أدركهما الموت .

اشتهر جرير بالهجاء حتى بلغ عدد الشعراء الذين هجاهم واسكتهم اربعين ولم يستطع الثبات أمامه الا الاخطل والفرزدق ، فاشتغل الناس بهؤلاء الثلاثة وملأت احاديثهم جميع المجالس وتناشد الناس نقائضهم ، فكان لهم هذا الهجاء خير دعاية اذاعت اسماءهم واشاعت اخبارهم وخلدتهم .

وكان سبب هذا الهجاء دوافع شخصية وقبلية ؛ فأمـــا الشخصية فهي المزاحمة على زعامة الشعر في ذلـــك العصر ؛ فالفرزدق كان يزاحم جريراً على زعامة تميم الشعرية ، والاخطل كان يتوقع مزاحمة جرير اياه على مكانته لدى بني امية . ولقد حدث هذا فعلاً في زمن عبد الملك . كما ان الاخطل كان ساخطاً على جرير لمدحه قبيلة قيس المعادية لبني تغلب .

ولقد بدأ اتصال جرير بالبلاط الأموي منذ عهد يزيد بن معاوية ، الا انـه انحاز الى ابن الزبير لأن بني امية قـد قربت اليمانية ، ولما قضي على ابن الزبير عاد جرير ، وغـــيره من الشعراء ، يتقربون الى الامويين فاتصل ببشر بن ابي مروان والي العراق من قبل اخيه عبدالملك، ثم اتصل بخليفته الحجاج بن يوسف الثقفي وقال فيه اجمل قصائد مدحه . ثم ارسله الحجاج الى الخليفة عبد الملك ابن مروان وكان ساخطاً عليه لنصرته ابن الزبير ، وما زال بـه حتى اذن له بمدحه ، فمدحه بقصيدة رائعة منها هذا البيت المشهور :

أَلسْتُم خيْرَ منْ رِكبَ المطايا وأَنْدَىٰ العالمينَ بُطُونَ رَاح

فرضي عليه الخليفة وأجازه ، الا انـــه لم ينل عنده المكانة والمنزلة التي كانت للأخطل .

ثم وفـد جرير على الوليد بن عبد الملك ، وفي عهده مات الأخطل فهجاه بقوله :

وزارَ القبورَ أبو مــالِك فكان كألأمِ زوّارِهــا

ثم وفد على سليمان بن عبد الملك ، ثم وفد على عمر بن عبد العزيز ثم اتصل بيزيد بن عبد الملك ثم بأخيه ، وفي عهده مات الفرزدق فهجـــاه جرير بقوله :

مات الفرزدقُ بعد أن جدَّعتُهُ ليتَ الفرزدقَ كان عاشَ طويلا

الا انه ليم على ذلك ، فمدحه ببعض أبيات من الشعر ، ولم يلبث ان لحق

به بعد بضعة اشهر ، وقبره في اليمامة معروف.

قال جرير يهجو عبيد الراعي النميري وهو ممن اسكتهم من الشعراء الذين هجوه وهجوا قومه :

١ أَعَــدَّ اللهُ للشُّعَراءِ مِنِّي صواعقَ ، يَخْضَعُونَ لها الرِّقابا
٢ قَرَنْتُ العبدَ عَبْدَ بني نُمَيْرٍ مع القَيْنَيْنِ ، إِذْ غُلِبَا وخابا
٣ أنا البَازِي المُطِلُّ على نُمَيْرٍ أُتِحْتُ من السماءِ لها انصبابا
٤ ترى الطَّيرَ العِتَاقَ تظَلُّ منْهُ، جوَانِحَ لِلْكلاكِلِ أن تُصَابا
٥ فلا صَلَّى الإِلهُ على نُمَيْرٍ ، ولا سُقِيَتْ قبورُهُمُ السَّحَابا !
٦ وقدْ جَلَّتْ نساءُ بني نُمَيْرٍ وما عَرَفَتْ أناملُها الخضابا
٧ ولو وُزِنتْ حلُومُ بني نميرٍ على الميزان ، ما وزنتْ ذبابا

---

١ ــ اراد بالصواعق قصائده الهجائية القوية .

٢ ــ عبد بني نمير هو عبيد الرّاعي ، ويريد بالقينين : البعيث المجاشعي والفرزدق ، والقينان : مثنى القين وهو الحداد .

٤ ــ الطير العتاق : الطير الجارحة . جوانح : مائلة، من جنح اي مال . الكلاكل : جمع كلكل وهو الصدر . أن تصابا : خوفاً من ان تصاب .

٦ ــ جلّت : لقطت الجلة وهي ابعار المواشي وروث الابقار اليابس الذي يستعمل وقوداً . الخضاب : الحناء .

٧ ــ الحلوم : جمع حلم وهو العقل .

٨ أَلَمْ تَرَني صُبِبْتُ على عُبَيْدٍ ، وقد خارَتْ أباجِلُهُ ، وشَابا ؟

٩ فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّـــكَ مِنْ نُمَيْرٍ ،

فـــلا كَعْباً بلَغْتَ ، ولا كِلابــــا !

١٠ إِذا غَضِبَتْ علَيْكَ بنو تَميمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كلَّهُمُ غِضَابا

الشرح الأدبي

هذه الأبيات مأخوذة من قصيدة يهجو بها جرير عبيداً الراعي ويفخر عليه، وفيها من السهولة واليسر مـــا جعلها كعامّة شعره تسير سير الهـلال وتنتقل انتقال الشمس حتى ان جريراً أسماها « الدامغة » لأنها دمغت خصمه واسكتته وقضت عليه قضاءاً مبرماً فلم يسمع له شعر بعدها رغم انه يعد من فحول شعراء ذلك العصر . واننا لنجد فيها الحكم على الراعي وقومه بالذل والقهر فقد اعد الله لهم ولغيرهم منه صواعق يخضعون لها الرقاب . ولقد َقرَنَ الراعي مــع القينين بحبل واحد من الذل والخذلان، وكان في انقضاضه على نمير كالبازي الذي ينقض على الطيور فتلصق صدورهـــا بالارض خوفـــاً منه وهربا . ويدعو على نمير الا يشملهم الرحمن برحمته والا تمطر السحبُ قبورهم لانها قبور قوم لئام انذال . ويهجو نساء بني نمير بانهن لسن شريفات مخدرات ولكنهن فقيرات

---

٨ ـ صببت اي انصببت فهو لازم ومتعدٍ في آن واحد. خارت : صار لها عقد وورمت . الأباجل جمع ابجل وهو العرق الغليظ ويكون في اليـــد او الرجل .

٩ ـ غضَّ الطرفَ : اي كفَّ البصرَ . كعب وكلاب ونمير : كلها بطون عامر بن صعصعة وينتمي نسبها الى قيس . وكان من اقذع الهجاء عند العرب تفضيل قبيلة على اخرى تناسبها فقد فضل كعباً وكلاباً على بني عمها نمير .

محتاجات يلقطن بأناملهن ابعـــار المواشي وروثها اليابس ليستعملنه وقوداً ، ولذلك لم تعرف انامهن الحناء ابداً لانهن لا يسترحن من جمع الابعار . ثم يرمي بني نمير عامة بالحمق وقلة العقل حتى ان عقولهم اذا وزنت بالميزان لا تزن مقدار ذبابة وهي من اخفّ الأشياء. ثم يعود الى هجاء الراعي فيقول عنه: لقد تعقدت عروق يديه ورجليه وشاب شعره خوفاً منه . ثم يرمي نمـــيراً كلها بالحقارة والذل والقهر فاذا مشى أحدهم فيجب ان يغض طرفه خجلاً لانه من نمـير ، تلك القبيلة الحقيرة الممتهنة . وفي البيت الاخير يأتينا باروع صورة من صور فخره حتى إنه ليعد افخر بيت قالته العرب .

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

١ أَتَصْحُو ، أَمْ فُؤادُكَ غيرُ صَاحٍ   عَشيَّةَ هَمَّ صَحبُكَ بالرَّوَاحِ

٢ تعَزَّتْ أمُّ حزْرَةَ ثم قالتْ   رأَيتُ الواردين ذَوِي لِقَاحِ

٣ تُعَلِّلُ ، وهي سَاغِبَةٌ ، بَنِيها   بأنفاسٍ من ٱلشَّبِمِ ٱلْقَرَاحِ

٤ سأمْتَــاحُ البحــورَ فَجَنِّبيني   أذاةَ اللَّوْمِ وانْتَظِرِي ٱمْتِيــاحي

---

١ ـ اتصحو : اتترك الباطل ام لا . ام : بمعنى بل . الرواح : الذهاب مساءً .

٢ ـ ام حزرة : زوجة جرير . الواردين: القوم الذين يردون الماء . اللقاح: جمع لقوح : الابل .

٣ ـ تعلل : تمنّي وتلهّي . ساغبة : جائعة . الشبم : البارد ، صفة للماء . القراح : الخالي من الشوائب ، الصافي .

٤ ـ امتاح الماء : استقاه من البئر او اغترفه ، واستماح فلاناً : استعطاه .

٥ ثقي باللهِ ليس له شريكٌ ومِنْ عند الخليفةِ بالنَّجاحِ
٦ أغِثْني، يا فِداكَ أبي وأمّي، بِسَيْبٍ منْكَ، إنَّكَ ذو ٱرْتياحِ
٧ سَأشكُرُ إنْ رَدَدْتَ عليَّ ريشي وأنبتَّ القَوادِمَ في جنَاحي
٨ ألسْتُمْ خيْرَ مَنْ رَكِبَ المطايا وأندى ٱلْعالمين بُطونَ رَاحِ

كلمة في مدح جرير

معظم ديوان جرير في المدح ، فقد مدح الحجاج ومدح بني أميـــة ومدح قبيلة قيس المضرية ، رغم انها كانت معادية لقبيلته تميم، ذلك لانها كانت مناصرة في أول الامر لابن الزبير ، وكان هو كغيره من شعراء مضر ساخطــين على بني أمية لأنهم قرّبوا اليمانية ، كما انـــه مدح قبيلة قيس بعد ذلك لان الحجاج كان قيسياً .

وكان ينال العطاء الكثير على مدائحه هذه ؛ والحق يقـــال : إنه لم يكن لجرير غاية إلا كسب المال ولم يترفع عن مدح أحد ممن أمَّل عنده العطاء حتى ولو كان من الموالي ، بينما شُغل الفرزدق بالفخر بآبائه واجداده ورهطه .

ولم يكن جرير صادق العاطفة في مدحه فقد مدح الزبيريين كما مـــدح بني

---

٦ ـ السيب : العطاء . الارتياح : الاهتزاز للعطاء .

٧ ـ القوادم : جمع قادمة ، الريشات في مقدمة الجناح وتكون عادة اكبر الريش ، وضدها الخوافي ، وهي الريش الصغير الذي يتلو القوادم ، فقد شبّه جرير نفسه بالطائر الذي فقد ريشه وقوادمه فلا يستطيع الطيران بعدها .

٨ ـ المطايا : جمع مطيّة وهي كل ما يُمتطى من الحيوان كالابل والجياد و الراح : جمع راحة : باطن الكف ، وهو يريد ان يمدح الامويين بالشجاعـــة والكرم . ويعد هذا البيت أمدح بيتٍ قالته العرب .

أميـــة من بعد ، وتعصب لهم ودافع عن حقهم في الخلافـــة . وهو اذا مدح الامويين جعلهم أشرف الناس وأفضلهم وأعلاهم منزلة وأكثرهم سطوة وبطشاً وكرماً . وَحسْبنا البيت الاخير من النص فقد توفق فيه كل التوفيق حين َصوَّر شجاعتهم وجودهم وأنزلهم منزلة الاشياء التي لا يختلف فيها احد .

اسئلة ومواضيع

١ ـ إشرح النص الذي مدح به عبد الملك بن مروان شرحاً أدبياً .

٢ ـ قال ابو عبيدة : « يحتج من قدم جريراً بأنه كان أكثرهم فنون شعر، وأسهلهم لفظاً ، وأقلهم تكلفاً ، وأدقهم نسيباً ، وكان َديِّناً عفيفـاً . » هل تجد في شعر جرير مصداق هذه الخصائص التي أشار اليهـا أبو عبيدة ؟ أوضحها ومثِّل لها بنماذج من شعره .

٢ ـ كيف تبدو لك نفسية جرير من خلال مدائحه ؟ وهل ترى ان الشاعر الحق يصنع صنيع جرير ؟ وكيف ينبغي ان يكون المديح في نظرك ؟ أوضح كل هذا مؤيداً أقوالك بالأمثلة من شعره ومن شعر غـــيره من الشعراء أصحاب المدح الصادق كزهير وغيره .

مصادر

١ الأغاني — للأصفهاني .
٢ نقائض جرير والفرزدق — لأبي عبيدة ، تحقيق الصاوي طبعةمصر عام ١٩٣٥.
٣ نقائض جرير والاخطل — لأبي تمام نشر الابانطوانالصالحاني فيبيروت١٩٢٢ .
٤ ديوان جرير — تحقيق محمد اسماعيل الصاوي .
٥ جرير — للدكتور جميل سلطان ، دمشق .
٦ ادباء العرب — للبستاني .
٧ المفصل في الأدب العربي — للاسكندري وجماعته .
٨ الجديد في الأدب العربي — لحنا الفاخوري
٩ الوسيط في الأدب العربي — للاسكندري
١٠ جرير — لفؤاد افرام البستاني

النقائض بين جرير والفرزدق

النقائض كلمة مأخوذة من فعل ناقضه مناقضة في الشيء اي خالفه فيه ، ولقد اطلقت في الأدب على ضرب من التحدي والتهاجي يكون بين الشاعرين ، يقول أحدهما قصيدة في هجاء الآخر ومغامراته فيرد عليه الثاني بقصيدة اخرى من نفس البحر والقافية ينقض فيها مـــا قاله خصمه ويفند مزاعمه ويكذب اقواله ثم يهجوه بنحو هجائه له ويفاخره بمآثره وفضائله .

ولما كانت حياة العرب الاجتماعية قائمة على القبيلة ، لم تقتصر هذه المفاخر على الشاعر وحده بل كانت تتناول قبيلته . لذلك فان العصبية القبلية كانت الدافع الأول لنشوء فن النقائض في العصر الجاهلي . وممـــا ساعد على ازدهار هذا الفن ذلك العداء المتواصل بـــين القبائل والذي كان يعتمد على السيف واللسان في آن واحد . ولقد وصلنا شيء كثير من نقائض الجاهليين كالتي قيلت في الحروب التي دارت بين عرب الجنوب وعرب الشمال ، وكالتي قيلت فيما كان بين الأوس والخزرج اليمنيين ، وبين عبس وذبيان ، وبين بكر وتغلب وغيرها .

ولما جاء الاسلام كانت النقائض بين شعراء المسلمين والمشركين فقط . ولما انقسم المسلمون الى احزاب كان شعراء تلك الاحزاب يتهاجون ويتناقضون كما وقع ذلك في عصر علي ومعاوية .

على ان فن التنـــاقض لم يزدهر الا في العصر الأموي حـــين استيقظت العصبية القبلية بعد أن خدَّرها الاسلام وعادت على اشد مـــا كانت عليه في

الجاهلية. وكانت هناك عوامل اخرى غير العصبية الجاهلية كالخلافات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والشخصية ؛ وهذا كله ساعد على ازدهار هـــذا الفن وانتشاره انتشاراً عظيماً .

وكانت نقائض العصر الأموي تختلف عن نقائض العصر الجاهلي في كثرة إفحاشها واتساع خيال شعرائها حتى إنه ليعد ما جاء فيها من الفحش وقذف المحصنات وذكر الاشياء والاعضاء التي يجب الا تذكر لطخة عـــار في جبين الأدب العربي. وهذا يدل على ان اثر الدين كان ضعيفاً في نفوس هؤلاء الشعراء كالفرزدق الذي كان مشهوراً بفسقه وفجوره، وجرير الذي كان يعرض عـــن المجون والتعهر وشرب الخمرة ويتعفف عن الغزل المكشوف ويؤدي فرائض الحج الا انه لم يكن ليتورع عن قذف المحصنات ونهش الاعراض بهجائه البذيء الفاحش ، وعن الفاظ السباب والشتم التي كان يأتي بها في شعره .

واشهر نقائض ذلك العصر تلك التي كانت بين هؤلاء الشعراء الثلاثة : جرير والفرزدق والاخطل . ورغم سوء هذه النقائض وفحشها فقد كانت لهم خير واسطة للدعاية الأدبية حتى أصبح حديثهم يمـلأ المجالس ، وحتى شغل الناس بترقب نقائضهم واخبارهم كما يترقبون اليوم آخر الانباء .

وكانت قصة المفاضلة بين هؤلاء الثلاثة من اهم ما شغل النقاد والناس في ذلك العصر لأنهم كانوا يتنافسون على الزعامة الشعرية . وهذا مـــا دعا الى اتصال الهجاء والمناقضة بين هؤلاء الثلاثة طول حياتهم . وكان بعض الامراء والخلفاء يغرون هؤلاء الشعراء ببعضهم لاغراضهم السياسية كما كان يفعل بشر بن مروان الذي كان والياً على العراق من قبل أخيه عبد الملك . فقد روى ابو عبيدة ان محمد بن عُمَيْر المجاشعي بـذل اربعة آلاف درهم وفرساً لمن فضّل من الشعراء الفرزدق على جرير ، فلم يتجرأ احد على ذلك الا سُراقة البارقي الذي قـــال ابياتاً في تفضيل الفرزدق ، فما كان من بشر الا أن ارسل ابيات سراقة هـذه الى جرير وامره أن يجيب عنها ففعل . كما ان الذين كانوا يتلذذون في هـــذه

النقائض كانوا يساعدون على تقوية نار العداوة بين هؤلاء الثلاثة وخصوصاً بين جرير والفرزدق ، ويشجعونهما على الامعان في الاقـذاع والافحاش ونهش الاعراض وقذف المحصنات .

ونحن اذا درسنا فن النقائض في العصر الاموي رأينا انه يقوم على ثلاثة امور :

١ – ان يذكر الشاعر عيوب خصمه ويعدد مثالب قبيلته ويفتخر بنفسه هو وبقبيلته على الشاعر الخصم وعلى قبيلته المعادية . وهـذه الصفة في نقائض هذا العصر هي امتداد للهجاء والتناقض في العصر الجاهلي .

٢ – نهش الأعراض وقذف المحصنات والسباب البذيء الذي يأباه الدين الاسلامي الحنيف كما يأباه الذوق السليم ، والذي تمجّه نفوسنا في عصرنا هذا . وهذا الهجاء المكشوف الشنيع لم يكن في العصر الجاهلي .

٣ – تصوير الخصم بصورة ساخرة مضحكة تحمـل القارىء على الضحك والسخرية من المهجو . وهذا النوع من الهجاء ازدهر في العصر العباسي ازدهاراً كبيراً ؛ وكان ابن الرومي اشهر الشعراء العباسيين الذين اجادوا هذا الفن .

ولقد اعتنى الادباء بأمرهذه النقائض لأن فيها الشيء الكثيرمن اخبارالعرب ووقائعهم وانسابهم ، كما انها مملوءة بصور كثيرة عن حياتهم الاجتماعية في ذلك الحين . ولقد جمع أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنّى (المتوفى سنة ٢٠٩ هـ) نقائض جرير والفرزدق وهي مطبوعة ومنشورة . كما جمع الشاعر ابو تمام نقائض جرير والأخطل، وهي مطبوعة ومنشورة ايضاً . واليك مثالاً من النقائض التي كانت بين جرير والفرزدق ، ولقد اخترنا لك ما عفّ منها وشرُف .

قال الفرزدق من نقيضة يمدح بها بني تغلب ، قوم الأخطل ، ويهجو جريراً وقومه :

١ يابنَ المراغَةِ والهجاءُ إذا التَقَتْ أعناقُهُ وتمَاحكَ الخصْمانِ
٢ يابنَ المراغَةِ إنَّ تَغْلِبَ وائِلٍ رفعُوا عَناني فوْقَ كلِّ عَنَانِ
٣ لوْلا أناتُهم وفَضْلُ حُلومِهمْ باعُوا أباكَ بأوْكسِ الأثمانِ
٤ واسأَلْ بِتَغْلِبَ كيفَ كانَ قديمُها
وَقديمُ قوْمِك أوَّلَ الأزْمَانِ
٥ قوْمٌ هُمُوقتَلوا ابنَ هِنْدٍ عنْوةً عَمْراً ، وهُمْ قسَطُوا على النُّعْمانِ
٦ قتَلوا ٱلصَّنائِعَ والملوكَ ، وأوْقدوا
نارَيْنِ قد علَتا على النِّيرانِ

---

١ ـ المراغة : الأتان ، وهي أنثى الحمار ، وابن المراغة يعني جريراً والهجاء : مبتدأ خبره متعلق اذا الظرفية والتقدير : والهجاء اذا التقت اعناقُهُ ذائع ومنتشر . اذا التقت أعناقه : أي اذا تناشده القوم بعضهم مع بعض . تماحك الخصمان : تخاصما .

٢ ـ تغلب وائل : قوم الأخطل . العَنان بفتح العين : الجانب ، ويشير بهذا البيت الى تفضيل الأخطل إياه على الشعراء عامة وعلى جرير خاصة .

٣ ـ أوكس الاثمان : أبخسها .

٥ ـ ابن هند هو عمرو بن هند ملك الحيرة الذي قتله الشاعر عمرو بن كلثوم التغلبي . عَنْوةً : قوة واقتداراً . قسطوا : ظلموا وجاروا . النعمان هو أبو قابوس المنذر بن النعمان احد ملوك الحيرة ايضاً . ويروى ان مُرَّة بن كلثوم وهو أخو عمرو بن كلثوم قد قتل المنذر هذا .

٦ ـ الصنائع : الأنصار ومفرده صنيعة . أوقدوا نارين : أي أشعلوا

٧ لَوْلاَ فوارِسُ تغْلِبَ ابنةِ وائِلٍ   نَزَلَ العَدُوُّ عَلَيْكَ كلَّ مكانِ
٨ حَبَسُوا ابن قَيْصَرَ وابْتَنَوْا بِرِمَاحِهِم
يوْمَ الكُلاب كأكرَمِ البُنْيانِ
٩ إنَّ الأَراقِمَ لنْ ينال قديمَها   كلبٌ عوَى مُتَهَتِّمُ الأَسنانِ
١٠ قوْمٌ اذا وُزِنُوا بِقَوْمٍ فُضِّلُوا   مِثْلَيْ موازِنِهِمْ على ٱلميزانِ

وقال جرير يجيب الفرزدق على قصيدته السابقة ويهجو الأخطل ويفتخر :

١ هَلاَّ طعَنْتَ الخيلَ يومَ لقيتَها   طعْنَ الفوارسِ مِنْ بني عُقْفَانِ

حربين انتصرت فيها تغلب على كندة وعلى بكر بن وائل .

٧ ـ يشير في هذا البيت الى ان تغلب كانت قد اشتركت في حرب ضد الروم وردتهم عن بلاد العرب ، ولولا ذلك لدخل الروم البلاد العربية ولكان هذا العدو نازلاً في كل مكان ينزل فيه جرير او يهرب اليه مع قومه .

٨ ـ حبسوا ابن قيصر : ردوه عن بلاد العرب . ابْتَنَوا : بَنَوا شرفاً ومجداً . يوم الكُلاب : يوم لتغلب على تميم . والكلاب ماء لتميم كانت المعركة فيه .

٩ ـ الأراقم : حي من تغلب . قديمها : حسبها القديم . والمقصود بالكلب جرير الذي كان يهجوهم . متهتم الاسنان : متكسرها أي انه هرم فتكسرت اسنانه .

١ ـ بنو عقفان هي من يربوع ، رهط جرير ، كانوا دفعوا الخوارج عن الكوفة في عهد الحجاج وفرض لهم في العطاء ألفي درهم في السنة وكان ذلك شرفاً لهم .

٢ أَلقُوا السِّلاحَ اليَّ آلَ عُطارِدٍ وتَعاظمُوا ضرْطاً على الدُّكّانِ
٣ يا ذا آلعَبَاءةِ إِنَّ بِشْراً قد قضَى ألّا تجوُزَ حكُومةُ النَّشْوانِ
٤ فدَعوا الحكومةَ لستُمُ من أهْلِها إِنَّ الحكُومَةَ في بني شيْبانِ
٥ بكْرٌ أحقُّ بأنْ يكونُوا مَقْنَعاً أو أنْ يَفوا بحقيقَةِ الجيرانِ
٦ قتَلُوا كُلَيْبَكُمُ بلقْحَةِ جارِهِمْ يا خُزْرَ تغْلبَ لسْتُمُ بهِجَانِ
٧ ما زال مَنْزِلُنا لِتَغْلِبَ غالِباً واللهُ شرَّفَ فوْقَهُم بُنْيَانِي

---

٢ ـ آل عطارد هم من تميم وهم رهط الفرزدق . الدكان : الحانوت ويجمع على دكاكين ويريد إن آل عطارد ليسوا رجال حرب فيجب ان يلقوا سلاحهم ويجتمعوا امام دكاكينهم يضرّطون خوفاً وجبناً .

٣ ـ ذو العباءة: يعني به الأخطل لان العباءة كساء نصراني فيذلك الحين. بشر هو بشر بن مروان بن الحكم الذي كان والياً على العراق من قبل اخيه عبد الملك بن مروان . النشوان : السكران .

٤ ـ بنو شيبان . حي من بكر ، والاخطل تغلبي ، وكانت بين بكر وتغلب عداوة قديمة تعود الى حرب البسوس .

٥ ـ مقنعاً : أكفاء في الإقناع والحكم بالعدل . حقيقة : حق وحمى .

٦ ـ كليب ، سيد بني تغلب قتله جساس من بني بكر وبسبب ذلك نشبت حرب البسوس بين بكر وتغلب . اللقحة : الناقة ، إشارة الى ناقة البسوس خالة جساس الذي قتل كليباً من اجلها في قصة معروفة . يا خزر تغلب : أي يا لئام تغلب . الهجان : الخيار المفضلون .

٧ ـ أي إن الله رفع منزلة قوم جرير على تغلب ودارم وشرّفها عليهم .

٨ فاقْبِضْ يَدَيْكَ فإنَّني في مُشْرِف
صَعْبِ الذُّرا مُتَمَنِّـــعِ الأركان
٩ ولقَدْ سبَقْتُ فما ورائي لاحِقٌ بَدْءاً وخُلِّيَ في الجراء عناني
١٠ نَزَعَ الأُخَيْطِلُ حينَ جَدَّ جِراؤُنا
حَطِـــمَ الشَّوَى مُتَكَسِّرَ الأسنان
١١ قُلْ لِلْمَعرِّضِ والمشَوِّرِ نفْسَهُ مَنْ شاء قاسَ عِنَانَهُ بعناني

الشرح الادبي والتحليل

نرى في نص الفرزدق المأخوذ من احدى قصائده انه لا يكتفي في هجائــه لجرير بالدفاع عن قومه بني دارم ، بل يدافع ايضاً عن تغلب ويفتخر بها لانها قبيلة حليفه الاخطل ، وبالمقابل كان الاخطل يفاخر ببني دارم ويدافــع عنهم عند مناقضته لجرير .

---

٨ ـ المشرف . العالي ويريد به نسبه. الذرا . جمع ذروة وهي أعلى الشيء ، وصعب الذرا : لا ينال لصعوبته. متمنع الاركان : صعب الجوانب لا يمكن ارتقاؤه .

٩ ـ بدء الامر : أوله . العنان : لجام الفرس . الجراء : السبق يريد انه سبّاق في الميدان وقد اعتاد المفاخرة والفوز بها .

١٠ ـ نزع : كفّ . حَطِم : محطم ومنكر . الشوى : القوائم ، يشبه الاخطــل في تخلفه عنه في المفاخرة بالكلب الذي تكسرت قوائمه واسنانه في العراك ففر هارباً .

١١ ـ المعرّض : الذي يعرض نفسه للمهالك . والمشور : الذي يختـــبر نفسه قبل الخصام ويروضها على ذلك . ويريد ان من شاء مفـــاخرته فليتقدم ليعرف مكانه من المجد والسؤدد .

كما اننـا نرى ان الفرزدق لم يكتف بالفخر على جرير ورهطه إنمـا عدّد انكساراتهم وذكر خزيهم وعارهم ، وكيف لا وكليب بن يربوع أحقر تميم وأذلها وأخسها وأجبنها وكل مخازي تميم إنما جاءت عن طريق كليب كما ان كل مفاخرها كانت بفضل بني دارم . والنتيجة التي يصل اليها دائماً هي ان رهط جرير عاجز عن مطاولة بني دارم رغم انهم ابناء عم فكلاهما من تميم ؛ وهـذا اصعب شيء عند العرب وذلـك ان يفضل الشاعر رهطاً على آخر من قبيلة واحدة .

ونرى من النص المأخوذ من نقيضة جرير انـه يسلك مسلك خصمه في المفاخرة فينسب الى بني يربوع كل فخار ومجد والى بني دارم كل خزي وعار ويقرن الاخطل النصراني بالفرزدق في حبل واحـد ويسفّه رأيه في تفضيل الفرزدق عليه قائلاً له : ان حكم السكران غير مقبول لانه لا يصدر عن تفكير ووعي . ثم يعير تغلب بما عير بـه بني دارم من انهم جبناء مغلوبون على امرهم وخصوصاً مع بكر التي قتلت زعيمهم وسيدهم من اجل شيء تافه حقير ألا وهو ناقة البسوس خالة جساس . ثم يفتخر بقومه وشاعريته على قومـي الاخطل والفرزدق وشاعريتها ويجعلها وراءه في ميدان التنافس الشعري فلا يستطيعان اللحاق بغباره .

مصادر

١ ـ نقائض جرير والفرزدق — طبعة مصر عام ١٩٣٥ .

٢ ـ نقائض جرير والاخطل — طبعة الاب انطون صالحـاني اليسوعي في بيروت سنة ١٩٢٢ .

٣ ـ تاريخ النقائض في الشعر العربي — لأحمد الشايب طبعة مصر .

٣ ـ المجمل في تاريخ الادب العربي — لطه حسين وجماعته .

اسئلة ومراجع

قال الفرزدق يهجو جريراً ببائيته التي أولها :

ألم تر أنّي يوم جوّ سُوَيْقَةٍ بكَيْتُ فنادتني هُنَيْدَةُ ما لِيا
فقلت لها إِنَّ البكاء لراحةٌ به يَشْتَفي من ظنّ أنْ لا تلاقيا

فردّ عليه جرير ببائيته التي يقول في مطلعها :

ألا حيِّ رَهْباً ثم حَيِّ المطَالِيا فقد كانَ مأنوساً فأصبحَ خاليا

إختر نصاً من كل من هاتين النقيضتين على ألا يزيد على عشرة أبيات وقارن بينهما مبيّناً خصائص النقائض فيهما .

النثر

في العصر الاسلامي والاموي

١ ـ القرآن الكريم :

تعريفه: كلنا يعلم أن القرآن الكريم حمل الى العرب تعاليم دين توحيدي جديد وقضى على الوثنية الجاهلية، وجعل من القبائل العربية المتقاتلة والمتنافرة أمة واحدة تدين بـإله واحد وتخضع لسلطان واحد ، فكان لهذا القرآن الكريم فضل توحيد العرب وجعلهم يشعرون بقوميتهم العربية . فهو اذن **الكتاب العربي القومي الأول** .

ولما كان أسلوبه قد أعجز البلغاء والفصحاء وكان ولا يزال مَعيناً لهم ينهلون منه ويسعون الى محاكاته في طرق التعبير والتصوير ، ومصدر إلهام لا ينضب معينه.. لهذا فهو **الكتاب الادبي الاول** عند العرب. وفوق هذا وذاك فهو المنظم الاول لحياة العرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

نزوله : لم ينزل القرآن على الرسول جملة واحدة إنما نزل **منـجّماً – أي** مجزّءاً الى آيات وسور، واستغرق نزوله نيِّفاً وعشرين سنة، وكان ينزل حسب المناسبات . ونزل منه ثلاث وتسعون سورة في مكة واحدى وعشرون سورة في المدينة ، أي ان أكثره نزل في مكة . ومجموع سوَره مائة واربع عشرة

جمعه : ولما قبض الرسول عليه السلام كان القرآن مفرقاً في صحاف ورقاع

وفي صدور الحفـّاظ . وفي عهد أبي بكر جمعه زيد بن ثابت في صحف كي لا يضيع منه شيء بسبب مقتل كثير من الحفـّاظ في حروب الرِّدة . واستلم عمر رضي الله عنه هذه الصحف من أبي بكر ، ثم آلت الى ابنته حفصة بعدمقتله . وفي عهد عثمان كـثر الاختلاف في قراءة القرآن فطلب رضي الله عنه الى جماعة من قريش وفيهم زيد بن ثابت ان يجمعوا نسخة موحـدة منه وينسخوا منها عدة نسخ ، ثم وزع هذه النسخ عـلى الأمصار وأحرق نسخ المصاحف الاخرى وكان ذلك سنة ٢٥ هـ.

أسلوبه : جاء أسلوب القرآن جديداً على العرب لأنه كان يخالف اساليب النثر التي كانوا يعهدونها ، لأنه يقوم على نظام الفواصل التي هي في النثر بمثابـة القوافي في الشعر . وهذه الفواصل إمّا ان تكون متوازنة او مسجوعة .

هـذا من جهة ، ومن جهة أخرى كان أسلوب الآيات المكيّة يختلف عن أسلوب الآيات المدنية ، فالاسلوب المكّيّ يمتـاز بقصر آياته وكثرة السجع فيها ، وقوتها ، وحرارة لهجتها، وخصب خيالها ، وبكثرة التكرار والاعتماد على القسم والتوكيد . والسبب في ذلك انها كانت تدور حول إقناع المشركين بصحة رسالة الرسول ، وبطلان الوثنية ، لذلك جـاء أسلوب الآيات المكية أسلوباً خطابياً بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

ويمتاز أسلوب الآيات المدنية بالطول والتفصيل في التشريع لتوضيح أمور الدين والدنيـا لذلك كانت الآيات المدنية أهدأ لهجة من الاسلوب المـكي ، وأقل سجعاً ، وأقرب الى الاسلوب التقريري منها الى الخطابي .

والاسلوب القرآني بنوعيه المكي والمدني يعتمد بصورة عـامة على الامثال لتصوير الامور المعنوية بصورة حسّية يكون وقعها في النفوس أقوى ، وذلك كقوله :« فأمّا الزَّبد فيذهب ُجفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض، كذلك يضربُ اللهُ الأمثـال » . وكقوله : « وَسَكنتُمْ في مساكنِ الذين ظلموا أنفسَهُم وَتبَيَّن لكمْ كيفَ فعلنا بهم وضربنا لكم الامثالَ » .

ويعتمد الاسلوب القرآني على التكرار في المعنى واللفظ ، والغاية من ذلك التأثير وتثبيت المعنى في النفس كالذي تجده سورة الرحمن من تكرار قوله : « فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان » ، وفي سورة النمل من تكرار قوله : «أإلهٌ مع الله » وفي المرسلات من تكرار قوله : « ويلٌ يومئذٍ للمكذّبين » .

ومن مميزاته الالتفات من صيغة المتكلّم الى المخاطب ثم الرجوع الى صيغة المتكلّم ، ومن ذلك قوله : « ويومَ نُسَيِّرُ الجبالَ وترى الارضَ بارزةً وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً » .

ومن مميزاته الإيجاز في التعبير ، أي حصر المعاني الواسعة في ألفاظ قليلة كقوله : « ولكم في القصاص حياة » وكقوله « أولئك لهم الأمن » وهكذا . كما إن السور القرآنية لا تؤلف وحدة موضوعية إنما ينتقل فيها من موضوع الى آخر .

كل هذه المميزات في الاسلوب القرآني جعلته فريداً في نوعه عند العرب فأعجز الفصحاء والبلغاء في سحر بيانه وروعته .

الحديث الشريف :

تعريفه : الحديث الذي نقصده في درس الأدب هو الأقوال المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويهمنا منه الناحية الادبية فقط ، فقد كان عليه السلام إمامَ البلغاء وسيد الفصحاء .

وضعه وتدوينه : لم يُدوَّن في عهد الرسول إلا القرآن ؛ أما الحديث فقد كان عليه السلام لا يشجّع على تدوينه كي لا يلتبس بالقرآن الكريم . ولقد روي عنه (صلعم) قوله : « من كتب عني غير القرآن فليمحُه » . وسار الخلفاء الراشدون سيرة الرسول في الحديث فلم يعتنوا بتدوينه وجمعه كما اعتنوا بجمع القرآن . وظل الحديث محفوظاً عند الرواة يتناقلونه شفاهاً ، وهذا ما أفسح المجال الى انتحاله واختلاط الاحاديث الموضوعة بالصحيحة حتى تعذر تميز الصحيح من الكاذب فيها .

اسباب وضعه : كانت هنـــاك دوافع كثيرة حملت النـــاس على وضع الاحاديث . منها :

١ ــ الاختلافات الحزبية ، فكان كل حزب يضع طـــائفة من الاحاديث وينسبها الى الرسول تأييداً لوجهة نظره .

٢ ــ العصبية القبلية ، فقد كانت كل قبيلة تضع الاحـــاديث لتفضيل نفسها على الأخرى .

٣ ــ العصبية القومية التي كانت بين العرب والموالي والتي دعت الفريقين الى انتحال الاحاديث لرفع شأن كل منهما على الآخر .

٤ ــ دخول عدد من الأعاجم في الدين الاسلامي عن غير عقيدة صحيحة ، مما دعاهم الى الدسّ على الدين الاسلامي وإظهاره على غير حقيقته .

٥ ــ الخلاف المذهبي والفِرق الدينية فكانت كل فرقـــة كالشيعة والخوارج مثلاً تضع الاحاديث وتنسبها الى الرسول تأييداً لها .

ومن ذلك ايضاً الزندقة والترغيب والترهيب كما كان الامر عند الوعـــاظ والمرشدين الضعيفي الايمـــان الذين كانوا ينتحلون الاحاديث . وهناك اسباب أخرى للوضع أدت الى جعل الاحاديث الموضوعة اكثر من الصحيحة أضعافاً مضاعفة .

ولمـــا احتاج المسلمون الى الحديث في التشريـع نشطت جماعة من العلماء الأفاضل الى تدوينه وتمييز صحيحه من كاذبه ، وبذلوا في ذلك جهوداً جبّارة وتوفقوا الى ابعد حدود التوفيق ؛ ومن هؤلاء الإمامان البخاري ومسلم رضوان الله عليهما . ومما يروى ان البخاري اختار احاديثه التي بلغت سبعة آلاف من ستمائة الف حديث كانت متداولة بين الناس في ايامه .

اسلوبه وبلاغته: نشأ عليه السلام نشأة بليغة فصيحة فكان اماماً في البلاغة والفصاحة، لذلك جاءت احاديثه رائعة في صورها المبتكرة وتشبيهاتها الرائعة

خاليــــة من التـكلّـف ، سامية الغرض ، جميلة المعاني ، صادقة في الدلالة على اهدافها الإنسانية التي غايتها هداية الانسان في الدارين .

ومن تشبيهاته المبتكرة قوله : « رفقاً بالقوارير » (اي النساء) وقوله في الحرب : « الآن حمي الوطيس ». وكقوله فيها ايضاً : « إن لهذا اليوم ما بعده » الى غير ذلك من امثال هذه الاحاديث الرائعة .

ولذلك فان اسلوب الحديث يعد النموذج الثاني للبلاغة في العصر الأول الاسلامي وفي كل عصر ، بعد القرآن ، ويمتاز بايجاز عبارته ، وقصر فقراته ، وسهولة الفاظه ، وعدم تـكلّـفه لأن الرسول كان يأتي به عفو خاطره عليه السلام ، كما يمتاز بجمال تشبيهاته وصوره التي تدل على ذوق أدبي سليم .

٣ ـ **الخطابة** : سايرت الخطابة في تطورها الفني تطور البيئة العربية وتقدم العرب في جميع نواحي الحيــاة العامة في العصرين الإسلامي والأموي ؛ فقد تقدم العرب في النواحي الدينية والفكرية والسياسية والاجتماعية والحربية ، وكل هــذا أدى الى ازدهار الخطابة في هذين العصرين ازدهاراً لم تحظ بمثله في العصر الجاهلي ولا في العصر العباسي، ولم يفُقه الا ازدهارها في العصر الحديث. وهناك اسباب كثيرة أدت الى رقي الخطابة وازدهارها في هذين العصرين ومن أهمها:

١ ـ الدعوة الدينية التي جعلت الرسول يعتمد في الدرجـــة الأولى على الخطابة ليحمل الناس على التصديق بالدين الجديد .

٢ ـ حاجة رؤساء الوفود الى الخطابة امام الرسول وحاجته عليه السلام اليها امامهم .

٣ ـ احتياج الخلفاء والولاة الى الخطابــة السياسية ليبيّنوا للناس الطرق التي يسيرون عليها في حكمهم وما يجب عليهم نحو حكامهم .

٤ ـ احتاج الخلفاء والولاة الى الخطابة لتشجيع الجند والحث على الجهاد ومخاطبة اهالي البلاد المفتوحة الذين كانوا يجهلون ، في بادىء الأمر ، القراءة والكتابة بالعربية .

٥ – لزوم الخطابة لأداء الفروض الدينية كصلاة الجمع والعيدين ومواسم الحج وغير ذلك .

٦ – نشوء الأحزاب السياسية وحاجة زعمائها وقوادها الى الخطابــــة في اثبات وجهة نظرهم بالخلافة وابطال حجج الأحزاب الأخرى .

٧ – الفرق الدينية من سنيّة وشيعة وخوارج ومعتزلة وجبرية وقدرية وما الى ذلك ، وكل فرقة من هذه الفرق كانت تحتاج الى خطيب يعرض آراءها ويؤيدها بالحجج والبراهين ليدعوا الناس الى الانتساب اليها .

٨ – ومنها قيـــام جماعة الوعاظ في المساجد يزهّدون الناس في الدنيا ويحثونهم على اتبـــاع اوامر الدين ومكارم الأخلاق ، وفي الحروب لتشجيع الجند وترغيبهم بالحرب وتذكيرهم بما أعده الله للمجاهدين من جزاء في جناته . الى غير ذلك من الأسباب التي أدّت الى رقي الخطابة في هذين العصرين .

وسنعرض عليك نماذج من خطب صدر الاسلام والعصر الأموي .

النماذج

١ ـ خطبة عثمان يوم التولية

لمـــا اجتمع أهل الشورى بعد مقتل عمر بن الخطاب وهم : عبد الرحمن ابن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، والزبير بن العوّام ، وسعد ابن أبي وقاص[١] ، واتفقوا على مبايعة عثمان (رض) ، صعد المنبر وقال بعد ان حمد الله واثنى عليه :

« إنكم في دار قُلْعة[٢] ، وفي بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير مـــا تقدرون عليه ، فلقد أُتيتم ، صُبِّحْتُمْ أو مُسِّيتم ، ألاَ وإن الدُّنيا طُوِيَت على الغرور ، فلا تَغُرَّنكم الحياة الدُّنيا ، ولا يَغُرَّنكم بالله الغَرُور .

اعتبروا بمن مضى ، ثم جدُّوا ولا تغفلوا ، فإنَّهُ لا يُغْفَلُ عنكم . أين أبناءُ الدنيا وإخوانها الذين آثروها وعَمَروها ، ومُتِّعُوا بهـــا طويلاً ؟ ألم تلفظهم ؟ ارموا بهذه الدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة ، فإن الله قد ضرب لها مثلاً ، والذي هو خير ، فقال عزّ وجلّ : « واضْرِبْ لهم مثلَ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناه من السَّماء ، فاختلَطَ بـــه نباتُ الأرض ، فأصبح هشيماً تَذْروه الرِّياحُ ، وكان الله على كلّ شيءٍ مقتدرا . المال والبنون زينةُ

١ ـ طلحة بن عبيد الله من أهل الشورى ، الا انه لم يحضر اجتماع تولية عثمان .
٢ ـ دار قلعة : لا مقام فيها .

الحياة الدنيا ، والباقياتُ الصّالحاتُ خيرٌ عند ربّكَ ثواباً وخيرٌ أملا » .

صاحب الخطبة : هو عثمان بن عفان (رض) ، الأموي القرشي الذي كان من السابقين الى الاسلام . تبرّع بكثير من امواله لمساعدة المجاهدين في سبيل نشر الدعوة الاسلامية . ولي الخلافة عن طريق الانتخاب من قبـل اصحاب الشورى ، كما قدمنا ، وذلك بعد مقتل عمر (رض) ، وقتل بعد ان حوصر في داره وذلك سنة ٣٥ هـ . وهذه الخطبة على قصرها تعد من أبلغ الكلام وأسلسه، وذلك لانه رضي الله عنه نشأ نشأةً قرشية ودرس القرآن وحفظه فتأثر ببلاغته وفصاحته .

ومن خطبه رضي الله عنه :

الحمد للهِ ، أيُّها الناسُ ، إتّقـوا اللهَ فإنّ الدنيا كما أخبَرَ اللهُ عنها لَعِبٌ ولَهْوٌ وزينَـةٌ ، وتفاخرٌ ، فخيرُ العباد فيها من عَصَمَ[١] واستعصم[٢] بالله وبكتابهِ . وقد وُكِلْتُ من أمركم بعظيم لا أرجو العونَ عليـه إلا من اللهِ ، ولا يُوَفّقُ للخيرِ إلاّ هو .

وما توفيقي إلا باللهِ ، عليه توكلتُ واليه أُنيب .

المطلوب .

١ ـ إشرح المفردات الآتية :

عصم نفسه ، استعصم ، أُنيب .

٢ ـ إشرح هذا النص شرحاً أدبياً مبيّناً بلاغة هذه الخطبة رغم قصرها .

(٢) من خطبة لعلي بن أبي طالب في الجهاد :

١ ـ أيُّهـا النـّاسُ المُجْتَمِعَةُ أبْدانُهمُ ، المُخْتَلِفَةُ أهْواءُهـُم . كلامُكُمْ يوهِي الصُّمَ الصِّلابَ ، وفِعْلكُمْ يُطْمِعُ فيكم الأعـداءَ ! تقولون في المجالسِ : كيتَ وكيت ، فإذا جـاءَ القِتالُ قُلْتُم : حِيدي حَيَادِ ! ما عَزّتْ دَعْوَةُ مَنْ دعاكم ، ولا استراحَ قلبُ مَن قاساكُم ، أعاليلُ بأضاليلَ ، دفاعَ ذي الدَّيْنِ المطولِ ، لا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَليلُ ولا يُدْرَكُ الحقُّ إلاّ بالجِدِّ .

٢ ـ أيَّ دارٍ بَعْدَ داركُم تَمْنَعُون ومَعْ أيّ إمامٍ بَعْدِي تقَاتِلون ؟ المغرورُ والله مَنْ غرَرْتُموه ، ومَنْ فَازَ بكم فقد فاز والله بالسَّهْمِ الأخيَبِ ، ومَنْ رَمى بِكُمْ فقد رَمَى بأفوقَ ناصِلٍ . أصْبَحْتُ والله لا أُصَدّقُ قَوْلَكُمْ ، ولا أطْمَعُ في نَصْرِكُمْ ، ولا أُوعِدُ العَدُوَّ بِكم . ما بالُكُمْ ؟! ما دواؤكم ؟! ما طِبُّكم ؟! القَوْمُ رجالٌ أمثالُكُمْ ! أَقولاً بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وغَفْلَةً مِن غيرِ وَرَعٍ ، وطَمَعاً من غيرِ حقٍّ ؟

المفردات (١) ــ الأهواء : جمع هوى وهو ما تميل اليه النفس . يوهي : يوهن ويضعف . الصُم : جمع أصم وهو الصلب من الحجارة . الصِلاب : جمع صليب وهو الشديد . كيتَ وكيتَ : بفتح تائها وكسرها : كذا وكذا، وهما لا تستعملان إلا مكررتين . حيدي حيادِ : كلمة يقولها الهارب كأنه يسأل الحرب ان تحيد عنه أي تميل عنه وتنحرف. قاساكم : احتملكم . أعاليل: جمع علة وأعلولة وهو ما يتعلل به . الاضاليل : جمع أضلولة أي الباطل والضلال . المَطول : الكثير المطل والتسويف . الضيم : الذل .

(٢) ــ تمنعون : تحمون . السهم الأخيب : السهم الخائب الخاسر من سهام الميسر . الأفوق من السهام : ما كسر فوقه ، والفوق موضع الوتر من السهم . الناصل : ما لا نصل له ، والنصل حديدة السهم او الرمح . أوعِدُ : أهدّد وأنذر وأخيف ، والوعيد لا يستعمل إلا في الشر ، أما الوعد فهو في الخير . الورع : التقى .

الاعراب : حيادِ : اسم فعل أمر مبني على الكسر ومثلها نزالِ بمعنى انزل وحذارِ بمعنى احذر . أعاليل : خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي أعاليل. دفاعَ : مفعول مطلق لفعل محذوف أي تدافعون دفاع . ما بالكم : (ما) اسم استفهام مبتدأ وبالكم خبره . أقولاً : مفعول به لفعل محذوف أي تقولون قولاً .

ترجمة صاحب النص

هذا النص من خطبة الجهاد لعلي كرّم الله وجهه وهو ابن عم رسول الله ، أسلم وهو دون العاشرة من عمره . وكانت له مآثر في الاسلام ، فقد حلّ محل الرسول ليلة الهجرة وعرّض نفسه للقتل ، وساهم مساهمة فعّالة في قتال المشركين ، وآلت اليه الخلافة بعد مقتل عثمان وظن أن المسلمين سيجتمعون على مبايعته ، ولكن ما لبثت عائشة ان أعلنت خلافها له وساندها في ذلك طلحة والزبير فقاتلهم علي في وقعة الجمل المشهورة .

وكذلك رفض معاوية في الشام البيعة لعلي وطالب بدم عثمان الذي قتله جماعة من ثوار أعراب مصر والعراق بحجة إيثاره أقاربه وتقديمهم على المسلمين. ولقد قاتل علي معاويةَ وكاد يقضي عليه لولا حادثة التحكيم التي سببت خروج الخوارج فاضطر علي الى قتالهم ايضاً . وبينما كان يستعد لمهاجمة معاوية اغتاله الخارجي عبد الرحمن بن مُلجم سنة ٤٠ هجرية وبذلك تم الأمر لمعاوية بعد ان ظل علي في الحكم أربع سنوات .

الشرح الادبي والتحليل

ولقد قاسى علي رضي الله عنه من جنده ما قاساه لكثرة اختلافهم وعدم طاعتهم له . وهو في هذه الخطبة يبيّن ان قومه يجتمعون ولكن بأجسادهم فقط ، أما آراؤهم وميولهم فقد كانت مختلفة ، تلك الأقوال التي كانت تفلق الحجر بقوتها وصلابتها ولكن أفعالهم كانت ضعيفة واهية جعلت العدو — معاوية — يطمع في الإغارة عليهم. ولقد كانوا يقولون في المجالس انهم سيفعلون بالعدو كذا وكذا فاذا جدَّ الجد فرّوا وهربوا من المعركة وولوا الأدبار. ولذلك خاطبهم بقوله : « إن من دعاكم الى القتال لن تعزَّ دعوته لتخاذُلكم ، ومن احتملكم كان دائم العناء والنصب . فهم لا يتعللون إلا بالاباطيل التي لا طائل تحتها ، ويهربون من الحرب ملتمسين الأعذار، كالتي يماطل بها المدين دائنه

ويدافعه . وهم قوم أذلاء ، ومن كان ذليلاً فهو عاجز عن دفع الضيم عن نفسه، وان من اعتمد عليهم كان كمن رمى بالسهم المكسور الفوق الذي لا يصيب مقتلاً إذ لا نصل له، أي ان من اتخذ هؤلاء القوم جنوداً وعدة خاب أمله لأنهم غير أهل للقتال . ثم يتساءل متعجباً : ترى أهكذا يكون القوم ؟ وينكر على هؤلاء القوم ان يكون لهم قول بلا علم وغفلة على غير ورع وطمع ولكن في غير الحق .

مصادر

١ شرح نهج البلاغة — للشيخ محمد عبده

٢ مقاتل الطالبين — لأبي الفرج الاصفهاني

٣ معجم الادباء مادة (علي) — لياقوت الحموي .

٤ - Encyclopédie de L'ISLAM. Huart: (Ali) . -

اسئلة ومواضيع

١ ـ قيل ان كلام علي هو « دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق » . ما رأيك في هذا القول ، وما هي المميزات التي جعلت علياً يحتل هذه المكانة البلاغية الرفيعة ؟ أيِّد كلامك بالأمثلة .

٢ ـ قيل : ان مصادر بلاغة علي وفصاحته لا تتعدى اثنين هما : القرآن والحديث . أوضح ذلك مستشهداً على ذلك بكلام علي .

٣ ـ من خطبة زياد بن ابيه ،البتراء

١ ـ أمَّا بَعْدُ ؛ فـإنَّ الجهالةَ الجهلاءَ والضَّلالَةَ العَمْياءَ ، والغَيَّ المُوفِيَ بأهْلِهِ على النَّارِ ، ما فيهِ سفهاؤكُمْ ، ويَشْتَمِلُ عليهِ حلماؤكُم ، مِنَ الأمُورِ العِظامِ يَنْبُتُ فيها الصَّغيرُ ، ولا يَتَحاشى عنها الكبيرُ كأنَّكُمْ لم تقرَأوا كتابَ اللهِ ولم تسْمَعُوا مـا أعَدَّ اللهُ من الثَّوابِ الكريمِ لِأهْلِ طاعتِهِ ، والعَذَابِ العَظيمِ لِأهلِ مَعْصِيَتِهِ ، في الزَّمَنِ السَّرْمَدِيِّ الذي لا يزولُ .

٢ ـ أتَكُونونَ كَمَن طرفَتْ عَيْنَيْهِ الدُّنيا ، وسَدَّت مَسامِعَهُ الشَّهَوَاتُ ، واختارَ الفانيةَ على الباقيةِ ، ولا تذكرونَ أنَّكم أحْدَثْتُم في الإسلامِ الحَدَثَ الذي لم تُسْبَقُوا اليه ، مِنْ تَركِكُمُ الضَّعيفَ يُقْهَرُ ويُؤخَذُ مالُهُ . ما هذهِ المواخيرُ المنصوبةُ ، والضَّعيفةُ المَسْلُوبَةُ في النَّهارِ المُبْصِرِ ، والعَدَدُ غيرُ قليلٍ ؟ أَلَمْ يكُنْ مِنْكُمْ نُهاةٌ تَمْنَعُ الغُواةَ عنْ دَلَجِ اللَّيلِ وغَارَةِ النَّهارِ ؟ قرَّبْتُمُ القَرَابَةَ ، وباعَدْتُم الدينَ ، تعتَذِرُونَ بغيرِ العُذْرِ ، وتَغُضُّونَ على المختلِسِ ، كلُّ امْرِىءٍ منكُمْ يَذُبُّ عن سَفيهِهِ ، صنيعَ مَنْ لا يخافُ عاقبةً ، ولا يرجو مَعَاداً .

المفردات : (١) ـ الجهالة الجهلاء : الجهالة الشديدة كقولهم ليلة ليلاء . الضلالة العمياء : الضلالة التي لا هدى معها . الغي : الضلال . الموفي : المشرف والمودي ، السفيه : السيء الخلق ، وضده الحليم . ينبت : يبلغ مبلغ الرجال .

يتحاشى : يترفع . السرمدي : الدائم .

٢ – طرفتْ عينيه: لمستها فآذتها وهنا أغرقه وأغوته . سدَّت مسامعه : أصمتها ، وسدت مسامعه الشهوات : تمكنت من نفسه فانصرف اليها ونسي امور دينــه . الفانية : الدنيا . الباقية : الآخرة . احدثتم : ابتدعتم ، والحـدَث : الأمر العظيم . المواخير : جمع ماخور وهو بيت الفحش والفجور. النهار المبصر : المشرق الواضح . نهاة : جمع ناهٍ : اي زاجر عن فعل السوء . الغواة : جمع غاوٍ وهو الضالّ المفسد. دَلج الليل : السير فيه والمراد به هنا التلصص والفتك في الليل . قرَّبتم القرابة : اي آثرتم صلة القرابة على احكام الدين . تغضون عن المختلس : تسكتون عن اختلاسه . يذبّ : يحامي ويدافع. العاقبة : النهاية والجزاء . المعاد : المرجع والمصير والمعاد هنا بمعنى الآخرة .

ترجمة صاحب النص : هو زياد بن ابيه ولد في السنة الأولى من الهجرة من أَمة رومية ، واسلم في عهد ابي بكر ، وكان منذ صغره ذكياً هماماً سديد الرأي . اتخذه ابو موسى الاشعري كاتباً له ايام امرته على البصرة ، ثم ولاه عليٌ كرم الله وجهه إمرة فارس ، ولما قتل امتنع زياد على معاوية وتحصّن في قلاع فارس، فكتب اليه معاوية يستلحقه بنسبه ويستقدمه. وذلك سنة ٤٤ هـ، فقدم عليه وولاه الكوفة ، ثم ضمّ اليه البصرة وسائر العراق بعد وفاة المغيرة ابن شعبة فاخضعه له ، وكان ساعده الاقوى في استتباب الأمن فيه . ومات سنة ٥٣ هجرية .

كان خطيباً مفوّهاً ورجلاً صريحاً شديداً ، يأتي في الشدة وسطاً بــين عمر بن الخطاب والحجاج . وهو أول من ضرب الدراهم والدنانير العربيــة ، واول من اتخذ الحرس والعسس في الاسلام ، واول والٍ سارت الرجال بــين يديه تحمل الحراب كما كانت تفعل الاعاجم . وهو عصامي بنى مجده بجدّه . وقد عده بعض العلماء احد دهاة العرب الأربعة وهم : معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد . وقالوا عنه إنه لكل كبيرة وصغيرة ، اي لا تستعصي

عليه مشكلة مهما كبرت ولا يعجز عـــن حلها . وكان من اخص اصحاب علي بن ابي طالب في حياته . ولمـــا قدم الكوفة ورأى فشو الفسق والفجور بالبصرة خطب خطبته القوية التي سميت بالبتراء ، لانه لم يبدأها بحمدالله والثناء على رسوله ، التي كان لها اكبر الوقع في نفوس سامعيها .

الشرح الأدبي والتحليل

هذا النص مأخوذ من خطبة طويلة استهلّها زياد بالهجوم العنيف على اهـل البصرة مبيناً لهم ان الجهالة الجهلاء والضلالة التي لا هدى بعدها ، ما يتمادى فيه سفهاؤهم وينغمسون فيه من الفساد الذي ينشأ فيه الضعيف ولا يترفع عنـــه الكبير فكأنهم لم يقرأوا كتاب الله ، ولم يسمعوا بما اعد الله لاهل طاعته من النعيم ولأهل معصيته من العذاب الاليم في الدنيا والآخرة التي لا تزول .

ثم بين لهم ان الشهوات والضلالة الشديدة قد تمكنت من نفوسهم ، وانهم انصرفوا الى لذات الدنيـــا ومتاعها الفاني وآثروها على ثواب الآخرة الباقي . وانهـــم ابتدعوا الأمور العظام وارتكبوا الكبائر التي لا تُغتَفَر ؛ من بيوت للفحش قائمة في وضح النهار ، الى اعتداء على المرأة والجماعات الضعيفة وسلبها اموالها في بياض النهار وعلى مرأى ومسمع من الناس، الى تناحر بعصبية القرابة وتناسٍ لما يأمر به الدين. وكان كل منهم يدافع عمن انتهكوا حرم الاسلام دون ان يحسب حساباً الى عاقبة او معاد . وهذا منتهى الغواية والضلال والعياذ بالله تعالى .

من خُطْبَةِ الحجاجِ في أهلِ البصرةِ

١ ـ أيُّها الناسُ : مَنْ أعياهُ داؤه ، فعندي دواؤه . ومَن استطالَ أجَلَهُ فعليَّ أنْ أُعجِّلَهُ . ومَنْ ثقُلَ عليه رأسُهُ ، وَضعْتُ عنه ثقله . ومن استطال ماضي عمره ، قصَّرْتُ عليه باقيه .

٢ ـ إن للشيطان طيفاً ، وللسُلْطانِ سَيْفاً . فمَنْ سَقِمَتْ سريرَتُهُ ، صَحَّتْ عُقوبَتُه ، ومَنْ لم تَسعْهُ العَافِيَةُ لم تَضِقْ عَنْهُ الهلَكَةُ ، ومَنْ سَبَقَتْهُ بادِرَةُ فمِهِ سُبِقَ بَدَنُهُ بِسَفْكِ دَمِهِ .

٣ ـ إنّي أنْذِرُ ، ثم لا أنْظُرُ ، وأُحَذِّرُ ثم لا أعذِرُ ، وأَتوَعَّدُ ، ثم لا أعفُو . إنَّما أفسَدَكُمْ تَرْنيقُ وُلاتِكُمْ ، ومَنْ اسْتَرْخَى لَبَبُهُ ، سَاءَ أدَبُهُ . إنَّ الحزْمَ والعزمَ سَلَبَاني سَوْطي ، وأبدلاني بِه سَيْفِي ، فقائمُهُ فِي يَدِي ، ونِجَادُهُ في عُنُقِي ، وذُبَابُه قِلادَةٌ لمن عَصَاني . واللهِ لا آمر أحَدَكم أنْ يَخْرُجَ من بابٍ من أبواب المسجد فيَخْرُجَ من الباب الذي يليه ، إلا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ .

المفردات (١) : أعياه : أعجزه . ويريد بالدواء هنا القتل . استطال النهار أو العمر : رآه طويلاً وَملَّه .

٢ ـ الطيف في الاصل : الخيال الطارق ليلاً ، والمقصود هنا ما للشيطان من سلطان على النفس . سقم : مرض . السريرة : ما يُسِرُّه الانسان في نفسه ويكتمه عن الناس . العافية : السلامة والطمأنينة . الهلكة : الهلاك .

٣ ـ لا أنظر : لا أمهل . لا أعذر : لا أقبل العذر . الترنيق : الضعف . اللبب : سير يعلق في صدر الدابة ليشد به الرحل والمراد بقوله : استرخى لببه : التساهل في معاملة الرعية . قائم السيف : مقبضه . نجاد السيف : ما يحمل به . ذباب السيف : طرفه وحده الذي يقطع به . القلادة : ما يوضع في العنق .

ترجمة صاحب النص : الحجاج بن يوسف الثقفي ، من اشهر ولاة بني أمية . كان له الفضل في توطيد ملكهم واخضاع الثائرين عليهم . ولد بالطائف سنة ٤٢ هجرية ، وكان أبوه معلم صبية فاستهل حياته بتعليم الصبيان في الكتّاب . الا أن هذه المهنة لم تتلاءم مع ما فطر عليه من حب للحكم والسيطرة، فانصرف عنها ودخل جندياً في خدمة رَوْح بن زنباع، قائد جيوش عبد الملك بن مروان، وما لبث ان ظهرت كفاءاته لروْح فأشار على عبد الملك ان يوليه رياسة احد جيوشه ؛ فولاه إمرة الجيش الذي أرسله لقتال عبدالله بن الزبير في مكة . ولما نجح كافأه بأن جعله والياً على الحجاز فساس أهله بالحزم والشدة حتى أخضعهم . ولما خلت ولاية العراق بموت بشر بن مروان ولاه عبد الملك العراق وذلك سنة ٧٥ هجرية فقدم الكوفة وخطب أهلها خطبته المشهورة التي استهلها بقوله:

أنا ابنُ جلا وطلاَّعُ الثنايا ... متى أَضعِ العِمامَةَ تعرِفُوني

ثم قدم البصرة وخطب أهلها هذه الخطبة التي عرضنا عليك نصها .

وتوفي الحجاج عام ٩٥ هجرية وله من العمر ٥٤ سنة. ومن أعماله الحميدة أنه نقل لغة الدواوين من الفارسية الى العربية ، كما انه أمر بوضع النقاط والشكل على الكتابة العربية ، ونسخ مصحف سيدنا عثمان وأرسله الى المدن والامصار . وأخيراً كان له الفضل الكبير في جمع شتات الامة العربية تحت راية واحدة بعد ما مزقتها الاهواء والاحزاب العصبية الجاهلية وهددتها بالفناء والزوال .

الشرح الادبي والتحليل

عندما قدم الحجاج العراق كان المهلب بن أبي صفرة منهمكاً في قتال

الخوارج . وكانت الفوضى ضاربة أطنابها في هذا القطر بالعصيان على بني أمية، فأقر الحجاج فيه النظام وحمل العراقيين على طاعة بني أمية وعلى نصرة المهلب في قتاله للخوارج الذين أشاعوا الرعب والذعر في العراق. هكذا قضى الحجاج على الخوارج وأخضع الثائرين والمتمردين ودان له العراق واتسعت الفتوحات في عهده شرقاً حتى بلغت بلاد السند. والفضل في كل ذلك يرجع اليه فقد كان رجل حرب وخطابة وجبّاراً داهية . وخطبته هذه التي عرضناها عليك تدور كلها حول التهديد والوعيد . ولقد اعتمد فيها على جزالة العبارات وقصرها وسجعها وازدواجها ؛ ووضوح المعاني ووحدة الموضوع والصدق والعزم والنصح في كل ما يقول : فمن لم يرضه العيش مطمئناً مرتاحاً في ظل الطاعة أهلكه .

ثم عرض عليهم خطته السياسية ويلخصها بأنه رجل قول وعمل فهو ينذر ولا يمهل ويحذر ولا يعذر . وانه لن يسير على خطة من تقدمه من الولاة الذين تساهلوا في معاملتهم للرعية فلم يأخذوها بالحزم فكان ذلك التساهل مفسدة لها . ولذلك فان سيفه قلادة يطوق به عنق كل من عصاه .

٤ ـ **المراسلات** . نعود الى النوع الرابع من أنواع النثر في العصر الاسلامي وهو المراسلات . والمراسلات من أقدم انواع النثر عند العرب. وكانت الرسائل في عهد الرسول بسيطة بساطة الحياة الاجتماعية في ذلك العصر ؛ وكانت تكتب بلغة التخاطب يمليها عليه السلام وخلفاؤه من بعده قريبة الاشارة ، واضحة المأخذ ، تدل دلالة تامة على تلك الحياة السهلة اليسيرة التي لا تعقيد فيها ولا تركيب .

ولما كان العصر الأموي واتسعت رقعة الخلافة وتحضر العرب وبعُد عهدهم بتلك الحياة البدوية البسيطة وتهذبت أذواقهم وتحضرت، نشأ عن ذلك أسلوب في الرسائل يخالف الاسلوب الذي كان ايام الرسول. وأصبحت الرسالة تمتاز عن لغة التخاطب بشيء من الصنعة فصار لها مقدمة وختام وأصبحت أطول مما كانت عليه في صدر الاسلام .

ويمكن تقسيم الرسائل الى قسمين : رسائل ديوانية او رسمية ورسائل أدبية او اخوانية .

أما الرسائل الرسمية فهي ككتب الرسول (صلعم) الى الملوك والامراء التي دعاهم فيها الى الاسلام، وكتب خلفائه من بعده الى عمال الاقاليم وقواد الجيوش في شؤون الدولة وأحوال الرعية وأمور الجند . وهذه الرسائل او الكتب صارت في أواخر العهد الأموي فناً مستقلاً خاصاً اختصّ به جماعة من الكتاب كسالم مولى هشام بن عبد الملك وكاتبه الذي كان يجيد العربية والرومية، وعليه تخرج عبد الحميد الكاتب شيخ هذه الصناعة وإمام الكتاب بغير منازع .

وأما الرسائل الادبية او الاخوانية فهي التي يكتبها الاديب الى أديب آخر او الصديق الى صديقه وهي تصور كثيراً من آراء الناس ونزعاتهم وعاداتهم وأخلاقهم وأحوال معاشهم .

وهناك نوع من الرسائل ويسمى (الوصايا)، وهي عبارة عن رسائل شفوية او خطيّة وتكون من أب الى ابنه او من أم الى ابنتها او من صديق إلى صديق وما الى ذلك . واليك نوعاً من هذه الوصايا وهي وصية معاوية لابنه يزيد .

١ ــ « يا بُنَيَّ إني قد كَفَيْتُكَ الشَّد والتَّرْحال ، وَوَطَّأتُ لك الأمورَ، وذَلَّلْتُ لك الأعداءَ، وأخْضَعْتُ لكَ رقابَ العرب، وجَمَعْتُ لك ما لَمْ يَجْمَعْهُ أحد .

٢ ــ فانظرْ أهل الحجاز ، فإنَّهم أهلُك وعِتْرتُكَ ، فمن أتاك منهم فأكرمه ، ومن قعد عنك فتَعَهَّدْه .

٣ ــ وانظرْ أهل العراق ، فإن سألوك أن تَعْزِل عنهم كلَّ يومٍ عاملاً فافعل ، فإنَّ عزْلَ عاملٍ أهون عليك من سَلِّ مائة الف سيف ، ثم لا تدري علامَ أنت عليه منهم ؟

٤ ــ ثم انظر أهل الشام فاجعلهم الشِّعار دون الدِّثار ، فإن رابَك من

عدوّك رَيْبٌ فارمهم به ، فإنْ أظفرك الله بهم فارددُ أهل الشام الى بلادهم ، ولا يقيموا في غير بلادهم ، فيتأدبوا بغير أدَبهم .

٥ ـ وإني لَسْتُ أخاف عليك أن ينازعك هـذا الامر ، إلا اربعةُ نفرٍ من قريشٍ : الحسين بن علي، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبد الرحمن ابن أبي بكر . فأما عبدُالله بن عمر : فرجل قد وَقذَهُ الوَرَعُ، واذا لم يَبْقَ أَحَدٌ غيرُه بايَعَكَ .

٦ ـ وأما الحسين بن علي: فانه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيكَـــه الله بمن قتل أباه ، وَخَذَلَ أخاه ، ولا أظنُّ أهلَ العراق تاركيه حتى يُخرجوه ، فإن خرج وظَفِرتَ به ، فاصفح عنه ، فان له رَحِماً ماسَّةً ، وحقاً عظيماً، وقرابةً من محمد صلوات الله عليه وسلامه .

٧ ـ وأما ابن أبي بكر : فإن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صَنَع مِثْلَهم ، ليست له همةٌ إلا في النساء واللهو .

٨ ـ وأما الذي يَجْثُمُ لكَ جُثومَ الأسد ، ويراوغك مراوغة الثعلب ، فذاك ابن الزبير، فإن هو وَثَبَ عليك ، فظفرْت به ، فقطِّعْه إرْباً إرْباً، واحقن دماءَ قومك ما استطعت » .

المفردات :

١ ـ وطّأ الأمرَ : مهّده وهيّأه .
٢ ـ عترة الرَّجل : عشيرته الأدنون .
٤ ـ الشعار الثوب يلبس على شعر الجسد . والدثار: مايلبس فوق الشعار .
بهم: الضمير فيه يعود على العدو وهو للواحد والجمع والمذكر والمؤنث، ويثنّى ويجمع .
٥ ـ وقذه كأوقذه : غلبه وصرعه .
٦ ـ الرحم : القرابة .
٨ ـ يراوغك : يخادعك . إرْباً إرْباً : عضواً عضواً .

الشرح الادبي والتحليل

هذا النص لمعاوية ، ومعاوية لا يحتـــاج الى ترجمة ، فهو ابن أبي سفيان بن حرب الأموي ، ولد في السنة الاولى من الهجرة ، وأسلم عام فتح مكة، وكان من كتاب الوحي للرسول؛ وهو أكبر داهية عرفه العصر الأموي على الإطلاق. نازع علياً الخلافة بعد مقتل عثمان، ولما قتل علي وخلفه ابنه الحسن استرضاه معاوية وصالحه عام ٤١ هـ وسمي عام الجماعة، وبذلك قامت الدولة الأموية على يديه .

كان معاوية فصيحاً بليغاً إلا انه لم يبلغ درجة علي في الفصاحة والبلاغة ومات سنة ٦٠ هـ بعد ان أوصى ابنه يزيد بوصيته المشهورة هذه، والتي تدل على خبرته الواسعة في أحوال الرعية وتطلع الى المستقبل البعيد بعين بصيرة ورأي سديد. فقد بيّن لابنه يزيد انه قد مهّد له الأمور وذلّل له الأعداء من اجل الخلافة بعد وفاة أبيه ؛ وأوصاه بأهل الحجاز خيراً لانهم أهله وعشيرته . واختط له السياسة الرشيدة التي كان يراها صالحة مع اهل العراق في ذلك الحين . ثم أوصاه بالاعتماد على أهل الشام لانهم مخلصون كل الاخلاص . وحصر له المعـــارضة في اربعة نفر من قريش وبيّن له السبيل التي يجب ان يسلكها مع كل منهم . ومما تجدر الاشارة اليه انه تحقق ليزيد كل ما قاله أبوه في هذه الوصية .

وأسلوب الوصية صورة واضحة لاسلوب النثر في صدر الاسلام من حيث ايجاز العبارة وقصَر الفقرات وسهولة الألفاظ وعدم تكلّف الصناعات اللفظية إلا ما جاء منها عفو الخاطر .

٥ ـ **الكتابة** : ونقصد بها النثر الفني عند العرب كفنٍّ مستقل بذاته. فقد أخذ هذا الفن ينمو عند العرب بنمو الحركة الفكرية ويتلوّن بتلون الثقافة العربية بثقافات الامم التي كانت تحت سيطرة الدولة الاموية .

ولقد ظهر في العصر الاموي عدد من الكتاب الممتازين الذين كانت لهم اليد الطولى في وضع أصول الكتابة الفنية ودفعها في مضمار الرقي والازدهار .

وكما تأثر الشعر والخطابة بالاسلام والقرآن فقد تأثر بهما فن الكتابة وظهر عليه الطابع الاسلامي جلياً واضحاً . ولقد حرص الكتاب على استهلال كتبهم بذكر اسم الله وتمجيده والصلاة على نبيّه واعتمدوا فيها على الاقتباس من الآيات القرآنية ومحاكاة الاسلوب القرآني والاستعانة بمعانيه وصوره .

وكانت الرسائل في أول العهد الاموي قصيرة ، موجزة في عبارتها على نحو ما كانت عليه في عصر الخلفاء الراشدين . ثم أخذت تطول معتمدة على الإطناب وخصوصاً رسائل الكتـــاب المنحدرين من أصل أعجمي كعبد الحميد الكاتب مثلاً ، فقد طالت التحميدات في صدور رسائلهم وخصوصاً الديوانية منها ، وأكثروا من الجمل المترادفة في معناهـــا ومالوا الى الإسهاب والتفصيل وعُنوا بتفخيم العبارة وتجويد اللفظ . وظهرت في كتاباتهم آثار الثقافة الاعجمية ولا سيما الفارسية واليونانية منها ، ولكن الطابع العربي الأصيل ظلَّ هو الغالب على الكتابة طوال العصر الاموي . وسندرس معك نموذجاً من الكتابة في هـــذا العصر لعبد الحميد الكاتب .

أرسل عبد الحميد رسالة الى أهله عندما كان منهزماً مع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وقد أبى على عبد الحميد وفاؤه إلا مرافقة ولي نعمته حـــين طاردته جيوش بني العباس . وهذا نص الرسالة :

أمّا بعدُ ، فإنَّ اللهَ تعالى جَعَلَ الدُّنيا مَحْفُوفَةً بالكُرْهِ والسُّرورِ ، فمنْ ساعدَهُ الحظُّ فيها سَكَنَ اليها ، ومَنْ عضَّتْهُ بِنابها ذمَّها ساخطاً عليها ، وشكاها مستزيداً لها .

وقد كانت أذاقَتْنا أفاويقَ استحليْناهـــا ، ثم جمَحَتْ بنا نافرةً ، ورَمَحَتْنا مُولّيةً ، فملُحَ عذْبُها ، وخشُنَ ليِّنُها ؛ فأبْعدَتْنا عن الأوطانِ ، وفرَّقَتْنا عنِ الإخوانِ ، فالدار نازحة ، والطيرُ بارِحَة .

وقدْ كتَبْتُ والأيَّامُ تزيدُنا منكُم بعداً ، وإليكم وَجْداً ، فـــإنْ تتِمَّ البَلِيَّةُ إلى أقصى مُدَّتِها يكنْ آخرَ العَهْدِ بكم وبنا ، وإن يَلْحَقْنَا

ظفرُ جارحٌ منْ أظفارِ من يَليكم نَرْجِعْ إليكم بذُلِّ الاسار ، والذلُّ شرٌّ جـــار .

نَسألُ اللهَ الذي يُعِزُّ من يشاءُ ويُذِلُّ من يشاءُ ، أنْ يَهَبَ لنا ولكم أُلْفَةً جامعةً ، في دارٍ آمنةٍ ، تَجْمَعُ سَلامَةَ الأبدانِ والأديانِ ، فإنّهُ ربُّ العالمين وأرحمُ الرّاحمين .

المفردات : وشكاها مستزيداً لها : أي شكاها سوء حاله وانه يريد اقبالها عليه بالسعادة. الأفاويق : جمع فِيَق وهذه جمع فِيقة : اي ما يجتمع من اللبن في الضرع بين الحلبتين . جمحت الفرس : نفرت . ورمحتنا : رفستنا مولية مدبرة . دار نازحة : بعيدة . البارح من الطير : ما مر من ميامنك الى مياسرك ، وكان العرب يتشاءمون بالطير البارح . من اظفار من يليكم : يريد إذا ظفر به اعداؤه بنو العباس .

ترجمة صاحب النص: هو عبد الحميد بن يحيى الكاتب المشهور، نشأ بالأنبار واستوطن الرقة ، وبدأ حياته بتعليم الصبيان ، ثم رحل الى الشام واتصل بخلفاء بني أمية وتتلمذ على سالم مولى هشام بن عبد الملك ، ومن طريقه تـــأثر بالثقافة اليونانية ، وبواسطته دخل في خدمة الأمويين ، وكان يجيد الفارسية.

واتصل بمروان بن محمد وهو والٍ على أرمينية ، ولما صار خليفةً نقله معه الى دمشق ، وظل منقطعاً الى مروان حتى دارت الدائرة على بني امية وقُتلا سنة ١٣٢ هـ . ويعد عبد الحميد احد اساطين البلاغة والفصاحة العربية وشيخ كتاب الرسائل على الاطلاق . ولقد وصلَنا جملة صالحة من رسائله موزعة في كتب الأدب « كالوزراء والكتاب » للجهشياري، و«صبح الاعشى» للقلقشندي، و «رسائل البلغاء » لمحمد كُرْدْعلي. ومن اطول رسائله رسالته على لسان مروان الى ولي عهده عبدالله حين وجهه الى محاربة الضحاك بن قيس الخارجي ، وتعد اطول رسالة أُثرت عن العصر الأموي وتدور حـــول شؤون القتال وتعبئة الجيوش . ومن رسائله المشهورة رسالته الى الكتاب . وله رسالة في وصف الصيد ، ورسالة في الفتنة ، واخرى في التنفير من الشطرنج وغيرها .

الشرح الأدبي والتحليل

يريد عبدالحميد في هذه الرسالة القصيرة البليغة ان يُعلِم اهله بانه مضطر الى مفارقتهم ، وانه ربما لن يلقاهم بعد ذلك ابداً . ولقد مهّد الى ذلك بتمهيد مقتضب صوّر فيه حال الدنيا وما عرف عنها من سرعة التقلب من حال الى اخرى ، والناس بالنسبة اليها صنفان : صنف راضٍ عن حظه منها ولا أمل له الا في الاستزادة ، وصنف آخر ساخط ناقم عليها لانه حُرِمَ فيها من كل سرور وابتلي بشرورها وآثامها .

ثم ينتقل الى بيان تغيّر الدنيا وانقلابها عليه وعلى اخوانه ، ويختار لها صورة بدوية هي صورة الناقة التي اذاقته بعض الدفعات من لبنها السائغ ثم انقلبت عليه فجمحت به ورمحته مولّية عنه . وهكذا قلبت له الأيام ظهر المجن ونغّصت عليه سعادته واكرهته على مفارقة وطنه واهله وصحبه . وهو لا يدري بعد : هل يُقدر له ان يلقى اهله وصحبه مرة ثانية ام ان المصيبة ستبلغ غايتها فيه فيلقى حتفه على يد اعدائه ويكون فراقه هذا فراقاً لا لقاء بعده ؟..

ثم يختم رسالته بالتضرع الى الله كي ينجيه من هذه المحنة ويجمع بينه وبين من يحب في دار آمنة ينعم فيها بالأمن والسكينة وصلاح الأحوال في الأبدان والأديان .

هذه الرسالة على ايجازها ظهرت فيها معالم الثقافة الأعجمية عند عبد الحميد وذلك عندما ابتدأها بالتمهيد ثم أتبعه بالعرض ثم بالخاتمة . كما ان فيها اثراً من آثار الثقافة اليونانية وهو اعتماده على الحال . ولقد قدمنا انه كان تلميذاً لسالم مولى هشام ، وان سالماً هذا كان متصلاً بالثقافة اليونانية فلا يبعد ان يكون إكثار عبد الحميد من استعمال الحال ناتجاً عن تأثره باستاذه سالم من هذه الناحية . وهذه الظاهرة مستفيضة في سائر رسائله استفاضة تلفت النظر .

وعلى كل فأن هذه الرسالة تعد نموذجاً مصغّراً لطريقته الفنيّة في الترسّل .

بعض المصادر

١ - كتاب الوزراء والكتاب لابن عبدوس الجهشياري .
٢ - رسائل البلغاء لمحمد كرد علي .
٣ - الفن ومذاهبه في النثر العربي لشوقي ضيف .
٤ - تطور الاساليب النثرية لأنيس المقدسي .
٥ - العقد الفريد لابن عبد ربه .
٦ - من حديث الشعر والنثر لطه حسين .
٧ - كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري .

اسئلة ومواضيع

١ - قال ابن عبد ربه في عبد الحميد : « كان أول من فَتَّقَ أكمام البلاغة وسَهَّل طرقها وفكَّ رقاب الشعر . » ماذا تفهم من هذا القول ، وهل تجد في انشاء عبد الحميد ما يؤيده ؟ اذكر ذلك وأيّد ما تقوله بنماذج من كتابة عبد الحميد .

٢ - قال ابو هلال العسكري : « ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الالفاظ على وجوهها بلغةٍ من اللغات ثم انتقل الى لغة اخرى تهيأ له من صنعة الكلام ما تهيأ له في الأولى . الا ترى ان عبد الحميد الكاتب استخرج امثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي وحوّلها الى اللسان العربي » .

- ناقش هذا القول واذكر ما تلاحظه في كتابة عبد الحميد من آثار ثقافته غير العربية .

٣ - « اتفقت كلمة أهل الأدب على أن عبد الحميد هو إمام صناعة كتابة الرسائل الأول ، لأنه مهَّد سبيلها ، وميَّز فصولها ، وأطال شئونها ، وجعل لها صوراً خاصة وختمها، بل هو الذي ارتقى بهذه المهنة حتى صارت سلّماً يعرج فيه الكتّاب الى مرتبة الوزارة ». ناقش .

الادب في العصر العباسي

لمحة عن الحياة السياسية
في العصر العباسي

عهود العصر العباسي ـ الشعوبية ـ الصراع بين العلويين والعباسيين ـ تأثير الثقافة الفارسية واليونانية والهندية في الادب العربي

دام حكم العباسيين في بغداد من سنة ١٣٢ الى سنة ٦٥٦ ﻫ اي ما ينوف عن خمسة قرون كانت البلاد فيها مسرحاً لكثير من الاحداث السياسية والاهواء المختلفة والعوامل الاجتماعية الهدّامة التي انتهت بانقراض الدولة. ولم تكن هذه العوامل واحدة في جميع أدوار هذا العهد الطويل، لذلك قسّم مؤرخو الأدب العهد العباسي الى اربعة أدوار :

١) يبتدىء الدور الاول منها سنة ١٣٣ ﻫ وينتهي بولاية المتوكل سنة ٢٣٢ﻫ وهو دور الخلفاء الاقوياء ، وكانت السلطة فيه مركزية ومقرها بغداد ، ثم سامَرّاء ، ويسمى هذا الدور بالدور الذهبي : لازدهار الحضارة فيه ، وتقدم العلوم والآداب ، وبلوغ الخلافة أوج عظمتها . فقد كان العالم الاسلامي يمتد من الهند الى المغرب .

وكان خلفاء هذا الدور مستبدين أشداء فيما يتصل بالسياسة والعرش ولكنهم كانوا يتسامحون في الدين ويبيحون حرية الفكر .

٢) ويبتدىء الدور الثاني بخلافة المتوكل سنة ٢٣٢ ﻫ وينتهي باستيلاء

آل بُوَيْه، على بغداد سنة ٣٣٤هـ وهو دور سيطرة المماليك الاتراك على الخلفاء وأمور الدولة . فقد أخطأ المعتصم وألّف جيشه منهم لان أمه كانت تركية ، فلما ضعُف الخلفاء استبد المماليك بأمور الدولة ولا سيما قيادة الجيش، وتنافسوا مع الفرس على السلطة ؛ أما العرب فقد انصرفوا الى ممارسة أعمال الزراعة والصناعة والتجـــارة . وقد نتج عن هذا الدور استقلال الولاة في ولاياتهم واستبداد ذوي النفوذ في مناطقهم وتصرفهم بها تصرف المالك المطلق .

٣) ويبتدىء الدور الثالث باستيلاء البويهيين على بغداد سنة ٣٣٤هـ وينتهي باستيلاء السلجوقيين عليها سنة ٤٤٧هـ. وكانت السلطة الحقيقية في هــذا الدور في بغداد والعراق بيد بني بويه، وقام الى جانبهم في بقية المناطق دول أخرى تزاحمهم ، كالدولة الحمدانية في الشام ، والدولة الاخشيدية في مصر . ولم يكن للخليفة في بغداد من السلطة إلا الاسم وراتب محدود من المال . ولقد ازدهرالعلم والادب في هذا العصر في العراق وفي غيره من الممالك المستقلة فقد كان سيف الدولة الحمداني فيحلب مناصراً للعلم والأدب،وكان في بلاطه الشاعر المتنبي،والفيلسوف الفارابي ، والخطيب ابن نُباتة ، والعالم النحوي ابن خالوَيْه ، وكان هو نفسه اديباً نقاداً . واسست الدولة الفاطمية في القاهرة حضارة راقية وشادت كثيراً من المدارس والمكتبات . واشتهر بنو بويه بحبهم للعلم واكرام العلماء والأدباء . الا ان الحالة السياسية في هذا العهد كانت سيئة جداً ، فقد اضطرب الأمن وانتشرت الدعوات الدينية والفتن والحروب ، وذلك على العكس من الحياة الفكرية التي ترقت .

٤) ويبتدىء الدور العباسي الرابع باستيلاء السلجوقيين على بغداد سنة ٤٤٨ هـ وينتهي باحتلال المغول بغداد سنة ٦٥٦ هـ وفي اواخر هـــذا الدور رجعت السلطة الى يد الخلفاء العباسيين ولكن الانحلال كان قد تمكن من جسم الخلافة العباسية ، وكان الخلفاء أنفسهم ضعافاً لا يستطيعون تلافي الخطر الذي يهدد الدولة ، وانتهى الامر بموتها على يد المغول سنة ٦٥٦هـ وقتل الخليفة المعتصم بالله آخر خلفائها . وبذلك انتقلت الخلافة الى مصر .

ونستنتج مما سبق ان العهد العباسي يمتاز بحالة سياسية سيئة ، وحروب متواصلة ، وفتن ، وانقسام في البلاد الاسلامية ، مما أدى بالبلاد الى التدهور السريع وانقراض هذه الدولة بغزو المغول للعالم الاسلامي .

ومما ظهر في الدور الأول من العهد العباسي النزعة **الشعوبية** التي بدأت في العهد الأموي الذي كان يضطهد الموالي ، ولا يساويهم بالعرب المسلمين . ولما كان مُلك بني العباس قد قام على سواعد الفرس ، فان التناحر أخذ يتفاقم بين العنصرين العربي والفارسي بصورة خاصة ، ثم اشتركت فيه بقية الاجناس ، ولا سيما الجنس التركي . وكان قيام الدولة العباسية في الواقع انتصاراً للعنصر الفارسي على العنصر العربي الذي أخذت قوته الحربية والسياسية تنهار شيئاً فشيئاً حتى انقرضت في اواخر الدور الأول العباسي حين جعل المعتصم جنده من الاتراك .

وكان من اكبر العوامل على تهديم الدولة العباسية ظهور الفرق المختلفة ، وهذا الصراع الذي كان بين العلويين والعباسيين ؛ والذي لم يهدأ طوال العهود العباسية ، وهذه الحركات العلوية نتج عنها دول قوية منها دولة الأدارسة في الشرق ، والدولة الفاطمية في المغرب ومصر والشام والجزيرة العربية ، ودولة الحمدانيين في شمال الشام ، ودولة آل بويه في العراق . اما من الناحية الفكرية ، فان هذه العهود أزهى العصور الاسلامية ، لما استمتعت به في اكثر الاحيان من حرية فكرية ودينية ، ولما قام به الخلفاء من تشجيع للعلم والعلماء والأدب والأدباء ، الى جانب تلاقح الأفكار وتمازج الثقافات ، فانتشرت المدارس والعلوم .

وكان للثقافة العربية الاسلامية في هذا العصر مصادر كثيرة : منها مصدر عربي فيما يتعلق بالأدب وعلوم العربية والعلوم الدينية ، ومصدر يوناني فيما يتعلق بالعلوم الكونية والفلسفية ، ومصدر فارسي فيما يتعلق بالسياسة وتدبير المملكة والتاريخ والقصص وبعض الكتب الأدبية المترجمة ، ومصدر هندي فيما

يتعلق بالرياضيات ولا سيما بالأرقام والحساب وبالحكمة والفلسفة الهندية . ولقد أدى التمازج الثقافي في هـــذا العصر الى ظهور الفلسفة الاسلامية وعلم الكلام ومذهب المعتزلة ومذهب الأشاعرة . كما ادت الحيـــاة الاجتماعية الى ظهور مذهب التصوّف الذي كان يناهض اللهو والمجون المنتشريْن فيذلك العصر .

مصادر

١ ـ امراء الشعر العربي في العصر العباسي — لأنيس المقدسي .

٢ ـ المفصل في الأدب العربي — لأحمد امين وجماعته .

٣ ـ تاريخ الأدب العربي — لأحمد حسن الزيات .

٤ ـ تاريخ آداب اللغة العربية — لجرجي زيدان .

٥ ـ الجديد في الأدب العربي وتاريخه — لحنا الفاخوري .

٦ ـ أدباء العرب — لبطرس البستاني .

الشعر
في العصر العبّاسي

حالة الشعر في هذا العصر واسباب رقيه: تقدمت الحضارة في هذا العصر وارتقت اساليب الحياة فكان الغنى ، وكان الترف ، وبنيت القصور ، وأُنشئت الحدائق ، وشاع الطرب والغناء ، وتعددت اساليب اللهو وتنوعت اسبابه ، وانصبّت الثقافات الأجنبية على الفكر العربي عن طريق الترجمة ، فاذا بالعقلية البدوية العربية التي كانت مسيطرة في العصر الاموي تتطور في هذا العصر وتنطبع بطابع الحياة الجديدة .

وكذلك الشعر ، كغيره من الفنون ، تطور في هذا العصر مع تطور الحياة الاجتماعية والبيئة، وارتقى بشكله وموضوعه وتخلّص من مستلزمات الحياة البدوية وبلغ اوجه من الرقي والتقدم . ومما ساعد على رقيه أن كثيراً من الشعراء لم يكونوا من أصل عربي كبشار الفارسي الأصل، وابن الرومي اليوناني الأصل ؛ فلقد كان لهؤلاء تأثير واسع في لغة الشعر وموضوعاته وافكاره . اما اللغة فقد رقّت بسبب روح العصر الخفيفة التي شاع فيها الغناء حتى ان الشاعر كان لا يكاد يخرج قصيدته حتى تتلقفها اسماع المغنين فيسمعها الناس اغنية رقيقة عذبة . وهكذا تغنى المغنون بشعر بشار كما تغنوا بشعر ابن الرومي وغيرهما .

اذن فقد كان للغناء اثر بعيد في تطور الشعر في هذا العصر وتقدمه .

كما ان اهتمام الخلفاء بالشعر والشعراء واغداق العطايا عليهم دعاهم الى الاعتناء بشعرهم من الناحيتين اللفظية والمعنوية ، كما دعاهم الى التجويد والتجديد في الاغراض . وكان لكل هذا أثر كبير في تقدم الشعر وتطوره في هذا العصر .

ولقد بقيت الأغراض المهمة كما كانت عليه في العصر الأموي من مديح ورثاء وهجاء وغزل ووصف الا انها ارتقت وتقدّمت كثيراً ونشأت اغراض اخرى جديدة منها :

شعر الزهد : وقد كان رداً على شعر الفسق والمجون الذي انتشر في هذا العصر . ولقد استيقظت في صدور بعض الشعراء تقوى الله ، وراعهم ما رأوه من المفاسد والمجون فراحوا يعظون الناس ويذكرونهم بآخرتهم . ومن اشهر شعراء الزهد في هذا العصر ابو العتاهية الذي عزف عن الدنيا واخذ الندم ينهش نفسه على ما فرط منه من ذنوب في شبابه، فراح ينظم شعره في الزهد بالدنيا الفانية والابتعاد عن ملذاتها وغرورها وآثامها . وفعل فعله اكثر الشعراء ممن انغمسوا في مفاسد هذا العصر ، الا ان ضمائرهم استيقظت بعد ذلك وخافوا من الله وراحوا يكفّرون عن ذنوبهم وآثامهم فنظموا شعراً في الزهد كثيراً .

شعر التصوف: وكان نتيجةً لظهور الفلسفة في شعر هذا العصر كما نجد عند ابي تمام والمتنبي والمعري . وقضى المنطق على روعة الخيال التي كانت في الشعر الأموي وصدرِ هذا العصر بسبب اغراق الشعراء في الاعتمادعلى الفلسفة والصوفية في اشعارهم حتى زعم كثير من النقاد ان الشعر فقد في هذا العصر وقضي على ما كان يتحلّى به في عصوره السابقة من خيال وبداوة وروعة بيان . ومن اشهر شعراء التصوف في هذا العصر الحلاّج وابن الفارض .

الشعر التعليمي : ولقد نشأ هذا الغرض من اغراض الشعر في هذا العصر بعد ما تشعّبت العلوم وتنوّعت المعارف فعمد الشعراء الى ضبط المسائل الفقهية ، وامور العبادات ، وقواعد بعض العلوم كالنحو والصرف في قصائد

موزونة مقفاة ليسهُل حفظها على الطلاب والمتفقهين . ولقد كان لهذا النوع من الشعر فائدة كبرى في سهولة الحفظ والتذكر ، فانتشر في الشرق والغرب ولا يزال حياً الى يومنا هذا .

وسندرس طائفة من شعراء هذا العصر الذين يعطوننا صورة واضحة عنه في جميع ادواره .

مصادر

١ ـ أدباءالعرب للبستاني
٢ ـ الأدب الجاهلي لطه حسين .
٣ ـ المفصل في تاريخ الادب العربي لأحمد امين وجماعته .
٤ ـ تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات
٥ ـ الوسيط في الأدب العربي وتاريخه للاسكندري .

بشار بن برد

هو فارسي الأصل ، عقيلي بالولاء ، نشأ بالبصرة ثم قدم بغداد واولع بهجاء الناس . ولقد هجا الشاعرَ جريراً ليشتهر ، ولكنه استصغره فلم يرد عليه. وصاحبَ رجال العلم والأدب ولكنهم جفوه لالحاده وفسقه .

ولد اعمى جاحظ الحدقتين. وكان ضخماً طويلاً عظيم الخلْق والوجه مجدراً. ولقد قوّى العمى شاعريته لانصراف المخيلة عنده الى التصوّر ، ومثله ابو العلاء المعري وطه حسين .

عاصر بشار اواخر الدولة الاموية واوائل العباسية ، ونشأ في بني عقيل نشأة عربية خالصة ورحل الى البادية فازدادت فصاحته وبلاغته وقال الشعر وهو ابن عشر سنين ، وظل نحو ثمانين سنة ينظم الشعر حتى بلغ ما نظمه اثني عشر الف قصيدة لم يبقَ منها الآن الا مقطوعات متفرقة في كتب الأدب . ويقال إن اكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام ثلاثة : بشار وابو العتاهية والسيد الحميري .

ويمتاز بشار بتصرفه وتفننه في معاني الشعر واغراضه ، ولقد راج شعره في البصرة رواجاً عظيماً . ويعد بشّار إمام الشعراء المحدثين .

وكان عند قيام الدولة العباسية منحازاً الى العلويين ثم انتقل الى بغداد ومدح العباسيين وعاصر المهدي وكان هذا يظهر له فتوراً ، فغضب بشار وهجاه ببيتين كانا سبباً في هلاكه. فبعث اليه المهدي صاحب الزنادقة فضربه حتى مات ، وذلك سنة ١٦٧ هـ. ولم يخرج في جنازته احد لانه مات وخصمه الخليفة .

واشتهر بشار بحدة ذهنه وتوّقد ذكائه وسرعة انتباهه ودقة حسه وذرابة لسانه وحضور بديهته .

وكان شعوبياً متعصباً للفرس ، ينكر الولاء ويحض الموالي على رفضه . وله في نصرة الشعوبية آراء واشعار ناظر فيها واصل بن عطاء وذكرها الجاحظ في كتاب البيان والتبيين . ومن ذلك هذا النص الذي يهاجم فيه بشار العرب ويفتخر بالفرس فيقول :

١ هلْ مِنْ رسولٍ مُخْبِرٍ عَنّي جميعَ ٱلْعَرَبِ
٢ من كان حَيّاً مِنهُمُ ومَنْ ثوَى في التُّرَبِ
٣ بأنّني ذُو حَسَبٍ عالٍ على ذي الحَسَبِ
٤ جَدّي الّذي أَسْمُو بِهِ كِسْرَى ، وسَاسَانُ أبي
٥ كمْ لِي، وكمْ لي مِن أبٍ بتاجِهِ مُعْتَصِبِ
٦ يَغْدُو الى مَجْلسِهِ في الجَوْهَرِ المُلْتَهِبِ
٧ يَسْعَى الهَبَانِيقُ لَهُ بآنياتِ الذّهَبِ
٨ لم يُسْقَ اقطابَ سِقىً يَشْرَبُها في العُلَبِ

---

٤ ـ كسرى لقب لملوك الفرس . وساسان : احد ملوك الفرس .

٥ ـ معتصب : مُحتَمٍ .

٧ ـ الهبانيق : الخدم .

٨ ـ اقطاب : لبن الناقة والشاة يخلطان مع بعضها . العلب : جمع علبة وهي وعاء يوضع فيه الحليب .

٩ ولا حَدَا قَطُّ أبي خَلْفَ بَعيرٍ أَجْرَبِ
١٠ولا أتى حَنْظَلَةً يَثْقُبُها مِنْ سَغَبِ
١١ولا اصْطَلى قَطُّ أبي مفحّجاً للّهَبِ
١٢كلاَّ ، ولا كانَ أبي يَرْكَبُ شَرْجَيْ قَتَبِ
١٣إنَّا مُلُوكٌ ، لم نَزَلْ في سَالِفَاتِ الحقَبِ
١٤نَحْنُ جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ بَلْخٍ بغَيْرِ الكَذِبِ
١٥حتَّى سَقَيْنَاهَا ـ ومَا نُبْدَهُ ـ نَهْرَيْ حَلَبِ
١٦حتَّى إذا ما دَوَّخَتْ بالشَّامِ أَرْضَ الصلَبِ
١٧سِرْنَا إلى مِصْرَ بِهَا في جَحْفَلٍ ذِي لَجَبِ
١٨حتَّى ٱسْتَلَبْنَا مُلْكَهَا بملكِنَا المسْتَلَبِ

١٠ـالحنظلة واحدة الحنظل : نبات مر . السغب : الجوع .

١١ ـ فحّج : باعد بين فخذيه ليتلقى الدفء من النار المشتعلة في حفرة تحفر لها في الأرض .

١٢ـالقتب : كتفا البعير ، وشرجاه : جانباه .

١٣ـسالفات : سابقات : الحقب : الدهور .

١٤ ـ بَلْخ : مدينة في بلاد فارس .

١٥ ـ نُبدَه : نُفاجأ . حلب: مدينة في شمال سوريا .

١٧ ـ الجحفل : الجيش الكثير العدد . اللجب : الجلبة والأصوات في الحرب .

١٨ ـ استلبنا : أخذنا . المستَلَب : المأخوذ .

١٩ وَجازَتِ الخيْلُ بنــا طنْجَــةَ ذاتَ العَجَبِ
٢٠ حتّى رَدَدْنا الملك في أهــلِ النبيِّ العربي
٢١ نحن ذوو التِّيجانِ والـ ـمُلْكِ الأشَمِّ الأغْلَبِ

الشرح الأدبي والتحليل

يبدأ الشاعر هذه القصيدة بالفخر باصله الفارسي فهو ذو حسب عال على كل حسب، ويفتخر بآبائــه واجداده الذين هم ملوك الفرس والذين كانوا يغدون ويروحون بالتيجان المرصّعة بالجواهر اللماعة ، والذين كانوا يأكلون في آنية من الذهب يسعى بها اليهم الخدم والحشم ، وهذا دليل على عيشة الترف والحضارة التي كان يعيشها اجداده ، لا عيشة الفقر والبداوة كما كان الحال عند الاعراب الجلاف الفقراء في الجاهلية، الذين كانوا يشربون اللبن في العلب ويحدون الأبل، وتضطرهم المجاعــة احياناً الى ان يأكلوا الحنظل ، ذلك النبات المر الذي لا يأكله الا الجائع المشرف على الموت من الجوع . والذين كانوا يفحّجون للنار من شدة البرد في ليالي الشتاء القارسة في الصحراء . انما آباؤه واجداده هم الذين كانوا ملوكاً واستولوا على الدهر من قديم الزمان فحكموا معظم العالم المتمدن في ذلك الحين كسوريا ومصر وشمالي افريقيا حتى طنجة . ثم انهم ردوا الملك الى اهل النبي اي الى العبّاسيين ، اشارة منه الى ان الدولة العباسية انما قامت على اكتاف الفرس وكان لابي مسلم الخراساني فضل كبير في القضاء على الامويين وتأسيس الدولة العباسية . اذن فان قومه الفرس هم اهل التيجان واصحاب الملك العالي الرفيع قبل الاسلام وبعده .

ويظهر لنا بشار في هــذا النص الذي يهجو به الاعراب ويفتخر بقومه الفرس انه ميال الى المفاخرة ، حانق على الحظ الذي جعل اصله وضيعاً . فقد كان عبداً مملوكاً لامرأة من بني عقيل كما كان ابوه من قبل ، وجــده من سبي

---

٢١ ــ الاشم : العالي والرفيع . الأغلب : الغلاّب ، القوي .

المهلّب بن أبي صفرة . وكان بشار بلقب بالمرعّث لانه كان في صغره يضع في اذنيه رعشتين – اي حلقتين من الحلي – على عادة العبيد . ثم اعتقته العقيلية فانتسب الى قومها بني عقيل بالولاء وفيهم نشأ . لذلك نقم على العرب الذين كان يجد من بعضهم احتقاراً واستصغاراً لشأنه . كل هــذا جعله يفخر باصله الفارسي على العرب ، وينحي عليهم باللائمة ، فيرميهم بالحقارة والصغار والضعة كما فعل في هذا النص الذي عدد فيه كل ما ظن انه حقير من عاداتهم وتقاليدهم البدوية .

وهكذا فان اكثر هجاء بشار مصطبغ بالصبغة الشعوبية الممقوتة .

مصادر

١ ـ الأغاني	لابي الفرج الاصفهاني .
٢ ـ شخصية بشار	لمحمد النويهي .
٣ ـ بشار	لابراهيم عبد القادر المازني .
٤ـ بشار بن برد	لعمر فروخ
٤ ـ بشار بن برد	للاستاذ بدرالدين النعساني الحلبي .
٥ ـ حديث الاربعاء	للدكتور طه حسين .
٦ ـ تاريخ الأدب العربي	لأحمد حسن الزيات .
٧ ـ الرؤوس	لمارون عبود .
٨ ـ ديوان بشار	

أسئلة ومواضيع

١ ـ إن بشاراً في الاسلام كامرىء القيس في الجاهلية، أي إن بشاراً رأسُ المجددين في الشعر الاسلامي .

أدرس هذا القول مبيّناً العوامل التي قادت بشاراً الى التجديد .

٢ ـ لبشارشخصية قوية في شعره. فهل يظهر لك ذلك من خلال دراستك له ? بيِّن عناصر هذه الشخصية .

٣ ـ كان بشار يجيد الوصف رغم انــه أعمى . فمــا السر في ذلك . أوضح هذه الناحية عنده مستشهداً بشعره .

أبو نواس

هو أبو علي الحسنُ بن هانىء ، من موالي اليمن ، أبوه من أهل دمشق من جند مروان بن محمد وأمه فارسية ، ولدته بالأهواز ، وهي قرية شرقي البصرة، سنة ١٤٥ هـ. ونشأ يتيماً ثم نقلته أمه الى البصرة وكانت آنذاك حاضرة من حواضر العلم والمعرفة ، فحفظ القرآن ، وتعلم العربية . وبما ان أمه كانت فقيرة تعيش من كدّ يمينها فقد وضعته عند عطار بالبصرة وبقي عنده الى ان صادفه الشاعر الكوفي الماجن والبة بن الحُباب وأغراه بالسفر معه الى الكوفة لتخريجه في الشعر ، فسافر معه ولازمه حتى تخرج في الشعر على طريقته في الغزل والمجون . ثم رحل الى البادية ثم عاد الى البصرة وأخذ يتكسب بشعره ويشيد بوصف الخمرة والغزل بالمذكر ، فاستنكر الناس هذه الاباحية العلنية منه فرحل الى بغداد وحاول الاتصال بالخليفة الرشيد . ولما أذن له بمدحه مدحه بقصائده الرائعة وصار من المقدَّمين عنده . وكان يتردد احياناً على عمال الأقاليم ومن ذلك انه قصد الخصيب ، عامل الرشيد على مصر ، ومدحه بقصائد بليغة ، تعد من روائع الشعر العربي . وانقطع بعد الرشيد الى ابنه محمد الأمين وكان من ندمائه المقربين فنقم الناس على الأمين الضعيف ما لم ينقموه على أبيه القوي، فاضطر الى سجنه دفعاً للتهم وتظاهراً بانكار خطة الشاعر وطريقته في الحياة . ولم يلبث بعد خروجه من السجن بضعة شهور حتى مات في بغداد سنة ١٩٩ هـ.

ويقال إنه ملّ الخمر والحانات والدعارة في أخريات أيامه وتاب الى الله ولذلك نجد في ديوانه شعراً في الزهد مع ان أكثره في الخمر والمجون والفسق

والفجور والغزل بالمذكر . كما اننا نجد في ديوانه مدحاً من النوع الجيد وهجاءً وطرداً .

ولقد كان شعر بشار المرحلةَ الاولى بين القديم والجديـد ؛ إلا أن أبا نواس كان مجدداً جامعاً لكـل صفات الشعر المحدث فهو قـائد المحدثين بعد بشار ورئيسهم .

تفنن في وصف الخمر تفنناً لم يسبقه اليه شاعر قبله ، ولقد سبق في هذا الفن استاذيه الأعشى والاخطل باشواط بعيدة . واليك نموذجاً من شعره في الخمر :

١ وَدَارِ نَدامى ، عَطَّلُوهَا وأدْلَجُوا ،
بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ : جَدِيدٌ ودَارِسُ ،

٢ مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الزِّقاقِ على الثَّرَى
وأَضْغَاثُ رَيْحَانٍ : جَنِيَّ ويابِسُ

٣ حَبَسْتُ بها صَحْبِي ، فَجَدَّدْتُ عَهْدَهُم
وإِنِّي على أَمْثَالِ تِلْكَ لحابِسُ

٤ أَقَمْنَا بِها يوماً ، ويَوْمَيْنِ بعْدَهُ
ويوْماً لـهُ يوْمُ التَّرَحُّلِ خامِسُ

---

١ ـ الندامى : جمع ندمان ، وهو الجليس على الشراب . عطلوها : أخلوها . أدلجوا : ساروا ليلاً . الدارس : البالي .

٢ ـ الزِّقاق : جمع زِق ، وعاء من جلد تحفظ فيه الخمر . أضغـاث : جمع ضِغث وهي قبضة من الازهار والحشيش . جني : رطب .

٣ ـ حبستَ بها صحبي : أوقفتهم في الدار . جـددت عهدهم : أي عهد الندامى الذين أخلوا هذه الدار .

٥ تدارُ علينـــا الرّاحُ في عَسْجَدِيَّةٍ
حَبَتْهـــا بأنْواعِ التَّصَاويرِ فارِسُ
٦ قرارَتُها كِسْرى ، وفي جَنَبَاتِها
مَهاً تَدَّرِيهـــا بالقِسِيِّ الفَوارِسُ
٧ فَلِلْخَمْرِ ما زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُها
ولِلماءِ مَـــا دَارَتْ عَلَيْهِ القَلانِسُ

الشرح الادبي والتحليل

يصف أبو نواس في هذه المقطوعة خمارة خـــالية فيقول : إن هذه الدار كان يجتمع فيها الاصحاب والندامى لشُرب الخمر ثم هجروها ومضوا الى حال سبيلهم بعد ما تركوا فيها آثاراً منها ما هو جديد ومنها ما هو قديم ؛ وما هذه الآثار إلا خطوط على الارض الرطبة من جراء سحب زقاق الخمر عليها ، ومـــا تركه الذين هجروها من باقات الريحان منهـــا القديم اليابس ومنهـــا المقطوف

---

٥ ـ عسجدية : كأس عسجدية ، والعسجدية نسبة الى العسجد أي الذهب والمراد انها كأس صفراء بلون الذهب .حبتها : أعطتها ، من الحباء وهو العطاء. فارس : الأمة الفارسية .

٦ ـ قرارتها : أسفلها وقوله : قرارتها كسرى: أي ان كسرى مصوَّر في قعرها . ألمها : جمع مهاة وهي البقرة الوحشية التي تشبه المعز الاهلية. تدريها: تتصيدها . القسّي : جمع قوس . الفوارس : الفرسان .

٧ ـ الجيوب : جمع جيب ، طوق الثوب . والضمير في جيوبهـــا يعود على الفوارس في البيت السابق . القلانس : جمع قلنسوة وهو لبـــاس للرأس كان معروفاً عند الفرس والقلانس أي قلانس الفوارس .

لساعته فلا يزال رطبـــاً ؛ ثم يقول : إنه أوقف في هذه الدار الخالية صحبه وقعدوا فيها يشربون ويلهون ، فأعادوا لها عهد العبث الذي اعتـــادته والذي هو شديد الكلَـف به ، وظلوا على هذه الحـــال أربعة ايام متوالية ثم رحلوا في اليوم الخامس بعد مـــا أشبعوا نفوسهم ورغباتهم من الخمر واللهو والعبث . ثم يصف مجلس شرابهم هذا وأدواته فيقول : كانت تدار عليهم الراح في كؤوس صفراء كالذهب مزينة بتصاوير فارسية ومحلاة من أسفلها بصورة كسرى ، أما الجوانب فمزينة بصور المها والفرسان الذين كانوا يتحينون الفرص لاصطياد تلك المها . وأراد في البيت الاخير أن يبيّن حد الخمرة في الكأس قبل ان تزاد بالماء فقال : إن حـــد الخمرة في الكأس كان الى نحور الفوارس وهو مكان ما يزّررون جيوبهم ،ثم يزداد الماء مزجاً فتصعد الخمرة الى ما فوق رؤوس الفوارس أي الى مكان قلانسهم ، وهذا تصوير جميل جداً .

ولقد برع أبو نواس في وصف الخمرة لِمـــا مالت اليه نفسه من لهو وعبث ومجون،ولانه اعتقد ان الحياة ما دامت زائلة فالافضل له ان ينهب عمره ويتمتع بلذاتها . ولذلك قضى حياته خمرة بعد خمرة وسكرة بعد سكرة فتمتع بها الى أبعد حدود المتعة والشذوذ الأثيم . وبمقابل ذلك لجأ الشاعر الى فلسفة الغفران وأصبحت الخطيئة في نظره مدعاة للغفران وسبباً في حلول رحمة الله على عبده العاصي فأكثر من هذا النوع في شعره .

مصادر

١ ـ أدباء العرب في الاعصر العباسية	لبطرس البستاني
٢ ـ المفصل في الادب العربي	للاسكندري وجماعته
٣ ـ الموجز في الادب العربي وتاريخه	تأليف لجنة من الاساتذة .
٤ ـ حديث الاربعاء	للدكتور طه حسين .
٥ ـ ديوان أبي نواس .	
٦ ـ النواسي شاعر من عبقر	للدكتور زكي المحاسني .

اسئلة ومواضيع

١ ـ كان أبو نواس زعيم الشعراء الذين وصفوا الخمرة .

أوضح ذلك مع المقارنة بمن تقدمه من هؤلاء الشعراء .

٢ ـ هل كان أبو نواس يمثل عصره ؟ ناقش هذا الرأي .

٣ ـ هل يدل شعر أبي نواس في طلب العفو من الله عن عقيدة ثابتة أم انه كان زنديقاً كاذباً فيما يقول ؟

أوضح ذلك مستشهداً بشعره في طلب الغفران .

أبو العتاهية

هو أبو إسحاق اسماعيل بن القاسم بن سُوَيْد بن كيسان العَنَزيّ بالولاء المعروف بأبي العتاهية . ولد بقرية قرب الانبار سنة ١٣٠ هـ ونشأ بالكوفة وكانت كالبصرة وبغداد مركزاً من مراكز العلم والثقافة في ذلك العصر. وكان الشعر فيه غريزة فقاله منذ صباه دون تكلف ولا صعوبة حتى قال هو عن نفسه « لو شئت أن أجعل كلامي كله شعراً لفعلت » ، ولذلك اشتهر به وذاع صيته ، ثم قصد بغداد واتصل بالخلفاء العباسيين . وأول من اتصل به المهدي فلقي عنده حظوة كبرى وتعرّف في اثناء ذلك على بعض خدم القصر وجواريه وأحب واحدة منهن تدعى (عُتبة) وأخذ يشبب بها في شعره . ولما علم به المهدي غضب عليه وسجنه ثم أطلق سراحه . ولما يئس من (عتبة) عاف الدنيا وزهد في ملاذها ، وأخذ ينظم الشعر في الزهد . ثم اتصل بالهادي ثم بالرشيد من بعده ونال عندهما الحظوة الكبيرة والجوائز السنية . وكان الى عبادته وزهده في الدنيا ومعيشته البسيطة مفرطاً في حبه للمال ضنيناً ، يبخل على أهله وأولاده وخدمه .

ولم يكن شعره في الزهد إلا تأملات في الحياة والموت؛ أما معانيه فكانت تدور حول ازدراء الدنيا والدعوة الى القناعة لأن الدنيا في نظره ليست جديرة بشيء فهي زائلة ، حافلة بالآلام والخيبة ، ومهما عاش الانسان فيها وجمع من المال فلا بُدّ من ان يُحمل على آلة حدباء ، ولن ينال منها إلا مقدار قبر يدفن فيه ، وهناك يحاسب على ما فرطت يداه . واذا دققنا أقواله هذه رأيناها

متناقضة مع أفعاله ، فقد كان الرجل من أشد الناس حرصاً على الدنيا وبخلا بالمال وليس هذا من الزهد في شيء .

وعاش أبو العتاهية الى عهد المأمون ، وله فيه مدائح ، وتوفي سنة ٢١٨ هـ وترك لنا ديواناً من الشعر فيه غزل ومدح ورثاء وغيرها من الفنون الشعرية ، إلا أن أكثر ما فيه شعر الزهد الذي طغى عليه وطبعه بطابعه . ونحن نعرض عليك مقطوعة من زهدياته، وان شئت التوسع فما عليك إلا ان ترجع الى ديوانه المطبوع فتجد فيه كل ما تريد .

قال رحمه الله في الدنيا :

١ قطعْتُ مِنْكِ حَبائِلَ الآمَالِ وأُرحْتُ مِنْ حَلٍّ ومِنْ تَرْحالِ

٢ ويَئِسْتُ أَنْ أَبْقَى لِشَيْءٍ نِلْتُ
مِمّا فيكِ يا دُنْيا وأَنْ يَبْقى لي

٣ فوَجدْتُ بَرْدَ اليأسِ بيْنَ جوانحي
وَحطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ المَطِيِّ رِحالي

٤ مالي أَرَاكَ لِحُرٍّ وجْهِكَ مُخْلِقاً ؟..!
أَخلَقْتِ يا دُنْيا وُجوهَ رِجالِ

---

٣ ــ برد اليأس : راحته . الجوانح : عظام الصدر مفردها جانحة. المطي: جمع مطيّة ، كل ما يركب من دابة وغيرها . الرحال : ما يأخذه المسافر معه مفرده رَحْل .

٤ ــ مُخلِق : اسم فاعل من أخلق الثوب : أبلاه . وخَلِقَ الثوبُ صار بالياً وعتيقاً .

٥ قِسْتُ السُّؤالَ فكانَ أَعْظَمَ قيمَةً
مِنْ كلِّ عــارِفةٍ جرَتْ بِسُؤالِ
٦ كنْ بالسُّؤالِ أَشَدَّ عَقْدَ ضَنَانةٍ
ممَّنْ يَضِنُّ علَيْكَ بِالْأَمْوالِ
٧ وَصُنِ المحامِدَ ما ٱسْتَطَعْتَ فإِنَّها
في الوَزْنِ تَرْجَحُ بذْلَ كلِّ نوالِ
٨ واذا ابْتُلِيتَ بِبَذْلِ وجْهِكَ سائلاً
فابْذُلْهُ لِلْمُتَكَرِّمِ المِفْضَالِ
٩ وإِذا خَشيتَ تَعَذُّراً في بَلْدَةٍ
فاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ
١٠ وٱصْبِرْ على غِيَرِ الزَّمَانِ فإِنَّما
فَرَجُ الشَّدائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ

---

٥ ـ العارفة : المعروف او الفضل .
٦ ـ الضنانة : البخل . وضنّ : بخل .
٧ ـ صُن : احفظ . النوال : العطاء .
٨ ـ ابتليت : أصبت، من ابتلاه بالمصيبة أي أصابه بها ، اضطررت .
٩ ـ التعذر : الضيق او الصعوبة في كسب العيش .
١٠ ـ غير الزمان : شدائده وتقلباته . العقال : القيد الذي تُعقل به الناقة كي لا تهرب .

الشرح الادبي والتحليل

بيّن لنا أبو العتاهية في هذه القطعة غرور الدنيا وانه قطع منها كل أمل ، ولجأ الى راحة اليأس وحطّ عن ظهر المطيّ رحاله ، وأراح نفسه من كل حل وترحال في سبيل طلب الدنيا ؛ وذلك بعدما يئس من حب(عتبة) التي صدته فحزن ولبس الصوف وتنسّك وراح يخرج لنا ما درسه من حكمة وفلسفة شعراً في الزهد رائعاً . ثم ينصح المرء ألا يريق ماء وجهه بالسؤال لأن الدنيا لا تساوي شيئاً ، وهي غدارة، فكم خيبت آمال رجال لجأوا اليها فلم تستجب لهم، وقلما تستجيب . ولذلك فانه يرى أن من الافضل للانسان ان يضن بكرامته وألا يبذلها بالسؤال الذي يراه أنفس من كل ربح قد يأتي عن طريقه .

وعلى الانسان ان يعتمد في هذه الدنيا على نفسه واخلاقه الحميدة التي ترجح في الوزن على كل مال أو عطاء يأتي عن طريق سؤال الناس والاعتماد عليهم .

ثم يوصي الانسان بأن يضن بكرامته وألا يهدرها على عتبات السؤال اكثر مما يضن الشحيح بأمواله ؛ وان يحافظ على المحامد ما استطاع الى ذلك سبيلاً لأنها أفضل من كل نوال يأتي بعد التفريط بها وبيعها رخيصة عن طريق السؤال.

واذا اضطر الانسان الى بذل ماء وجهه فعليه ألا يسأل إلا الكريم المفضال الذي لا يضيع عنده السؤال .

وينصح لمن يتعذّر عليه جلب الرزق في مكان أن يرحل الى غيره فأرض الله واسعة ؛ وان يصبر على نوائب الزمان فلا بد ان يتغير الحال ويأتيه الفرج من حيث لا يحتسب .

مصادر

١ - الاغاني — لابي الفرج الاصفهاني .
٢ - أبو العتاهية — لمحمد احمد برانق
٣ - أبو العتاهية — لفؤاد افرام البستاني .
٤ - الموجز في الادب العربي وتاريخه — للجنة من الاساتذة.
٥ - الجديد في الادب العربي وتاريخه — لحنا الفاخوري .
٦ - الوسيط في الادب العربي وتاريخه — للاسكندري .
٧ - ديوان أبي العتاهية .

اسئلة ومواضيع

من أين أخذ أبو العتاهية معانيه ؟ وهل هي قديمة أم انها جديدة تنبع من بيئته وتجربته في الحياة وشعوره ؟

٢ - أوضح لنا مذهب أبي العتاهية الديني والفكري من خلال زهدياته ، واستشهد على ذلك بالأمثلة من شعره .

٣ - كان أبو العتاهية ينظم الشعر كما يتكلم لغة التخاطب .

بيّن هذه الميزة في شعره .

٤ - قال الأصمعي : « شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى » .

أوضح هذا القول مستشهداً على ذلك بشعره .

٥ - إئتنا بنص من أرجوزته في الأمثال وادرسه على نحو ما درسنا مقطوعته السابقة .

أبو تمام

هو حبيب بن أوس الطائي ، ولد بجاسم من أعمال حوران في سوريا سنة ١٩٠ ﻫ ، ونشأ في دمشق ثم رحل الى مصر ولازم فيها مسجد عمرو بن العاص يسقي الماء ويستقي من العلم والادب ، وكان ذلك المسجد في ذلك الحين موئل العلماء وموطن الادباء . وظل أبو تمام على هذه الحال حتى تثقف بعلوم عصره الدينية والعربية والعلوم المترجمة من منطق وفلسفة وحكمة . وكان أبو تمام حاد الذكاء فطِناً محباً للاسفار جاب الاقطار العامرة في عصره ، فزار بغداد وخراسان وبلاداً كثيرة ، وكان لكل هذا أثر كبير في شعره .

وكانت له مكانته الكبرى عند عظماء عصره فمدح المعتصم ونال عنده الحظوة الكبرى، ومدح وزيره محمد بن الزيات والحسن بن وهب صاحب ديوانه وغيرهم ، وكان من خير الشعراء حظاً بما ناله من الجوائز التي لا تحصى ، وأحمد شعراء عصره بجودة شعره .

وكان كريماً متلافاً فصيحاً حلو الكلام وفيه تمتمة بسيطة ، حاضر الذهن، سريع الخاطر لطيف الحسّ .

اشتهر بعنايته الفائقة بالتكلف الصناعي في شعره فأساء اليه ، ومع ذلك فقد سلمت له من هذا الشعر جملة صالحة لم يسبقه اليها سابق ولم يلحقه بها لاحق. واشتهر وبرّز في فنون المدح والرثاء والحِكم والوصف والاعتذار . وكان متمسّكاً بعروبته وحارب الشعوبية والشعوبيين في شعره . وعلى العموم فقد

كان متصلاً بعصره أشد الاتصال. وهل كانت بائيته : « السيف أصدق أنباء من الكتب » والتي مدح بها المعتصم إلا دليلاً على عواطفه الصادقة الثائرة ضد الزندقة والشعوبية في ذلك العصر ؟

مات أبو تمام في الموصل ، شمال العراق وبها دفن ، وذلك حوالي سنة ٢٣٠هـ وهو في ريعان شبابه . وأشهر آثاره التي تركها ديوانه المطبوع ، والقسم الاكبر منه في المدح والرثاء ولهذا قالوا عنه : إنه مدّاحة نوّاحة . وترك أيضاً كتاب « الحماسة » وهو مختارات من أجود الشعر العربي في فنونه المختلفة . وإن دلت حماسة أبي تمام على شيء فانها تدل على ذوقه وحسن اختياره ، مما حمل بعض الادباء على القول : « إن أبا تمام في مختاراته أشعر منه في منظوماته ».. وله أيضاً كتاب « نقائض جرير والاخطل » . وهذان الكتابان : الحماسة والنقائض، مطبوعان عدة طبعات جيدة .

قال أبو تمام يرثي ابنه أبا علي :

١ قد كانَ ما خِفْتُ أن يكُونا إِنّـا إِلى اللهِ راجعُونا !
٢ أُصِبْتُ فيهِ ، وكانَ عِنْدي على المُصِيبَاتِ أنْ يُعِينا
٣ كنْتُ عَزِيزاً بـه كثيراً وكنْتُ صَبّاً ، بِـهِ ضَنِينا
٤ دَافَعْتُ ، إِلّا المَنُونَ ، عَنْهُ ، والمرْءُ لا يدفَعُ المَنُونا
٥ آخِرُ عَهْدِي بِـهِ صَرِيعاً لِلمَوْتِ بالدّاءِ ، مُسْتَكِينا
٦ إذَا شكا غصّةً وكرْباً لاحَظَ ، أو رَجّعَ الأَنِينا

---

٥ ــ مستكين : خاضع ، أي مستكين للموت ومستسلم له .
٦ ــ لاحظ : نظر بمؤخرة عينه شاكياً مستغيثاً . رجّع الأنين : ردّده ..

٧ يُديرُ في رَجْعِهِ لِسَاناً يَمْنَعهُ الْموتُ أنْ يُبينا
٨ يَشْخَصُ طوْراً بناظِرَيْهِ وتــارَةً ، يُطْبِقُ الجفُونــا
٩ ثُمَّ قضى نَحْبَهُ ، فأمسَى في جَدَثٍ ، لِلثَّرَى ، دَفينا ،
١٠ بَعِيدَ دَارٍ ، قَرِيبَ جارٍ قد فارقَ الإلْفَ والقَرينا
١١ باشَرَ بَرْدَ الثَّرَى بوَجْهٍ قدْ كانَ ، من قَبْلِهِ ، مَصُونا
١٢ بُنَيَّ ، يا وَاحِدَ الْبَنِينا ! غادَرْتَني مُفْرَداً حَزِينــا
١٣ هَوَّنَ رُزْئي بكَ الرَّزايــا عَلَيَّ ، في النَّاسِ أجمعينــا
١٤ آلَيْتُ أنْسَاكَ ، مــا تَجَلَّى صُبْحُ نَهــارٍ لِمُصْبِحينا

---

٧ ـ رجعه : ترديده أي ترديده الانين . يُبين : يفصح .

٨ ـ شخص بناظريه : فتح عينيه ولم يحرك طرفه .

٩ ـ نحبه : عمره . الجدث : القبر . الثرى : التراب .

١٠ ـ بعيد دار : هو في الدار الآخرة ولا يمكن الوصول اليه. قريب جار : أي مكان القبر قريب فهو في جواره في المقبرة . الألف : الأليف . القرين : المصاحب .

١١ ـ باشر : لاحق . برد الثرى : الثرى البارد . من قبله : الضمير فيها يعود الى برد الثرى . مصون : محفوظ .

١٣ ـ الرزء : المصاب. الرزايا: المصائب ، جمعٌ مفرده الرزية أي المصيبة. الجار والمجرور عليّ متعلق بالفعل هوّن .

١٤ ـ آليت : حلفت . أنساك أي لا أنساك ، حذف لا بعد القسم وهذا جائز . تجلى : طلع .

١٥ومَا دعَــا طائِرٌ هَدِيلاً   ورَّجعَتْ والِهٌ حَنِينـــا

الشرح الادبي والتحليل

تعتبر هذه القصيدة من الشعر الانساني الخالد لانها تصور حـزن جميع الآباء على أبنائهم في كل زمان ومكان ومن كل جنس ودين . ففي الابيات الاربعـة الاولى بيّن لنا مبلغ حزنه في مصابه بابنه وضعف حيلته في دفع المنون عنه واستسلامه الى قضاء الله وقدره . وفي الابيات الخمسة التـالية يبيّن لنا مبلـغ ما وصل اليه من الحزن عندما شاهد الموت يقترب من ابنـه شيئاً فشيئاً ، وهو في هذه الابيات يعرض علينا شريطاً سينمائياً قصيراً إلا انه رائع جداً يصور فيه كيف كان ابنه يعالج سكرات الموت حتى قضى نحبه وأصبح في القـبر دفيناً ، بعيد الدار ، قريب الجوار ، مفارقاً الأليف والصاحب .

وفي الأبيات الاربعة الاخيرة يتوجه الى ابنه بنداء هو ذوب القلوب وتفتت الأكباد ، وما هو في هذه الأبيات إلا قمرية تنوح على الغصن لفقدها ابنهـــا . وان ما في هذا النص من الصدق والحرارة وقوة العاطفة وشدة التفجع ما يجعله يعبّر عن لسان كل مفجوع تاركاً اثره في النفس قوياً عميقاً .

---

١٥ ـ الهديل : صوت الحمام ، وهو منصوب لانه ناب عن المفعول المطلق. والهديل : فرخ الحمام ، وهو على هذا مفعول به للفعل دعا . رجّعت الوالـــهُ الحنين : ردَّدته ، والواله : الام التي ذهب عقلها من الحزن لفقدها ولدها .

قال ابو تمّام يصف الرَّبيع من قصيدة يمدح بها المعتصم :

١ يا صاحِبَيَّ تقَصَّيا نظَرَيْكُما تَرَيا وجوهَ الأرضِ كيف تَصَوَّرُ
٢ تَرَيا نهاراً مُشْمِساً قد شابَهُ زَهْرُ الرُّبى فكأنَّما هو مُقْمِرُ
٣ دنيا معَاشٍ للورى حتّى إذا حَلَّ الرَّبيعُ فإنَّما هي مَنْظَرُ
٤ أضْحَتْ تَصُوغُ بطونَها لظُهو رِها نَوْراً تكادُ له القلوبُ تَنَوَّرُ
٥ مِنْ كلِّ زاهرةٍ تَرَقْرَقُ بالنَّدى
فكأنَّها عَيْنٌ إليكَ تَحَدَّرُ
٦ تبدو ويحجُبُها الجَميمُ كأنَّها عَذْراءُ تبدو تارَةً وتَخَفَّرُ
٧ حتى غَدَتْ وَهَداتُها ونِجادُها فِئَتَيْنِ في خِلَعِ الرَّبيعِ تَبَخْتَرُ

---

١ ـ تَقَصَّيا : تتبّعا .

٢ ـ شابه : خالطه ومازجه . الربى : جمع ربوة . المرتفع من الارض .

٤ ـ الهاء في بطونها وظهورها تعود على الارض . النور بفتح النون: الزهر. تنَّورُ : أصلها تتنور أي تزهر فتحمل النَّوْر .

٥ ـ الزَّاهرة هنا : الزهرة . ترقرق الماء : جرى جرياً لطيفاً سهلاً . وترقرق الدمع : جرى في العين دون ان يسيل . تحدَّر : أصلها تتحدَّر من تحدَّرت العين بالدمع أي سالت به وأرسلته .

٦ ـ الضمير في تبدو يعود الى زاهرة في البيت السابق . الجميم : النبات . تخفَّر : أصلها تتخفَّر أي تستحي .

٧ ـ غَدَتْ : صارت . الوهدات : جمع وهدة وهي الارض المنخفضة . النجاد : المرتفعات جمع نجد . الخِلَعُ : الاثواب : جمع خِلعة . تبختر : أصلها تتبختر .

اسئلة ومواضيع

١ ـ إشرح معاني الابيات السابقة .

٢ ـ أعرب قوله (يا صاحِبيَّ) ولفظة (تريا) وجملة (كيف تصور) من البيت الاول وجملة (كأنما هو مقمر) في البيت الثاني ولفظة (دنيا) وجملة (اذا حل الربيع) في البيت الثالث .

٣ ـ قطّع البيت الاول وسمِّ بحره .

٤ ـ أذكر ما تجده من فنون البيان في الأبيات: الرابع والخامس والسادس والسابع ، وما تراه من فنون البديع في الأبيات : الثاني والثالث والرابع والسادس والسابع .

٥ ـ بيّن أنواع الجمل الخبرية والانشائية في البيت السادس .

٦ ـ إشرح الابيات شرحاً أدبياً .

وقال أبو تمام يبرر سبب اغترابه واضطرابه في الارض :

١ غَدَتْ تستجيرُ الدَّمْعَ خوفَ نَوَى غدِ
وعـــاد قَتَاداً عندها كلُّ مَرْقَدِ

٢ وأنقذها من غمرة الموت أنَّه صدودُ فراقٍ ، لا صدودُ تَعمُّدِ

٣ واجرى لها الإشفاقُ دَمْعاً مُوَرَّداً
من الدَّم يَجْرِي فوق خَـدٍّ مُوَرَّدِ

٤ هي البدرُ يغْنيها تودُّد وجهـا
الى كل مَـن لاقت ، وان لم تَودَّد

٥ ولكنني لم أحوِ وفراً مجمَّعاً ففزتُ بـــه إلا بِشَمْلٍ مُبَدَّدِ
٦ ولم تعطني الأيام نوماً مسكَّناً أَلَذُّ بِـــهِ الا بنومٍ مُشَرَّد
٧ وطولُ مُقام المرء في الحي مُخْلِقٌ
لديباجتيْه ، فـــاغترِبْ تتجـــدَّد
٨ فاني رأيتُ الشمسَ زِيدت محبَّةً
إِلى الناسِ أنْ ليست عليهم بسَرْمَدِ

الأسئلة

١ ـ اشرح المفردات التي تراها صعبة في هذه الأبيات .
٢ ـ أعرب البيتين السابع والثامن .
٣ ـ بين ما في الابيات الاربعة الاخيرة من صور بيانية ومحسنات بديعية .
٤ ـ قطع البيت الأول عروضياً وعين بحره .
٥ ـ اشرح القطعة شرحاً أدبياً .

مصادر

١ ـ أخبار أبي تمام — للصولي
٢ ـ ابو تمام الطائي — للبهبيتي
٣ ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي — لشوقي ضيف
٤ ـ المفصل في تاريخ الأدب العربي — للاسكندري وجماعته
٥ ـ من حديث الشعر والنثر — لطه حسين
٦ ـ امراء الشعر في العصر العباسي — للمقدسي
٧ ـ أدباء العرب — للبستاني
٨ ـ ديوان أبي تمام

أسئلة ومواضيع

١ ـ قال احد الادباء المعاصرين : « أجاد أبو تمام في كل فن من فنون الشعر ، اما مراثيه فلم يلحق بها أحد جاش صدره بشعر » .

ناقش هذا الرأي واستشهد له بنماذج من شعره .

٢ ـ « كان أبو تمام اول من اكثر الحكم والامثال والاستدلال بالأدلة العقلية والكنايات الخفية » .

ناقش هذا القول واضرب له الامثلة من شعر ابي تمام .

٣ ـ حلل نصاً من بائية ابي تمام في مدح المعتصم ووصف عمورية تحليلاً أدبياً .

البحتري[1]

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي ، ولد في مدينة مَنبِجَ على مقربة من حلب ، في سوريا سنة ٢٠٦ هـ ، ونشأ بين قبائل طيء الضاربة على شواطىء الفرات فغلبت عليه الفصاحة والبلاغة ، وابتعد بشعره عن مذاهب الحضريين وفلسفتهم امثال استاذه ابي تمام وغيره ، وبذلك استطاع ان يعيد الى الشعر العربي ديباجته ورونقه بعد ما افسدهما ابو تمام .

ولما استوثق البحتري من قوة شاعريته قصد بغداد ومدح ابن الزيات وزير الواثق والحسنَ بن وهب ، كما مدح غيرهما من الامراء والقواد . ولم يتصل بالواثق الا انه اتصل بابنه المتوكل حين اصبح خليفة ، واتصل بوزيره الفتح بن خاقان ومدحهما وعاش معهما نحواً من اثنتي عشرة سنة معزّزاً مكرّماً ، ولما قتلا حزن عليهما حزناً شديداً . وعاد على اثر ذلك من العراق الى منبج ، وكان يتردد بينها وبين بغداد وسرَّ من رأى حيث يمدح الخلفاء والأمراء. ثم استقرَّ في منبج وخصوصاً في زمن الخليفة المعتضد ، ومات فيها بالسكتة القلبية سنة ٢٨٤ هـ .

ولقد استفاد البحتري من شعره وربح وجمع ثروة كبيرة . ورماه بعض معاصريه بالبخل والحرص ، وكانوا يقولون عنه : « إنه كان من أقذر الناس ثوباً » . وكان حريصاً على اللذة ، ينفق الكثير من امواله على لهوه وخمره ومجونه ،

١ ـ النصوص التي لم ندرسها دراسة أدبية تحليلية هي التي لم ينص عليها المنهاج إنما أضفناها اتماماً للفائدة ؛ واما النصوص التي نص عليها المنهاج فقد عنينا بدراستها وتحليلها كما تقدم .

كر. أ على نفسه بخيلاً على الناس . وكان شديد الغرور بنفسه وشعره موصوفاً بالخيانة والغدر والتنكر لمدوحيه من الخلفاء والوزراء ما عدا المتوكل والفتح ابن خاقان اللذين ظل يذكرهما في شعره بعـــد مقتلهما . ولعل سبب تنكره لمدوحيه راجع الى سوء الحالة السياسية في ذلـــك العهد وكثرة التبدل في الملوك والولاة . وكان محباً لوطنه متعصباً لليمانية عامة ولطيء خاصة . وكان في شعره عاطفة دينية اسلامية قوية .

للبحتري ديوان شعر مطبوع طرق فيـــه اكثر اغراض الشعر العربي التي كانت معروفة في عصره ، وبرّز بصورة خاصة في الوصف الذي احلـّه منزلة عالية بين شعراء الطبقة الاولى في عصره . والمدح يشغل اكثر ديوانه ، والرثاء والهجاء فيه قليلان ، والغزل كثير ولكنه في مطالع قصائده .

وله كتاب « الحماسة » الذي عارض فيه كتاب استاذه ، وقد رتـّبه في مائة واربعة وسبعين باباً جعلها بحسب المعـــاني الشعرية الواردة في شعر الشعراء المتقدمين مثل : باب في مـــا قيل في حمل النفس على الشدائد ونحو ذلك . ولكن حماسة استاذه اجود اختياراً . واليك نصاً للبحتري يصف فيه الربيـع من قصيدة يمدح بها الهيثم الغنويّ احد القواد المشهورين :

١ أتاكَ الرَّبيعُ الطَّلْقُ يختالُ ضاحكاً
من الحسنِ حتَّى كادَ أن يتَكلَّما
٢ وقد نَبَّهَ النَّيْروزُ في غَسَقِ الدُّجى
أوائِلَ وَرْدٍ كنَّ بالأَمْسِ نُوَّما

١ ــ يختال : يتبختر .

٢ ــ النيروز : عيد من اعياد الربيع عند الفرس . الدّجى : جمع دُجْية وهي الظلمة ، ويقصد بها هنا الليل . الغسق : الظلام . أوائل الورد : بواكره .

٣ يُفَتِّقُها بَرْدُ النَّدى فكأنَّهُ يَبُثُّ حديثاً كانَ قَبْلُ مُكَتَّما
٤ ومن شجرٍ ردَّ الربيعُ لباسَه عليه كما نَشَّرْتَ وَشْياً مُنَمْنَمَا
٥ أَحلَّ فأبدى للعيونِ بشاشةً وكان قذىً للعينِ إِذْ كان مُحْرِما
٦ ورقَّ نسيمُ الريحِ حتّى حسبتُهُ
يجيءُ بأَنفاسِ الأَحِبَّةِ نُعَّما
٧ فما يحبسُ الرَّاحَ التي أنتَ خِلُّها
وما يمنعُ الأَوتارَ أنْ تَتَرَنَّما

الأسئلة

١ ـ أعرب البيت السابع .
٢ ـ ماذا ترى من الفنون البيانية في الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ وما هو المقصود بالاستفهام في البيت السابع ؟
٣ ـ قطع البيت الثاني عروضياً وسم بحره .
٤ ـ اشرح هذه الابيات شرحاً أدبياً .
٥ ـ اذكر ما يعجبك ويطربك في هذه الابيات .

---

٣ ـ يفتّق : يفتّح . يبثُّ : يذيع .
٤ ـ الوشي : تطريز الثوب ، نقشه . منمنم : محسَّن .
٥ ـ أحَلَّ هنا بمعنى : اكتسى بالورق . وأحرم : هنا بمعنى تجرَّد من أوراقه . القذى : ما يصيب العين فيؤلمها ويسيل دمعها .
٦ ـ نُعَّما : جمع ناعم .
٧ ـ حَبَسَ الراح : منع ادارتها على الشاربين . الراح : الخمر . الخِلُّ : الصاحب والصديق .

مصادر

١ ـ من حديث الشعر والنثر	لطه حسين
٢ ـ امراء الشعر في العصر العباسي	لأنيس المقدسي
٣ ـ طيف الوليد	لعبد السلام رستم
٤ ـ الوسيط في الأدب العربي	للاسكندري
٥ ـ ادباء العرب	لبطرس البستاني
٦ ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي	لشوقي ضيف
٧ ـ ديوان البحتري	

اسئلة ومواضيع

١ ـ قال أحد النقاد : « لم يأت البحتري بأساليب مبتكرة ، وانما اتبع اسلوب العرب الأصيل في النظم ، فجاءَ شعره مطبوعاً حسن المذهب » .

أوضح هذا القول وناقشه مؤيداً اجابتك بالشواهد الكافية من شعر البحتري .

٢ ـ قال احدهم : « استمدّ البحتري معانيه من ينابيع الخيال ووحي الطبيعة ، ولم يستمدها من معين العلم والمنطق ، فحفظ للشعر رونقه وروعته » .

ناقش هذا القول ، وبيّن رأيك فيه ، وادعمه بالشواهد .

ابن الرومي

هو أبو الحسن عليُّ بن العباس بن جريج الرومي . ولد في بغداد سنة ٢٢١ هـ وفيها نشأ وتعلمّ ؛ ومات فيها سنة ٢٨٣ هـ . وقد اختلف في اسباب موته فقيل إن القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد سمّه ، وقيل غير ذلك . ومن الصعب الوصول الى حقيقة ناصعة .

ولم يذكر المؤرخون والرواة لنا عنه الا أخباراً قليلة جداً . ولكن ديوانه يحدثنا بالشيء الكثير عن حياته ، لأن شعره مرآة صافية لنفسه الحسّاسة وأخباره ، فمنه نعلم أنه رومي الأب فارسي الأم وانه مولى لبني العباس ، وان الفقر المدقع ألمّ به ، والدّين قد ركبه ، والبؤس قد حالفه ، والناس قد استضعفوه ، وانه فجع بأخيه وزوجته واولاده الثلاثة واحترق بيته .

لذلك يحدثنا في شعره عن تشاؤمه ، وعدم تقريب الملوك والعظماء في عصره له ، وعدم وفاء الممدوحين بحقه ، وانه يهجو الناس لأنه يعامل كل امرىء بما يستحق . ويحدثنا ايضاً عن امراضه وعاهاته ، ويصف لنا اخلاقه ؛ فهو مرهف الحس ، سوداوي المزاج ، متوتر الاعصاب الى حد المرض ، يثور بسرعة فيؤذي بلسانه ، ويرضى بسرعة فيمدح ويصفح ويسترضي .

ويظهر لنا من شعره حُبُّه للحياة وتعلقه بملاذها ، وولعه وتفاؤله بالجمال ، ونفوره وتشاؤمه من القبح ، وحبه للشراب وسماع الغناء ، وجبنه وقعوده عن السعي في طلب الرزق ، واعتقاده بالطِّيَرَةِ .

ويكشف لنا شعره ايضاً عن رقة قلبه ، واخلاصه لأصحابه ، وعطفه على

أهله وعلى الفقراء ، ورحمته للمصابين وبكائه لمصابهم .

ويظهر لنا من خلال شعره انه كان واسع الثقافة ، متمكناً من علوم العربية مطلعاً على علوم الأوائل التي ترجمت الى العربية .

وله ديوان شعر كبير لو وزع على عشرة من الشعراء لأنزلهم منازل الفحول ، ولكن العلماء والادباء الاقدمين لم يقدّروه حق قـــدره ، إلا ان المحدثين ، وخصوصاً عباس محمود العقاد ، قد عُنوا بروائع شعره وكشفوا عن مميزاته . وقد طبع ديوانه الا انه لم يكتمل بعد .

قال من قصيدة يرثي فيها ابنه الأوسط :

١ بُكاؤُ كما يَشفي وإِن كان لا يُجْدي
فَجودا فقد أوْدى نظيرُكُما عندي

٢ ألا قاتلَ اللهُ المنايا ورَمْيَها من النَّاسِ حبَّات القلوب على عَمْد

٣ وما سرَّني أنْ بعْتُهُ بثوابِهِ ولو أنَّهُ التخليدُ في جَنَّةِ الخُلْدِ

٤ وإِنِّي وإِنْ مُتِّعْتُ بابنيَّ بَعْدَه
لذاكِرُهُ ما حنَّتِ النِّيبُ في نَجْدِ

---

١ ـ في قوله: بكاؤكما يخـــاطب عينيه. لا يجدي: لا ينفع. أودى: هلك.

٢ ـ حبَّات القلوب : يقصد بها الأولاد .

٣ ـ يشير الى ما وعد بـه الآباء الذين يموت أطفالهم من ثواب يوم القيامة فيكونون لهم شفاعةً ، لذلك يقول : لا يسرني ان انال الثواب بموته ، ولو كان هذا الثواب هو الخلود في الجنة ، فانا افضل عليه حياته وبقاءَه .

٤ ـ النيب : جمع ناب وهي الناقة المسنة . حنّت : رددت الصوت حنيناً الى صغارها او أعطانها .

٥ وأوْلادُنا مثلُ الجوارحِ أيُّها فَقَدْناه كان الفاجعَ البيِّنَ الفقْد

٦ أُلامُ لما أُبْدِي عليكَ من الأَسى
وإِني لأُخفي منكَ أَضعافَ ما أُبدي

٧ محمدُ ما شيءٌ تُوُهِّمَ سَلوَةً لِقلبيَ إِلا زادَ قلبي من ٱلوَجد

٨ أرى أخوَيكَ ٱلباقِيَيْنِ كِلَيْهما
يكونانِ للأحزانِ أوْرَى من الزَّنْد

٩ إِذا لَعِبا في مَلعبٍ لكَ لذَّعا فؤادي بمِثْلِ النارِ عن غيرِ ما قَصْد

١٠ فما فيهما لي سَلْوةٌ بل حَزازَةٌ يَهيجانها دوني وأَشقَى بها وحدي

---

٥ ـ الجوارح : الاعضاء . البيّن : الظاهر الشديد الاثر .

٦ ـ الاسى : الحزن .

٧ ـ الوجد : الحزن .

٧ ـ أورى : اسم تفضيل من الوَرْي وهو الإشعال . الزند : هو العود الأعلى الذي تقتدح به النار .

٩ ـ (ما) : في هذا البيت زائدة .

١٠ ـ الحزازة : وجع القلب ، ويحزُّ : يقطع .

مصادر

١ - ابن الرومي ، حياته من شعره — لعباس محمود العقاد
٢ - من حديث الشعر والنثر — لطه حسين
٣ - شعر الطبيعة في الأدب العربي — لسيد نوفل
٤ - ادباء العرب — للبستاني
٥ - الجديد في الأدب العربي وتاريخه — لحنا الفاخوري
٦ - الموجز في الادب العربي وتاريخه — لجنة من الاساتذة
٧ - الوسيط في الادب العربي وتاريخه — للاسكندري
٨ - ابن الرومي - حياته وشعره — تأليف روفون جست وترجمة الدكتور حسين نصار

اسئلة ومواضيع

١ - قال أحد النقاد : « .. واما ابن الرومي فشجرة الاختراع ، وثمرة الإبداع ، وله في الهجاء ما ليس له في الاطراء : فتح فيه ابواباً ، ووصل فيه اسباباً ، وخلع منه اثواباً ، وطوّق فيه رقابا ، تبقى اعماراً واحقابا ، يطول عليها حسابه ، ويمحق بها ثوابه » .

وضّح ما ذهب اليه هذا الناقد وناقشه وبيّن رأيك فيه ، مستشهداً بالامثالة الكافية .

٢ - اجاد ابن الرومي الوصف اجادة بالغة .

بيّن ذلك مستشهداً بشعره بما فيه الكفاية .

٣ - قالوا : إن ابن الرومي كان مرهف الاحساس ، ملتهب العاطفة الى درجة المرض ، سريعاً في تقلبه من حزن الى فرح الى بغض الى حب .. وانه كان يخضع عقله ومنطقه الى عاطفته .

ناقش هذا القول مستشهداً على ذلك بحوادث من حياته واقوال من شعره .

ابن المعتز

هو أبو العبّاس عبدالله بن المعتز بالله أميرُ المؤمنين . ولد سنة ٢٤٨ ﻫ في بيت الترف والنعيم وتربّى تربية ابناء الملوك والخلفاء ودرس في بغداد وقرأ على كبار علماء زمانه في النحو واللغة والادب كالمبرّد وثعلب واحمد بن سعيد الدمشقي وغيرهم . وتخرّج على ايديهم شاعراً ناثراً مؤلفاً عالماً باللغة والأدب والتاريخ . ولما مات الخليفة المكتفي ولى الغلمان الاتراك ابنه المقتدرَ العرش بعده، وكان طفلاً خاضعاً لأمر نساء القصر وغلمانه فاضطربت الأمور ، وثارت الفتن ، وقام العلماء والفضلاء وخلعوا المقتدر وولوا ابن المعتز الخلافة على غير طلب منه . فلما رأى وزراء الدولة والمستبدّون بالسلطة من غلمان المقتدر أن الأمر خرج من ايديهم ثاروا على اتباع ابن المعتز حتى هزموهم، وقبضوا عليه وخنقوه ودفنوه بجوار داره سنة ٢٩٦ ﻫ ولم يلبث في الخلافة إلا يوماً وليلة .

ولابن المعتز ديوان من الشعر طرق فيه أغراضاً كثيرة كوصف الخمر والطبيعة والطرد والغزل وكل ما أوحته اليه حياة الترف والنعيم التي كان يحياها . وجاء في شعره بالتشبيهات النادرة والصور المبتكرة والزخارف والأوصاف التي تنمّ عن حياته المترفة التي كان يحياها ، ولذلك جاءت تشبيهاته غير مفهومة احياناً للعامة ، لانها ما كانت لتعرف ادوات النعيم التي كان يشبّه بها . وعلى العكس فان تشابيه ابن الرومي كانت مفهومة عند الخاصة والعامة على حد سواء لانه كان يأخذها من وسطه الذي عاش فيه، ولهذا كانت تشابيهه أسيَرَ من تشابيه ابن المعتز . وعلى كلٍ، فابن المعتز يعد من المجددين

في الشعر العربي وان تأخر زمانهُ عن زمن بشار وأبي نواس وأبي العتاهية وغيرهم.

وله غير ديوانه مؤلفات كثيرة في الادب والاخبار والغنـــاء والصيد ضاع أكثرها ولم يصل الينا منها إلا القليل ، ومنه كتابه في «البديـع» الذي تكلم فيه عن طرق علم البديع وأساليبه ومحاسن الشعر ، وهو مطبوع معروف .

وقال يصف سحابة :

١ وسَارِيَةٍ لا تَملُّ البُكا جَرَى دَمْعُها في خُدودِ الثَّرى

٢ سرَتْ تَقْدَحِ الصُّبْحَ في ليلِها بِبَرْقٍ كهِنْدِيَّةٍ تُنْتَضَى

٣ فلمَّا دَنَتْ جَلْجَلَتْ في السما ءِ رَعْداً أجشَّ كجَرْسِ الرَّحى

٤ ضَمانٌ عليها ارْتداعُ اليَفاعِ بأنوارِها واعتِجَارُ الرُّبا

٥ فما زالَ مَدمَعُها باكِياً على التُّرْبِ حتَّى اكتسى ما اكتسى

٦ فأضحتْ سواءً وجوهُ البلادِ وُجنَّ النباتُ بها والتقى

---

١ ـ السارية : السحابة التي تسري ليلاً . البكاء : أي الامطار . الثرى : الارض .

٢ ـ تقدح : تبرق . الهندية : السيوف المنسوبة الى الهند لانهـا كانت من أجود السيوف . تنتضى : تسلُ .

٣ ـ جلجلت : رعدت . الصوت الأجش : الغليظ . الجرْس : الصوت .

٤ ـ الارتداع : الصبغ . اليفاع : مـــا ارتفع من الارض . الاعتجار : لف العمامة على الرأس . الربا : جمع ربوة وهي الارض المرتفعـــة . الانوار : جمع نَوْر وهو الزهر ، أي إن هذه السحابة تكفلت بكسوة الارض وصبغهـا بالأزهار بسبب ما تفيض عليها من الامطار .

٥ ـ وجوه البلاد : أطرافها وجوانبها . جن النبات : نما وطال .

الاسئلة

١ ـ بيّن ما في هذه المقطوعة من وجوه البيان .
٢ ـ أعرب البيت الأول وقطّعه عروضياً وسمّ بحره .
٣ ـ إشرح هذه الابيات شرحاً أدبياً .

مصادر

١ ـ المفصل في تاريخ الادب العربي — للاسكندري وجماعته .
٢ ـ الموجز في الادب العربي وتاريخه — للجنة من الاساتذة .
٣ ـ الوسيط في الادب العربي وتاريخه — للاسكندري
٤ ـ ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان — لعبد المنعم الخفاجي
٥ ـ ديوان ابن المعتز .

اسئلة ومواضيع

١ ـ كان لابن المعتز يدٌ لا تنكر عليه في الوصف والتشبيه .
أيد هذا القول بأمثلة كافية من شعره .

٢ ـ قال ابن المعتز يصف الهلال :

أنظُرْ اليه كزورقٍ من فضّةٍ ... قد أثقلتْهُ حمولَةٌ من عَنْبَرِ

وقال ابن الرومي يصف قوس قزح :

كأذيالِ خَودٍ أقبلت في غلائلٍ ... مُصَبَّغة والبعضُ أقصَرُ من بعض

قارن بين هذين التشبيهين وبيّن الفرق بينهما على ضوء ما جاء في ترجمتنا لابن المعتز ثم استشهد على هذه الناحية بمقدار كاف من شعر الاثنين .

المُتنبِّـي

هو أبو الطيّـب أحمد بن الحسين من شعراء العصر العباسي الثالث . ولد سنة ٣٠٣هـ بالكوفة ودرس على أشهر اللغويين والأدباء في الشام والعراق وتبحّر في اللغة واطّلع على الحكمة والفلسفة وشعر العرب وكان غزير الرواية .

ولقد وُجد المتنبي في عهد كانت فيه البلاد الاسلامية مسرحاً للفتن والعصيان، وكان يطمع في الملك ، فدعا الى نفسه بـين بعض القبائل الفقيرة دعوى سياسية ولقيت دعوته نجاحاً إلا أن أمير حمص (سوريا) وهو يومئذ لؤلؤ الاخشيدي قبض عليه وسجنه حتى تاب واستعطفه بشعره فأطلقه .

واضطر المتنبي بعد ذلك الى التكسب بالمدح ومجاهدة الفقر زمناً، وهام على وجهه ، بعد خروجه من السجن ، في الاقطـار يجتدي بشعره ويمدح من اتصل به سواء أكان عظيماً أم حقيراً حتى انـه مدح علي بن الحاجب المنصور بقصيدة من غرر قصائده فأعطاه عليها ديناراً واحداً ولذلك سميت الدينارية ومطلعها :

بأبي الشّموسُ الجانحاتُ غواربا   اللابساتُ من الحريرِ جلابِبا

وهكذا ظل حتى اتصل بأبي العشائر الحمداني الذي أحسن مثواه ، وعَرّفه الى سيف الدولة،وكان قد سمع بشهرته،فقرّبه هذا وجعله شاعره الخاص وعلّمه الفروسية واستصحبه معه الى المعـارك وأجزل له العطاء لاجـادته في مدحه ووصفه معاركه مع الروم . ولكن رجال البلاط الذين كانوا عند سيف الدولة وبعض الشعراء والكتاب المقربين منه حسدوه وسعوا في الوشاية بينه وبـين سيف الدولة فأساء معاملته. وضاق الأمر بالمتنبي ولا سيما بعد ما أهانه ابن خالويه

مؤدب سيف الدولة في حضرته ولم ينتصر له ولهذا غادر حلب تاركاً سيف الدولة قاصداً كافوراً الإخشيدي في مصر طامعاً منه في ولاية . ولم يكن يحترمه في الحقيقة وكان مدحه له مدحاً كاذباً . وأحس كافور بذلك فجعل يماطله حتى ينال مدائحَهُ ، وألزم به قوماً يحرسونه حتى لا يفر . ولكنّ المتنبي استطاع أخيراً ان يفلت من يد كافور ويهرب ، وأخذ يهجوه الاهاجي المرة . ولما وصل الى الكوفة جاءه رسول سيف الدولة بهدّية وطلب منه العودة الى حلب. ولكن الشاعر اعتذر اعتذاراً لطيفاً . ثم ترك الكوفة لزيارة بغداد ، واستزاره عضد الدولة بشيراز فلـبّى دعوته ، ثم استأذنه في العودة الى الكوفة . وفي الطريق قتله قوم من بني ضبّة كان قد هجا رجلاً منهم هجاءً مقذعاً ، وذلك بعد ما قاتل قتالاً مجيداً ، وكان ذلك سنة ٣٥٤ هـ.

هكذا انقضت حياة هذا الشاعر الحافلة بالألم والطموح والبطولة والأنفة والكبرياء والشجاعة والعفة والرصانة ومجانبة اللهو والغزل والترفع عما كان ينغمس فيه شعراء عصره . وكان المتنبي متشائماً وفياً لأصحابه ، يكره الرياء ويحتقر المرائي ، ولكنه اضطر الى ذلك في صحبته لكافور. ولقد رمي بالبخل ولكنه كان في الحقيقة حريصاً على المال، لانه نشأ نشأة فقيرة. وكان يرى المال وسيلة ناجحة الى ادراك المجد ومن قوله : « فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله » .

وللمتنبي ديوان ضخم طبع مراراً ، أكثره في المدح ولا سيما مدح سيف الدولة ، والفخر والهجاء . ويتخلل قصائده في مدح سيف الدولة وصف الحروب الذي أتى فيه بالعجب العجاب ، كما يتخلل شعره عامةعنصران هامان هما : الشكوى من الزمان وأهل هذا الزمان؛ والحكم. وهذان العنصران هما السببان الكبيران في شهرة المتنبي وخلوده فلقد عني القدماء والمحدثون به عناية لم يحظَ بها غيره من شعراء العربية ، ولهذا لقّبه بعضهم بمالىء الدنيا وشاغل الناس .

قال المتنبي يمدح سيف الدولة من قصيدة جعلها رسالة له من العراق اليه عندما جاءه رسوله بهدية وطلب منه العودة الى حلب :

١ كلما رحَّبَتْ بنا الرَّوضُ قلنا : حلبٌ قَصْدُنا ، وأنتِ السَّبيلُ
٢ فيكِ مَرْعى جِيادِنا والمطَايا وإِليها وجيفُنا والذَّميلُ
٣ والمُسمَّونَ بالأميرِ كثيرٌ والأميرُ الذي بها المأمولُ
٤ ليس إِلَّاكَ يا عليُّ هُمامٌ سَيْفُهُ دون عِرْضِهِ مَسْلُولُ
٥ كيفَ لا يأمَنُ العراقُ ومِصرٌ؟ وسراياكَ دُونَها والخُيولُ
٦ لو تَحَرَّفتَ عن طريقِ الأعادي رَبَطَ السِّدْرُ خَيْلَهُمْ والنَّخيلُ
٧ أنتَ – طولَ الحياة – للروم غازٍ
فمتى الوعْدُ أنْ يكونَ القُفُولُ
٨ وسِوى الرُّوم، خلفَ ظهرِكَ، رومٌ فعَلى أيِّ جانبيكَ تميلُ ؟

---

١ – رحّب به : قال له مرحباً .
٢ – الخطاب في (فيكِ) الى الروض . الوجيف والذميل : نوعان من السير والعدو .
٣ – اراد بالأمير المأمول سيف الدولة .
٤ – إلاك : إلا اياك . الهُمام : العظيم الهمة .
٥ – السرايا جمع سرية وهي القطعة من الجيش .
٦ – تحرّفت : انحرفت . السدر : نوع من الشجر وفيه اشارة الى بلوغ العدو هذه الاماكن .
٧ – القفول : الرجوع .
٨ – سوى الروم : استثناء مقدم اراد به القصْر ، واراد بالروم الثانية العربَ الذين كانوا يضربون سيف الدولة من خلفه فهم كالروم في عداوتهم .

٩ قَعَدَ النَّاسُ كلُّهمْ عن مساعيـ
كَ ، وقامتْ بها القنا والنُّصُولُ
١٠ما الذي عِنده تدار المنايا كالّذي عنده تدارُ الشَّمُولُ

ومن حِكَمِه :

١١ذو العقل يشقىٰ في النَّعيم بعقلهِ
وأخو الجهالةِ في الشَّقاوةِ ينْعَمُ
١٢لا يخدعَنَّكَ من عَدُوٍّ دَمْعهُ وارحمْ شبابَكَ من عدوٍّ تَرْحَمُ
١٣لا يسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفيعُ من الأذىٰ
حتى يُراقَ على جوانبِهِ الدَّمُ
١٤والظلْم من شِيَمِ النفوس ، فإن تجدْ
ذا عفَّةٍ فَلعِلَّةٍ لا يظْلِمُ .

★

٩ ـ قعَد الناس عن مساعيك : عجزوا عنها او اهملوها . النصول : جمع نصل ، وهي حديدة الرمح او السهم او السيف نفسه .

١٠ ـ الشّمول : الخمر .

١٣ ـ يراق : يسكب . ومعنى البيت : لا يسلم للشريف شرفه من أذى الحسّاد والمعاندين حتى يقتل اعداءه ، فإذا أراق دماءهم سلم شرفه ، لأنه يصير مرهوب الجانب فلا يتعرض له احد بعد ذلك ابداً .

١٤ ـ يقصد بالعلة السبب كالخوف من العقاب ، او الضعف والجبن وما الى ذلك ..

١٥ ألا ليتَ شِعْري هل أقول قصيدة   فلا أشتكي فيها، ولا أتعَتَّبُ

الاسئلة

١ ـ فسر معاني الابيات من ١١ ـ ١٤ .

٢ ـ اشرح البيت الاخير واعربه ثم قطعه عروضياً وسم بحره .

٣ ـ اذكر الجمل الانشائية في هذه الابيات ، وبين انواعها .

٤ ـ ماذا تجد من انواع البيان في البيت الثاني .

٥ ـ اشرح الابيات العشرة الأولى شرحاً ادبياً .

مصادر

١ ـ المفصل في الأدب العربي وتاريخه   للاسكندري وجماعته .

٢ ـ الموجز في الادب العربي وتاريخه   للجنة من الاساتذة .

٣ ـ ادباء العرب   للبستاني .

٤ ـ مع المتنبي   لطه حسين

٥ ـ المتنبي   لشفيق جبري الدمشقي

٦ ـ ذكرى أبي الطيب بعد الف عام   لعبد الوهاب عزام

٧ ـ ابو الطيب المتنبي   لجماعة من الادباء ـ عدد خاص من الهلال بمناسبة الذكرى الألفية له.

٨ ـ ديوان المتنبي

أسئلة ومواضيع

١ ـ كان المتنبي شاعر العظمة . دلَّ على ذلك من شعره .

٢ ـ تكلم عن حِكم المتنبي وأيد رأيك بالشواهد الكافية من شعره .

٣ ـ للمتنبي شخصيته الواضحة في شعره فهل تستطيع ان تضع لها اطاراً من عندك مستخلصاً صورتها من شعره ؟ .

٤ ـ يقولون : « إن المتنبي شاعر الطموح والعزة » .
ناقش هذا القول وايد اجابتك بالشواهد الكافية من شعر المتنبي .

٥ ـ كان المتنبي من فحول الشعراء العباسيين ؛ ففي اي الاغراض اجاد ؟ .
اشرح ذلك واستشهد ببعض ابيات مما تحفظ من شعره .

أبو العلاء المعري

هو أبو العلاء احمد بن عبدالله التنوخي ، ولد في معرة النعمان من اعمال حلب سنة ٣٦٣ هـ من اسرة عريقة بالقدم ينتهي نسبها الى قضاعة ثم الى قحطان . ولقد اشتهر من اسرته طائفة من الشعراء ، وكان ابوه أديباً ينظم الشعر . ولقد تراكمت المصائب على ابي العلاء منذ ولادته الى وفاته . وكانت مصيبته الأولى ذهاب بصره. فقد اصيب بالجدري واطفأ العمى عينيه: اليسرى ثم اليمنى ، ولمّا يبلغ الرابعة من عمره، ورافقه ألم العمى طول حياته . ويحدثنا ابو العلاء انه لا يتذكر من الألوان الا الاحمر ، لون الثوب الذي كان يلبسه حين أصيب بالجدري ، اما ما سوى ذلك من خضرة الربيع ، وزرقة السماء ، وسواد الليل ، وبياض النهار فلا يتذكر منها شيئاً. وكان رحمه الله شديد الذكاء قوي الذاكرة، درس العلم والأدب على ابيه اولاً ، وكان برّاً به شفيقاً عليه لصغره ومحنته ، ثم درس على جماعة من اهل المعرة . ولم يمض وقت طويل حتى حصل ما اراده له ابوه واضحى مستعداً لطلب العلم في حواضر الشام الكبرى آنذاك وهي: حلب واللاذقية وانطاكية وطرابلس .

ذهب اولاً الى حلب ولقي العلماء واخذ عنهم ؛ ثم رحل الى انطاكية فاللاذقية فطرابلس . وكانت هذه المدن على جانب عظيم من الازدهار الأدبي والحضاري؛ فيها المكتبات الكبيرة والعلماء المشهورون، فزارها ابوالعلاء ودرس في مكتباتها وأخذ عن علمائها ثم عاد الى بلده وقد بلغ العشرين من العمر وله من العلم قسط كبير .

وكانت محنته الثانية موت ابيه وهو في الرابعة عَشرة، فحزن عليه حزناً شديداً ثابتاً ، لأنـــه كان معينه في غذائيه: المادي والعقلي . ويخبرنا التاريخ ان ابا العلاء بدأ ينظم الشعر وهو في الحادية عشرة ، فرثى اباه بقصيدة رائعة في ديوانه « سَقْط الزند » ومطلعها :

نَقَمْتُ الرضا حتى على ضاحِكِ المُزْنِ

فــلا جادَني الا عبوسٌ من الدَّجْنِ

وكان العصر الذي عاش فيه ابو العلاء عصر فوضى واضطراب في النواحي السياسية والدينية والاخلاقية، وقد ظهر اثر ذلك كله في شعره. وابتعد ابو العلاء عن ذلك كله وانصرف الى العلم ، وساعده على ذلك عماه ، لان العمى كان ولا يزال يخط طريق العميان في الشرف ، وهو طريق الدراسة والعلم. وكان عصره يمتاز بنضوج الحياة الفكرية عند العرب . لذلك فانـــه رحل في طلب العلم كما قدمنا ثم عاد الى المعرة . ويصوره لنا المؤرخون في هذه الفترة من حياتــــه ؛ حسن المخالطة ، فكه الحديث ، يجالس الظرفاء ويلعب الشطرنج « ويحمد الله على العمى كما يحمدُهُ غيره على البصر » .

واشتغل في هذه الاثناء بتدريس الشعر واللغة والأدب، واخذت شهرته في الانتشار والذيوع ، فعزم على السفر الى بغداد ورحل اليها سنة ٣٩٨ هـ .

وكانت بغداد في ذلك العصر – على ضعف الخلافة – كعبة الأدب ، ومقصد رجال العلم ، تموج بالراحلين اليها من انحـــاء الشرق على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم: من فرس وهنود ويهود ومسلمين ومسيحيين وشيعة وسنية وصوفية. فاطلع ابو العلاء على هذه المذاهب وعني بدراسة فلسفة اليونان والهنود . ولقد ظهرت آثار هذه الفلسفات في اخلاقه وشعره، فحرم على نفسه اللحمَ والبيضَ واللبنَ وما يصدر عن الحيوان، وامتنع عن اكل كل ذي روح رفقاً بالحيوان، وظلَّ خمساً واربعين سنة نباتياً اشهر طعامه العدس والذُّ حلاوته التين . وكان يبغض

الدنيا ويراها مقر الهموم والاحزان ، وامتنع عن الزواج واوصى ان يكتب على قبره :

هـــذا جناهُ أَبي عليَّ   ومـــا جَنَيْتُ على أحد

وكانت مصيبته الثالثة موت امه فقد ترك بغداد سنة ٤٠٠ هـ وعاد الى المعرة ليراها الا انـــه لم يلقها ، فازدوجت عليه هذه المصيبة وانفرد في بيته مسمياً نفسه « رهين المحبسين » اي منزله وعماه ؛ غير انـــه لم ينجح في عزلته لأن شهرته عمت جميع الاقطار ، وتحول محبسه الى مزار تؤمه وفـود الطلاب والزوار من مختلف الجهات . وفي هذا الطور الاخير من حياته ألـَّفَ اشهر كتبه.

وكان رحمه الله عصبي المزاج كثير الشكوك ، لذلك ظهر التناقض في بعض آرائه في المسألة الواحدة فكان يؤمن بالشيء تارة ، وتارة يكفر به ، ولذلك شك الناس في عقيدته وقال عنه اعداؤه انه زنديق كافر ودسوا عليه كثيراً من الشعر والكلام المكذوب المفترى . وقال آخرون إنـــه مؤمن مسلم . والحقيقة ان الرجل سليم العقيدة حسن الايمان فقد كان يبكي عند ما يقرأ القرآن .

توفي بالمعرة سنة ٤٤٩ هـ ولم يبلغ نعيُهُ أهـــل العلم والادب حتى هالتهم المصيبة وهبوّا لتكريمه فوقف على قبره نحو ثمانين شاعراً يرثونه . ومما قاله احدهم :

ما كنتُ أعلمُ وهو يودَع في الثرى   أنَّ الثرى فيه الكواكب تودع
تتصَرَّم الدنيـــا وتأتي بعـــده   أُمم وأنت بمثله لا تسمع
ماتَ النُّهى وتعطلت أسبابـــه   وقضى التأدب والمكارم أجمع

وآثاره نوعان :

أ ـ شعرية ومنها :

١ ـ اللزوميات وهي ديوان شعره في كهولتـــه ضمَّنه آراءه الفلسفية في

الشرائع والمذاهب والعادات ونظم الحياة، ولم يطرق شاعر قبله ولا بعده هذه الاغراض .

٢ ـ سقط الزَّند : وهو ديوان شعره في شبابه ، ولقد جرى فيه على نسق الشعراء الاخرين في موضوعاته واغراضه .

٣ ـ الدِّرعيات : وهي ديوان شعره في وصف الدروع .

ب ـ نثرية ومنها :

١ ـ رسالة الغفران ؛ وهي قصة خيالية عن الجنة والنار عرضها عرضاً ممتعاً جذاباً .

٢ ـ كتاب الفصول والغايات ولم يصلنا كله .

٣ ـ رسائل أخرى كرسالة الملائكة ورسائل الحيوان ، ويغلب على رسائله النثرية السجع المتكلّف .

٤ ـ شرح ديوان الحماسة .

٥ ـ له تعليقات على ديوان البحتري سماها « عبث الوليد » .

٦ ـ شرح ديوان المتنبي وسماه : « معجز أحمد » .

قال المعرّي مفتخراً :

١ وكم من طالبٍ أمري سيَلقى دُوَيْنَ مكانيَ السَّبْعَ الشِّدادا

٢ ليَ الشَّرفُ الذي يطأ الثرّيّا مع الفضل الذي بَهَرَ العِبادا

---

١ ـ طالب أمري : أي طالب غايتي . دوين : تصغير دون . السبع الشداد : السماوات السبع .

٢ ـ بَهَرَ العباد : غلبهم ، من بهرَ القمرُ النجومَ أي غلبها بنوره .

٣ أفلُّ نوائبَ الأيام وحدي إذا جمعَتْ كتائبها احتشادا
٤ ولي نَفْسٌ تَحُلُّ بِيَ الرَّوابي وتأبى أن تَحُلَّ بِيَ الوِهادا
٥ تَمُدُّ – لتقبضَ القمرين – كفاً وتحمل – كي تَبُذَّ النجمَ – زادا
٦ ولو أني حُبيتُ الخُلْدَ فرداً لما أحببتُ بالخلد انفرادا
٧ فلا هَطَلَتْ عليَّ ولا بأرضي سحائبُ ليس تَنْتَظِمُ البلادا

*

وقال في الحكم :

٨ ظلمُ الحمامة في الدنيا وإن حُسِبَتْ
في الصالحاتِ كظلْمِ الصَّقْرِ والبازِ

*

٩ ولتَفْعَلِ النفْسُ الجميلَ لأنه خيرٌ وأحسَنُ لا لأجل ثوابها
١٠ اذا بَكْرٌ جَنَى فَتَوَقَّ عمْراً فإنَّ كِلَيْهما لِأبٍ وأُمِّ

---

٣ ـ أفلُّ : أكسر . الكتائب : جمع الكتيبة أي الفرقة من الجيش . الاحتشاد : الاجتماع .
٤ ـ الوهاد : جمع وَهْد : وهو المنخفض من الارض .
٥ ـ تبذُّ النجم : من بذه أي غلبه . والمعنى : ان نفسه لا تمد كفها إلا لتنال بها القمرين ، الشمس والقمر ، كناية عن الرفعة ، واذا حملت الزاد وتنقلت فلكي تنال من منازل الرفعة ما تغلب فيه النجمَ في أعاليه .
٦ ـ الخلد : دوام البقاء .
٧ ـ هطل السحاب : سحَّ بالمطر . تنتظم البلاد : تشملها .

الاسئلة

١ ـ أنثر البيتين السادس والسابع وبيّن الفكرة العامة والانسانية فيهما .

٢ ـ قارن بين البيت الثامن وقول أبي الطيب المتنبي :

والظلمُ من شِيَمِ النفوس فإن تجدْ ذا عِفَّـةٍ فلعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ

وبيّن أيهما أكثر عمقاً واستقصاء من الآخر .

٣ ـ ماذا يقصد من البيت العاشر ؟

٤ ـ إشرح الأبيات السبعة الاولى شرحاً أدبياً .

مصادر

١ ـ ذكرى أبي العلاء	لطه حسين .
٢ ـ مع أبي العلاء في سجنه	لطه حسين ايضاً .
٣ ـ رسالة الغفران	تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء .
٤ ـ الحياة الانسانية عند أبي العلاء	« « «
٥ ـ تحديد ذكرى أبي العلاء	لطه حسين .
٦ ـ المهرجان الالفي لابي العلاء المعري	دمشق ١٩٤٥ .
٧ ، المفصل في تاريخ الادب العربي	للاسكندري وجماعته
٨ ـ أبو العلاء ناقد المجتمع	للدكتور زكي المحاسني .
٩ ـ الفن ومذاهبه في الشعر	لشوقي ضيف .

اسئلة ومواضيع

١ ـ قال أحد الأدباء المعاصرين : « ... قال الذين عنوا بترجمة أبي العلاء إنه فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة ، يريدون بذلك أنه لم يقع في الشعراء على كثرتهم وعلى اختلاف عصورهم من عرض للمعاني الفلسفية والاجتماعية التي عرض

لها المعري في شعره حتى كاد يكون ديوانه مجموعة فلسفية ، فهو من هـذه الجهة فيلسوف الشعراء ، ولم يرَ التاريخ الفلسفي فيلسوفاً غيره عمد الى المعاني الفلسفية الصعبة فوضعها في قالب شعري بديـع سهل يسهُل على الناس حفظـه وفهمه ، فاستحق بذلك ان يكون شاعر الفلاسفة » .

ناقش هذا القول مستشهداً بجملة صالحة من شعره .

٢ ـ إئتنا بنص من رسالة الغفران وادرس خصائص أبي العلاء النثرية فيه .

٣ ـ قال أبو العلاء :

أكان أبوكم آدمٌ في الذي أتى   نجيباً فترجون النجابةَ في النسل

إشرح هذا القول مبيناً رأي أبي العلاء في اخلاق الانسان وأحواله .

الشريف الرضي

هو أبو الحسن محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضي . ولد ببغداد سنة سنة ٣٦١ ﻫ من أب ينتهي نسبه الى علي بن أبي طالب ونشأ وتعلم بها وأقبل على الادب والعلم برغبة فائقة وذهن وقاد وعقل كبير قادر على الاصطفاء . وكان ذا هيبة وجلال وعفّة وورع . قال الشعر ولمّا يتجاوز العاشرة من عمره ونبغ فيه حتى سمي شاعر قريش . وقال الشعر على طريقة القدامى الذين تمسكوا بعموده وبألفاظ جزلة ومعان فخمة وقوالب رائعة . ويعد شعره من الطبقة الاولى مبنىً وإبداعاً وإشراقاً . وانتهت اليه نقابة الاشراف الطالبيين في حياة والده . وكان مرزّءاً فقد اعتقل والده ، وصودرت أمواله . إلا ان ذلك لم يكن لينتقص من عزة نفس الشريف الرضي ويحط من رفيع اخلاقه . وكان يطمع في الخلافة وتوفي سنة ٤٠٦ ﻫ عن خمس واربعين سنة .

له ديوان مطبوع في جزءين أكثره في الفخر والرثاء والمديح والغزل ؛ ولم يكن في مديحه متكسباً .

جمع خطب جده الامام علي كرم الله وجهه في كتاب أسماه (نهج البلاغة) الا انه لم يدقق تدقيقاً علمياً في صحة نسبة بعض خطبه الى الامام . وله كتاب « المجازات النبوية ومجازات القرآن » .

وفي الفترة التي عاشها الشريف الرضي طغت الروح الفارسية على كل شيء واستفحل امر الشعوبية حتى ان ديوان الشاعر الفارسي مهيار الديلمي يكاد ان يكون اكثره فخراً بقوميته الفارسية . وكان لذلك رد فعل قوي عند ذوي

النفوس الأبية من الشعراء العرب كالشريف الرضي والمتنبي وابي تمام والبحتري من قبلها فجاء ادبهم معبراً عن الروح العربية بكل مـــا تحمل من شجاعة ومروءة ؛ ورفضوا الواقع المخزي الذي كان يحياه الشعب العربي في العراق في ذلك الحــين وخصوصاً في عصر الشريف الرضي الذي تعلق بالقومية العربية تعلقاً شديداً ودافع عنها ضد طغيان الشعوبية . واليك احدى صيحاته ونفثاته التي يتمنى بها ان يغير العرب الأقحاح على بغداد ويطهّروها من رجس الفرس وغيرهم من الاعاجم :

١ نَبَّهْتُهُمْ مِثْلَ عَوَالي الرِّماحْ الى الوغى قبْلَ نمُومِ الصَّباحْ

٢ فوارسٌ نــالوا المُنى بالقنا وصافحوا أغراضهم بالصِفاح

٣ لغــارةٍ ، سامِعُ أنبائهـــا يَغَص منها بالزلال القَراح

٤ متى أرى الزَّوْرَاء مرتجَّةً تُمْطَرُ بالبيض الظُّبا أو تُراح

٥ يصيح فيها الموْت عن ألسُن من العوالي والمواضي ، فِصَاح

٦ متى أرى الأرضَ ، وقد زُلْزِلَتْ
بعـــارضٍ أغـــبرَ دامي النواح

٧ متى أرى النَّاسَ ، وقد صُبِّحوا
أوائــلَ اليــوم بطعنٍ صُراح

---

١ ـ نموم الصباح اي سطوعه وظهوره .

٢ ـ الصفاح : السيوف .

٣ ـ القـرَاح : الماء الصافي .

٤ ـ الزوراء : مدينة بغداد .

٦ ـ العارض : صفحة الخد ، دامي النواح : تسيل الدماء من نواحيه .

٨ يلتفت الهـــارب في عِطْفِهِ مُرَوَّعاً ، يرقُب وقع الجراح
٩ متى أرى البِيض ، وقد أمطرت
سَيْلِ دمٍ يغلب سَيْلَ البِطــاح
١٠متى أرى البَيْضَةَ مصدوعةً عن كلِّ نشوانٍ طويل المِراح
١١صَبَرْتُ نَفْسِي عند أهوَالها وقلتُ من هَبْوَتِها : لا بَرَاح
١٢إمَّا فتىً نال العُلا فاشتفى أو بطلٌ ذاق الرَّدى فاستراح

الاسئلة

١ ــ اعرب البيت الثالث وقطّعه عروضياً وسم بحره .
٢ ــ ماذا تجد في البيتين الخامس والعاشر من الصور البيانية .
٣ ــ اشرح الابيات شرحاً أدبياً .

مصادر

١ ـ يتيمة الدهر للثعالبي
٢ ـ عبقرية الشريف الرضي للدكتور زكي مبارك
٣ ـ الرؤوس لمارون عبود

---

٩ ــ البيض : السيوف .
١٠ ــ المِراح : المرح والاشر والبطر .
١١ ــ الهَبْوَة : الغبرة . لا براح : لا ريب .

اسئلة ومواضيع

١ ـ قال اصحاب المجمل عن الشريف الرضي : « يغلب على شعره الفخر والنسيب على طريقة المتقدمين في لفظ جزل ومعنى فخم » .

اوضح هذا القول وناقشه واستشهد على ما تقول بشواهد من شعر الشريف الرضي .

٢ ـ شعر الشريف الرضي يدل على عزة نفسه واعتداده بذاته . اوضح ذلك مستشهداً بشعره .

٣ ـ اختر احدى قصائده في الفخر وادرسها دراسة ادبية .

مجمل خصائص الشعر
في العصر العباسي

تطور الشعر في العصر العباسي في الفاظه ، واسلوبه ، ومعانيه ، واغراضه ، واوزانه ، وقوافيه

أ ـ التطور في الالفاظ والاسلوب :

١ ـ تطور الشعر العباسي في الفاظه واسلوبه فمال الى الرقة بدلاً من الخشونة واستعمال الغريب ، متأثراً بطبيعة الحياة الحضرية الجديدة ، وصار الشاعر العباسي يفضل اللفظ اليسير ، السهل ، المقبول في السمع مع جزالة في الاسلوب ورصانة ، ومن ذلك شعر البحتري فهو رقيق اللفظ جزل الاسلوب في آن واحد .

٢ ـ مال الشعر الذي كان ابن الطبع وحده الى قيود من الصناعة اللفظية تحسن اليه احياناً فتجعله جميلاً وتسيء اليه احياناً اخرى بالتكلف الذي ينبو عن الذوق . ومن هذه القيود الاكثار من الصور البيانية ، والتعقيد في اخيلتها وصورها ، والمحسنات البديعية . ومنهم من اتخذها مذهباً له كأبي تمام .

٣ ـ دخلته الالفاظ الاعجمية والاصطلاحات الفنية والفلسفية ولا سيما الشعر التعليمي .

ب ـ التطور في المعاني :

١ ـ تناول التطور معاني الشعر العباسي على صورة واسعة، فقد اخذت المعاني الحضرية تطغى على المعاني البدوية ، الا ما كان عند المحافظين والمقلدين . وقد يجمع الشاعر بين الناحيتين ارضاءً لنفسه وارضاءً لذوق المحافظين. وكان من اهم اسباب ذلك، الامتزاج بين الاجناس المختلفة، وظهور شعراء ينحدرون باصلهم وعقلهم من أصول مختلفة كبشار وابن الرومي .

٢ ـ من المعاني **ما كان مألوفاً** وهي التي يشترك فيها الناس لسهولتها وابتذالها كتشبيه الكريم بالغيث والبحر .

ومنها **ما كان قديماً** ، وهي التي توارد عليها المحدثون ولكنهم زادوا عليها أو أبرزوها في أثواب جديدة ، ومنها **ما كان محدثاً** وهي المبتكرة التي تنافس فيها الشعراء .. ولقد رأينا الكثير منها عند أبي تمام وابن الرومي وأبي العلاء المعري .

٣ ـ اعتنى الشعراء العباسيون بالتناسب بين أجزاء القصيدة الواحدة ، فلم يعد البيت وحدة مستقلة كما كان قبلاً بل غدت القصيدة كلها وحدة مترابطة كالاعضاء في الجسد الواحد. وكان النقاد يفرضون على الشاعر ان يحسن التخلص حين الانتقال من غرض الى آخر ويحسن الربط بين أجزاء القصيدة .

ج ـ التطور في الاغراض والفنون :

١ ـ انعدم الشعر السياسي في هذا العصر بل استحال الى هجاء شخصي .

٢ ـ ازداد الهجاء فحشاً وقبحاً ومال الى تصوير المهجوّ تصويراً كاريكاتورياً مضحكاً كما نجد عند ابن الرومي .

٣ ـ انعدم الغزل العذري لفساد القلوب بالترف وقام مقامه غزل تقليدي كغزل المتنبي وأبي تمام .

٤ ـ راجت بضاعة المدح وارتفع أصحابه لانه كان لغة الملَق والتودد الى السلطان ، واتصف بكثرة المبالغة لدرجة ممقوتة . وقد لا نجد هذه الصفات

عند أمثال المتنبي وأبي تمام لقوة شخصيتهما .

٥ ـ تقدم الوصف وأخذ الشعراء يصفون معالم الحضارة الجديدة كالقصور والبساتين وأدوات اللهو كما نجد ذلك عند البحتري وغيره .

٦ ـ واستحدث في الشعر السياسي **فن المجون** وهو ثمرة فساد الاخـــلاق وانحلال الروابط الاجتماعية وتسلط الإماء في الحياة المنزلية ، ورخص اللذات.

٧ ـ واستحدث ضد المجون **فن الزهد** يقابل ذلك التطرف في اللذات .

٨ ـ واستحدث كذلك **شعر التصوف** وكان نتيجة لظهور الفلسفة في هذا العصر كما قدمنا .

٩ ـ واستحدث ايضاً **الشعر التعليمي** وقد تقدم ذكره .

د ـ التطور في الاوزان والقوافي :

١ ـ ظلت الاوزان المعروفة تقريباً ، ومال شعراء هذا العصر الى الاوزان الخفيفة السهلة وصاروا يختارون لكل موضوع ما يلائمه من الوزن .

٢ ـ ظلت القوافي مسيطرة على القصيدة ، وأصبح الشعراء يبتعدون عن عيوب القافية ما أمكنهم ، ومنهم من ضيّق على نفسه في القافيـــة والتزم فيها لزوم ما لا يلزم كأبي العلاء المعري في ديوانه اللزوميات .

النثر

في العصر العباسى

الخطابة

لم يكن للخطابة شأن يذكر إلا في صدر هذا العهد ، حين كثرت الاحداث السياسية والحربية ؛ وفيما كان الصراع على أشدّه بين العنصر العربي الذي يريد الاحتفاظ بتفوقه وسلطانه، والعنصر الفارسي الذي كان يستغلُّ الحركة العباسية للقضاء على العرب ويستغلّه الخلفاء العباسيون العرب للقضاء على خصومهم من أبناء جنسهم ومن غير ابناء جنسهم. وكان خطباء هذا العهد كلهم أو جلّهم من المخضرمين الذين عاشوا في الدولتين الاموية والعباسية .

ولقد ضعف شأن الخطابة بعد عهد المنصور لعدة اسباب منها:

١ ـ كثرة الجيوش الاسلامية كثرةً جعلت من المستحيل ان يستطيع اي خطيب الوقوف امامها ليسمع جميع افرادها ما يريد إبلاغهم إياه من أمور هامة أو ليحثهم على القتال .

٢ ـ إن الاجناس الاعجمية غلبت في كثرتها على العنصر العربي في الجيوش وبعض المدن وليس في استطاعتها ان تفهم من خطيب عربي ما يريد ان يحدّثها به في خطبته .

٣ ـ إن الخلفاء والقواد أنفسهم أصبحوا يتعلمون اللغة العربية كما يتعلمهـــا

الاعاجم وفقدوا سليقة التكلم بها بطلاقة شأن أندادهم في الجاهلية وصدر الاسلام وفقدوا معها المؤهلات النفسية الضرورية للخطابة .

٤ ـ اتساع المدن اتساعاً لا يستطيع معه أي خطيب ان يسمع آلافاً مؤلفة من أهلها ما يريد قوله في خطبته .

٥ ـ كمّ الافواه واستعمال الشدة مع الناس في كل ما يتصل بأمور السياسة مع العلم ان الخطابة لا يمكن ان تزدهر إلا في ظل نظام عادل تتّسع فيه حرية القول .

ومن اجل ذلك كله نابت المناشير في الجيوش والمدن مناب الخطابة في العصور السابقة واقتصرت هذه على خطب الجمع والعيدين مكتوبة على الورق ومعدّة من قبل إلقائها . وإليك نموذجاً من خطب صدر هذا العصر لأبي جعفر المنصور .

قال من خطبة له «بالمدائن»، قرب بغداد، بعد ما قتل أبا مسلم الخراساني:

أيُّها الناس !

١ ـ لا تَخْرُجُوا مِنْ أُنْسِ الطَّاعةِ الى وحْشَةِ المَعْصِيَةِ ! ولا تُسِرُّوا غِشَّ الأئمةِ ، فإنه لم يُسِرَّ أحَدٌ مُنْكَرَةً إلا ظَهَرَتْ في آثار يده ، وَفلَتَاتِ لسانه ، وصَفحَاتِ وجهه . وأبداها اللهُ لإمامِهِ باعزاز دينِهِ وإعلاء حقِّهِ .

٢ ـ إنَّا لم نَبْخَسْكُمْ حقوقكم ، ولَنْ نَبْخَسَ الدّين حقَّه عليكم ، إنه من نازعنا عُروةَ هذا القميص أجزَرْناه خبيَّ هذا الغِمْد ؛ وإن أبا مسلم

(١) أسَرَّ الشيء : كتمه ولم يعلنه .

(٢) لم نَبْخَسْكُم حقكم : لم نهضم لكم حقاً ولم ننقض لكم عهداً . أجزْرناه : أعطيناه جزوراً من النوق او الغنم ليذبحها ، ولكن المقصود بالجزور هنا السيف الذي كنى عنه : بخبي هذا الغمد .

بايعنا ، وبايع الناسَ لنا ، على أنه من نكث بنا فقد أباح دَمَهُ . ثم نكث بنا فحكمنا عليه لأنفُسِنا حُكْمَهُ على غيرِهِ لنا ، ولم تَمْنَعْنا رعايةُ الحقّ له في إقامَةِ الحقّ عليه .

الاسئلة

١ ـ ما هي مناسبة هذه الخطبة ؟ ومـا هو محل أبي مسلم الخراساني من قيام الدولة العباسية ؟

٢ ـ بيّن الافكار الاساسية في هذه الخطبة .

٣ ـ تكلّم عن أسلوب هذا النص .

٤ ـ هاتِ خطبة أخرى لأبي جعفر المنصور وادرسها دراسة أدبية وافية .

صاحب النص : هو أبو جعفر عبدالله بن محمد بن علي ، الملقّب بالمنصور ، تولّى الخلافة بعد أخيه أبي العبّاس السفّاح سنة ١٣٦ هـ ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، وقد أقام حكمه على البطش وسفك الدماء . وممن بطش بهم عمه عبدالله بن علي الذي ثار عليه بالشام ، وأبو مسلم الخراساني ، ومحمد النفس الزكية ، وأخوه ابراهيم . وقد تمّ في عهده بناء مدينة بغداد على ضفة دجلة الغربية . وتوفي عام ١٥٨ هـ.

نهضة النثر الكتابي (الفني)

في هذا العصر

لم تكن الكتابة في العصور العباسية على حالة واحدة ، فقد تأثرت بعوامل مختلفة ، أو قل أثرت فيها العوامل المختلفة المؤثرة في مختلف نواحي الحياة العامة من سياسية واجتماعية ودينية وثقافية واقتصادية ، وجعلتها تنتقل من طور الى طور . وظهرت فيها في الطور الأول ، الموافق لأول عهود الدولة العباسية، طريقة ابن المقفّع الحرّة المرسلة التي تعتمد على المنطق والدقة في أداء المعاني ، من غير ان تعنى بموسيقا الجملة وتلوينها . وهذه الطريقة في الكتابة توافق كل الموافقة عهد الترجمة والنقل .

ولما هضم العرب العلوم المترجمة ، وانصرفوا الى التصنيف والابتكار ظهرت طريقة الجاحظ الحرة المرسلة التي تعتمد على التوازن والازدواج بين الجمل وتكرار الجمل المترادفة والمتقاربة لاستقصاء المعاني ، واداء أجزائها وألوانها الدقيقة مع الوضوح والجمال ؛ واللفظ في هذه الطريقة كسابقتها خادم للمعنى.

ولما أوغل الناس في الحضارة وتأنّقوا في أساليب معاشهم وفي علاقاتهم ، وكل ما يحيط بهم ، ظهرت طريقة البديع التي تتكلّف السجع والمحسّنات البديعية .

ولما جمدت قرائح الناس وقلّ الابتكار أو انعدم ظهر أدب المقامات الموغل في الصنعة ايغالاً، فاسترسل الناس فيه بعد الحريري، وبالغوا فيه في أواخر الدولة

العبّاسيّة ، حتى انتهى بهم الأمر الى إيثار أسلوب القاضي الفاضل ومحا كاته ؛ وهو يمثل أقصى ما يمكن ان تصل اليه الكتابة من تصنّع وتكلّف للصناعة البديعية والبيانية . وسنقدم اليك نماذج من النثر الفني لهـذا العصر لكل من ابن المقفّع والجاحظ وابن قتيبة وابن العميد ولأدباء المقامات كالهمذاني والحريري على الترتيب .

ابن المقفّع

هو عبدالله بن المقفّع ، وكنيته أبو عمر ، فارسي الأصل ، إلا انه نشأ نشأة عربيــة ، فقد ولد بالبصرة سنة ١٠٦ هـ. ودرس اللغــة العربية وقوّم لسانه بفصيح كلامها ، وأكبَّ على العلم والأدب في حلقات الدرس حتى تضلع بالعربية والفارسية وآدابها . وكان نادرة في الذكاء حتى قيل عنه : لم يكن في العجم أذكى من ابن المقفّع ولا أجمع لعلم وأدب . وكان وافر العقــل حتى قيل عنه أيضاً : كان عقله أكثر من علمه . واشتهر ابن المقفع بقوة الكتابة وكتب لبعض الولاة في أواخر العهد الاموي. واتصل في العهد العباسي بأعمام المنصور، وكان مؤدباً لبعض أولادهم . وكتب لسليمان عم المنصور اثنــاء ولايته على البصرة ، كما ترجم عدة كتب عن الفارسية للخليفة المنصور ، إلا انه لم يتصل به اتصالاً مباشراً .

ولما عزل المنصور عمه سليمان بن علي عن البصرة وولى مكانه سفيان بن معاوية غضب ابن المقفع لولي نعمته سليمان ونقم على سفيان هذا وراح يتهكم عليه في كل مناسبة ، فكان اذا دخل عليه قال له : « السلام عليكما » أي عليه وعلى أنفه لأن أنفه كان كبيراً . ثم ان عبدالله بن علي ، عم المنصور ، ثار عليه ، ولمــا انكسر أمام جيوش أبي مسلم الخراساني هرب واختفى عند أخيه سليمان والي البصرة ، وكان هذا من اسباب عزله، ثم اختفى عند أخيه الثاني عيسى . وكان المنصور يطلبه منهما فيأبيان عليه إلا بعهد يكتبه على نفسه كي لا يغدر به. ولما وافق المنصور على العهد كلفا ابن المقفع كتابته فتشدد في ذلك ، وكان مما كتبه

فيه : « ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبدالله بن علي ، فنساؤه طوالق ، ودوابه حبس ـ أي موقوفة في سبيل الله خارجة عن ملك صاحبها ـ وعبيده أحرار ، والمسلمون في حلّ من بيعته » . كل هذه الاسباب جعلت المنصور ينقم عليه فأوعز الى واليه على البصرة سفيان بن معاوية المهلبي بقتله ، فقتله بتهمة الزندقة سنة ١٤٢ هـ ، وله من العمر ست وثلاثون سنة .

والمدقق في آثار ابن المقفع كلها لا يرى فيها أثراً للزندقة مطلقاً ولا شيئاً مخالفاً للشريعة الاسلامية ، وهذا يدل دلالة قاطعة على ان الزندقة مجرّد تهمة اتهم بها ابن المقفع لتكون السبب المباشر لقتله . أما الاسباب الحقيقية فقد كانت سياسية كما قدمت .

وكان ابن المقفع ، رحمه الله ، معروفاً باخلاصه لأصدقائه ورزانته ورجاحة عقله وصدقه وبعده عن الحسد ، وكل هذه من صفات الرجل الكريم . كما كان مولعاً بالغناء ، يحضر مجالسه ومجالس الشراب دون ان يقدم على فحش او دنيّة . وكان في مجالسه هذه يعاشر جماعة من أدباء البصرة الخلعاء أمثال مطيع بن أياس وبشار بن برد، وحماد عجرد، ووالبة بن الحباب وغيرهم ، ولعل معاشرته لأمثال هؤلاء هي التي دعت الى اتهامه بالزندقة .

وترجم ابن المقفع عن اللغة الفارسية كتباً كثيرة وصل الينا منها : كتاب (كليلة ودمنة) وهو كتاب في السياسة والاخلاق الشخصية موضوع على ألسنة الحيوانات والطيور . وألف كتابي : الأدب الصغير والأدب الكبير ، وهما في الاخلاق والعلم والاجتماع والحكمة والنصائح وأسلوبها أسلوب خطابي جاف . ومن آثاره ايضاً عدة رسائل جمعها الاستاذ محمد كرد علي في كتابه (رسائل البلغاء) . واليك نصاً له :

قال ابن المقفع في كتابه الأدب الصغير :

« لا يُؤْمِنَنَّكَ شرُّ الجاهِلِ قرابةٌ ولا جِوارٌ ولا إلفٌ(١) فإنَّ أخوَفَ ما يَكونُ الأنسانُ لحريقِ النارِ أقرَبُ ما يكونُ منها . وكذلك الجاهلُ إنْ جاورَكَ أنصَبَكَ(٢) ، وإنْ ناسَبَكَ(٣) جَنَى عَلَيْكَ ، وإنْ أَلِفَكَ حَمَلَ عليكَ ما لا تطيقُ ، وإن عاشَرَكَ آذاكَ وأخافَكَ مع أنَّهُ عند الجوع سَبُعٌ ضارٍ(٤) ، وعند الشِّبَعِ مَلِكٌ فظٌ ، وعند الموافقةِ في الدِّين قائدٌ الى جَهَنَّمَ . فأنتَ بالهربِ منه أحَقُّ مِنْكَ بالهَرَبِ من سُمِّ الأَساوِدِ والحريقِ المَخُوفِ والدَّيْنِ الفادحِ والدَّاءِ العَيَاء » .

الاسئلة :

١ ـ أذكر ما في هذا النص من الفنون البيانية .
٢ ـ بيّن ما في جمله من تقديم وتأخير واذكر اسبابها .
٣ ـ من أي نوع أسلوب هذا النص (مرسل ، مجموع ، مزدوج) .
٤ ـ ما هو موضوع النص وما هي أفكاره الاساسية .
٥ ـ إشرحه شرحاً أدبياً .

★

---

(١) الإلف : الألفة والصداقة . (٢) أنصبك : أتعبك، والنصَب التعب . (٣) ناسبك : صار نسيبك أي قريباً لك في النسب . (٤) سبع ضار : شديد الفتك والسبع من الحيوان كل وحش مفترس آكلٍ للحوم . الفظ : الغليظ الطبع . الأساود : جمع أسود وهو الأفعى السوداء العظيمة . الدين الفادح : الثقيل والصعب الوفاء . الدّاء العياء : الذي لا يبرأ منه المصاب به .

وقال ابن المقفع ايضاً :

رأسُ الذُّنوب الكَـذِبُ ، هو يؤسّسُها ، وهو يتفقدهـا ، ويُثبّتهـا ويَتَلَوَّن ثلاثةَ ألوانٍ : بالأمنِيّةِ ، والجُحود ، والجَدَل . يَبْدأُ صاحبَهُ بالأمنيّة الكاذبة فيما يُزيّن له من السَّوْءات ، فيشجّعُهُ عليها أن ذلك سيخفى . فإذا ظهر عليه قابله بالجُحود والمكابرَة . فإنْ أعياه ذلكَ ختَمَ بالجَدَلِ فخاصم عن الباطِلِ ، وَوَضَعَ له الحُجَجَ ، والتمس به التثبُّتَ ، وكابر الحقَّ حتى يكون مشارعاً للضلالة ، ومكابراً بالفواحش .

الاسئلة :

أ ـ ما معنى الجمل الآتية :

فيشجعه عليها أن ذلك سيخفى .

خاصم عن الباطل . ووضع له الحجج . وكابر الحق .

د ـ أذكر ما ظهر لك من مميزات أسلوب ابن المقفع في هذه القطعة .

مصادر

١ ـ الوسيط في تاريخ الادب العربي — للاسكندري

٢ ـ المفصل في الادب العربي — للاسكندري وجماعته .

٣ ـ أمراء البيان — لمحمد كرد علي .

٤ ـ من حديث الشعر والنثر — للدكتور طه حسين .

٥ ـ تطور الاساليب النثرية — لأنيس المقدسي .

٦ ـ ضحى الاسلام — لأحمد امين .

٧ ـ الفن ومذاهبه في النثرالعربي — لشوقي ضيف .

٨ ـ الادب الكبير والصغير — لابن المقفع

اسئلة ومواضيع

١ ـ كان ابن المقفع كاتباً حكيماً لا كاتب دواوين ، اشتهر بأسلوبه المنطقي وبسلاسة ألفاظه ودقة مدلولها . وهو أول من جعل تأديب الملوك بالحكايات والاشارات والامثال .

أوضح هـذا القول وناقشه وبيّن ميّزة ابن المقفّع في الانشاء واستشهد على ذلك بنماذج من كتاباته وإنشاءاته .

٢ ـ لخص باباً من أبواب كتاب « كليلة ودمنة » لابن المقفع وبيّن قيمة هذا الكتاب من الناحية الاجتماعية ومن الناحية الانسانية..

الجاحظ

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ لجحوظ في عينيه . ولد بالبصرة سنة ١٥٩ هـ ونشأ بها نشأة فقيرة ، وكان يتيم الأب يبيع السمك ليقتات ، إلا انــه أكبّ على طلب العلم برغبة شديدة في حلقات المسجديــين في البصرة ، وفي حوانيت الوراقين ، التي كان يكتريها في الليل ، فاكتسب من ذلك شيئاً كثيراً من العلم والثقافة والفصاحة . وكانت البصرة آنذاك هي المركز الثقافي الثاني بعد بغداد، فدرس اللغة والأدب على أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وأبي الحسن الأخفش ، وهم أئمة اللغة والأدب في ذلك العصر . ودرس الفقه والحديث على أبي يوسف صاحب أبي حنيفة وتخرّج في علم الكلام والاعتزال على النظّام إمامِ عصره في ذلك الحين. ونزع نزعة اعتزالية وشكل فرقة خاصة به عرفت بالجاحظية ، نسبة اليه .

وكان يزور المربد ، سوق البصرة الادبي ، ويتلقى الفصحى عن الأعراب مشافهة مما ساعده على غزارة الفاظه وتقوية لغته وفصاحته .

وكان الجاحظ اجتماعياً يحب المعاشرة والاختلاط ، فاختلط بطبقات المجتمع في عصره ، واختلط بالناس صغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم واستفاد من ذلك إفادة كبيرة ، وظهر أثر ذلك في كتبه . وهكذا اشتهر الجاحظ في عصره حتى انه لم يكن ليمرّ أديب أو طالب عــلم بالبصرة إلا ورغب في مشاهدتـــه والاستماع الى حديثه .

ورحل الجاحظ الى بغداد واحتك بعلمائها وفقهائها . ولما سمع المأمون به

واطلع على بعض مؤلفاته استدعاه وجعله على ديوان رسائله ، فلم يمكث فيه غير ثلاثة ايام لانه لم يطق مزاولة الوظيفة والتقيد براسيمها ، وعاد الى الكتابة والتأليف ، وبقي على ذلك حتى آخر حياته .

واتصل الجاحظ في خلافة المعتصم بابن الزيات وأهداه كتاب « الحيوان » وصار صديقاً حميماً له ، وأفاد منه أموالاً طائلة. ولما تولى المتوكل الخلافة وفتك بابن الزيات وولّى الوزارة بدلاً منه خصمه القاضي احمد بن أبي دؤاد خاف الجاحظ وهرب ، وطلبه القاضي حتى ظفر به ثم عفا عنه وقرّبه فانقطع اليه وأهداه كتاب « البيان والتبيين » . ثم اتصل بعده بالفتح بن خاقان وزير المتوكل وأهداه بعض كتبه ، وأثنى الفتح عليه عند المتوكل إلا انه لم يقرّبه منه لدمامة وجهه .

وأصيب الجاحظ في أواخر حياته بالفالج ثم بالنقرس ولقي منهما آلاماً مبرّحة حتى مات في البصرة سنة ٢٥٥هـ. واشتهر بطريقة في الإنشاء تنسب اليه وتعرف باسمه كان فيها قدوة للمنشئين وإماماً لهم في العصر العباسي الثاني .

وترك لنا مؤلفات عديدة عدّها بعضهم بالمئات وفي هذا القول مبالغة . واليك بعضها

١ ــ كتاب الحيوان، ولم يقتصر في أبحاثه على الحيوان ، بل جال فيه المؤلف جولات واسعة في الأدب والدين والاجتماع والاخلاق والفلسفة .

٢ ــ كتاب البيان والتبيين . وهو موسوعة أدبية أورد فيها الجاحظ كثيراً من أخبار العرب وأشعارهم وآرائه في فنونهم الأدبية وشعرائهم وخطبائهم ، وأتى فيه على كثير من نوادرهم .

٣ ــ كتاب البخلاء الذي أورد فيه كثيراً من أخبارهم ونوادرهم وما قيل في مدحهم وذمهم وتحدث عن المآدب وكرم العرب وفقرهم وغناهم وغير ذلك من الأمور التي تتصل بموضوع البخل .

ومما يؤخذ عليه في أكثر كتبه استطراده من موضوع الى آخر ، وعدم جمعه البحث وانهائه في مكان واحد من الكتاب ، وعدم مراعاة الترتيب التاريخي او الموضوعي في تأليفه . وقد ذكر الجاحظ أنه تعمد ذلك كي ينفي الملل والضجر عن القارىء ويحمله على قراءة كتبه بان يتنقّل من الجد الى الهزل ومن موضوع الى آخر واليك نصاً من كتاباته :

قال الجاحظ يصف فضائل الكتاب :

١ ـ الكتاب.. نعم الأنيسُ ساعة الوحْدة! ونعم المعرِفَةُ ببلادالغُرْبَة.

٢ ـ والكتابُ .. وِعاءٌ مُلِيءَ عِلْماً ، وَظَرْفٌ حُشِيَ ظَرْفاً ، وإناءٌ شُحِنَ مُزاحاً وجِدّاً . إن شئتَ ضحِكْتَ من نوادره ، وإن شئت عجبتَ من غرائب فرائده ، وإنْ شئتَ ألْهَتْكَ طرائفُهُ ، وإن شئت أشجتكَ مواعِظُهُ .

٣ ـ وبَعْدُ ، فمن لَكَ بمؤنسٍ لا ينام إلا بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى ، آمن منْ في الارض ، وأكتَم للسِّرّ من صاحب السِّرّ !

٤ ـ ولا أعلم قريناً أحسن موافاةً ، ولا أعجل مكافاةً ، ولا شجرة أطول عمراً ولا أطيب ثمرةً ، ولا أقرب مجتنىً ، ولا أسرع إدراكاً ، ولا أوجد في كل إبّانٍ من كتاب .

الاسئلة

١ ـ ما هي أنواع الاسماء المشتقة في الكلمات الآتية :
الأنيس . أكتَم للسر .

٢ ـ أعرب من النص : ظرف حشي ظرفاً ، من لك بمؤنس .

٣ ـ استخرج جملاً فيها صور بيانية ، وأخرى فيها محسنات بديعية ، واذكر ما أعجبك منها .

---

٢ ـ الظرف الأول : الوعاء ، والثاني كياسة اللسان والبراعة والذكاء .
أشجتك : أحزنتك .

٤ ـ أدرك الثمر : نضج . في كل إبان : في كل حين .

وقال ايضاً في البيان والتبيين في كلامه عن الشعوبية :

« ... تفهَّم عني – فهَّمكَ الله – ما انا قائِلٌ في هذا ، واعلمْ أنك لم ترَ قوماً قطُّ أشقى من هؤلاءِ الشعوبيّة ، ولا أعدى على دينِه ، ولا أشدَّ استهلاكاً لعِرْضِه ولا أطولَ نصباً ، ولا أقلَّ غُنماً من أهلِ هذه النِّحْلةِ . وقد شفى الصُّدورَ منهم طولُ جثومِ الحسد على أكبادِهم وتوقُّدُ نار الشنآن في قلوبهم ، وغليانُ تلك المراجلِ الفائرةِ ، وتسعُّرُ تلك النيرانِ المضطرمةِ . ولو عرفوا أخلاق كلِّ مِلَّة ، وزيَّ أهلِ كلِّ لغةٍ وعِلَلهم على اختلاف إشاراتهم وشمائلهم وهيئاتهم ، وما عِلَّةُ كلِّ شيءٍ من ذلك ، ولِمَ اجتلبوه ولِمَ تكلّفوه – لأراحوا أنفسهم ، ولخفَّتْ مؤونتَهُم على من خالطَهم » .

المفردات : النَّصَب : التعب . الغنم : الربح . النحلة : الملّة . جثوم : قعود وهنا بمعنى البقاء . الشنآن : البغضاء . المراجل : جمع مرجل وهو القدر الكبير . تسعُّر : اشتداد .

الاسئلة

١ ـ ما هي الفكرة الاساسية في هذا النص ؟

٢ ـ ما هي النُّعَرَة الشعوبية ؟ ؟

٣ ـ ما هي الأمور التي تتميّز فيها الشعوب بعضها عن بعض ؟

٤ ـ ما هي وسيلة الدّفاع التي استعملها الجاحظ ولماذا ؟

٥ ـ هل اعتمد الجاحظ في هذا النص على الازدواج والترادف ؟ .

٦ ـ تكلم عن خصائص الاسلوب عند الجاحظ معتمداً على هذا النص وعلى دراستك لاسلوبه .

مصادر

١ ـ امراء البيان — لمحمد كرد علي .
٢ ـ الجاحظ معلم العقل والأدب — لشفيق جبري .
٣ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي — لشوقي ضيف .
٤ ـ من حديث الشعر والنثر — لطه حسين .
٥ ـ ضحى الاسلام — لأحمد امين .
٦ ـ الجاحظ (في سلسلة نوابغ الفكر العربي) — لحنا الفاخوري .
٧ ـ أدب الجاحظ — للسندوبي .
٨ ـ الجاحظ — لخليل مردم بك .

اسئلة ومواضيع

١ ـ قال أحد الأدباء : « ينزع الجاحظ في اسلوبه الى الطراوة والإطالة الملائمتين لتقدم الحضارة في ذلك العصر ، كما ينزع الى الاستقاء من ينابيع ادب العرب ، والشغف بالمنطق كلما دعت اليه الحال » . أوضح هذا القول وناقشه مؤيداً اجابتك بالشواهد الكافية من نثر الجاحظ .

٢ ـ قالوا عن كتب الجاحظ : « إنها تُعَلِّم العقل أولاً والأدب ثانياً » .
اوضح هذا القول مستشهداً على ذلك بدراسة نصوص للجاحظ .

٣ ـ الجاحظ زعيم مدرسة في الانشاء العربي .
اوضح هذا القول .

ابن قُتَيْبَة

هو أبو عبد الله محمد بن مسلم بن قُتَيْبَة المروزي الدِّينَوَري . ولد في الكوفة سنة ٢١٣ هـ وتعلّم فيها ثم سكن بغداد ، وتولىّ القضاء بدينَوَر فنسب اليها . وكان عالماً في اللغة والنحو والشرع ، متقناً للعلوم ، متفنناً فيها ، صادقاً فيما يرويه ، مستقل الفكر ، جريئاً في قول الحق ، وهو يمثل الثقافة الاسلامية الصرفة التي احتكت بالثقافة الجديدة وظلت محافظة على كيانها وخصائصها .

ولابن قتيبة مؤلفات كثيرة في اللغة والأدب والتاريخ ، من أهمها :

١ ـ « عيون الأخبار » وهو في النظم والآداب .

٢ ـ كتاب « المعارف » وهو من قبيل التاريخ العام .

٣ ـ كتاب « الشعر والشعراء » وقد ترجم فيه لمشهوري الشعراء وذكر طرفاً من أشعارهم .

٤ ـ « ادب الكاتب » وتكلم فيه عما يحتاج اليه الأديب في صناعة الكتابة من الآداب والعلوم .

٥ ـ كتاب « الامامة والسياسة » في تاريخ الخلافة وشروطها .

وكثير غيرها من الكتب في القرآن والحديث والشعر والفقه والشعوبية ، وهو يفضل العرب على العجم .

وتوفي ببغداد سنة ٢٧٦ هـ .

قال في مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » :

« هذا الكتابُ ألَّفتُهُ في الشِّعْر ، أخبرتُ فيه عن الشعر والشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ومن كان يُعرَفُ باللّقب او الكنية منهم ، وعمّا يُستَحسَنُ من أخبار الرَّجُلِ ، ويستجادُ من شِعْرِه ، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطإ في الفاظهم ، ومَا سَبَقَ اليه المتقدِّمون فأخذه عنهم المتأخرون .

وأخبرت فيه عن أقسام الشِّعْر وطبقاتِهِ ، وعن الوجوه التي يُختار الشعر عليها ، ويُستَحسَنُ لها .

وكان قصدي للمشهور من الشعراء الذين يعرفهم جُلُّ أهْلِ الأدب ، والذين يقع الاحتجاجُ بأشعارِهم في الغريبِ والنحو في كتاب اللهِ عزَّ وجلَّ وحديثِ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلّم . ولم أقصُدْ ، فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له ، سبيلَ من قلَّدَ او استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرتُ الى المتقدِّم منهم بعين الجلالة لقدمه ، ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرتُ بعين العدل على الفريقين وأعطيتُ كلاً حقَّهُ ووفَّرْتُ عليه حظَّهُ ، فإني رأيتُ من علمائنا مَنْ يستجيدُ الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه موضع متخيّره ، ويرذل الشعر الرَّصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه ورأى قائله ، ولم يقصر الله الشعرَ والعلمَ والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خصَّ به قوماً دون قومٍ ، بل جعَلَ ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده ، وجعَلَ كل قديم منهم حديثاً في عصره ، وكل شريف خارجياً[1] في أوَّله ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل يُعدُّون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد نبغ هذا المحدث وحَسُنَ حتى هممتُ بروايته ، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم . وكذلك يكون من بَعْدَهم لمن بَعْدَنا . فكلُّ من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له ، وأثنينا عليه به ولم يضعه عندنا تأخر قائلِهُ ولا حداثة سنه » .

(١) الخارجي هنا : العصامي الذي يسود بنفسه لا بالوراثة .

الاسئلة

١ ـ هل يظهر لك ابن قتيبة من خلال هـذا النص انه كان يكتب متأثراً بالدين ؟ .

٢ ـ هل هو يترك افكاره فوضى ام انه يحسن جمعها وترتيبها ؟

٣ ـ ما هي صفات شخصيته التي تظهر لك من خلال هذا النص ؟

٤ ـ هل يعتمد في اسلوبه على العاطفة ام على الحجج المنطقية ؟

٥ ـ ما هي خصائص اسلوبه من خلال هذا النص ؟ .

٦ ـ ادرس هذا النص دراسة ادبية .

مصادر

١ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان .

٢ ـ الفهرست لابن النديم .

٣ ـ المجمل في الادب العربي لطه حسين .

٤ ـ الموجز في الادب العربي وتاريخه للجنة من الاساتذة .

٥ ـ كتب ابن قتيبة التي ذكرناها وكلها مطبوعة .

اسئلة ومواضيع

١ ـ في كتاب « عيون الاخبار » خطا ابن قتيبة خطوة لا بأس بهـا نحو الترتيب والتبويب في التأليف بعد الجاحظ، وذلك بان جمع كل ما اراد كتابته عن موضوع واحد في محل واحد .

قارن بين هذا الكتاب عنده وبين كتاب من كتب الجاحظ ، وبيّن الفرق بين طريقة الاثنين في التأليف .

٢ ـ لخص لنا باباً من كتابه « عيون الاخبار » وهو مطبوع في مطبعة دار الكتب بمصر .

ابن العميد

هو أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، الاستاذ الرئيس ، والسيّد الوزير من أئمة الكتاب في العصر العباسي ، وصاحب الطريقة الانشائية المعروفة باسمه، وهو الذي قيل فيه : « بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد » .

هو فارسي الأصل ، ولد بمدينة فارسية تسمى (قُمّ) سنة ٣٠٠ هـ من أسرة فارسية معروفة بالجاه والعلم ، فقد كان ابوه من كبار كتاب الدولة السامانية ونشأ ابنه مولعاً بالأدب فخرج كاتباً شاعراً بليغاً فصيحاً مطلعاً على العلوم العقلية والرياضية والحكمية وعلم النجوم، بارعاً فيها جميعاً. وكانت ثقافته واسعة متعددة الجوانب . وفوق هذا كله اشتهر ابن العميد برجاحة العقل وحسن التدبير واتصل ببني بويه سنة ٣٢٨ هـ وصار وزيراً لهم فساعدهم على تدبير الملك ، وظل وزيراً لهم حتى توفي سنة ٣٦٠ هـ .

ولقد عرف ابن العميد بتقديره لرجال العلم والأدب ، وعَقْدِهِ المجالس للمناظرة ، وفتحه ابوابه للشعراء والكتاب والعلماء مقلداً في ذلك البرامكة ، وظل على هذه الحال حتى توفاه الله .

وكان يعتمد في طريقته الكتابية على السجع وقصر الفقرات والعناية بالصناعة اللفظية والاقتباس من القرآن والحديث والأقوال المأثورة وأشعار العرب، الى محافظة على المعنى واهتمام به قدر الامكان . إلا ان الكتاب الذين جاءوا بعده وقلّدوه في طريقته أساءوا استعمالها واهتموا بالمحسنات اللفظية وضحّوا بالمعنى فكانت هذه الطريقة بعد صاحبها وبالاً على النثر العربي . ومن

الذين قلدوا ابن العميد في طريقته وبالغوا فيها القاضي الفاضل الذي اهتم بالقشور وأهمل المعنى إهمالاً تاماً . ولذلك عدّ النقـــاد ابن العميد صاحب طريقة في الانشاء بعد عبد الحميد الـكاتب والجاحظ. واليك نموذجاً من كتابة ابن العميد:

كتب الى أحد أصدقائه يقول : « كتابي اليك وأنا بحالٍ َلوْ َلمْ ُينَغِّصْ منها الشوقُ إليك ، ولم يرنّـِّق َصفْوَ َها النزوع نحوك ، لعددتها من الأحوال الجميلة ، وأعددتُ َحظـِّـي منها في النـَّعَم ِ الجليلة ، فقد جمعتُ فيها بين سلاَمةٍ عامّةٍ ، ونعمة تامّـــةٍ ، وحظيتُ منها في جسمي بصَلاحٍ ، وفي َسعْيِي بنجاحٍ ، لكن ، ما َبقِيَ أنْ يصفوَ لي َعيـْشٌ مع ُبعْدي عنك ، و َيخلوَ ذَرْعِي مع ُخلـُوّي منك ، ويسوغَ لي َمطـْعَمٌ و َمشْرَبٌ مـــع انفرادي دونَـكَ . و كيفَ أطمَعُ في ذلك وأنت جزءٌ من نفسي ، وناظِـــمٌ لشمل أنْـسِي . وقد ُحرِمْتُ رؤيتَكَ ، وَعدِمْتُ مشاهدتَكَ ، وهل تسكُنُ نفسٌ ُمتَشَعِّبَةٌ ذاتُ انقسام ، وَينْفَعُ أنسُ بيتٍ بلا نظام. وقـد قرأتُ كتابك — جعلني الله فداءَك — فامتلأتُ ُسروراً بمُلاحظةِ خطـّك ، وتأمـُّلِ تَصَرُّفِك في لفظك ، وما أُقَـرِّظـُهُا؛ فكلُّ خِصالِك ُمقَرَّظٌ عندي. وما أمْدَحُها ، فكلٌّ أمرِك ممدوحٌ في ضميري وَعقْدي . وأرجو أن تكون حقيقةُ أمْرِكَ موافقةً لِتقْديري فيك ، فإنْ كانَ كذلك وإلاّ فقد « َغطـَّى هواكَ وما ألـْقى على بصَرِي » .

المفردات : يرنـِّق : يكدّر . النزوع نحوك : الشوق اليك او الميل نحوك. الذرع هنا : الطاقة او سعة النفس او احـــتمال الصبر ، والمقصود : لا يتسع صدري مع خلوي منك . نفس متشعبة ذات انقسام أي نصفها عند المخاطب ونصفها عند صاحبها . ويقصد بقوله بيت بلا نظام : ان غياب المخاطب أفقد ذلك البيت النظام . قرّظ : مدح . عقدي : اعتقادي. فان كان كذلك : أي هذا ما أرجوه .

الاسئلة

١ ـ بيّن ما في هذا النص من فنون البيان والبديع .
٢ ـ أذكر ما تجده فيه من الجمل الخبرية والانشائية .
٣ ـ كيف تظهر لك روح ابن العميد من خلال هذا النص ؟
٤ ـ ما هي مميزات أسلوب هذه القطعة ؟
٥ ـ إشرح هذا النص شرحاً أدبياً .

مصادر

١ ـ المفصل في تاريخ الأدب العربي للاسكندري وجماعته .
٢ ـ الموجز في الادب العربي وتاريخه للجنة من الاساتذة .
٣ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي لشوقي ضيف .
٤ ـ تطور الاساليب النثرية في الادب العربي للمقدسي .
٥ ـ الادب في ظل بني بويه للقناوي الزهيري .

اسئلة ومواضيع

١ ـ هات كتاباً لمحمد عليه السلام ، وآخر لعبد الحميد الكاتب ، وثالثاً للجاحظ ورابعاً لابن العميد ، وقارن بينها جميعاً وبين أثر العصور فيها وتطور الاسلوب العربي .

٢ ـ هات رسالة لابن العميد وأخرى للقاضي الفاضل وبيّن الفرق بينهما من ناحية المعاني والاسلوب .

الاسئلة

١ ـ هل يظهر لك ابن قتيبة من خلال هـذا النص انه كان يكتب متأثراً بالدين ؟ .

٢ ـ هل هو يترك افكاره فوضى ام انه يحسن جمعها وترتيبها ؟

٣ ـ ما هي صفات شخصيته التي تظهر لك من خلال هذا النص ؟

٤ ـ هل يعتمد في اسلوبه على العاطفة ام على الحجج المنطقية ؟

٥ ـ ما هي خصائص اسلوبه من خلال هذا النص ؟ .

٦ ـ ادرس هذا النص دراسة ادبية .

مصادر

١ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان .

٢ ـ الفهرست لابن النديم .

٣ ـ المجمل في الادب العربي لطه حسين .

٤ ـ الموجز في الادب العربي وتاريخه للجنة من الاساتذة .

٥ ـ كتب ابن قتيبة التي ذكرناها وكلها مطبوعة .

اسئلة ومواضيع

١ ـ في كتاب « عيون الاخبار » خطا ابن قتيبة خطوة لا بأس بهـا نحو الترتيب والتبويب في التأليف بعد الجاحظ، وذلك بان جمع كل ما اراد كتابته عن موضوع واحد في محل واحد .

قارن بين هذا الكتاب عنده وبين كتاب من كتب الجاحظ ، وبيّن الفرق بين طريقة الاثنين في التأليف .

٢ ـ لخص لنا باباً من كتابه « عيون الاخبار » وهو مطبوع في مطبعة دار الكتب بمصر .

ابن العميد

هو أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، الاستاذ الرئيس ، والسيّد الوزير من أئمة الكتاب في العصر العباسي ، وصاحب الطريقة الانشائية المعروفة باسمه، وهو الذي قيل فيه : « بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد » .

هو فارسي الأصل ، ولد بمدينـــة فارسية تسمى (قُمّ) سنة ٣٠٠ هـ من أسرة فارسية معروفة بالجـــاه والعلم ، فقد كان ابوه من كبار كتاب الدولة السامانية ونشأ ابنه مولعاً بالأدب فخرج كاتباً شاعراً بليغاً فصيحاً مطلعاً على العلوم العقلية والرياضية والحكمية وعلم النجوم، بارعاً فيها جميعاً. وكانت ثقافته واسعة متعددة الجوانب . وفوق هـــذا كله اشتهر ابن العميد برجاحة العقل وحسن التدبير واتصل ببني بويه سنة ٣٢٨ هـ وصار وزيراً لهم فساعدهم على تدبير الملك ، وظل وزيراً لهم حتى توفي سنة ٣٦٠ هـ .

ولقد عرف ابن العميد بتقديره لرجال العـلم والأدب ، وعَقـْدِهِ المجالس للمناظرة ، وفتحه ابوابه للشعراء والكتاب والعلماء مقلداً في ذلك البرامكة ، وظل على هذه الحال حتى توفاه الله .

وكان يعتمد في طريقته الكتابيـــة على السجع وقصر الفقرات والعنايـــة بالصناعة اللفظية والاقتبـــاس من القرآن والحديث والأقوال المأثورة وأشعار العرب، الى محافظة على المعنى واهتمام به قدر الامكان . إلا ان الكتاب الذين جاءوا بعده وقلّدوه في طريقته أساءوا استعمالهـا واهتموا بالمحسنات اللفظيـة وضحّوا بالمعنى فكانت هذه الطريقة بعد صاحبها وبالاً على النثر العربي . ومن

الذين قلدوا ابن العميد في طريقته وبالغوا فيها القاضي الفاضل الذي اهتم بالقشور وأهمل المعنى إهمالاً تاماً . ولذلك عدّ النقاد ابن العميد صاحب طريقة في الانشاء بعد عبد الحميد الكاتب والجاحظ. واليك نموذجاً من كتابة ابن العميد:

كتب الى أحد أصدقائه يقول : « كتابي اليك وأنا بحالٍ لَوْ لَمْ يُنَغِّصْ منها الشوقُ إليك ، ولم يرنّق صفوَها النزوع نحوك ، لعددتها من الأحوال الجميلة ، وأعددتُ حظّي منها في النِّعَمِ الجليلة، فقد جمعتُ فيها بين سلامَةٍ عامّةٍ ، ونعمة تامّةٍ ، وحظيتُ منها في جسمي بصَلاحٍ ، وفي سَعْيي بنجاحٍ ، لكن ، ما بَقِيَ أنْ يصفوَ لي عَيْشٌ مع بُعْدي عنك ، ويَخْلوَ ذَرْعِي مع خُلُوّي منك ، ويسوغَ لي مَطْعَمٌ ومَشْرَبٌ مع انفرادي دونَكَ . وكيفَ أطمَعُ في ذلك وأنت جزءٌ من نفسي ، وناظِمٌ لشمل أنْسِي . وقد حُرِمْتُ رؤيتَكَ ، وعَدِمْتُ مشاهدتَكَ ، وهل تسكنُ نفسٌ مُتَشَعِّبَةٌ ذاتُ انقسام ، ويَنْفَعُ أنسُ بيتٍ بلا نظام. وقد قرأتُ كتابك — جعلني الله فداءَك — فامتلأتُ سروراً بمُلاحظةِ خطّك ، وتأمُّلِ تَصَرُّفك في لفظك ، وما أُقَرِّظُهُا؛ فكلُّ خِصالك مُقَرَّظٌ عندي. وما أمْدَحُها ، فكلٌّ أمرِك ممدوحٌ في ضميري وعَقْدي . وأرجو أن تكون حقيقةُ أمْرِكَ موافقةً لتقْديري فيك ، فإنْ كانَ كذلك وإلاّ فقد « غَطّى هواكَ وما ألْقى على بصَرِي » .

المفردات : يرنّق : يكدّر . النزوع نحوك : الشوق اليك او الميل نحوك. الذرع هنا : الطاقة او سعة النفس او احتمال الصبر ، والمقصود : لا يتسع صدري مع خلوي منك . نفس متشعبة ذات انقسام أي نصفها عند المخاطب ونصفها عند صاحبها . ويقصد بقوله بيت بلا نظام : ان غياب المخاطب أفقد ذلك البيت النظام . قرّظ : مدح . عقدي : اعتقادي. فان كان كذلك : أي هذا ما أرجوه .

الاسئلة

١ ـ بيّن ما في هذا النص من فنون البيان والبديع .
٢ ـ أذكر ما تجده فيه من الجمل الخبرية والانشائية .
٣ ـ كيف تظهر لك روح ابن العميد من خلال هذا النص ؟
٤ ـ ما هي مميزات أسلوب هذه القطعة ؟
٥ ـ إشرح هذا النص شرحاً أدبياً .

مصادر

١ ـ المفصل في تاريخ الأدب العربي	للاسكندري وجماعته .
٢ ـ الموجز في الادب العربي وتاريخه	للجنة من الاساتذة .
٣ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي	لشوقي ضيف .
٤ ـ تطور الاساليب النثرية في الادب العربي	للمقدسي .
٥ ـ الادب في ظل بني بويه	للقناوي الزهيري .

اسئلة ومواضيع

١ ـ هات كتاباً لمحمد عليه السلام ، وآخر لعبد الحميد الكاتب ، وثالثاً للجاحظ ورابعاً لابن العميد ، وقارن بينها جميعاً وبين أثر العصور فيها وتطور الاسلوب العربي .

٢ ـ هات رسالة لابن العميد وأخرى للقاضي الفاضل وبيّن الفرق بينهما من ناحية المعاني والاسلوب .

أدب المقامات

الهمذاني

هو أبو الفضل بن الحسين الحافظ الهمذاني الملقّب ببديع الزمان . ولد بمدينة همذان سنة ٣٥٨ هـ ودرس علوم العربية والفارسية وحذقها ، وتنقل في بلاد خراسان وذاع صيته. وهو صاحب الرسائل البديعة والمقامات البليغة التي قيل انها بلغت اربعمائة مقامة ، ولكن ضاعت ، ولم يصل الينا منها الا اثنتان وخمسون ، شرَحها كثير من القدامى والمحدثين ومنهم الامام محمد عبده ، مفتي الديار المصرية . وتوفي بديع الزمان ببلدة هَرَاة سنة ٣٩٨ هـ حيث اصيب بسكتة دماغية وظن انه مات وعجل في دفنه ، الا انه افاق في قبره وسمع صوته ولكنهم ما كادوا ينبشون عنه حتى مات ، وكانت سنه لا تتجاوز الأربعين .

ولبديع الزمان ديوان شعر مطبوع الا ان اكثر قصائده مغرق في التكلف . وله رسائل نثرية مجموعة في كتاب، تناول فيها اغراضاً شتى ، كالشكوى والعتاب والسؤال والاعتذار والاسترضاء والمدح والتهنئة . الا انه اشتهر بمقاماته .

وكان بديع الزمان قويّ الحافظة ، ذكي القلب ، حاضر البديهة ، خفيف الروح ، شديد السخرية في اكثر ما يكتب . وهو أول من وصلنا عنه فن المقامات . يهتم بالمعنى الى جانب اللفظ ، وهو على رغم تكلّفه لا يجعل

الصناعة اللفظية تجور عليه ، ولهذا كانت مقاماته افضل من مقامات الحريري ولها قيمة أدبية اكثر ، وتأثير في النفس اعظم . كما انها كانت اروع من حيث فن القصة وحبكها ومن حيث رشاقة الألفاظ نفسها . ويمتاز بديع الزمان بقدرته الفائقة على الوصف والتصوير ، وبدقة الملاحظة وابتكار المعاني والصور، ويلتزم الصنعة البديعية والبيانية من غير ان يغرق فيها .

التعريف بالمقامات : المقامة لغــــةً المجلس والجماعة من الناس ، واصطلاحاً القصة الصغيرة التي تقرأ في جلسة واحـــدة . واسلوب المقامات يعتمد على الصناعة اللفظية . وهي فضلاً عن انها تكسب السامع علماً وادباً فــان الغاية منها هي تعلُّم اللغة العربية لكثرة مفرداتها ، تلك المفردات التي احيت هـذه المقامات اكثرها بعد ما ترك الكتاب استعمالها . ويعـــد اسلوب المقامات من اساليب النثر الفني في الآدب العربي .

أدب المقامات : كتب بديع الزمان مقاماته بعـــد أن تنقل في البلاد وعاشر الناس واطلع على اخلاقهم واحوال معيشتهم وخصوصاً أولئك الادباء المتسولين الذين انسدت في وجوههم ابواب الرزق فعمدوا الى التسول والحيل للحصول على العيش . ولقد كتب الهمذاني مقاماته يصف فيها حيـــاة هؤلاء الشحاذين من الادباء ، وجعل بطلهــا رجلاً منهم هو ابو الفتح الاسكندري ، ونسب روايتها الى آخر سماه عيسى بن هشام، هو تلميذ ابي الفتح ورفيقه الذي أوصاه الا يبوح باسراره ويطلع الناس على حيله . وعلى العكس فقـــد كان عيسى بن هشام ينقل الى الناس كثيراً من حياة استاذه ابي الفتح وينقل اخباره بكل دقة حتى فضحه . ولعل في حياة ابي الفتح شيئاً كثيراً من حياة بديع الزمان لانه كان ممن يسأل بأدبه ، ولان حياته كانت على هـــذا الشكل من التنقل والسؤال . اذن فان ادب مقامات بديع الزمان وموضوعها يدور حول أبي الفتح ، وهو أديب شحاذ كان يتجول في البلاد ويتفنن في اساليب الاحتيال للحصول على الطعام والمال .

وموضوع الكُدْية هذا يكاد يكون موضوع جميع المقامات سواء كانت للهمذاني ام للحريري، الا اننا نرى بديع الزمان يتناول في مقاماته المدح والنقد الأدبي والبطولة والاجتماع والفكاهة وغيرها الى جانب موضوع الكدية .

وخلاصة القول : إن بديع الزمان أول من أوجد هـذا الفن في الأدب العربي ، وعلى منواله نسج كل من كتب فيه بعده . واليك نموذجاً من مقاماته :

من المقامة البغدادية

١ ـ حدَّثنا عيسى بنُ هشامٍ قال : اشْتَهَيْتُ الأزاذ ، وأنا ببغداذ ، وليس معي عَقْدٌ ، على نقدٍ ، فخرجتُ أنْتَهِزُ مَحَالَّهُ حتى أحلَّني الكَرْخَ ، فاذا أنا بِسَوَادِيٍّ يسوق بالجَهْدِ حمارَه ، ويُطَرِّفُ بالعَقْدِ إزاره . فقلت : « ظفِرْنا ، واللهِ ، بصيْد .

٢ ـ وحَيَّاكَ اللهُ أبا زيد ! من أينَ أقبلت ؟ وأينَ نزلتَ ؟ ومتى وافَيْتَ ، وهَلُمَّ الى البيت ! »

فقال السَّوادِيُّ : « لَسْتُ بأبي زيد .. ولكنِّي أبو عُبَيْد » . فقلت : « نعم ، لَعَنَ اللهُ الشيطان ، وأبعد النسيان ! أنسانيك طولُ العهد ، واتصَّالُ البُعْدِ . فكيفَ حالُ أبيك؟ أشابٌ كعهدي ، أم شابَ بعدي؟ » فقال « قد نبتَ الرَّبيعُ على دِمنته ، وأرجو أن يُصَيِّرهُ الله الى جنَّته » . فقلتُ : « إنَّا لله وإنَّا اليه راجعون ، ولا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلا بالله العلي العظيم. » ومَدَدْتُ يَدَ البِدار الى الصِّدار أريدُ تمزيقَه . فقبضَ السواديُّ على خَصْري بِجُمعِهِ . وقال : « نَشَدْتُكَ اللهَ لا مَزَّقْتَه ! »

٣ ـ فَقُلْتُ : « هَلُمَّ الى البيت نُصِبْ غدَاءً ، أو الى السوق نَشْترِ شِواءً . والسُّوقُ أقربُ ، وطعامُه أطيبُ » ، فاستفزَّته حُمَةُ القَرَم ، وعَطَفَتْهُ عاطِفةُ اللَّقَم ، وطَمِعَ ، ولم يعلم أنه وقع .

٤ ـ ثم أتينا شواءً، يتقاطرُ شِواءُه عرقاً، وتتسايلُ جوذابتُه مرقاً. فقلتُ: «افرِزْ - لأبي زيد - من هذا الشواء، ثم زِنْ له من تلك الحلواء. واخترْ له من تلك الأطباق، وانضدْ عليها أوراق الرُّقاق، ورُشَّ عليه شيئاً من ماء السُّماق، ليأكله - أبو زيد - هنيئاً.» فانحنى الشوَّاءُ بساطوره على زُبْدةِ تنُّوره. فجعلها كالكُحل سحْقاً، وكالطحن دقّاً. ثم جلس وجلستُ. ولا نبَسَ ولا نبَسْتُ حتَّى استوفيناه.

ـ وقلتُ لصاحبِ الحلْوى: «زن - لأبي زيد - من اللوزينج رطلين، فهو أجرى في الحُلوق، وأمضى في العروق. وليكنْ ليليَّ العمْر، يوميَّ النشْر، رقيقَ القِشر، كثيفَ الحشْو، لؤلئيَّ الدُّهن، كوكبيَّ اللون، يذوب كالصَّمغ، قبلَ المضْغ، ليأكلَه أبو زيد هنيئاً.» فوزنه، ثم قعدَ وقعدتُ، وجرَّدَ وجرَّدتُ، حتى استوفيناه.

٦ ـ ثم قلت «يا أبا زيد! ما أحوجنا الى ماء يُشعْشَعُ بالثلج، ليَقْمعَ هذه الصارَّة، ويفْثأ هذه اللُّقمَ الحارّة! إجلسْ - يا أبا زيد! - حتى نأتِيَك بسقَّاءٍ، يأتيك بشربةِ ماء.»

٧ ـ ثم خرجتُ وجلستُ بحيث أراه ولا يراني. أنظرُ ما يصنع. فلمَّا أبطأتُ عليه قام السَّواديُّ الى حماره فاعتلق الشوَّاءُ بإزاره. وقال: «أينَ ثمنُ ما أكلتَ؟» قال أبو زيد: «أكلتُهُ ضيفاً» فلكَمَهُ لكمةً، وثنَّى عليه بلطمة، ثم قال الشوَّاءُ: «هاكَ، ومتى دعوناك؟ زِن - يا أخا القِحَة - عشرين!»

٨ ـ فجعل السَّواديُّ يبكي، ويحُلُّ عقَدَه بأسنانه، ويقول: «كم قلتُ لذاكِ القُرَيْد: أنا أبو عُبيْد، وهو يقول: أنتَ أبو زيد!» فأنشدت:

أعْمِلْ لرزقكَ كلَّ آلةْ لا تقعُدَنَّ بكُلِّ حالَةْ
وانهَضْ بكُلِّ عظيمةٍ! فالمرءُ يعجزُ، لا محَالَة

المفردات : (١) البغداذية : نسبة الى بغداذ وهي لغة في بغداد . الازاذ : نوع من التمر الجيد . وليس معي عقد على نقد : أراد أنه معدم لا مال عنده . محاله : جمع محل والمراد الأماكن التي بهـــا الازاذ . الكرخ : محل في بغداد . السوادي : من السواد وهو ريف العراق .

٢ ـ الربيـع : العشب . الدمنة : أراد بها القـــبر او أثره . يد البدار : مصدر بادر الى الشيء أي سارع اليه . الصدار : القميص. قبض بجمعه : قبض بكل يـــده عليه ليمنعه من تمزيق صداره . نشدتك الله : استحلفتُك الله وأقسمت به عليك .

٣ ـ استفزته حمة القرم : حرّكته واستهوتـــه شدة الجوع . والقرم : اشتداد الشهوة الى اللحم . عطفته : استمالته . اللـّقم : الأكل السريـع .

٤ ـ يقصد بالعرق هنا الدهن والدسم . الجوذابات : جمع جوذابـة وهي رغيف التنور الرقيق يوضع تحت اللحم المشوي المعلق فيسيل فوقـه الدهن . الاطباق : جمع طبق وهو الصحن . الرقاق : الخبز الرقيق جمع رقاقة ، شبهه بالورق لشدة رقتـــه . السُّماق : حب احمر شديد الحمـوضة وهو معروف . الزبدة : احسن ما في الشيء ، فزبدة الشيء خير مـــا فيه وزبدة الحديث خلاصته . ويقصد بزبدة تنوره خير ما فيه من اللحم المشوي . نبس : حرك شفتيه بكلمة . ولا نبس اي ولا تكلم ، ولا تكلمت بـــل كنا نأكل صامتين مشغولين بالطعام . استوفيناه : جئنا على آخره .

٥ ـ اللوزينج : نوع من الحلوى يصنع من الدقيق المعجون بدهن الـلوز ويحشى باللوز والجوز ومـــا أشبهها . ليلي العمرّ : مصنوع في ليلته . يومي النشر : معروض للبيع في يومـــه لا قبله . جرَّد وجرّدت : اي حسر كل منا كمّـه عن ذراعه اقبالاً على الطعام .

٦ ـ يشعشع بالثلج : يمزج به . يقمع : يقهر وهنا بمعنى يزيل . الصارّة : العطش . يفثأ : يسكن .

٧ ـ هاك : اي خذ من اللطم والضرب . القِحة : الوقاحة . عشرين : اي عشرين درهماً .

٨ ـ محالة : الحيلة .

الاسئلة

١ ـ اشرح معاني فقرات النص .
٢ ـ ماذا تجد فيه من الفنون البيانية والبديعية .
٣ ـ بيّن خصائص الاسلوب عند بديع الزمان في هذا النص .
اشرح هذا النص شرحاً أدبياً .

اسئلة ومواضيع عامة

١ ـ تكلم عن المقامة وخصائصها الفنية واستشهد بما تحفظ من المقامة المضيرية على الا تقل الشواهد عن عشرة اسطر مشكولة .
٢ ـ « اتخذ الهمذاني في مقاماته اسلوب القصص والحوار » فهل تحقق لك هذا في النص وفي غيره من مقاماته التي درستها ؟ .

مصادر

١ ـ القصة والمقامة — للدكتور جميل سلطان
٢ ـ تطور الاساليب النثرية في الأدب العربي — لأنيس المقدسي
٣ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي — لشوقي ضيف
٤ ـ الأدب في ظل بني بويه — محمود قناوي الزهيري
٥ ـ معالم الفكر العربي في العصر الوسيط — للدكتور كمال اليازجي
٦ ـ الأدب العربي من قيام الدولة الايوبية الى الحملة الفرنسية — للدكتور عبد اللطيف حمزة

الحريريّ

هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان ، والحريري لقب غلب عليه لأنه كان يصنع الحرير ويبيعه قبـــل اشتغاله بالأدب . ولد قرب البصرة سنة ٤٤٦ هـ وبها نشأ وتعلـّم ، فكان يقصد حلقات الدرس فيها ، ويجالس علماءها وادباءها حتى غزُر علمه باللغة وآدابها والفقه والفرائض وبرع في صناعة الترسل ونظم الشعر فعند ذلـــك ترك صناعه الحرير وانصرف الى الكتابة والتأليف والتصنيف . وافاه أجله سنة ٥١٦ هـ في البصرة وهو في سن السبعين وخلـّف ولدين صار أحدهما قاضي القضاة في البصرة ، وثروةً كبيرة . فقد قيل انه كان يملك ثمانية عشر الف نخلة قرب البصرة . ويتضح لنا من هذا ان الحريري من الذين اغناهم علمهم وادبهم . وكان رحمه الله ذكياً بليغاً فصيحاً يميل الى الفكاهة والدعابة الا انه لم يكن ليعتني بهندامه فكان قذر الثياب ، دميم الشكل، رث الهيئة ، قصيراً بخيلاً . قيل إنّ أحداً ممن سمع بفضله قصده ليأخذ عنه العلم والأدب ، ولما رآه احتقره ، وأدرك الحريري ذلك منه فأملى عليه قوله :

ما أنتَ أوّل سارٍ غرَّه قمرٌ   ورائدٍ أعجبته خُضْرَةُ الدِّمَنِ

فاخترْ لنفسك غيري ، إنني رجلٌ   مثلُ المُعَيْديّ فاسمع بي ولا ترني

وللحريري مؤلفات جيدة منها : « درّةُ الغوّاص في أوهام الخواصّ » بيَّن فيه ما يخطىء فيه الكتـّاب من الألفاظ التي يستعملونها في غير معناها . ومنها (مُلـْحَةُ الإعراب) وهي ارجوزة في النحو . وله ديوان شعر ورسائل كثيرة .

الا أن اشهر مؤلفاته مقاماته التي بلغت الخمسين وموضوعها موضوع مقامات البديع اي (الكُدْيَةُ) واسم بطلها أبو زيد السروجي ، وراوية أخباره الحارث بن همّام ويعني به نفسه .

ولقد حذا فيها حذو بديع الزمان كما اشار الى ذلك في المقدّمة التي وضعها لهذه المقامات وذلك حين قال : « وأتلو فيها تلو البديع ، وان لم يدرك الظالع[1] شأن الضليع[2] » ولكنه يوافقه في أشياء ويختلف عنه في أخرى .

واليك نموذجاً من مقاماته :

قال في المقامة الدينارية

١ روى الحارثُ بنُ همَّام قال : نَظَمَني وأخداناً لي نادٍ ، لم يخبْ فيه مُنَادٍ ، ولا كبا قدْحُ زنادٍ ، ولا ذكتْ نارُ عنادٍ . فبيْنا نحنُ نتجاذبُ أطْرافَ الأناشيد ، ونتواردُ طُرَفَ الأسانيد ، إذْ وقف بنا شخصٌ عليه سمَلٌ ، وفي مِشْيَتِه قَزَلٌ ، فقال : يا أخايرَ الذَّخائِر ، وبشائِرَ العشائِر ، عِمُوا صَباحاً ، وأنْعِموا اصطِباحاً ، وانظُروا الى منْ كان ذا نَديّ وندىً ، وجِدةٍ وجَداً ، وعَقارٍ وقُرىً ، ومقارٍ وقِرىً .

٢ ـ فما زال به قُطوبُ الخطوبِ ، وحروبُ الكروبِ ، وشَرَرُ شَرِّ الحسودِ ، وانْتِيابُ النُّوَبِ السُّودِ ، حتى صَفِرتِ الرَّاحَةُ ، وقَرِعَتِ السَّاحةُ ، وغارَ المنْبَعُ ، ونبا المَرْبَعُ ، وأقوى المَجْمَعُ ، وأقَضَّ المَضْجَعُ ، واستَحالتِ الحالُ ، وأعْوَلَ العِيالُ ، وخلَتِ المرابِطُ ، ورَحِمَ الغابطُ ، وأوْدَى الناطِقُ والصامِتُ ، ورثى لنا الحاسِدُ والشَّامتُ ، وآلَ بنا الدَّهْرُ المُوقِعُ ، والفَقْرُ المُدْقِعُ ، الى أنْ احتَذَيْنا الوَجَى ،

---

١ ـ الظالع : الاعرج الذي يظلع في مشيته .

٢ ـ الضليع : القوي الاضلاع ، ويقصد به الشديد في السير .

واغْتَذَيْنا الشَّجا ، واسْتَبْطَنَّا الجوى ، وطَوَيْنا الأحْشاءَ على الطَّوى ، واكتحلنا السُّهادَ ، واسْتَوْطَنَّا الوِهادَ ، واسْتَوْطَأْنا القَتَادَ ، وتَناسَيْنا الأقْتَادَ ، واسْتَطَبْنا الحَيْنَ المُجتاحَ ، واستَبْطَأْنا اليومَ المُتاحَ .

فهلْ من حُرٍّ آسٍ أو سَمْحٍ مُؤَاسٍ ، فوالذي اسْتَخْرَجَني من قَيْلَةَ ، لقد أمْسَيْتُ أخا عَيْلَةٍ ، لا أَمْلِكُ بَيْتَ ليلةٍ .

٣ ـ قال الحارثُ بنُ هَمَّام : فأوَيْتُ لمفاقرِه ، ولَوَيْتُ الى اسْتِنْباطِ فِقَرِه ، فأبرزتُ ديناراً ، وقُلْتُ له اختباراً : إنْ مَدَحتَهُ نَظْماً ، فهو لك حَتْماً ، فانبَرَى يُنْشِدُ في الحال ، من غير انتحالٍ .

ثُمَّ بَسَطَ يَدَه ، بعدما أَنْشَدَه ، وقال : أَنْجَزَ حرٌّ ما وعَد ، وسَحَّ خالٌ إذْ رعَد ، فنَبَذتُ الدينارَ اليه ، وقلتُ : خُذه غيرَ مأسوفٍ عليه ، فوضعَه في فيه : وقال : بارك اللهُمَّ فيه ، ثُمَّ شَمَّرَ للانْثِناء ، بعْد توفية الثَّناء ، فنشأتْ لي من فُكاهتِه نشْوةُ غرامٍ ، سَهَّلَتْ عليَّ ائتِناف اغتِرامٍ ، فجَرَّدْتُ ديناراً آخر وقلتُ له : هل لك في أن تَذُمَّهُ ، ثم تَضُمَّهُ ، فأنشد مُرْتَجلاً ، وشدا عَجِلاً .

٥ ـ فقلت له : ما أَغْزَرَ وبْلَكَ ! فقال : والشرطُ أمْلَكُ. فنفحتُه بالدينار الثاني وقلتُ له : عَوِّذْهما بالمثاني ، فألقاه في فمِه ، وقرنَه بتوأمِه ، وانكفأ يَحْمَدُ مَغداه ، ويمْدحُ النَّادي ونداه . قال الحارث بن همام : فناجاني قلبي بأنَّه أبو زيْدٍ .

المفردات : (١) نظمني : جمعني ، الاخدان جمع خدن : الخلاّن . النادي: المجلس . كبا الزند: لم يور ناراً اذا قدح به . ذكت النار : اشتعلت. الأسانيد: الاحاديث . والطرف جمع طرفة . السمل : الثوب الخلق والجمع اسمال. القزل: العرَج . عموا صباحاً : أنعموا صباحاً . الندي : النادي ، المجلس . الجِدة : الغنى . الجدا : العطاء . العقار : الارض لا بناء عليها . المقاري : جمع مقراة وهي الجفنة العظيمة . القِرى : الضيافة .

٢ ــ القطوب : العبوس . الخطوب : المصائب . النوب : المصائب . صفرت الراحة : خلت اليد . قرعت الساحة : خلت من خيراتها وما كان فيها . غار المنبع : نفد الرزق . نبا : تجافى وتباعد . المربع : المنزل . أقوى : درس وهنا خلا من القوم . أقضّ المضجع : خشن فلم يرح من ينام عليه . أعول : من العويل أي صاح باكياً . الغابط : الذي يغبط الناس على ما أفاءه الله عليهم من النعم ، أي يتمنى ان يكون له مثلها . أودى : هلك . الصامت والناطق : المال والحيوان . آل : أدى . الموقع : المهلك . المدقع : الشديد . احتذينا : انتعلنا . الوجى : الحفا . الشجا : كل ما يعترض في الحلق من عظم او شوك ويريد به الحزن والألم . واستبطنّا الجوى : اي جعلنا شدة الحزن في بطننا . الطوى : الجوع . الوهاد : جمع وهدة ، ما انخفض من الأرض.القتاد: الشوك. الاقتاد : جمع قتد وهو خشب الرحل،اي نسينا ركوب النوق . استطاب الشيء : وجده طيباً . الحيْن : الهلاك . المجتاح : المهلك من اجتاحه : أهلكه . اليوم المتاح : يوم المنية ، والمتاح : المقدّر . الآسي : الطبيب . قيلة : هي بنت الأرقم الغسانية ام الأوس والخزرج . العيلة : الفقر ، والحاجة الشديدة . بيت ليلة : قوت ليلة .

٣ ــ أويت لمفاقره : رثيت لفقره . ومفاقر : جمع مفقرة . لويت : ملت . استنباط فقره : استخلاص جيد اقواله . الانتحال : نسبة الشيء الى غير صاحبه .

٤ ــ انْجَزَ حر ما وعد : مثل يضرب لاستنجاز الوعد . السحّ : شدة الانصباب . الخال : السحاب الذي تخال فيه مطراً . ائتناف اغترام : استئناف دفع غرم . شدا : أنشد .

٥ ــ الوبل : المطر الشديد واراد به هنا المعرفة والفصاحة . الشرط أملك : مثل يضرب في تنفيذ الشرط . عوّذه : دعا له بقوله : اعيذك بالله . المثاني : آيات القرآن ، وتطلق ايضاً على السور التي آيها دون المائتين . بتوأمه : بالدينار الأول . انكفأ : عاد وانثنى . مغداه : ذهابه بالغداة .

الاسئلة

١ ـ اشرح معاني فقرات النص .
٢ ـ ماذا تجد فيه من الفنون البيانية والبديعية .
٣ ـ بين خصائص الاسلوب عند الحريري في هذا النص .
٤ ـ اشرح هذا النص شرحاً ادبياً .

مصادر

١ ـ فن القصة والمقامة	للدكتور جميل سلطان
٢ ـ ادباء العرب في الاعصر العباسية	لبطرس البستاني
٣ ـ الموجز في الادب العربي وتاريخه	للجنة من الاساتذة
٤ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي	لشوقي ضيف
٥ ـ تطور الاساليب النثرية في الادب العربي	للمقدسي
٦ ـ الادب في ظل بني بويه	للقناوي الزهيري

موضوع أدبي عام حول المقامات

وصف أحد الادباء المقامة فقال : « ليس الغرض من المقامة جمال القصص ، وافادة العلم ، وانما هي قطعة أدبية فنية ، تجمع شوارد اللغة ، ونوادر التركيب ، في اسلوب مسجوع انيق الوشي ... ولم يُعن واضعو المقامات بتصوير المجتمع ، وتحليل الاشخاص ، وانما صرفوا همهم الى تحسين اللفظ وتزيينه » .

هل ينطبق هذا الحكم الادبي على المقامتين البغدادية والدينارية ؟ بـين رأيك في ذلك .

حركة الترجمة والتعريب وتدوين العلوم في العصر العباسي

١ ـ حركة الترجمة والتعريب

رأينا أنه لم يكن عند العرب في جاهليتهم علم منظم ، لأن العلم عادة لا يكون إلا في حياة حضرية راقية . ولما أسسوا الدولة الأموية كانوا مشغولين بالفتوح وأمور الدولة والسياسة والدين والفتن والاضطرابات وما الى ذلك . وكان احتكاكهم بالأمم المفتوحة ضئيلاً بسبب بقاء الجنود في بادىء الامر بمعسكراتهم بعيدين عن الشعوب التي أخضعوها لسلطانهم في مصر والشام والعراق .

ولما انتهت فورة الفتح واستقروا في الامصار التي فتحوها وتحضروا شعروا بحاجتهم الماسة الى العلوم الطبيعية والرياضيات والعلوم التجريبية كالطب والكيمياء والفلك والسياسة وغيرها من العلوم التي تفيدهم في حياتهم العملية أكثر من العلوم الاخرى .

لذلك شعروا بضرورة ترجمة هذه العلوم عن الامم الاخرى كاليونان والفرس والهنود .. وبدأت أولى محاولاتهم في الترجمة منذ العهد الاموي وذلك على يد يزيد بن معاوية الذي أمر بترجمة بعض كتب الصناعة (أي الكيمياء) الى اللغة العربية لأنه كان يهتم بتحويل المعادن الرخيصة الى ذهب . إلا أن حركة

الترجمة الحقيقية في العهد الأموي كانت في دواوين الحكومة وسجلاتها الى اللغة العربية وذلك في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد . وكانت لغة الدواوين قبل ذلك لغة البلاد المفتوحة ، فكانت في سوريا بالرّومية ، وفي العراق بالفارسية ، وفي مصر بالقبطية وهكذا .. وأول ترجمة لكتاب علمي كانت في عهد الخليفة المنصور عمر بن عبد العزيز عندما أمر (ماسَرْجويه) ، طبيب مروان ابن الحكم ، ان يترجم (كناش أهرون) في الطب الى اللغة العربية ، ونشره الخليفة بين الناس ليستفيدوا منه .

ولم تتسع حركة الترجمة وتشتد إلا في العصر العباسي ، فقد أمر الخليفة بترجمة بعض كتب في الطب والفلك والهندسة فترجموا له ذلك عن اليونانية والسريانية . ثم فترت حركة الترجمة أيام المهدي والهادي حتى جاء هارون الرشيد فبعثها من جديد ؛ إلا أنها لم تنتعش تماماً إلا في عهد المأمون الذي ترجم أهم ما عثر عليه من كتب العلوم عند اليونانيين والنبطيين والفرس والهنود . كما انه صحح كثيراً من الكتب التي ترجمت من قبل . وكتب الى ملوك الروم ان يبعثوا اليه بكتب العلوم التي لا يوجد عنده مثلها . وأرسل الى بلادهم البعثات العلمية من العلماء والمترجمين ليترجموا له نفائس الكتب وعادوا بعد ذلك بذخيرة علمية وافرة وخصوصاً من اللغة اليونانية . وأنشأ في بغداد دواوين للترجمة ووضع فيها كبار المترجمين . وشجع الناس على مطالعة الكتب المترجمة في شتى العلوم والفنون . وعقد المناظرات بين العلماء والحكماء ، وكان يستمع اليهم ويشترك في المناقشة معهم .

كل هذا شجّع العرب على الاهتمام بالعلوم التي ترجمت عن الامم الأجنبية ، والتي كانت تشمل النواحي العقلية والمنطقية والفلسفية والطبيعية والرياضية والفلكية والطبيّة وما الى ذلك واكثرها كان عن اليونان ، لان الأمة اليونانية كانت افضل الأمم ثقافة في ذلك العصر .

ولم يهتم العرب بترجمة الفنون الأدبية والشعر والنثر لأن عندهم من ذلك

الشيء الكثير ولأنهم كانوا يعتزون بأدبهم وشعرهم وبلاغتهم وفصاحتهم .

وكان اكثر المترجمين ، وخصوصاً عن اليونانية ، من السريان المسيحيين ، وأهم ما ترجموه من الكتب عن اليونانية هو :

١ ــ كتاب المجسطي لبطليموس .
٢ ــ كتاب هندسة اقليدس .
٣ ــ كتب ابقراط وجالينوس .
٤ ــ كتاب التذكرة الذي ترجمه بختيشوع الطبيب .
٥ ــ كتاب جمهورية افلاطون ، وقد ترجمه حنين بن اسحاق .
٦ ــ كتاب منطق ارسطو وقد ترجمه حنين بن اسحاق ايضاً .
٧ ــ كتاب سياسة ارسطو ، وقد ترجمه يوحنا بن البطريق .
٨ ــ كتاب الخطابة لأرسطو ، وكان له اثر كبير في علوم البلاغة العربية ، وغيرها كثير .

ويتلو المترجمين السريان في الشأن المترجمون الفرس ، وفي طليعتهم عبدالله ابن المقفع ، وآل نوبخت . ومن اشهر ما ترجم عن الفارسية :

١ ــ كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع ، وهو مترجم في الأصل عن الهندية .
٢ ــ بعض الكتب المنطقية ذات الأصل اليوناني التي تنسب ترجمتها لابن المقفع بأمر من المنصور .
٣ ــ كتاب « هزار أفسانه » اي الألف خرافة وهو أصل كتاب « الف ليلة وليلة » .
٤ ــ كتاب زرادشت الديني المسمّى (أخشتا) .
٥ ــ كتاب « خداي نامة » وهو في تاريخ الفرس .
٦ ــ كتاب « آيين نامة » وهو في نُظُم الحكم عندهم وفي تقاليدهم . وغير هذه كتب اخرى كثيرة .

ومن اشهر الكتب المترجمة عن الهندية كتاب « السند هند » اي الدهر

الدّاهر ، وهو في الفلك ، وقـــد ترجمه عن الهندية محمد بن ابراهيم الفزاري العربي ، وكتب اخرى في الطب .

وممـــن اشتغل في الرياضيات الخوارزمي ؛ وفي الكيمياء جـابر بن حيّان .

٢ ـ التدوين

التدوين في علوم الدين : كثر الاشتغال بعلوم الدين في هـــذا العصر وتدوينها ووضع فيـــه اهم كتاب في التفسير وهو « تفسير الطـــبري » ثم « الكشاف » للزمخشري . كما وضعت كتب الحديث الستة المشهورة . ثم عني العلماء من بعد بما زاد عن هذه الكتب ، كما عنوا بترجمة المحدّثين وتصنيفهم الى طبقات .

التدوين في الأدب : وظهر في هذا العصر الميل الى تدوين الأدب وخصوصاً تراجم الشعراء والكتاب بشكل مفصّل ، كما فعل المحدّثون في ترجمة رجال الحديث . وهكذا أُلفت كتب في طبقات الشعراء ونقدهم والموازنة بينهم وما الى ذلك .

التدوين في علوم اللغة : بدأ العلماء في أول هذا العصر يجمعون اللغة من أفواه الأعراب ، ولم يكن جمعهم هذا خاضعاً لنظام او ترتيب، ثم أخذوا بعد ذلك يجمعون الالفاظ المتعلقة في موضوع واحد في كتـــاب واحد . ووجدت المعاجم اللغوية كالمجمل لابن فارس والصحاح للجوهري .

وكذلك كان التدوين والتأليف في هذا العصر في علوم التاريخ والجغرافيـا والفلسفة .

والخلاصة : رغم ان هذا العصر كان عصر انقسام وفوضى من الناحية السياسية

لتشكل الدويلات في اطراف الدولة العباسية ، إلا انه كان من الناحية العلمية أزهى العصور الاسلامية على الاطلاق ، لان الملوك والامراء كانوا يتنافسون في تقريب العلماء والأدباء وتشجيعهم . فوجد في هذا العصر من المترجمين والمؤلفين ونوابغ العلماء في كل فن وعلم الشيء الكثير ؛ كما ان العرب خرجوا في هذا العصر من دور الترجمة والنقل الى دور التأليف والابتكار .

مصادر

١ ـ المفصل في تاريخ الادب العربي	لاحمد امين وجماعته .
٢ ـ الجديد في الادب العربي وتاريخه	لحنا الفاخوري .
٣ ـ الوسيط في الادب العربي وتاريخه	للاسكندري .
٤ ـ فجر الاسلام وضحاه	لاحمد امين.
٥ ـ تاريخ اداب اللغة العربية	لجرجي زيدان .
٦ ـ تاريخ الاسلام السياسي	للدكتور حسن ابراهيم حسن .

اسئلة ومواضيع

١ ـ ما هي أصول الثقافة العربية في العصر العباسي ؟ عدّدها مبيّناً أثر كل منها في العلوم والآداب عند العرب .

٢ ـ هل بقيت الثقافات الاجنبية محافظة على لونها وأصالتها في العصر العباسي أم انها امتزجت كلها مع بعضها وانصهرت في بوتقة الثقافة العربية الاسلامية ؟

ناقش هذا القول وأوضحه .

٣ ـ إختر كاتباً من كتاب العصر العباسي تأثر بالثقافات الاجنبية، وأوضح جوانب تلك الثقافات في أدبه مستشهداً بنصوص كافية له .

٤ ـ أدرس حياة مترجم من المترجمين في العصر العباسي ذاكراً آثاره التي ترجمها الى العربية .

٥ ـ إختر لنا أحد قادة الفكر في العصر العباسي وبيّن أثر الفلسفة اليونانية والهندية والثقافة الفارسية في تفكيره وآرائه الفلسفية .

خصائص الادب الاندلسي

أولا : الشعر _ الزجل _ الموشحات

تمهيد :

مال الاندلسيون الى محاكاة المشارقة في العلوم والآداب ، وكانوا يرحلون الى الشرق طلباً للعلم كما أن الشرقيين كانوا يفدون الى الاندلس بتشجيع الخلفاء الامويين فيها حاملين معهم علومهم وآدابهم الشرقية ، ومن هؤلاء « أبو علي القالي » الذي كان إماماً في اللغة والأدب ، والذي وفد الى الاندلس سنة ٣٢٨هـ فأخذ عنه كثير من الادباء وشيوخ اللغة .

وهكذا انتشرت الثقافة الشرقية في الاندلس وكانت هذه الثقافة العربية الاسلامية هي المسيطرة على السكان الاصليين في البلاد .

الشعر في الاندلس

كان الشعر في الاندلس أكثر ذيوعاً من أي نوع آخر من أنواع الثقافة العربية الاخرى لأنه كان يمثل أهم مظاهر الحياة العقلية العربية في الأندلس . وكان عصر ملوك الطوائف أزهى عصور الشعر والادب ، وذلك بسبب المنافسة التي كانت بين هؤلاء الملوك . وهذا الوضع كان يشبه الى حد بعيد وضع الشرق في العصر العباسي الثاني حين كان الانقسام السياسي سبباً في رقي الشعر والادب

والعلم . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان المنافسة بين شعراء الاندلس والشعراء الشرقيين أفادت كثيراً . كما أن جمال الطبيعة الاندلسية ساعد على تفنن الشعراء وتغذية عقولهم . يضاف الى هذا كله رقي الحياة الاجتماعية وانتشار مجالس الانس في الاندلس .

أغراضه : نظم الشعراء الاندلسيون في مختلف الاغراض التي نظم فيها المشارقة وعلى اساليبهم وقواعدهم، فوصفوا الخمرة والطبيعة في المدن والبلدان، كما وصفوا الفلاة والناقة والجواد ، وحنّوا الى الديار والاطلال .

واليك كلمة عن أهم هذه الاغراض :

١ ـ **المدح :** كانت مدائحهم مملوءة بالتملّق والاستجداء على طريقة المشارقة .

٢ ـ **الرثاء :** قلدوا المشارقة فيه وتفجعوا على الميت ووصفوا المصيبة وعدّدوا المناقب وكانوا كالمشارقة يستهلون ذلك بالحكم .

٣ ـ **رثاء الممالك الذاهبة :** كان أكثر روعة من رثاء الشعراء المشارقة . فقد أشجاهم ان يروا ديارهم تسقط بلداً بعد بلد في ايدي الاسبان فبكوها بكاء مراً ، بكاء من يبكي على وطن أحبه ولن يعود اليه ، فبكى ابن اُلبان دولة بني عباد، وابن عبدون دولة بني الأفطس ، وبكى أبو البقاء الرّندي الأندلس بأسرها في قصيدته التي مطلعها : « لكل شيء اذا ما تم نقصان . »

٤ ـ **الحكم :** كانت ساذجة لا عمق فيها وترتكز على الشكوى من الزمان والايام والناس .

٥ ـ **الشكوى والاستعطاف :** وقد امتاز بهذا النوع الملوك والامراء لكثرة ما أصابهم من المحن والنكبات ، كما نجد في شعر المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية .

٦ ـ **الهجاء :** ولم تكن له سوق رائجة في الاندلس ولا سيما الهجاء السياسي، وذلك لقلة الاحزاب السياسية وعدم وجود الشعوبية . إلا انه كان ثمة بعض

الهجاء للافرنج ، وكان التكسب والمجون أهم غايات الهجاء في الشعر الاندلسي.

٧ - **الوصف :** برعوا فيه وفاقوا المشارقة كثـــيراً نظراً لجمال الطبيعة الاندلسية ، فوصفوا العمران والمناظر الطبيعية والبساتين والمياه والازهار وكل ناحية ضاحكة في الطبيعة ، ويتخلل كل ذلـــك غزل رقيق ووصف لمجالس الانس والشراب .

٨ - **الغزل :** وكان يدعو اليه كل مـا في الأندلس من طبيعة جميلة وحياة حضرية ناعمة ومجالس انس ورفاه وخمر وغناء ، كما كانت تدعو اليه كثرة السبي وانتشار النخاسة . وكان على نوعين :

١ - بدوي تقليدي .

٢ - حضري متهتك مبتذل ، ومن صفاته أنه :

أ - يصف المحاسن المادية كالشَّعْر والثغر والجسم .

ب- يصف الحالات النفسية كاللقـــاء والوداع والاستمتاع بجمال الحبيب ، وكل هذا في تذلل وخضوع .

ج - يشبه المحبوب بالغلمان ولو كان من النساء .

د - يصف الشعر وزرقـــة العيون لكثرة سبي نساء الفرنجة اللائي كن يتصفن بذلك .

فنونه : ومن فنونه المبتكرة الموشحات والزجل .

١ - الموشحات : وهي الوان جديدة من الشعر تخرج باوزانها وقوافيها على اساليب العرب المعروفـــة في النظم ؛ واذا اعتمد الوشّاح احياناً على بعض الأوزان الشعرية القديمة فلا بد له من ان يبدل فيها وينوع في تفاعيلها .

نشأتها : مما لا شك فيه ان لحياة اللهو والمجون وانتشار السَمَر والغناء في الأندلس ولطبيعتها الخلابة اثراً كبيراً في اختراع الموشحات . وبما ان الموشح قد ارتكز في ظهوره واوزانه على الغناء فقد كان للنهضة الغنائية في الاندلس اثر لا يقل عن اثر الطبيعة في ظهور هذا الفن .

أوليتها : اول من نظم الموشح الشاعر المشرقي ابن المعتز ، الا انه لم يكن معروفاً في زمنه بهذا الاسم . واول من نظمه بهذا الاسم من الاندلسيين محمد بن حمود القبري ، نسبة الى (قبرة) من بلاد الاندلس ، وقد عاش هذا الوشّاح في اواخر القرن الثالث الهجري ، الا ان موشحاته كسدت . ولما جاء الشاعر عبادة بن ماء السماء جعل الموشح فناً قائماً بذاته ، له اسسه وقواعده واثره وجماله وشعراؤه .

اشهر الوشاحين : ظهر بعد عبادة هذا وشاحون عباقرة كابن عبد ربه ، وابن بقيّ ، وابن زهر ، وابن باجه الفيلسوف ، وابن سهل ، وابن الخطيب ، وابن سناء الملك ، وبقيت موشحاتهم الى اليوم مثالاً يحتذيه الوشاحون في الشرق والغرب .

هيكلها : يتألف الموشح من :

١) البيت : ويتألف البيت في الموشحة من عدة اشطر لا من شطرين كالبيت في القصيدة . وكل بيت من ابيات الموشحة يقسم الى قسمين : الغصن والقفل .

٢) الغصن : وهو مجموعة من الاشعار تتغير قوافيها في كل بيت ، ويجب الا يقل عدد هذه الأشطر عن ثلاثة والا يزيد على ستة ، ويسمى الغصن ايضاً بـ (الدور) .

٣) القفل : وهو شطران او اكثر تتحد فيها القافية في جميع الموشحة ، ويدعى ايضاً (السِّمط) ويجمع على اسماط .

٤) الخرْجَة : وهي آخر قفل في الموشح ، ويفضل الوشاحون ان تكون عاميَّة الا في المديح وخصوصاً اذا ذكر اسم الممدوح فيحسن ان تكون معربة .

الموشح التام والأقرع : يسمّى الموشح تاماً اذا ابتدأه الوشاح بقفل وتردد فيه القفل ست مرات . ويسمى أقرع اذا بدأه الوشاح بالبيت دون القفل .

اغراض الموشحات : نظمت في اكثر اغراض الشعر القديمة ، الا ان اكثر الأغراض التي نظمت فيها ما لاءم الغناء كالغزل والخمر ووصف الطبيعة ؛

ونظموها ايضاً في المديح الذي كان يصل الى الأمير الممدوح عن طريق الغناء فيكون تأثيره عليه أقوى ووقعه في نفسه احسن . واليك مثالاً يبيّن هيكلها .

قال لسان الدين بن الخطيب من موشح « جادك الغيث » :

المطلع

جَادَكَ الغَيْثُ اذا الغيْثُ هَمَى،
يا زَمَانَ الوَصْلِ بالأندلس
لم يَكنْ وَصْلُكَ إلا حُلُماً
في الكَرَى ، أو خُلْسَةَ المُخْتَلِسِ

الغصن

إِذْ يقود الدَّهْرُ اشتاتَ المنى ،
نَنْقُلُ الخطْوَ على ما تَرْسُمُ
زُمَراً بين فُرادى وثُنَا ،
مثلما يَدْعُو الحجيجَ الموْسِمُ ،
والحيَا قدْ جَلَّلَ الرَّوضَ سَنَا ،
فثُغُورُ الزَّهْرِ فيه تَبْسِمُ

القفل

وَرَوَى النُّعْمانُ عن ماءِ السَّما
كيفَ يَرْوي ، مالكٌ عَنْ أَنسِ
فكَسَاهُ الحسْنُ ثوْباً مُعْلَمَا ،
يَزْدَهي منه بأبهى مَلْبَسِ

البيت :

في ليالٍ كتَمَتْ سِرَّ الهوى
بالدُّجى لولا شموسُ الغُرَرِ
مَالَ نجمُ الكأسِ فيها وَهَوى
مُستَقيمَ السَّيْرِ ، سَعْدَ الأَثَرِ
وَطَرٌ ما فيه من عَيْبٍ سِوَى
أَنَّــهُ مَرَّ كلَمحِ ٱلْبَصَرِ
حينَ لذَّ الأنسُ شيئاً ، اوكما هَجَمَ الصُّبح هُجومَ الحَرَسِ
غارَتِ الشُّهبُ بنا ، او رُبَّما أَثَّرتْ فينا عُيونُ النَّرْجِسِ

المفردات : الاشتـــات : المتفرق . ترسم : تأمر . الزمر : الجماعـــات ومفردها زمرة . فرادى أي واحداً واحداً وثنا أي اثنين اثنين . الحجيج : الحجاج الذين يحجون الى الامـــاكن المقدسة . الموسم : مجتمع الحج في مكانـــه وزمانه . الحيا : المطر . جلـّل : غطـّى او كسا . السناء : النور .

روى : من الرواية او الارتواء . النعمان هو ملك الحيرة النعمان بن المنذر ، والمراد به هنا شقائق النعمان وهو نوع من الزهر أحمر اللون . ومـــاء السماء هو جد النعمان بن المنذر والمراد به هنا المطر . مــــالك : أحد الأئمة الاربعة وأنس والده . ثوب مُعْلَـم : ثوب مطرز . الغرر : جمع غرة وهي طلعـــة وجوه الحسان وتشبّه بالشموس . غــــارت الشهب : أي غابت ، والشهب : النجوم . النرجس : زهـــر ابيض واصفر وتشبّه العيـــون الجميلة الذابـــلة به لأنه دائم الذبول .

٢ ــ الزَّجلي : وهو الموشح المنظوم باللغة العامية . ولما انتشرت الموشحات

عند الطبقة المثقفة في الاندلس نسجت الطبقة العاميّة على منوالها ونظمت على طريقتها فجاءت بفن جديد مستحدث سموه (فن الزّجل) ، وهو باللغة العامية التي لا يلتزم فيها اعراب ولا بناءٌ ، إنما اتبعوا فيه الانغام فقط وألّفوه عليها . وربما نظموه على البحور الستة عشر المعروفة . ومن أمثلة ذلك قول أحدهم :

أَلْتَّبَصُّرُ في الأمورِ كلُّهُ مكاسب وشواهد الحال بتحسينه أدِلّه
والنصيحة بثُّها في الخلق واجب والرجوع للحق دين في كل مِلّه
اجتهادك في العمل مهر المعارف والمعارف مهر تخطب به المعالي
والأمور يمكن تجي صدفة ولكن طالع الصدفة كمان له برج عالي
والنصيحة بثُّها في الخلق واجب والرجوع للحق دين في كل مِلّة

وكان الى هذا كله في الشعر الاندلسي زهد وتصوف وشعر حماسي اقتصر على مدح الملوك ووصف معاركهم الحربية ، وكان الدافع اليه تقليد المشارقة ، وكان شعراؤه مصوِّرين لا أبطالاً مغاوير .

معاني الشعر الاندلسي : يمكن إجمال خطوطها الاساسية فيما يلي :

١ ــ كانت سهلة قريبة المأخذ لا تكلف فيها .

٢ ــ التشابيه حسية ، مأخوذة من المحيط .

٣ ــ خالية من الفلسفة والتعابير المنطقية لإمعانها في الخيال الدقيق الذي يتنافى مع الفلسفة والمنطق .

٤ ــ دقة الخيال وبعده .

٥ ــ الافتنان في الجد والهزل والمجون .

٦ ــ وصف النفوس والاهواء .

ألفاظه وأساليبه : لم يغرق الشعراء الاندلسيون في استعمال الغريب من الالفاظ اللهم إلا ما كان من ابن هانىء الذي أكثر منها وتعمّد المغالاة تقليداً للمتنبي .

واعتمدوا على البديع والاغراق في التشبيه والتشخيص وقلدوا المشارقة في بداوة الاسلوب وجزالته وجمال الفطرة ونضارة الحضارة .

ثانياً ـ النثر في الاندلس

كان في أول عهده خطباً ومكاتبات سياسية ، ولم يكن هناك مجال للكتابة الادبية الخالصة إلا في القرن الثالث الهجري حين بدأت وفود الكتاب تأتي من الشرق الى الاندلس وبدأ النثر يستعمل في جميع مظاهر الحياة الادبية والعلمية والاجتماعية . وأهم موضوعاته هي :

١ ـ مراسلات في الادارة والسياسة .

٢ ـ خطب خلفاء وأمراء وقواد وعمال .

٣ ـ مناظرات أدبية ومناقشات علمية .

٤ ـ قصص فلسفية واجتماعية وخيالية .

٥ ـ رسائل في الاستعطاف والمدح والهجاء .

٦ ـ رسائل في الفكاهة والمجون والحب .

٧ ـ رسائل في الدعاء والارشاد والزهد والتصوف وشعائر الحج .

٨ ـ قصص على ألسنة الحيوانات والبلدان .

الفاظه وأسلوبه ومعانيه : كان يحكي في اسلوبه أساليب المشارقة وخصوصاً عندما ذاعت الصناعة على يد ابن العميد . وأهم خصائص الأسلوب الأندلسي هي :

١ ـ الاعتماد على المحسنات البديعية وخصوصاً السجع .

٢ ـ المبالغة في ضروب الخيال .

٣ ـ جزالة الالفاظ ودقة المعاني .

٤ ـ مزج الخيال مع الحقائق .

٥ ـ تكلّف الكتاب كثيراً حتى صارت الكتابة الادبية في بعض الاحيان كالشعر المنثور كما في بعض رسائل لسان الدين بن الخطيب .

٦ ـ دخل هذا التكلّف الاسلوب العلمي .

٧ ـ امتلأت الرسائل الادبية بالحكم والأمثال والاشعار السائرة .

٨ ـ الاعتماد على الاطناب كثيراً .

والخلاصة أنهم برعوا في النثر أكثر من الشعر من حيث تجدد موضوعات النثر وتطورها .

مصادر

١ – أدباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث — لبطرس البستاني .

٢ – في الادب الاندلسي — للدكتور جودة الركابي .

٣ – الفن ومذاهبه في الشعر العربي — لشوقي ضيف .

٤ – الشعر الاندلسي — للمستشرق الاسباني اميليو نقله الى العربية الدكتور حسين مؤنس

٥ – دار الطراز — لابن سناء الملك تحقيق الدكتور جودة الركابي.

أسئلة ومواضيع

١ ـ قال أحد المستشرقين : « إن الموشحات الأندلسية تنفح العالم العربي بعطر شذيّ من تلك الارض الاندلسية التي لبثت زمناً طويلاً محافظة على الروح الشامية » .

ناقش هذا القول وأوضحه ، ثم تحدث عن ميزات الموشحات ، ونواحي جمالها ، واستشهد على ذلك كله بالامثلة .

٢ ـ قال أحدهم : « إن أسلوب الموشحات هو ابن ليالي الهوى ، وابن الكؤوس وابن الطبيعة وابن الموسيقى. ولولا نزوعه الى التكلف البغيض، ولولا معاطاة غير الشعراء له لكان جديراً به ان يكون المثل الاعلى للشعر الصحيح » .

ناقش هذا القول،وبيّن ما تركته الموشحات من حسنات وسيئات في الشعر العربي.

ابن هانىء الاندلسي

هو أبو القاسم محمد بن هانىء الاندلسي الأزدي . ولد ونشأ بأشبيلية وفيها قـال الشعر وفاق كل ادباء المغرب المعاصرين له . واتصل وهو شاب بحاكم اشبيلية ولازمه ومدحه بمدائح غالى فيها وبالغ، فاتهمه الناس بالكفر وتألبوا عليه وعلى الأمير ، فهرب الى بلاد المغرب حيث الدولة الفاطمية ، واتصل بجوهر الصقلـّي قائد المعزّ لدين الله الفاطمي ، ثم اتصل بالمعز نفسه ومدحه فاعجب بشعره ، وعلت منزلته عنده ، وصار شاعره الخاص . ولما فتح القائد جوهر مصر وبنى مدينة القاهرة انتقل المعز اليها ، وبعد مـدة لحق به ابن هانىء ونزل في طريقه ببرقة وبها مات سنة ٣٦٢ هـ ولما يبلغ الاربعين من عمره . ولما بلغ الخليفة الفاطمي خبر موته قال فيه : « هذا الرجل كنا نرجو ان نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدّر لنا ذلك » .

ولقد اجمع مؤرخو الأدب ونقاده على انه ليس بين الشعراء الاندلسيين من هو في طبقته لا مِنْ متقدميهم ولا من متأخريهم بل هو أشعرهم على الاطلاق . ولعل هذا ما جعل المغاربة يشبهونه بالمتنبي . ويقول ابو العلاء المعري فيه « ما اشبهه برحى تطحن قروناً » وهو رأي متعصب عليه .

ومهما يكن من امر النقاد فيه فالفرق بينه وبين المتنبي شاسع جداً ، فـلم يكن لابن هانىء عبقرية المتنبي، ولم يكن عنده المعين النفسي والفلسفي الذي غرف منه أبو الطيّب .

ولقد ترك لنا ابن هانىء ديواناً من الشعر اكثره في المدح وفيه غزل ووصف

ورثاء وهجاء .

قال يمدح الخليفة المعز لدين الله الفاطمي :

١ ما شِئْتَ ، لا ما شاءتِ الأقدارُ
فاحكُمْ ، فأنْتَ الواحِـدُ القَهّارُ
٢ وكأنّما أنتَ النبيُّ مُحَمَّدٌ وكأنما أنصارُكَ الأنصارُ
٣ أنتَ الذي كانتْ تُبَشِّرُنا به في كُتْبِها الأحبارُ والأخبارُ
٤ هذا إمامُ المتّقينَ ، ومنْ به قد دُوِّخَ الطُّغْيانُ والكُفّارُ
٥ هذا الذي تُرْجَى النجاةُ بحُبِّه
وبه يُحَطُّ الإصْرُ والأَوْزارُ
٦ هذا الذي تجْدي شفاعتُهُ غداً حَقّاً ، وتَخْمُدُ أنْ تراهُ النّارُ
٧ من آل أحْمَدَ ، كلُّ فخْرٍ لم يكن
يُنْمَى إليهِمْ ، ليْسَ فيهِ فَخارُ
٨ كالبَدْرِ تَحْتَ غمامةٍ مِنْ قسْطَلٍ
ضَحْيانَ ، لا يُخْفِيه عنكَ سِرارُ

---

١ ـ الإصر : الذنب . الاوزار جمع وزر وهو الذنب والاثم ايضاً .
٦ ـ النار : يقصد بها جهنم .
٨ ـ القسطل : غبار الحرب . ضحيان : بارز للشمس . السرار : آخر ليلة من الشهر القمري .

الاسئلة

١ ـ بين ما في هذا النص من المبالغة والاغراق في المغالاة وما هو رأيك في ذلك .

٢ ـ اشرح هذا النص شرحاً أدبياً .

اسئلة ومواضيع

١ ـ قال بعضهم : يمتاز شعر ابن هانىء بالغريب وفخامة اللفظ والاساليب البدوية وكثرة التشبيهات والمجاز .

اوضح هذا القول مستشهداً على ذلك بامثلة كافية من شعره .

٢ ـ شبّه أبو العلاء المعري شعر ابن هانىء بالرحى التي تطحن القرون بسبب القعقعة التي في ألفاظه . فهل تستطيع إيضاح هذا القول وإثباته باعتمادك على شعره ومقارنته مع المتنبي من هذه الناحية ؟

مصادر

١ ـ في الأدب الاندلسي — للدكتور جودة الركابي .
٢ ـ تاريخ الادب الاندلسي — لاحسان عباس .
٣ ـ نفح الطيب — للمقري .
٤ ـ الذخيرة — لابن بسام .
٥ ـ أدباء العرب في الاندلس — لبطرس البستاني .

احمد بن عبد ربه

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، أموي بالولاء ، ولد بقرطبة سنة ٢٤٦ ﻫ وبها نشأ . تعلّم الفقه والتاريخ ، ودرس علوم عصره وفنونه من طب وموسيقى وما الى ذلك ؛ إلا انه مال الى الادب والشعر فبرع فيها . واتصل بالامراء الامويين ومدحهم بشعر كثير فأجزلوا له العطاء فذاع صيته وكثر ماله. وأصيب بالفالج في آخر حياته وتوفي سنة ٣٢٨ﻫ عن عمر يناهز الثمانين . ولقد ترك ابن عبد ربه لنا شعراً كثيراً قيل إنه ملأ عشرين جزءاً ، كما ترك لنا كتابه « العقد الفريد » الذي يعد من أمهات كتب الأدب القديمة كالأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ، وعيون الاخبار لابن قتيبة والأمالي للقالي ، والحيوان للجاحظ . والعقد الفريد مجموعة علمية وأدبية ، جمع فيها مؤلفه ما اختاره من علوم وآداب عصره الى أخبار العلماء ، ونوادر الشعراء ، وحكم الحكماء، وسير الملوك والأمراء ، مع شعر كثير له ، وقسّم الكتاب الى (٢٥) جزءاً سمّى كل جزء منها : جوهرة .

ولابن عبد ربه شعر جيد وهو يعد من الشعراء المُجيدين . ولما سمع المتنبي شعره صفّق وقال: «يا ابن عبدربه لقد تأتيك العراق حبواً » ولما رأى الصاحب ابن عباد كتابه « العقد الفريد » أعجب به وقال فيه حكمته المشهورة : « هذه بضاعتنا ردت الينا » .

ومن الغريب ان المؤلف اقتصر فيه على الآداب في المشرق ولم يُشر بكلمة واحدة الى الادب في الاندلس ولا الى أهلها رغم انه لم يقتصر فيه على العرب

وحدهم إنما نقل عن الفرس والهند واليونان ودوّن أكثر شعره فيه وبذلك حفظه من الضياع .

قال ابن عبد ربه في كتاب العقد الفريد من باب مقاطع الشعر ومخارجه ما يلي :

« واعْلَمْ أنَّهُ لا يَصْلُحُ لَكَ شيءٌ من المَنْثُورِ والمَنْظُومِ ، إلاّ أنْ تَجْرِيَ مِنْهُ على عُرْفٍ ، وأنْ تَتَمَسَّكَ منه بِسَبَبٍ ، فأمّا ، إنْ كانَ غَيْرَ مُناسِبٍ لطبيعَتِكَ ، وغَيْرَ مُلائمٍ لقريحَتِكَ ، فلا تُمضِ مَطِيَّتَكَ في التِماسِهِ ، ولا تُتْعِبْ نفسَكَ الى انبعاثِهِ ، باستعارتِكَ ألفاظَ النّاسِ وكلامَهم ، فإنَّ ذلك غَيْرُ مُثْمِرٍ لَكَ ، ولا مُجْدٍ عليكَ ، ما لم تكن الصّناعةُ ممازجة لذهنك ، وملتحمة بطَبْعِكَ . واعْلَمْ أنَّ مَنْ كانَ مرجعُهُ اغتِصابَ نَظْمِ مَنْ تَقَدَّمَه ، واستضاءَتَه بكوكب من سَبَقَه ، وسَحْبَ ذَيْلِ حُلَّةِ غيرِهِ ؛ ولم تَكُنْ معه أداةٌ تُوَلِّدُ له من بَنَاتِ ذهنِهِ ، ونتائج فكرِهِ ، الكلامَ الحزم ، والمعنى الجزل ، لم يكن منَ الصناعة في عيرٍ ولا نفير ولا وِرد ولا صدَر .

على أنَّ سَماعَ كلامِ الفصحاءِ المطبوعين ، ودَرْسَ رسائلِ الشعراء من المتقدمين ، هو ، على كُلِّ حالٍ مما يَفْتُقُ اللِّسانَ ، ويُقَوِّي البيانَ ، ويُحِدُّ الذِّهْنَ ، ويَسْتَخْدِمُ الطَّبْعَ ، إنْ كانت فيه بقيةٌ ، وهناك خبيَّةٌ » .

الاسئلة

١ ـ إشرح المفردات التي تجدها صعبة في هذا النص من المعجم .

٢ ـ ما هو رأيك في أفكار هذا النص ؟ أوضح .

٣ ـ كيف وجدت أسلوب ابن عبد ربه ؟ وهل هو من النوع المرسل أم المقيَّد ؟

٤ ـ إشرح هذا النص شرحاً أدبياً .

اسئلة ومواضيع

١ ـ قال المتنبي في شعر ابن عبد ربه لما سمعه : « يا ابنَ عبد ربه لقد تأتيك العراق حبواً » فماذا فهمت من هذا القول وهل تستطيع إثبات صحته مستشهداً بالأدلة الكافية من شعر ابن عبد ربه ؟

٢ ـ قال الصاحب بن عبّاد الكاتب المشرقي في كتاب العقد الفريد : « هذه بضاعتنا ردت الينا » . ناقش هذا القول على ضوء اطلاعك على هذا الكتاب وبيّن صحته من فساده .

مصادر

١ ـ في الادب الاندلسي للدكتور جودة الركابي .

٢ ـ تاريخ الادب الاندلسي لاحسان عباس .

٣ ـ الذخيرة لابن بسام .

٤ ـ نفح الطيب للمقري .

٥ ـ أحمد بن عبد ربه لفؤاد أفرام البستاني .

احمدُ بنُ شُهَيْد

هو أبو عـــامر أحمد بن أبي مروان بن شُهيد ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٢ هـ ، ونشأ بها نشأة النعيم والترف والجاه ، وأقبل على تحصيل العلم حتى نال منه حظاً وافراً وأصبح كاتباً بارعاً وشاعراً مقدَّماً، وكان مقرّباً من خلفاء وأمراء الدولة العامرية وتربّى في نعيمهم ، وأغدقوا عليه الاموال وأكثروا له العطاء فعاش في ظلهم في نعيم ورفاه.

ولما انقضى عهد الأمويين كاد له حسّاده ودسّوا عليه الدسائس في عهـــد بني حمّود فسُجن ونيل من كرامته وأصابه ضيم شديد ، ثم أطلـق سراحه ؛ إلا أن الايام كانت قـد أدبرت عنه وعبست الدنيـا في وجهه فصار ينقلب من سيء الى أسوأ حتى اعتلّ ومات سنة ٤٢٧هـ. وكان كريماً ، متلافـاً ، خفيف الروح ، ميّالاً الى الدعابة والمجون .

ولقد ترك لنا رحمه الله ثروة لا بأس بها من الشعر والنثر ؛ إلا أنـه لم يبق منها إلا القليل الموزع في كتب الأدب كالذخـــيرة لابن بسّام ، ونفح الطيب للمقري ، ويتيمة الدهر للثعالبي ، ووفيات الأعيان لابن خلـكان .

ويمتاز شعره بطول نفسه ولذلك جاءت أكثر قصائده طويلة تدل على طول باعه في القريض وَسعَة خياله .

وأما الأغراض التي طرقها في شعره فهي الاغراض المعهودة في الشعر العربي كالمدح والرثاء والهجـــاء والوصف والفخر والشكوى من الزمان والحسّاد ، وغير ذلك .

وأما نثره فقد امتاز كشعره بسعة الخيال ومهارة في النقد واطلاع واسع على الادب في الشرق والغرب .

ولقد برع في القصص الخيالي . وأحسن مثـال على ذلك رسالته المعروفة بـ « التوابع والزوابع » وهي رسالة وضعها للرد على خصومه وحساده وإظهار مهارته في النثر والشعر . وهي قصة خيالية اعتمد في مادتها على التاريخ والأدب وكتبها بأسلوب قصصي مسجوع يشبه أسلوب المقامات فكانت مقدّمة لأبي العلاء المعري في رسالة الغفران ، وإليك قطعة منها :

قال ابن شهيد في رسالة التوابع والزوابع : « وكان لي أوائلَ صَبْوَتي هَوىً اشتد له كَلَفي، ثم لحقني بعضُ مَلَل في أثناءِ ذلك الميلِ ، فجزِعت وأخذتُ في رثائهِ فقلت :

تولَّى الحِمَامُ بظبي الخدُورِ وفازَ الردَّى بالغَزالِ الغَريرِ

إلى أنْ انتهيتُ الى الاعتذار من المَلل الذي كان ، فقلتُ :

وكنتُ مَلِلْتُكَ لا عَنْ قِلىً ولا عَنْ فَسَادٍ ثَوَى في الضّمير

فأرْتِجَ عليَّ القول . فإذا أنا بفارسٍ بباب المجلس على فرس أدْهَم كأنـّما بَقَلَ وجهه ، قد اتـّكأ على رُمْحِهِ ، وصاح بي : أعجزاً يا فتى الإنْسِ ؟ فقلتُ لا وأبيكَ . للكلام أحيانٌ ؛ وهذا شأن الإنسان .

فقال : قل بعده .

كمِثل مَلالِ الفَتى للنَّعيم إِذا دام فيه، وحالِ السرور

فأثبتُّ إجازته ! وقلتُ بأبي مَنْ أنت ؟ فقال: زُهَيْرُ بنُ نُمَيْر ، من أشجع الجنِّ ، تَصَوَّرْتُ رغبةً في اصطفائك . قلتُ أهلاً بك أيُّها الوجهُ الوضَّاح ، صادفتَ قلباً إليكَ مقلوباً ، وهوىً نحوك محبوباً ، وتحـادثنا ،

وتذاكرتُ معه أخبـارَ الخطباء والشعراء ، ومَنْ كانَ يألفهُم من التـّوابـع والزّوابـع وقلت له : هل حيلةٌ في لقاء من نـَفـَقَ منهم ؟ قال : حتى استأذِن شيخنا ، وطارَ عنـّي ، ثم انصرف . وقد أُذِنَ له : فقال : حُلْ على مَتـْنِ الأدْهم ، فسرنا عليه ، وسار بنا كالطير يَجْتـَابُ الجوَّ فـالجوّ ، ويقطع الدّوَّ فالدّوّ حتى ٱلمَحْتُ أرضاً لا كأرضنا ، وشارفتُ جوّاً لا كجوّنا .. الى أنْ قابل صاحبَ امرىء القيس ، وجرتْ بينهما مُطارحة شعرية .. »

المفردات : الزوابـع جمع زوبعـة : الشيطان او رئيس الجن ولقد سمى ابن شهيد رسالته « بالتوابـع والزوابـع » لان فيها لكل شاعر شيطاناً. كلفي: اهتمامي . الحمام : الموت . الغرير : المخدوع . القِلى : البغض . ثوى : أقام . ارتج عليه : أُغلق فلم يستطع القول . الأدهم : الاسود من الخيل . بقل وجهه: خرج الشعر فيه . أثبت إجازته : كتب ما قاله . صادفت قلباً اليك مقلوباً : أي قلباً منصرفاً اليك. من نفَقَ منهم أي من مات منهم . متن الادهم : ظهره . اجتاب : قطع . الدّو : الفلاة .

الاسئلة

١ ـ من أي فن من الفنون النثرية تعتبر رسالة التوابـع والزوابـع ؟
٢ ـ بأي أسلوب كتبها ابن شهيد ؟
٣ ـ إشرح هذا النص شرحاً أدبياً .

مصادر

١ ـ في الادب الاندلسي للدكتور جودة الركابي .
٢ ـ تاريخ الادب الاندلسي لاحسان عباس .
٣ ـ نفح الطيب للمقري .

اسئلة ومواضيع

١ ـ قال أصحاب الموجز : « لرسائل ابن شهيد قيمة كبرى سواء أكان ذلك من الناحية العلمية أم من الناحية الأدبية ، فهي تطلعنا على نفس الرجل وسعة مداركه وعمق تفكيره ، وهي صفحات تنير حياته وتوضح لنا معالمها ، وتفسّر لنا كثيراً من غوامضها.. »

اوضح هذا القول مستشهداً على ذلك بنصوص من رسائل الرجل .

٢ ـ « يرى ابن شهيد في النثر العربي ثـــلاث مدارس : مدرسة عبد الحميد وابن المقفـع ، ومدرسة ابراهيم بن عباس ومحمد حسن الزيات ، ومدرسة بديـع الزمان الهمذاني ، وهو يرى ان لتطور النثر صلة وثيقة بتطور المدنية » .

ناقش هذا القول وأوضحه واستشهد على كل مدرسة من هذه المدارس او غيرها بشيء كاف من نثرها .

٣ ـ ابن شهيد شاعر مطبوع ، يأتيه الكلام متدفقاً ، الا أنه قليل الابداع ، كثير التقليد لأساليب الشعراء الأقدمين .

ناقش هذا القول وأوضحه مستشهداً عليه بقدر كافٍ من شعر الرجل .

المعتمد بن عبّاد

هو ابن المعتضد ، احد ملوك بني عبّاد في اشبيلية ، وبنو عباد هؤلاء من العرب الداخلين الى الاندلس، ومن قبيلة لخم ، والذي اسس دولتهم هذه هو اسماعيل بن عباد المتوفى سنة ٤١٤ هـ . ولاه ابوه امارة اقليم الجوف البرتغالي فاثبت فيه كفاءته الادارية والسياسية ، وصفت له الأيام مع صديقه الشاعر ابي بكر بن عمّار . وفي سنة ٤٦٠ هـ اعتلى عرش ابيـــه وتزوج من جارية استطاعت ان تجيز شطر بيت من الشعر كان قد ارتجله ولم يستطع هو ولا صديقه ابن عمار اجازته ؛ فلما اجازته تلك الجارية اعجب بها وتزوجها وكانت تتمنى ان تطأ الطين برجليها ففرش لهـا العنبر والكافور والمسك على الأرض وصنع منها طيناً لتطأه قدماها . وبنى لهـا في حديقة قصره الكبير الموجود حتى الآن في اشبيلية يقصده السيّاح من كل حدب وصوب ، متنزّهاً جميلاً فكانت زوجته الرميكية تخرج اليه مع حظاياها للراحة واللهو والاستجمام ولكن :

هيَ الامورُ كما شاهَدتها دُوَلٌ　　من سَرَّهُ زَمَنٌ ساءتهُ أزمانُ

وكان ابن عبّاد شاعراً عبقريـــاً أحب الشعر وقـرّب الشعراء والادباء فجمع بلاطه شعراء الاندلس وافريقية وصقلية بعد ما غزا النورمان بلادهم واستولوا على معظمها .

ولم يكن المعتمد رجل شعر ومجالس أدب فقط انما كان بطل حرب وكفاح ايضاً . فقد فتح المدن واستولى على البلاد ودكّ الحصون وامتد حكمه الى قرطبة

وُمرسية . وعندما اشتد عليه خطر ملك قشتالة (الفونس السادس) استنجد بملك المرابطين يوسف بن تاشفين بمراكش وخاضا معاً معركة (الزلاقة) سنة ٤٧٧ هـ وخرجا منها ظافرين . ولكن ضعف مـــلوك الطوائف في الاندلس واختلافهم كان حافزاً لابن تاشفين للاستيلاء على جميع بلاد الاندلس ، فاثار الفتن ضد المعتمد واستولى على قرطبـــة واشبيلية فانهزم الملك الشاعر ولكنه قُبض عليه ونُقل مع زوجته وبناته واولاده مكبلاً بالقيود ، مدال العز ، مسلوب الملك الى اغمات قرب مراكش . وفي هـذا المنفى اقام مع زوجته الرميكية يندب حظه ويتأسف على ايامه الماضية ويشكو جور الزمان واهل هذا الزمان . وكان يقتات من غزل بناته . وماتت زوجته قبـــله فرثاها رثاء محزناً وبقي على حالته هذه حتى وافاه اجله سنة ٤٨٨ هـ. وكان شعر ابن عبّاد قبل المصيبة شعر النعيم والترف فصار بعد المصيبة شعر الشكوى والألم والشقاء والعذاب . ويعد ابن عباد شاعر الشكوى الأول في الأدب العربي لانـــه كان صادقاً في شعره ، صادقاً في آلامه ، صادقاً في كل ما قال . وما هو الا قمرية كانت تنوح على الغصن وتبكي عزها التليد ومجدها المسلوب . وما كان شعره في الفجيعة الا ذوب العاطفة المتألمة والنفس الدامية، والدموع المترقرقة ، والمأساة التي لا يستطيع ان يتحملها قلب انسان . وهو في هذه الناحية يشبه ابا فراس الحمداني عند كان يرسل « رومياته » من اسره في بلاد الروم . واليك نموذجاً من شعر المعتمد بن عباد الباكي الحزين .

قال عندما كان اسيراً في أغمات بعد ما رأى بناته في العيد يمشين في ذل وفقر وانكسار وحزن وشقاء ففاضت عيناه بهذه العبرة المحرقة :

١ في ما مَضَى كنْتَ بالأَعْيَادِ مسرُورا ،
فجَاءكَ العيدُ في أغمات مَأسُورا

٢ تَرَى بَنَاتِكَ في الأَطْمَارِ جَائِعَةً
يَغْزِلْنَ لِلنَّاسِ ، ما يَمْلِكْنَ قِطْمِيرا
٣ بَرَزْنَ نَحْوَكَ لِلتَّسْلِيمِ خاشِعَةً
أَبْصَارُهُنَّ ، حَسِيرَاتٍ ، مَكَاسِيرا
٤ يَطَأْنَ في الطينِ ، والأَقْدَامُ حافيَةٌ
كأَنهـا لم تَطَأْ مِسْكاً وكافُـورا
٥ لا خَدَّ إِلَّا تَشَكَّى الجدْبَ ظاهِرُهُ
ولَيْسَ إِلا مَعَ الأَنفاسِ مَمْطُورا
٦ أَفطَرْتَ في العيدِ ، لا عادَتْ إِساءَتُهُ !
وكانَ فطْرُكَ لِلأَكبـادِ تَفْطِيرا
٧ قد كانَ دَهْرُكَ ، إِنْ تأْمُرْهُ مُمْتَثِلاً
فَرَدَّكَ الدَّهْرُ مَنْهِيّاً ومَأْمُورا

---

٢ ـ الاطمار : الثياب البالية . القطمير : القشرة الرقيقة والشيء الذي لا قيمة له .

٣ ـ حسيرات : متحسرات . مكاسير : حزينات ذليلات .

٥ ـ ممطور اي مبلل بالدموع .

٦ ـ تفطير : تقطيع .

٨ مَنْ باتَ بَعْدَكَ في مُلْكٍ يُسَرُّ به
فإنَّما باتَ بالأحْلاَمِ مَغْرُورا !

الاسئلة

١ ـ ما هو موضوع هذه الابيات ؟ وما هي أقسامها العاطفية الرئيسية ؟

٢ ـ كيف يظهر لك المعتمد بن عبّاد من خلال هذه الابيات ؟

٣ ـ أي الصور أعجبتك أكثر من غيرها في هذه الابيات .

٤ ـ أعرب البيت الأخير منها وقطعه عروضياً وسمّ بحره .

٥ ـ إشرح هذه الابيات شرحاً أدبياً .

مصادر

١ ـ المعتمد بن عباد — للدكتور عبد الوهاب عزام

٢ ـ المعتمد بن عباد — للدكتور صلاح خالص .

٣ ـ تاريخ الادب الاندلسي — لاحسان عباس .

٤ ـ في الأدب الاندلسي — للدكتور جودة الركابي .

٥ ـ نفح الطيب — للمقري .

٦ ـ الذخيرة — لابن بسام .

أسئلة ومواضيع

١ ـ قال أحد الأدباء المعاصرين : إن شعر الشكوى الحقيقي والصادق لا تجده عند شاعر عربي كما تجده عند المعتمد بن عباد .
أوضح هذا القول وأيد رأيك بالشواهد الكافية .

٥ ـ قارن بين ابن عباد وأبي فراس الحمداني من ناحية شعر الشكوى . وإيتنا بشواهد كافية على ذلك من شعر الاثنين .

---

٨ ـ مغرور : المخدوع .

ابن زيدون

هو أبو الوليد أحمد بن عبدالله المخزومي الاندلسي القرطبي الشهير بابن زيدون ، فهو عربي صريح ينتهي نسبه الى قبيلة مخزوم القرشية التي ذكرها المقرّي بين القبائل التي رحلت الى الأندلس ، وذكر منها ابن زيدون أحد شعرائها وكتابها المشهورين ووزرائها الادباء المعروفين بفنون الكتابة والشعر الذين تربعوا على مناصب الملك وتقلـّبوا في مراتب الرياسة .

ولد بقرطبة سنة ٣٩٤ هـ ونشأ بها ودرس على أبيه وعلماء قرطبة وأدبائها وحفظ الكثير من الاخبار والسير والحكم والامثال والمسائل الفقهية واللغوية. وكانت قرطبة في ذلك العهد غاصّة بالعلماء والادباء وفي أوج عزها ، فقد جعلها ابن جهور حاضرة العلم والفنون ، وكان ابن زيدون علـَماً من أعلامها ، فاق أدباء زمانه ، وذاع صيته في الاندلس وخارجها .

ولم ينقطع ابن زيدون للأدب فقط ، فقد كان سديد الرأي ، حسن التدبير ، قوي العزيمة فاشتغل بالسياسة وكان يعد من رجالها . وخاض غمار الثورة ضد آخر خلفاء الدولة الاموية مع أبي الحزم ابن جهور بن محمد الذي صار بعدُ أمير قرطبة ، فاتخذه هذا كاتباً له ثم استوزره فأظهر حنكة ودهاء مما رفع منزلته عنده ، إلا أن حسّاده ومنافسيه أفسدوا الأمر بينهما فسجنه ابن جهور وراح شاعرنا يستعطف مليكه في سجنه. ولما لم يُعفَ عنه هرب من سجنه واختفى في قرطبة حتى شفع له الوليد بن جهور عند أبيه . وقرّبه الوليد بعد وفاة أبيه واستوزره ، فسعى الحسّاد من جديد بينهما فخاف ابن زيدون

وهرب الى اشبيلية واتصل بملكها المعتمد بن عباد الشاعر المشهور المنكود الحظ، وصار وزيراً له ، وبقي في إشبيلية الى ان مات فيها عام ٤٤١هـ .

واشتهر ابن زيدون بنثره اشتهاره بشعره ، ولكنه شاعر أكثر منه ناثراً لتصرفه في فنون الشعر وامتيازه في كثير من نواحيه . وديوانه يمثل حياته السياسية والعاطفية خير تمثيل ، وفيه غزل وأسف وشكوى من الدهر والناس ومدح واستعطاف . كما نجد فيه بعض قصائد في المناسبات كالتهنئة والهدايا ومداعبة الأصدقاء والرثاء . ولكن فن الغزل هو الغالب على الديوان ، ثم يتلوه المدح ، ثم الشكوى ، ثم الاستعطاف .

ومن آثاره النثرية رسالته الجدّية والهزلية ؛ وهو يكثر فيهما من السجع والاقتباس والأمثال النادرة والاشارة الى الحوادث التاريخية وفنون البديع المختلفة . اما رسالته الجدّية فقد كتبها لابن جهور عندما كان الشاعر سجيناً ، يستعطفه بها ولكنه لم يستطع ان يليّن قلبه . وكتب رسالته الهزلية على لسان ولادة ، بعد ما زالت الجفوة بينها وبينه ، يهزأ فيها بابن عبدوس الذي كان مزاحماً له في حب ولادة وخصماً سياسياً له . ولكن ولادة لم ترع حقه حين سجن ، وعادت الى مصاحبة ابن عبدوس على الرغم من وفائه لها ، فأخذ يلومها ويحمل على ابن عبدوس ، واخيراً هجاها . ولم ينس حبها ابداً حتى حين اضطر الى الهرب الى اشبيلية ، وبقي يذكرها طوال حياته . واليك نصاً من شعره الذي يذكر فيه ولادة بعد فراره من سجنه الى مدينة الزهراء ، قرب قرطبة ، ليتوارى في نواحيها ، فوافاها في فصل الربيع الذي نشر حلل الزهر ، واترع الجداول وانطق البلابل ، وهبّتْ عليه ريح منعشة فحرّكت شوقه الى ولادة ، وخاف ان يزورها فينزل به الشر فكتب اليها يذكر لها شوقه وقلقه ، ويعاتبها على نسيانها عهده ، ويصوّر لها جمال الطبيعة حوله :

١ إنّي ذكرتُكِ بالزّهراءِ مشتاقا
والأُفْقُ طَلْقٌ ووجهُ الأرْضِ قَدْ راقا

---

١ ـ راق : صفا . طلق : صاح جميل .

٢ وللنَّسيمِ ٱعتلالٌ في أَصائلِهِ كأنّهُ رَقَّ لي فاعتلَّ إِشْفَاقَا

٣ والرَّوضُ عَنْ مائِهِ الفِضّيِّ مُبتَسِمٌ
كما شَقَقْتَ عن ٱللّباتِ أطوَاقا

٤ يَوْمٌ كأَيّامِ لذّاتٍ لنا ٱنْصَرَمَتْ
بِتْنَا لها حينَ نام الدّهْرُ سُرّاقَا

٥ نَلْهُو بما يَسْتَميلُ العينَ من زَهَرٍ
جالَ النَّدى فيه حتى مالَ أعنَاقَا

٦ كأَنَّ أَعْيُنَهُ إِذْعايَنَتْ أرَقي بكتْ لما بي، فجالَ الدّمْعُ رَقْراقا

٧ وَرْدٌ تأَلَّقَ في ضاحي مَنابتِه
فازدادَ منه الضُّحى في العينِ إِشْراقَا

---

٢ ـ اعتلال النسيم : رِقّتُهُ ولطفه .

٣ ـ اللبّات : جمع لبّة وهي موضع القلادة من الصدر . والاطواق هنا ما يحيط بالعنق من الثوب ، وفي رواية حللت بـــدل شققت فتكـون الاطواق بمعنى الحلي .

٦ ـ أعين الزهر أي الزهرات ، فقد شبه كل زهرة بعـــين . الرقراق : الصافي اللطيف .

٧ ـ تألق : لمع . ضاحي المنابت : ذو منـــابت ضاحية ، والضاحي : الظاهر البارز او المرتفع ويقصد به هنا البارز للشمس .

٨ سَرى يُنافحُهُ نَيْلوفَرٌ عَبِقٌ
وَسْنَانُ نَبَّهَ منْهُ الصُّبْحُ أَحْداقَا

٩ كلَّ يَهِيجُ لنَا ذِكرى تُشَوِّقُنا
إِليكِ لم يعْدُ عنها الصَّدْرُ إِنْ ضاقــا

١٠ لا سكَّنَ اللهُ قلْباً عَنَّ ذِكرُكُمُ
فلم يَطِرْ بِجناحِ الشوقِ خَفّاقــا

الاسئلة

١ ـ أعرب الكلمات والجمل الآتية في الابيات : والأفق طلق ، إشفاقاً . كما شققت ، بتنا سراقاً ، أعناقاً . إذ ، بكت لما بي ، إشراقــاً ، ينــافحه نيلوفر . كل يهيج ، لم يعد عنها الصدر إن ضاقا .

٢ ـ ماذا ترى من علم البيان في الابيات : الثــالث والرابع والسادس والثامن والعاشر .

٣ ـ قطّع البيت الاول وسمّ بحره .

٤ ـ إشرح النص شرحاً أدبياً .

---

٨ ـ النيلوفر : نبات ينبت في الميــاه الراكدة ، له أصل كالجذور وساق ملساء تطول بحسب عمق الماء، وعندما يظهر على سطح الماء يظهر ورقه وزهره. ينافحه : يبادله النفح ، أو ينافسه في نشر الرائحة الفواحة . وسنان : نائم . الاحداق : جمع حدقة ، وهي الشحمة المحيطة بسواد العين ، وأطلقت على العين كلها كما جاء هنا .

٩ ـ عدا عنه : تجاوزه الى غيره .

١٠ ـ عنَّ ذكركم : خَطر .

مصادر

١ ـ ديوان ابن زيدون — طبعة الكيلاني وخليفة .
٢ ـ نفح الطيب — للمقري .
٣ ـ الذخيرة — لابن بسام .
٤ ـ نظرات في تاريخ الادب الاندلسي — لكامل الكيلاني .
٥ ـ بلاغة العرب في الاندلس — للدكتور احمد ضيف .
٦ ـ في الادب الاندلسي — للدكتور جودة الركابي .
٧ ـ ابن زيدون — للدكتور شوقي ضيف .
٨ ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربى — » » »

اسئلة ومواضيع

١ ـ قال أبو تمام :

لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يُعرَف طيبُ عَرْفِ العود

ولولا غضب ولادة وهجرها وشدة الزمان لما أعطانا ابن زيدون هذا الغزل الشاكي .

بيّن أثر النكبة في شعر ابن زيدون مستشهداً بنماذج صالحة من شعره .

٢ ـ قال أحد الأدباء المعاصرين :

ينقسم شعر ابن زيدون الى قسمين :

الاول شعره الذاتي الذي كان صفحة من حياته في سجنه وغربته وصورة من صور آلامه وأحزانه وحبه وغرامه .

والثاني : شعره كشاعر بلاط، وهو مزيج من الاستعطاف والعتب والمدح لابن جهور والذي ذابت فيه شخصيته كغيره من شعراء البلاط .

أوضح هذا القول وإيتنا بأمثلة كافية على كل من هذين النوعين .

٣ ـ قال أحدهم : « شعر ابن زيدون هو الصورة الصحيحة لشعر الاندلس لانبجاسه من أعماق فؤاده وانبعاثه من طبيعة بلاده » .

بيّن رأيكَ في هذا القول ، وناقشه مستشهداً بشيء من شعره في الطبيعة والشوق .

٤ ـ قال شوقي في ابن زيدون :

أنتَ في القول كله أجمل الناس مذهبا
بأبي انت هيكــلاً من فنون مركّبا
شاعراً أم مصوِّراً كنتَ أم كنتَ مطربا
ترسلُ اللحن كلَّهُ مبدعاً فيه مُغْرِبا
أحسن الناس هاتفاً بــالغواني مُشَبِّبــا

حلل راي شوقي الشاعر في ابن زيدون على ضوء هذا القول .

لسانُ الدين بنُ الخطيب

هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد الغرناطي الأندلسي المعروف بلسان الدين بن الخطيب . ولد بلوشة جنوبي غرناطة حوالي سنة ٦٢٩ هـ من اسرة هاجرت من الشام الى الاندلس ، ونشأ ربيب الجاه والعلم وأخذ من كل علم بطرف ، واشتهر بالأدب والفلسفة والطب والفقه وعلوم اللغة والشعر . واشتغل بالسياسة كعادة ادباء عصره ووزر لملوك بني الأحمر في غرناطة ، وكان وزيراً لأبي الحجاج يوسف من اشهر ملوكهم ، ثم لابنه ؛ الا انه أُتهم بالخيانة في السياسة والزندقة في العقيدة فهرب الى المغرب فاكرم السلطان المريني وفادته ورفض تسليمه الى بني الأحمر الذين طلبوه . ثم سعى به اعداؤه بتهمة الكفر والخروج عن الدين فسجن في فاس ، وقتل في سجنه سنة ٦٩٠ هـ ، ثم نُبشَ قبره واحرقت جثته .

لابن الخطيب شعر رقيق ، إلا انه اشتهر بموشحاته ولا سيما موشحته (جادك الغيث) التي اخترنا منها نصاً في بحث الموشحات .

ولقد أهّل ابنَ الخطيب اطلاعه الواسع على علوم اللغة العربية وفنونها لان يكون كاتباً من كبار الكتاب فكتب ما يزيد على الستين كتاباً معظمها في التاريخ وتخطيط البلدان والشعر والأدب والتصوف والطب ، ومن أشهرها كتابه المسمى « الإحاطة في تاريخ غرناطة » . وكانت عنايته بالصناعة اللفظية في نثره الأدبي كبيرة ، إذ كان يهتم باللفظ أكثر من اهتمامه بالمعنى ، ويعتمد على السجع والإكثار من عبارات التعظيم على نحو ما كان يفعل ابن العميد ، وعلى

طريقته في الكتابة . وكان يعتمد ايضاً على الاطالة والاطناب فجاءت معانيه قليلة وألفاظه وجمله كثيرة .

أما أسلوبه العلمي فانه يختلف عن أسلوبه الادبي اختلافاً كبيراً ، إذ أنه لم يلتزم فيه سجعاً ولا إطالة ولو غلبت عليه المحسنات البديعية احياناً إلا انه كان ألطف من أسلوبه الأدبي .

وعلى العموم فان لسان الدين بن الخطيب يعد من أكبر الكتاب الاندلسيين وأوسعهم علماً وأكثرهم إنتاجاً . وإليك نموذجاً من نثره .

قال يصف مدينة مكناسة القريبة من فاس التي كانت عاصمة للدولة المرينية :

« .. مكناسة مدينة أصيلة ، وشعب للمحاسن وفضيلة . فضّلها الله تعالى ورعاها ، وأخرج منها ماءها ومرعاها . فجنابها مريع ، وخيرها سريع ، اعتدل فيها الزّمان وانسدل الأمان ، وفاقت الفواكه فواكهها ولا سيما الرّمان ، وحفظ أقواتها الإختزان ، ولطفت فيها الأواني والكيزان . ودنا من الحضرة جوارها ، فكثر قصّادها من الوزراء وزوارها . وبها المدارس والفقهاء ، ولقصبتها الأبهة والمقاصير والأبهاء » .

المفردات : شعب : جمع شعبة وهي الطريق . مريع : مخصب . الكيزان : جمع كوز وهو الابريق الصغير . المراد بالحضرة هنا مدينة فاس . ويعبر اهل المغرب بالحضرة عن المدينة التي تكون عاصمة للخلافة والتي يقيم بها الخليفة . القصبة : المحلة ويراد بها هنا مدينة مكناسة نفسها .

مصادر

١ ـ نفح الطيب — للمقري .
٢ ـ الموجز في الأدب العربي وتاريخه — للجنة من الادباء .
٣ ـ تاريخ الادب العربي — لحنا الفاخوري .
٤ ـ في الادب الاندلسي — للدكتور جودة الركابي .
٥ ـ الذخيرة — لابن بسام .

اسئلة ومواضيع

١ ـ قال أصحاب المفصَّل في الأدب العربي وتاريخه : « لابن الخطيب شعر يحسب في الطبقة الثالثة بين الشعراء لأن أكثره أشبه بشعر الفقهاء منه بشعر الادباء » .

أوضح هذا القول وناقشه مستشهداً بجملة صالحة من شعره .

٢ ـ قلنا في ترجمته إنه اشتهر بموشحاته ولا سيما موشحته (جادك الغيث). إيتنا بنص هذه الموشّحة وادرسها دراسة أدبية .

٣ ـ إيتنا بقطعة من نثر ابن الخطيب وادرسها دراسة أدبية مبيّناً خصائصه النثرية فيها وعلى ضوء النص الذي قدّمناه لك سابقاً .

عصر الانحطاط الأدبي

النثر والشعر والتأليف

في هذا العصر

يمكن تقسيم هذا العهد الى دورين : دور المماليك ودور العثمانيين. ويبتدىء دور المماليك منذ سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ في يد التتار وينتهي سنة ٩٢٣ هـ حين استولى العثمانيون على القاهرة وقضوا على الخلافة العباسية .

ولقد سبق هذا الانقلاب السياسي نكبة بغداد على أيدي التتار ، تلك النكبة التي لم يكن ضررها مقصوراً على الناحية السياسية فقط بل كارثة فادحة من النواحي الدينية والعلمية والثقافية والادبية والاخلاقية والاجتماعية . وانتقل الخليفة بعد هذه النكبة من بغداد الى القاهرة ، إلا انه لم يكن له سلطة حقيقية لانها كانت بيد سلاطين المماليك ، واضطر العرب الى اعتزال السياسة والانصراف الى الاعمال الحرة كالزراعة والصناعة ليكسبوا عيشهم ، وكان العلم والادب في جملة ما انصرفوا اليه من أمور المعاش .

وترك المماليك اللغة العربية لغة رسمية ولكنهم لم يكونوا يستطيعون الكلام بالفصحى فاعتمدوا على العامية ، ولذلك فضلوا الشعر العامي كالزجل مثلاً على الشعر الفصيح مما أدى الى تأخر الشعر وانحطاطه .

ولقد فُقد الابتكار في الشعر في هذا العصر وأصبح تقليداً للشعر القديم وصورة ممسوخة للشعر في العصر العباسي .

وكان شعراء هذا العصر ضعافاً لا يقدرون على تناول غير المعاني الحقيرة ،

إذا كان فيها معنى شريف أو قوي كانوا يأخذونه من دواوين الشعراء العباسيين ويعرضونه بأساليبهم الضعيفة .

أما الأغراض الشعرية فلم يكن فيها جديد ؛ إنما طرق شعراء هذا العصر الاغراض السابقة وزادوا عليها الإفحاش في الغزل والمجون في الشراب والفخر حيث لا فخر ! ولعل أصدق الاغراض التي طرقها الشعراء في هذا العصر هو مدح الرسول الاعظم كما سنجد عند البوصيري في كلامنا عليه .

وأما الوصف فكان عندهم سخيفاً لانه لم يتناول إلا الاشياء التافهة . واعتمدوا على الأحاجي والالغاز في شعرهم . وهكذا صار الشعر مجال لهو وعبث لا مجال جد وعاطفة جيّاشة .

وأمعن شعراء هذا العصر في استخدام الصنعة البديعية حتى أصبحت الغرض الأول في أشعارهم ، وهكذا اعتمدوا على التورية والاقتباس والتضمين وما الى ذلك .

أما الأوزان فقد فضلوا الخفيف منها بل آثروا أحياناً الزجل وعمدوا الى القصائد المشهورة في الشعر الجاهلي والاموي والعباسي فشطّروها وخمّسوها . كما فضلوا المقطوعات الصغيرة على القصائد الطويلة في النظم لان أفق المعاني عندهم كان محدوداً .

على ان بعض شعراء هذا العصر كصفي الدين الحلي وابن نُباتة المصري والبوصيري وابن الوردي الذين سنأتي على ذكر شيء من اخبارهم استطاعوا ان يحافظوا على الروعة والجمال في بعض اشعارهم بعد ما كسدت سوق الشعر في هذا العصر ، ذلك لأنهم كانوا يستجيبون في هذه الروائع الى نفوسهم وقلوبهم فقط لا الى التكسب وطلب المال وذلك كمدح البوصيري مثلاً للرسول الأعظم.

ومهما يكن أمر شعر هذا العصر فانه لم يتدهور تدهور النثر فيه، لان الوزن والقافية حفظا له بعض رونقه ، اما النثر فقد تدهور الى درجة مريعة وذلك لاهتمام الكتاب باللفظ دون المعنى ولإغراقهم الممقوت في الصنعة البديعية

وولعهم الشديد بالسجع . وانت اذا قرأت نصاً نثرياً لاحد كتاب هذا العصر لم تجد فيه معنى جديداً ولا فكرة بعيدة، إنما تجد فيه ألفاظاً مرصوفة وعبارات مزخرفة جوفاء ليس الا . ومن أشهر كتاب هذا العصر القاضي محي الدين المتوفى سنة ٦٩٢ هـ والذي كان كاتباً للملك الأشرف خليل . وشهاب الدين الحلبي المتوفى سنة ٧١٩ هـ وكان كاتباً للملك الناصر. وشهاب الدين بن فضل الله العمري الدمشقي المتوفى سنة ٧٥٥هـ وكان كاتباً للملك الصالح قلاوون وغيرهم .

أما عن حركة التأليف في هذا العصر فقد ولّى العلماء والادباء وجوههم نحو القاهرة بعد سقوط بغداد ونشطت حركة التأليف لغيرة العلماء على الدين واللغة، ولتشجيع المماليك لأهل العلم والادب وبناء المدارس وتعيين المدرسين لها وحبس الحبوس الكثيرة عليها . وكان كل ذلك من السلاطين عن تمسك بالدين أو تقرّب من الرعية . لذلك نشط التأليف وظهرت الموسوعات الادبية الكبيرة في هذا العصر وهي عصارة النهضة العلمية والأدبية في العصر العباسي السابق .

ومن هذه الموسوعات التي أُلفت في هذا العصر « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمري . و « صبح الاعشى في صناعة الانشا » لأحمد بن علي القلقشندي . و « نهاية الأرب في فنون الأدب » لشهاب الدين احمد النويري . كما ظهرت في هذا الدور كتب للتراجم رائعة ككتاب « وفيات الأعيان » للقاضي ابن خلكان . وكثرت الشروح على الكتب الموجزة في علوم الدين خاصة .

ولم يمنع في هذا العصر بقاء اللغة العربية لغة رسمية من فشوّ اللغة العامية فشواً مريعاً ؛ وكان الذوق العامي ذوق زخرفة وتنميق ، لذلك حاكى الادباء هذا الذوق في شعرهم ونثرهم كما قدمنا .

أما الدور العثماني الذي بدأ باستيلاء العثمانيين على القاهرة سنة ٩٢٣هـ وانتهى باستيلاء نابليون على مصر وقيام عصر النهضة الحديثة فقد كان ظلاماً في ظلام .

لقد أهمـل الاتراك أمور البلاد العربية إهمـالاً تاماً ، ونهجوا معها سياسة « فرّق تسد » ودفعتهم عصبيتهم العِرقية الى فرض اللغة التركية لغة رسمية في الدواوين والمدارس، فانحطت العلوم والآداب انحطاطاً لم تعرف له مثيلاً في تاريخ العرب والاسلام . وقضى الاتراك على مـا كان في مصر من نشاط علمي وأدبي وما كان فيها من حضارة ، وانحطت الحياة الاجتماعية والسياسية أكثر مما كانت عليه في دور المماليك ، ونقل العثمانيون أكثر الكتب من مصر الى القسطنطينية فحرموا بذلك مصر، وبالتالي البلاد العربية، من ثروتها الادبية، واستولوا على معظم أموال الاحباس التي كانت مخصصّة لطلبة العـلم والعلماء مما أدّى الى تفرقهم وكساد سوقهم . وظلوا على هذه الحال حتى انتعشوا في عصر النهضة الحديثة .

مصادر

١ ـ المفصل في الأدب العربي للاسكندري وجماعته .
٢ ـ ادباء العرب للبستاني .
٣ ـ الوسيط في الأدب العربي للاسكندري
٤ ـ معالم الفكر العربي في العصر الوسيط للدكتور كمال اليازجي .
٥ ـ الادب العربي من قيام الدولة الايوبية الى الحملة الفرنسية . للدكتور عبد اللطيف حمزة .

صفيّ الدين الحلي

هو صفي الدين المعروف بالحِلـّي نسبة الى الحِلـّة ، إحدى مدن العراق ، ولد بها سنة ٦٧٧هـ ، وبها نشأ وتعلـّم فأجاد الشعر . وهاجر من الحـلة الى ماردين على أثر نكبة المغول واتصل بملوك الدويلة الارتقية ، إحدى الدويلات التي كانت قائمة وقتئذ ، ومدحهم وصار شاعرهم الخاص . ثم رحـل الى مصر واتصل بالملك الناصر بن قلاوون ومدحه ، وتوفي في بغداد سنة ٧٥٠ هـ.

ترك لنا الحلي ديوان شعر جمعه بنفسه وصنفـّه في أحد عشَر باباً ، وطرق فيه معظم فنون الشعر المعروفة من مدح ورثاء ووصف وما الى ذلك . وهو في أغراضه لا يختلف عن سابقيه من الشعراء ، كما انه لا يختلف عن شعراء عصره في قوله في الاوزان الخفيفة ، وفي تشطيره وتخميسه لقصائد غيره من الشعراء . ونظم القصائد النبوية التي ضمنها ضروب البديـع وسماها « البديعيـات » ، وهو أول من فعل ذلك من شعراء هذا العصر ، ثم قلـّده فيه من جاء بعده .

وكان الحلي زعيم شعراء عصره ، فقد ساعده طبعـه الموهوب على ان يتخلص من كثير من امراض شعر هذا العصر . وهو سهل الالفـاظ ، جيّد الاسلوب إلا انه قليل الابتـكار، يعتمد في الكثير من معانيه على فحول الشعراء القدامى ، إلا انه لم يستطع ان يجاريهم في قوة الاسلوب وصفائه وبلاغته دائماً . وكان يتخلـّف عنهم احياناً فجاء شعره صورة مضطربة ، لم يخضع كل الخضوع لعصره ولم يستطع ان يحيي ديباجة الشعر القديم الرائع . واليك مقطوعة من شعره يصف فيها الربيـع :

١ خَلَعَ الرَّبيعُ على غصونِ البانِ حُلَلاً ، فواضِلُها على الكُثْبانِ

٢ ونَمَتْ فُرُوعُ الدَّوحِ حتَّى صافحت
كفَلَ الكثيبِ ذوائِبَ الأغصَانِ

٣ وتتوَّجَتْ هامُ الغصون ، وضَرَّجَتْ
خَدَّ الرياضِ شقائِقُ النُّعْمانِ

٤ وتَنَوَّعَتْ بُسُطُ الرِّياضِ فزهرُها
متباينُ الأشكالِ والألوان :

٥ من أبيضٍ يَقِقٍ ، وأَصْفَرَ فاقِعٍ
أو أزْرَقٍ صافٍ ، وأَحْمَرَ قاني

٦ والظِلُّ يسرقُ في الخمائِلِ خَطْوَه
والغُصْنُ يخْطُرُ خطرة النَّشْوانِ

---

١ ــ فواضل الحلل : ما يفضل منها وما يزيد . والمعنى : ان الربيع كسا الغصون من حلله التي امتدت ذيولها على التلال .

٢ ــ والمعنى : ظلت فروع الشجر تنمو حتى انحنت ذوائب الاغصان لمصافحة الكثيب .

٣ ــ هام الغصون : رؤوسها . ضرَّجته : صبغته باللون الاحمر . شقائق النعمان : نبات احمر اللون ينبت في فصل الربيع .

٥ ــ اليقق : الناصع البياض . الاصفر الفاقع : الاصفر الفاتح والخالص من هذا اللون .

٧ وكأنَّما الأغصانُ سوقُ رواقِصٍ قد قيِّدَتْ بسلاسِلِ الرَّيْحَانِ
٨ والشمسُ تنظرُ من خلالِ فروعها
نَحْوَ الحدائِقِ نِظْرَةَ الغَيْرانِ
٩ والأرض تَعْجَبُ كيف تضحك والحيا
يبكي بدمع دائِمِ الهَمَلانِ
١٠فاصرف همومَكَ بالرَّبيع وفَضْلِهِ !
إنَّ الرَّبيعَ هُوَ الشَّبابُ الثاني

الاسئلة

١ ـ ماذا تجد من ضروب البيان في الابيات : ٢، ٣، ٦، ٨، ٩ ؟
٢ ـ ماذا تجد في قوله في البيت الثالث : تتوجت وضرَّجت .
٣ ـ هل أعجبكَ التشبيه الموجود في البيت السابع ؟ ولماذا ؟
٤ ـ ماذا تجد في قوله في البيت التاسع : « تضحك الارض ويبكي الحيا » من ضروب البديع ؟
٥ – إشرح هذا النص شرحاً أدبياً محدداً بوضوح الصور التي وردت فيه .

---

٧ ـ السوق : جمع ساق . شبه الاغصان بسوق راقصات ، قيدتها سلاسلُ الريحان ، فلا تتحرك إلا بمقدار .
٩ ـ الحيا : المطر . الهمَلان : السيلان .

مواضيع

١ ـ قال أصحاب المفصل عن الحلي : « هو أول من نظم القصائد النبوية الجامعة لأنواع البديع المسماة بالبديعيات » .

ناقش هذا القول وأعطنا نموذجاً من بديعياته .

٢ ـ لصفي الدين الحلي قصيدة عارض بها نونية ابن زيدون ويقول فيها :

سَلِ الرِّماح العوالي عن معالينا
واستشهد البِيض هل خابَ الرجا فينا

إيتنا بنص من هذه القصيدة وادرسه دراسة أدبية وافية .

مصادر

١ ـ المفصل في تاريخ الأدب العربي للاسكندري وجماعته .
٢ ـ الوسيط في تاريخ الادب العربي وتاريخه للاسكندري
٣ ـ الموجز في الادب العربي وتاريخه للجنة من الاساتذة .
٤ ـ ديوان صفي الدين الحلي .

ابنُ الوَردِي

هو زين الدين عمر ، المعروف بابن الوردي ، ولد بمعرة النعمان ، بلد أبي العلاء المعري ، سنة ٦٨٩هـ ، وبها نشأ وتعلّم ، ثم رحل الى حلب وأتم علومه فيها ، وكان عهده عهد الانحطاط الأدبي ، إلا أنه أكب على دراسة علوم اللغة والادب حتى حصل منها على الشيء الكثير ، وأسعفه في ذلك ما أوتيه من ذكاء وحدة ذهن ، فخرج نحوياً أديباً فقيهاً مؤرخاً شاعراً ، وكتب في التاريخ والنحو ، واعتنى بالحِكم في شعره مقلّداً في ذلك ابن بلده ، أبا العلاء المعري ، إلا انه لم يستطع اللحاق به ، فالرجل لا يشق له غبار في هذا المضمار ، وكان مثله عفيفاً لا يستجدي بشعره .

وتوفي ابن الوردي بحلب سنة ٧٤٩هـ وترك لنا ديواناً من الشعر مطبوعاً يمتاز بما فيه من البديع وخصوصاً التورية . وهو متوسط في الجودة ، وأشهر ما فيه قصيدة لامية في الحكم معروفة بـ « لامية ابن الوردي » وتقع في سبعة وسبعين بيتاً نقتطف لك منها هذه الباقة التي يتضح لك منها ان حكم ابن الوردي خالية من كل روعة أدبية وانه ينزع فيها نزعة الفقهاء ، ويعتمد على الدين ، وعلى معرفة عميقة بأخلاق الناس والنفس البشرية . وهي حكم انسانية عامة صدرت عن حكيم متفائل شملت عاطفته ومودته جميع بني الانسان :

اعتزل ذكر الأغاني والغزل

١ إِعْتَزِل ذِكرَ الأغاني والغَزَلْ وَقلِ الفَصْلَ وجَانِبْ مَنْ هَزَلْ

٢ وَدَعِ الذِّكرَى لأَيَّامِ الصِّبا   فَلأَيَّامِ الصِّبا نَجْمٌ أَفَلْ

٣ إِنَّ أَهْنا عيشَةٍ قَضَّيْتَهـا   ذَهَبَتْ لذَّاتها والإِثْمُ حلّ

٤ واهْجُرِ الخَمْرَةَ إِنْ كنتَ فتىً   كيفَ يسْعَى في جُنُونٍ مَنْ عَقَلْ؟

٥ واتَّقِ اللهَ فتَقْوى اللهِ مَـا   جاوَرَتْ قلْبَ امرِىءٍ إِلَّا وَصَلْ

٦ ليسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرْقاً بَطَلاً   إِنَّما مَنْ يَتَّقي اللهَ البَطَلْ

٧ كُتِبَ المَوتُ على الخَلْقِ فَكَمْ   فَلَّ من جَمْعٍ وأفْنَى من دُوَلْ

٨ أَيْنَ نَمْرُودٌ وكَنْعَانٌ ومَنْ   مَلَكَ الأَرضَ وولَّى وعَزَلْ ؟

٩ أَيْنَ من سَادُوا وشادُوا وبَنَوْا   هَلَكَ الكُلُّ ولم تُغْنِ القُلَلْ

١٠ أَيْنَ أَربابُ الحِجَى أَهلُ النُّهَى   أَيْنَ أَهْلُ العِلْمِ والقَوْمُ الأُوَلْ

١١ سَيُعِيدُ اللهُ كُلاً مِنْهُمُ   وسَيَجْزي فاعلاً ما قَدْ فَعَلْ

١٢ أَيْ بُنَيَّ اسْمَعْ وَصَايا جَمَعَتْ   حِكَماً خُصَّتْ بها خَيْرُ المِلَلْ

١٣ أُطْلُبِ العِلْمَ ولا تَكْسَلْ فما   أَبعَدَ الخَيْرَ على أَهْلِ الكَسَلْ

١٤ واحْتَفِلْ بالفِقْهِ في الدِّينِ ولا   تَشْتَغِلْ عَنْهُ بمالٍ وَخَوَلْ

١٥ واهْجُرِ النَّوْمَ وحَصِّلْهُ فَمَنْ   يَعرِفِ المطلوبَ يَحْقِرْ ما بَذَلْ

---

٩ ـ القُلَل : جمع قُلَّة ، وقلة الشيء أعلاه ، والمقصود بها هنا قلَّة السيف وهي ما على طرف مقبضه من فضة او حديد ويقصد بها السيف نفسه .

١٦لا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ كلُّ من سارَ على الدَّرْبِ وَصلْ
١٧في ازْدِيادِ العِلْمِ إِرْغَامُ العِدَى وجمالُ العِلْمِ إِصْلاحُ العَمَلْ
١٨إِطْرَحِ الدُّنيا فمِنْ عَادَاتِها تَخْفِضُ العَالِي و تُعْلِي مَنْ سَفَلْ
١٩كمْ جَهُولٍ باتَ فيها مُكْثِراً وعليمٍ ماتَ فيها بِعِلَلْ
٢٠كم شُجَاعٍ لم يَنَلْ فيها المُنى وَجَبَانٍ نالَ غايَاتِ الأَمَلْ
٢١فاتْرُكِ الحِيلةَ فيها واتَّكِلْ إِنَّما الحِيلَةُ في تَرْكِ الحِيَلْ
٢٢لا تقل أصلي و فَصْلي أبداً إِنَّما أصلُ الفتَى ما قدْ حَصَلْ
٢٣قد يسُودُ المرءُ من دونِ أَبٍ و بحُسْنِ السَّبْكِ قد يُنْفَى الزَّغَل
٢٤إِنَّما الوَرْدُ من الشوكِ وَمَا يَنْبُتُ النَّرْجِسُ إِلَّا من بَصَلْ
٢٥قيمةُ الإِنسانِ ما يُحْسِنُهُ أكْثَرَ الإِنسانُ منهُ أمْ أقلْ
٢٦ليسَ يَخْلُو المرءُ من ضِدٍّ ولَوْ حاوَلَ العُزْلَةَ في رأسِ جَبَلْ
٢٧دَارِ جَنْبَ السُّوْءِ بالصَّبْرِ وإِنْ لم تَجِدْ صَبْراً فما أحلى النُّقَلْ
٢٨جَانِبِ السلطانَ واحذَرْ بَطْشَهُ لا تعانِدْ مَنْ اذا قالَ فَعَلْ
٢٩قَصِّرِ الآمالَ في الدُّنيا تَفُزْ فَدَليلُ العَقْلِ تَقْصِيرُ الأَمَلْ
٣٠غِبْ وزُرْ غِبّاً تَزِدْ حُبّاً فَمَنْ اكثرَ التَّرْدادَ أضناهُ المَلَلْ

---

٢٣ ـ الزغل : الغش .

٣١ لا يَضُرُّ الفَضْلَ إقلالٌ كما   لا يضُرُّ ٱلشَّمْسَ إطْبَاقُ الطَّفَل
٣٢ حبُّكَ الأوطانَ عَجْزٌ ظاهِرٌ   فاغْتَرِبْ تَلْقَ عَنِ الأَهْلِ بَدَلْ
٣٣ فَبِمُكْثِ المــاءِ يَبْقَى آسِناً   وسُرَى البَدْرِ بِهِ البَدْرُ ٱكتَمَلْ

المطلوب : شرح هذه الحكم شرحاً أدبياً وبيان النواحي الواقعية والانسانية فيها .

مواضيع

١ ـ قال أصحاب المفصَّل : « شعر ابن الوردي متوسط في الجودة غاصٌ بالبديع وبخاصّة التورية ، وتظهر فيه النزعة الفقهية والعلمية أحياناً » .

ناقش هذا القول وأوضحه معتمداً على الشواهد الـكافية من ديوانه .

٢ ـ قال أحد الادباء المعاصرين : « شعر ابن الوردي ظاهر الجود ضعيف التسلسل بعيد عن كل انطلاق في عالم الخيال، يسير في سلاسة وسهولة عجيبتين »

ناقش وأوضح واستشهد .

مصادر

١ ـ الجديد في الأدب العربي وتاريخه   لحنا الفاخوري
٢ ـ المفصل في الأدب العربي   للأسكندري وجماعته
٣ ـ الموجز في الأدب العربي وتاريخه   للجنة من الاساتذة
٤ ـ ديوان ابن الوردي

---

٣٣ ـ الماء الاسن : ما تغير لونـــه وطعمه وساءت رائحته . والمكث : الركود . والسرى : السير ليلاً .

البوصيري

هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي ، نسبة الى قبيلة صنهاجة البربرية في المغرب ، والمعروف بالبوصيري نسبة الى بوصير احدى قرى بني سويف بمصر ويلقّبه بعضهم بالدلاصيري لأن أحد أبويه من دلاص وهي قرية من قرى مديرية بني سويف ايضاً .

ولد بدلاص سنة ٦٠٨ هـ ونشأ ببوصير ثم انتقل الى القاهرة ودرس فيها علوم اللغة العربية والآداب فتخرَّج كاتباً شاعراً ، وقال الشعر بليغاً فصيحاً جزلاً كما قاله مرذولاً وعامياً .

وكانت حرفة الكتابة في زمنه أفضل رزقاً من التكسب في الشعر فاتخذ كتابة الدواوين حرفة له ، وتنقّل بسببها في مناصب كثيرة في القاهرة والأقاليم مدة طويلة . ويظهر انه انتقل بعد ذلك الى الاعمال الادارية وباشر ادارة المديرية الشرقية في مصر زمناً .

واصيب البوصيري بفالج اقعده عن الحركة فنظم قصيدة البردة المشهورة التي يمدح بها النبي ويتوسل بها الى الله ليشفيه من مرضه . ويروي هو أنه رأى النبي في منامه فامرَّ عليه يده وخلع عليه بردته ، فأفاق وقد شفي من مرضه ولهذا سمّيت هذه القصيدة بالبردة .

توفي البوصيري بالاسكندرية سنة ٦٩٥ هـ ولا يزال قبره فيها معروفاً ومشهوراً يقصده الزوار من كل حدب وصوب .

أشهر آثاره قصيدة « البردة » التي تتألف من ١٦٢ بيتاً، ثم قصيدته الهمزية المشهورة وهي ملحمة صغيرة في مدح الرسول ، وذكر حياته وغزواته ومعجزاته وتقع في ٦٣٦ بيتاً ومطلعها :

كيفَ ترقى رقيُّك الأنبياء يا سماءً ما طاولتها سَماءُ

وله أيضاً قصيدة في الهجاء هجا فيها مستخدمي الشرقية لِما رآه من فسادهم ومطلعها :

نَقَدْتُ طوائِفَ ٱلمسْتَخْدمينا فلم أرَ بينهم رجلاً أمينا

ويظهر أنه نظمها قبل البردة والهمزية لانه تنَسَّك بعدهما وتصوَّف فلم يقل هجاءً .

وتمتاز مدائح البوصيري النبوية بالسبك القوي وحسن دراية في استعمال البديع وعلو كعب في الشعر . وتسيطر عليها العاطفة الصادقة السامية والروح الرقيق . ولقد أوجد البوصيري في مدائحه النبوية هذه فناً أدبياً رفيعاً بسبب معارضة الشعراء له في المشرق والمغرب في قصيدتيه : البردة والهمزية . وممن عارضه فيهما في العصر الحديث شوقي .

أما شعره في غير المدائح النبوية فهو كشعر زمانه في الاسلوب والمعاني والأخيلة ، ففيه الالفاظ المولدة والاهاجي المقذعة، ولا سيما شعر المرحلة الاولى من حياته قبل تنسكه وتوبته، فقد كان موغلاً فيه في الصناعة البديعية واللفظية مهملاً للمعاني كاذباً في عواطفه .

قال في البردة يصف حُبَّه للنبي :

١ أمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ مَزَجْتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بِدَمِ

---

١ ــ ذو سلم : موضع قرب المدينة المنورة .

٢ أمْ هَبَّتِ الرِّيحُ من تلْقَاءِ كاظِمَةٍ
وأوْمَضَ البرقُ في الظَّلْماءِ من إضَمِ
٣ فما لِعَيْنَيْكَ إنْ قلتَ اكفُفَا هَمَتَا
وما لقلبكَ إنْ قلتَ استفِقْ يَهِمِ
٤ أيَحْسَبُ الصَّبُّ ان الحبَّ منكتِمٌ
مـــا بين مُنْسَجِمٍ منه ومُضْطَرِمِ
٥ لولا الهوى لم تُرِقْ دمعاً على طَلَلٍ
ولا أرِقْتَ لذكر البـــانِ والعَلَمِ
٦ نَعَمْ سَرَى طيفُ مَنْ أهوى فأرّقني
والحبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذاتِ بالألَمِ

---

٢ ـ من تلقاء : من جهة . أومض البرق : لمع لمعاناً خفيفاً. كاظمة وأضم : موضعان في الحجاز قرب المدينة ايضاً .

٣ ـ اكففا : من كفّ الدمع أي امتنع . همتا : من همى الدمع يهمي أي سال . يهم : من هام يهيم أي أحبَّ حباً شديداً .

٤ ـ المنسجم : الدمع المنسكب . المضطرم : القلب الملتهب شوقاً .

٥ ـ يرق : من أراق يريق أي سكب . الطلل : ما بقي من آثار الدار . البان : موضع قرب المدينة المنورة . والعلم : جبل بقربها ايضاً .

٦ ـ يعترض : يقف عارضاً ومعناها هنا : ينغِّص .

٧ يا لائِمي في الهوي العُذْريِّ مَعْذِرَةً
مِنِّي اليكَ ولو أنصَفْتَ لم تَلُمِ

٨ محضتني النُّصْحَ لكنْ لستُ أسْمَعُهُ
إنَّ المُحِبَّ عن العُذَّالِ في صَمَمِ

الاسئلة

١ ـ ماذا يقصد بالاستفهام في الابيات الثلاثة الاولى ؟
٢ ـ قطّع البيت الأول عروضياً وسمِّ بحره .
٣ ـ ماذا في قوله (اكففا وهمتا) وبين (استفق ويهم) ؟
٤ ـ ماذا تجد في البيت الرابع بين منكتم ومنسجم ومضطرم ؟
٥ ـ ماذا تجد بين (ترق وأرقت) من المحسنات البديعية ؟
٦ ـ ماذا يوجد بين (اللذات والالم) ؟
٧ ـ ماذا تجد بين (العذري والمعذرة) ، وبين (أسمعه وصمم) ؟

مصادر

١ ـ الوسيط في الادب العربي وتاريخه للاسكندري .
٢ ـ الموجز في الادب العربي وتاريخه للجنة من الاساتذة .

---

٧ ـ الهوى العذري : الهوى الشريف العفيف ، نسبة الى قبيلة عذرة اليمانية التي اشتهر معظم رجالها بهذا الحب ومنهم جميل بثينة .
٨ ـ محضه النصح : كان مخلصاً له في النصيحة . العذال : جمع عاذل ، وهو اللائم . الصمم : فقدان حاسة السمع .

مواضيع

١ ـ قال أحد الأدباء المعاصرين : « يمتاز شعر البوصيري بالرّصانة والجزالة وحسن استعمال البديع في مدائحه النبوية » .

أوضح هذا القول وناقشه . إيتنا بالشواهد الكافية على ذلك .

٢ ـ اتخذ البوصيري كتابة الدواوين صناعة له . فهل تستطيع ان تأتينا بنص نثري له وتدرسه دراسة أدبية ؟

ابن نباتة المصري

هو الكاتب الشاعر جمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن نباته ، ينتهي نسبه الى عبد الرحيم بن نباتة خطيب سيف الدولة الحمداني المعروف بخطبه المشهورة .

ولد بمصر الفسطاط سنة ٦٧٦ هـ ونشأ بالقاهرة على الرفاهية والنعيم في بيت علم وأدب ، ودرس على اكبر مشايخها علوم اللغة والأدب ، واعجب بشعر القاضي الفاضل وطريقته في الكتابة فاكبّ على دراستها بدقة وامعان حتى انطبع بطريقته وولع مثله بالتورية والطباق وظهر ذلك كله في نظمه ونثره . ويعده الكثير من النقاد ومؤرخي الادب اشعر شعراء مصر والشام في ذلك العصر وخصوصاً في اجادته للتورية فقد كان إمام الأدباء بها . وساعده على ذلك نبوغه وعبقريته الوراثية واتساع تفكيره لكثرة انتقاله واسفاره بين مصر وبلاد الشام ، كما كان لبؤسه وكثرة عياله وقلة موارده وحرمانه بالنسبة الى كفاءاته اثر كبير في غزارة معانيه وأخيلته .

توفي رحمه الله بمصر سنة ٧٦٨ هـ وترك لنا ديواناً من الشعر مطبوعاً ومرتباً على حروف الهجاء ، تناول فيه الغزل ووصف الخمر والحنين الى صباه المنعَّم ، ووصف شيخوخته البائسة ، وفيه كثير من المدح والتهاني والتعازي ، وفيه مقطوعات كثيرة كان يقولها لابراز نوع من البديع خطر بباله او في حاجة كان يرسل بها الى احد اخوانه . وله ايضاً كتاب حافل بالأدب سماه « مَطْلَعُ الفوائد ومجمع الفرائد » وله ايضاً كتاب « سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون » وهو من اجود مؤلفاته في الأدب وتاريخ العرب . ومن شعره الذي

يأسف فيه على حاله وقلة حظه وكرهه للدنيا قوله :

١ اسْتَغْفِرُ اللهَ ! لا مَـــالي ولا وَلَدي
آسَىٰ عَلَيْـــهِ إِذا ضَمَّ الثَرى جَسَدِي

٢ عِفْتُ الإِقامَةَ في الدُّنيا لو انْشَرَحَتْ
حالي ، فكَيْفَ ؟ وما حَظِّي سِوَى ٱلنَكَدِ !

٣ وقد صَدِئْتُ ، ولي تحتَ التُّرابِ جِلاً
إِنَّ التُّرابَ لَجَــلاَّءٌ لِكُلِّ صَـــدِي

٤ لا عــارَ في أَدَبي أنْ لم يَنَلْ رُتَباً
وإِنّما ٱلعـــارُ في دَهْرِي وفي بَلَـــدِي

٥ هذا كلامي وذا حَظي ، فيــا عَجَباً
مِني لِثَرْوَةِ لَفْظٍ وٱفْتِقارِ يَـــدِ !

٦ وما عَجِبْتُ لِدَهْرٍ ذُبْتُ مِنْهُ أَسىً
لكِنْ عَجِبْتُ لِضدٍّ ذابَ مِنْ حَسَدِ

---

١ ــ آسَى عليه : احزن عليه .

٢ ــ عاف الاقامة او المقام : كرهه . النكد : التعاسة والشقاء .

٣ ــ جلا اي جلاء ، قصره لوزن الشعر والجلاء هو تنظيف الاناء مما لحق به من الصدأ . والصدي : هو الاناء او الشيء الذي أصابه الصدأ ومنه صدىء المعدن يصدأ فهو صديء .

٧ تدور هَامتُهُ غيظـاً عَلَيَّ ، ولا
والله ، مـا دارَ في فِكْرِي ولا خَلَدِي
٨ حَيَاةُ كُلِّ آمْرِىءٍ سِجْنٌ لِمُهْجَتِهِ
فأَعْجَبْ لطـالِبِ طولِ السِّجْنِ والكَمَدِ
٩ يا جامِعَ المـالِ إِنَّ العُمْرَ مُنْصَرِمٌ
فابْخَلْ بمالِـكَ مَهْمَا شِئْتَ ، أو فَجُدِ
١٠ويـا عزيزاً يخيطُ العُجْبُ ناظِرَهُ
اذْكُرْ هوَانَـكَ تحتَ التُّرْبِ وآتَّئِدِ

الاسئلة

١ ــ قطع البيت الأول عروضياً وَسَمِّ بحره .
٢ ــ اعرب البيت الثالث .
٣ ــ اشرح الابيات شرحاً أدبياً .

---

٧ ــ الهامة : الرأس . خَلَدي : بالي وفكري .
٨ ــ المهجة : الرُّوح . الكمد : الحزن .
٩ ــ منصرم : منقطع .
١٠ ــ الهوان : الذل . اتَّئِدْ : تَمَهَّلْ .

وبما قاله مورّياً في رثاء ابنه :

١ يا لهفَ قلبي على عبـــد الرّحيم ويا
شوقي إِليه ويـــا شجوي ويـــا دائي

٢ في شَهْرِ كانونَ وافـــاهُ ٱلحِمامُ لقَدْ
أحرقتَ بـــالنار يـــا كانونُ أحشائي

مصادر

١ ـ المفصل فى تاريخ الادب العربي — للاسكندري وجماعته .
٢ ـ الوسيط في الادب العربي وتاريخه — للاسكندري .
٣ ـ الموجز في الادب العربي وتاريخه — للجنة من الاساتذة .
٤ ـ ديوان ابن نباتة .

مواضيع

١ ـ لابن نباتة ترجمة واسعة في المفصل في تاريخ الأدب العربي ، فهل لك ان تلخص هذه الترجمة وتعطينا عنها صورة كاملة ومختصرة .

٢ ـ يقال : إن أكثر ديوان ابن نباتة في الشكوى من فقره وشيبه وزمانه وكثرة أولاده .

أوضح هذا القول واستشهد عليه بجملة صالحة من شعر الرجل .

---

٢ ـ كانون اسم لأحد اشهر السنة الشرقية ، وكانون ايضاً وعاء من الفخار يشعل فيه الفحم للتدفئة او الطبخ .

الادب الشعبي

الف ليلة وليلة

بدأ الأدب الشعبي عند العرب بشكل أسمار وأحاديث ونوادر كان يمضي الناس بها أوقات فراغهم ، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الشعوب ، ولقد ساعد على انتشار القصص عند العرب ما قاموا به من فتوحات اضطرتهم الى وضع قصص حماسية تدور حول الابطال المشهورين كقصة عنترة وقصة الملك الظاهر وغيرهما ، كما ساعدهم على تأليف القصص الغرامية ما انغمسوا فيه من لهوٍ ومجونٍ حين انطلقوا من جزيرتهم وفتحوا البلدان وتدفقت عليهم الأموال والخيرات .

وللأدب الشعبي العربي مصدران : الأول عربي خالص كقصة عنترة ، والثاني أعجمي ، فارسي أو هندي مثل كتاب « كليلة ودمنة » الهندي الأصل والذي ترجمه ابن المقفع عن الفارسية في صدر الدولة العباسية ، ومثل كتاب « الف ليلة وليلة » الفارسي الاصل والمنقول عن كتاب (هزار أفسانه) أي الف حكاية وذلك لان كثيراً من قصصه ذات الطابع الفارسي موجودة في هذا الكتاب .

ولقد أضيف الى أصله الفارسي كثير من القصص والنوادر العربية التي وضعت في عصور مختلفة، وذلك ابتداء من العصر الثالث الى العاشر الهجري حتى أصبح في وضعه الحاضر الذي نعرفه فيه . ولذلك فاننا نجد فيه قصصاً عربية تتحدث عن الولاة والخلفاء الامويين في دمشق ، وقصصاً عراقية تتحدث عن

الخلفاء العباسيين كالرشيد وغـــيره ، وعن مدينتي بغداد والبصرة . ومن تلك القصص قصة السندباد البحري التي تدور حوادثها حول الجزر والبلاد العجيبة التي كان يراها بحارة البصرة في رحلاتهم الى أقطار المعمورة . ونجد فيه قصصاً مصرية وضعت ايام المماليك ، وتدور حوادثها في مدينتي القاهرة والاسكندرية. وكل هذه القصص تمثل الآداب الاجتماعية عند المسلمين في القرون الوسطى ، كما انها تصور انهماكهم في الملذات والفواحش، وتنظر الى المرأة نظرة حقيرة سيئة. كما ان فيه قصصاً تصوّر الفضائل ومكارم الاخلاق وتدعو اليها . وتسيطر على قصص الكتاب بصورة عامة المبالغة والاغراق في الخيـال الذي يصل الى حد الخرافة . وتختلف قصص ألف ليـلة وليلة في المواضيع والاغراض والاساليب التي هي على العموم سهلة بسيطة وفيها الكثير من الالفـــاظ البذيئة والعبارات الركيكة السخيفة . كما ان القصة الواحـدة فيه ينقصها ترابط في الموضوع وفي المقدمة والنتيجة مما يجعلها لا تحتل مكان القصة الراقية في الفن القصصي الحديث وان كان فيها بعض المواقف الحرجة التي تشبه العقدة ثم الخلاص من تلك المواقف، وهذا ما يشبه الحل في القصة الحديثة . وأهم ما تعنى به قصص الف ليلة وليلة وصف الظواهر والمحسوسات فلا تهتم بوصف النفوس والطباع ودراسة الاخلاق على نحو القصة الحديثة الراقية .

على ان الكتاب المختلفين الذين كتبوا قصص ألف ليلة وليـلة في مدة سبعة قرون معذورون في هـذا التقصير الفني لان امكانياتهم الفنية غـــير امكانيات قصاصي العصر الحديث وعصرهم غير عصرنا، ومع كل ذلك فقد أعجب بكتاب الف ليلة وليلة الغربيون إعجاباً كبيراً وترجموه الى معظم اللغات الاوروبية إما باسمه الحقيقي او باسم « الليالي العربية » لأن أكثر قصصه مطبوع بالطابع العربي ولانهم ترجموه عن اللغة العربية . ولقد طبع هذا الكتاب في الشرق طبعات كثيرة مهذبة منها طبعة « كتاب الهلال » بمصر في خمسة أجزاء وطبعة «المطبعة الكاثوليكية» في بيروت ، وهي طبعة مهذبة ومنقحة ومصححة وجميلة وتقع في سبعة أجزاء ، وهي منتشرة بكثرة في جميع البلاد العربية . كما ان لهذا الكتاب طبعات اوربية غاية في الاتقان والروعة ومزينة بصور فنية بديعة .

الادب المغربي

لمحة عن مظاهر الحضارة

في العهدين المريني والسعدي

واثر الهجرة الأندلسية فيها

كلنا يعلم أنَّ المغرب والأندلس عاشا متحدين من النَّاحية السياسية مـــدة ثلاثة قرون، وذلك منذ عهد المرابطين الى اوائل العهد المريني، وهذا ما أدى الى الامتزاج الفكري والمادي بين هذين الشعبين ، وكان له كبير الأثر في تحضير الحياة المغربية التي كانت اقرب الى البداوة منها الى الحضارة . ولما توالى سيل المهاجرين في عهد السعديين بسبب سقوط الإمارات الأندلسية الواحدة تـــلو الأخرى بيد الاسبان نقلوا معهم حضارتهم التي طبعت الحياة الفكرية والاجتماعية بطابعها ، وهكذا انتقل من الأندلس الى المغرب العلمـــاء والأدباء والفقهاء والفلاسفة والشعراء والفنانون والتجار والصناع وكل هؤلاء ساهموا في حضارة المغرب في العهدين المريني والسعدي .

واذا اردنا ان نترك الحياة العلمية والأدبية جانباً ونتكلم عن حياة المدينة والحضارة وانتشار الرفاهية واسباب النعيم في هذين العهدين رأينا ان من أهم مظاهر الحضارة في ذلك الحين :

١ ـ انتشار العلوم والمعارف وتشجيع العلماء والأدباء والفقهاء . وكان عن ذلـــك ان نبغ في العهد المريني من العلماء والمؤرخين ابن خلدون وابو الحسن

الجنائي، ومن الجغرافيين ابن بطوطة، ومن علماء الفلك ابن البناء والجاويري، ومن الأطباء ابو الحسن المراكشي ، ومن النحويين ابن آجروم ، ومن الأدباء والشعراء كثير امثال الجزّنائي وابن المرحّل والحضرمي وغيرهم . كما نبغ في العهد السعدي الوزان الفاسي وعبد العزيز الفشتالي وابن القاضي واحمد بابا السوداني وغيرهم. ولقد غرق في اسطول ابي الحسن المريني وهو قادم من تونس الى المغرب (٤٠٠) من كبار العلماء المغاربة . وهذا العدد يدل على النهضة العلمية المباركة التي كانت في عهد المرينيين الا ان التعليم ضعف في عهد الوطاسيين .

٢ ـ بُنِيَتْ المستشفيات في أهم حواضر المغرب للمرضى والغرباء والمجانين وأُجريت النفقات عليهم من جزية اليهود ، وتم تأمين الاطباء والتداوي والغذاء واللباس مجاناً لرواد هذه المستشفيات من الفقراء . كما خصصوا للمساكين والمصابين بمرض الجذام مالاً معلوماً يجري عليهم في كل شهر .

٣ ـ بناء دور الصناعة والمدارس والمساجد وذلك كدار لصنع السفن في سلا في عهد ابي يوسف يعقوب المريني الذي تمت له السيادة على المغرب والاندلس، والمدارس في الحواضر المغربية كمكناس وتازة وطنجة وسبته وآزمور ومراكش والقصر الكبير وتلمسان وخصوصاً المدرسة العنانية (نسبة الى أبي عنان المريني) وخزانة كتب القرويين بفاس ومدرسة للطب بسلا ومساجد كثيرة كمسجد سيد الملوي الجميل بتلمسان من القطر الجزائري .

واقام السعديون المساجد الكثيرة في مراكش كمسجد المواسين والقصبة وباب دكالة . ولهم فيها مقبرة رائعة يقصدها السيّاح من كل حدب وصوب .

ولقد امتاز فن البناء في هذين العهدين بالنقش على الجبص وفي الخشب ، فلم يتركوا محلا فارغاً في الجدران او السقوف الا زينوه بالنقوش ، وفرشوا الأرض بالبلاط الرقيق الملون والرخام الأبيض والاسود والمجزّع ، ورفعوا السقوف على اعمدة من المرمر كانوا يجلبونها من ايطاليا ، ونصبوا الفسقيات الرخامية على كراسي من المرمر ، وحفروا الصهاريج الكبيرة للسقي والري ، وخصوصاً في

مراكش كصهريج المنارة وغـيره ، واقاموا حولها المزارع الواسعة والحدائق المعروفة باسم « اكدال » .

٤ ـ ومن مظاهر الحضارة في هذين العهدين رقي الموسيقى واقبال المغاربة عليها اقبالاً لم نجـــده عندهم في العصور السابقة واللاحقة وذلــك لموافقتها لأذواقهم وميولهم .

٥ ـ ومن مظاهرها ايضاً مـــا يتعلق باللباس والزّيّ والطرق الفلاحية والزراعية والاحتفال بالأعياد كعيد العنصرة الموافق لِـ ٢٤ يونيه من كل عام ولباس البياض في المناسبات وفصول خاصة من السنة ، واقامـــة المباريات الشعرية والمجالس الأدبية ، وكل هذه العادات اندلسية الأصل والمنبت .

وسندرس معك من العهد المريني الجزّنائي ومالك بن المرّحل والحضرمي وابن خلدون وابن بطوطة ، ومن العصر السعدي الوزان الفاسي وعبد العزيز الفشتالي وابن القاضي واحمد بابا السوداني على الترتيب .

الجزنائي

هو الشاعر الكاتب احمد بن شُعَيْب الجزنائي الفاسي الملقب بأبي العبّاس ، قرأ على علماء عصره في مدينة فاس فخرج متبحراً في علوم اللغة العربية والفنون الادبية ، ساعده على ذلك ذاكرة قوية فحفظ كثيراً من الشعر الجيد حتى بلغ ما حفظه عشرين الف بيت من الشعر المحدث فقط . وكان عنده ذوق أدبي رفيع ، وبصر نافذ في نقد الشعر ، مما يدل على مقدرته في فن الأدب والنقد .

وللجزنائي شعر لا يقل عن شعرمن تقدّمه من الفحول كما أن كتابته حسنة . وقد شغل ديوان الكتابة للسلطان أبي الحسن المريني الذي اعتمد عليه في هذه الصناعة .

ولم تقتصر ثقافة الجزنائي على الكتابة والشعر إنما كان عالماً بصناعة الطب والكيمياء وله في هذه الاخيرة مقالات كثيرة تدل على اطلاع واسع .

تسرى الجزنائي جارية رومية جميلة اسمها (صُبْح) وكان يحبها حباً جماً واقنها شيئاً من العربية حتى نظمت الشعر وكلِف بها كلفاً شديداً فلما ماتت رثاها بأجمل قصائد الرثاء وأروعها .

وتوفي بتونس سنة ٧٤٩ هـ. وترك لنا شعراً كثيراً متفرقاً في كتب الأدب والتاريخ المغربيين كما ترك رسائل كثيرة متفرقة ايضاً . ومن ذلك قوله يتغزّل:

١ يـــا موحشي وٱلبُعْدُ دُونَ لِقائِهِ
أدْعُوكَ عـــن شَحْطٍ وإِنْ لم تسْمَعِ
٢ يُدْنِيكَ منِّي الشوقُ حتى إِنَّني
لأَرَاكَ رأيَ العَيْنِ لـــولا أَدْمُعي
٣ وأحِنُّ شَوْقَـــاً للنَّسيمِ اذا سَرَى
بحَدِيثكُـــمْ وأُصِيخُ كالْمستَطْلِعِ
٤ كان اللِّقـــاءُ فكان حَظِّي ناظِري
وسَطَا الفِراقُ فَصَار حَظِّي مَسْمَعي
٥ فابعث خَيَالكَ تَهْدِهِ نارُ الحَشَا
إِن كان يَجْهَلُ من مَقَامي مَوْضِعي

وقال يرثي جاريته صُبْحاً :

٦ يا صاحبَ القَبْرِ الذي أعلامُهَ دَرَسَتْ ولكنْ حبُّهُ لم يَدْرُسِ
٧ ما ٱليأسُ منكِ على ٱلتصبُّرِ حاملي
أيْأسْتِني فكـــأنَّني لم أيْـــأسِ
٨ لَمّا ذَهَبْتِ بكُلِّ حُسْنٍ أصبحتْ
نَفْسي تُعَاني شَجْوَ كُلِّ الأَنْفُسِ
٩ يا صُبْحُ أيَّامي ليالٍ كلها لا تَنْجَلي عَنْ صُبْحِكِ الْمتَنَفِّسِ

وله يخاطب قبرها :

١٠ يا قَبْرَ صُبْحٍ حَلَّ فيكَ لُمُهْجَتِي أسنى الامَـاني
١١ وَغَدَوْتَ بعـد عِيَانِهـا أَشْهَى البقـاعِ الى العِيَانِ
١٢ أَخشَى المنيَّةَ إِنَّهـا تُنْئِي مكانَكَ عـن مَكاني
١٣ كم بَيْنَ مَقْبُورٍ بفـا سَ وقـابِرٍ بالقَيْرَوانِ

الاسئلة

١ – ميِّز معنى المفردات الآتية :
الشَحْط. أصاخ بسمعه. المستطلع. سطا. الاعلام. درست.الشجو. تعاني. أسنى الاماني. القيروان.
٢ – قطع البيت السادس عروضياً وسمِّ بحره .
٣ – إشرح الابيات الخمسة الاولى شرحاً أدبياً .
٤ – إيتنا بقصيدة رثاء أخرى واشرحها شرحاً أدبياً .

مصادر

١ – النبوغ المغربي للاستاذ عبدالله كنون
٢ – كتاب زهرة الآس للجزنائي طبعة الجزائر 1923
٣ – فهرس الفهارس لكتاني
٤ – سلوة الانفاس لكتاني

اسئلة ومواضيع

١ – إيتنا بترجمة مفصَّلة عن حياة الجزنائي اوسع من التي قدّمنا اليك .
٢ – خذ نصَّاً من شعر الجزنائي وادرسه دراسة أدبيَّة .

مالكُ بنُ المرَحّلِ

هو أبو الحكم مالك بن المرحل السبتي ، ولد بمالقة سنة ٦٠٤ ﻫ ونشأ في سبتة وبها تَعَلَّم ، وكانت في ذلك الحين مركزاً ثقافياً مزدهراً ثم رحل الى فاس فاشبيلية في طلب العلم وأخذ عن علمائها حتى حصل على ثقافة واسعة في علوم اللغة والأدب . وكان يقرأ القرآن على القراءات السبع وهذا ما زاده تبصراً بأسرار العربية ومقدرة في فنونها . وتعاطى صناعة الشعر حتى حذقها وأبدع فيها وصار في عصره شاعر المغرب الأول وأوسع شعرائه شهرة على الإطلاق .

وتولى ابن المرحل القضاء ، ثم اتصل بأمير المؤمنين يعقوب المنصور المريني فأعجب برقة شعره ووافر أدبه ، وكان حاد الذهن ، سريع البديهة ، قوي الادراك ، فقرّبه واستكتبه فانقطع اليه وخصّه بمدحه ، ونال عند ابنه الأمير أبي مالك الحظوة نفسها ، ودامت عليه هذه الحال دون ان يعكر صفوها الحسّاد والمنافسون الى ان توفي بفاس سنة ٦٩٩ ﻫ.

ترك ابن المرحل مؤلفات أكثرها منظوم ، ومنها :

١ ــ أرجوزة نظم فيها فصيح ثعلب .

٢ ــ التبيين والتبصير في علم القراءات ، وهي طويلة عارض بها الشاطبية في علم القراءات وزناً وقافية .

٣ ــ الواضحة في الفرائض والمواريث .

٤ ــ أرجوزة في العروض .

٥ ـ نظم اختصار اصلاح المنطق لابن العربي ، وغير ذلك ، وكلها من نوع الشعر العامي .

وله شعر ضاع أكثره ، ومما بقي منه :

أ ـ ديوانه المسمى (الجولات) اي المختارات .

ب ـ ديوانه المسمى (الوسيلة الكبرى) وهي مجموعة مدائح نبوية .

وإليك نصاً من قصيدة يمدح فيها الامير أبا مالك عبد الواحد بن السلطان يعقوب المنصور المريني ويهنىء والده بفتح مراكش عام ٦٨٨ هـ :

مولاي يهنيك ما أعطيت من ظفر

١ فَتْحٌ تَبَسَّمَتِ الأكوانُ عنه فما رأيتُ أملَحَ مِنْهُ مَبْسَماً وَفَما

٢ فَتْحٌ كما فَتَّحَ ٱلبُسْتَانُ زَهْرَتَهُ ورَجَّعَ ٱلطَّيْرُ في أفْنَانِهِ نَغَما

٣ بِفَتْحِ مُرَّاكِشٍ عَمَّ السُّرُورُ فما يكابِدُ الغَمَّ إلاَّ قَلْبُ مَنْ ظَلَما

٤ حَبا بِها اللهُ مَوْلانا الأَميرَ كما حَبَا أباهُ فأسنى فَتْحَها لَهُما

٥ فَلَمْ يَزَلْ سَعْدُهُ المألُوفُ مُتَّصِلاً بِسَعْدِ والِدِهِ المَنْصُورِ مُنْتَظِما

---

١ ـ الأكوان : جمع كون وهو عالم الوجود .

٢ ـ ترجيع الصوت : ترديده . الأفنان : جمع فنن وهو الغصن المستقيم .

٣ ـ كابد : تحمل الألم بمشقة . الغم : الحزن .

٤ـ حباه: أعطاه وخصه بالعطاء . أسنى الجائزة: جعلها سنية أي عظيمة.

٥ ـ السعد : الحظ .

٦ فَدَوْلةُ ٱلدِّينِ وٱلدُّنيا قد ٱخْتَلَفَتْ

في الفَتْح وٱلنَّصْرِ ، والتَّأْيِيدُ بَيْنَهما

٧ أَفَاقَتِ الأَرْضُ من نَوْم بها وصَحَتْ

وَأَصْبَحَتْ وهي تَلْحَىٰ ٱلسُّكْرَ وٱلحُلُما

٨ لما رَأَتْ رايَةَ ٱلسُّلْطان قَدْ رُفِعَتْ

في أُفقِهــا قَرَعَتْ أَسْنَانَها نَدَمَــا

٩ منْ سُنَّةِ اللهِ أنْ يُحْيِي خَليقَتَهُ

على يَــدَيْكَ وأنْ يَكْفِيهِمُ النِّقَما

١٠ وأنْ يُقِيمَ بكَ الإسلامَ مِنْ أَوَدٍ

وأنْ يُدِيمَ بِكَ الإحْسَانَ والنِّعَما

١١ وأنْ يُقِرَّ عُيُونَ الُمسْلمينَ وأنْ

يَشْفي الصُّدُورَ وأنْ يُبْرِي بك السَّقَما

---

٦ ـ اختلف عليها الفتح والنصر : أي تعاقبا عليها .

٧ـ تلحى: تلعن. الحُلُم: ما يحلم به النائم اوالسكران من أوهام وأضاليل.

٨ ـ الراية : العَلَم . الأفق : المحل الذي يتراءى فيه للناظر كأن السماء متصلة بالأرض .

٩ ـ الخليقة : المخلوقات . النقم : جمع نقمة وهي المصيبة .

١٠ ـ الأود : الاعوجاج .

١١ـ قرَّت العين بردت من السرور والفرح بما نالت. السقم: الحزن والمرض .

١٢ بُشراكَ يا مَالِكَ الدُّنيا وحافظَها
فأنتَ أفضَلُ مَنْ آوَى ومَنْ رَحِما
١٣ ومَنْ تَخَيَّرَه لِلدِّينِ خالِقُهُ أعطَاهُ نوراً يُجلِّي الظُّلْمَ والظُّلَما
١٤ سُبْحَانَ مَنْ بِجَمِيعِ الفَضْلِ أفْرَدَهُ
ومَنْ حَبَاهُ السَّجَايا الغُرَّ والشِّيما
١٥ مَولايَ يُهْنِيكَ ما أُعطِيتَ مِنْ ظفَرٍ
عَلى عِدىً أصْبَحُوا في حَيْرَةٍ وعَمَى

الشرح الادبي والتحليل

هـذا النص من نوع الشعر السياسي الذي رأيناه عند الكميت وعبيدالله ابن قيس الرُّقيات وغيرهما . والشاعر في هـذا النص يناصر المرينيين ويشيد بحسن بلائهم ونصرهم على اعدائهم ، ويندد بهؤلاء الاعداء ، ويسبغ على هـذا الفتح بصورة خاصة وكفاحهم ضد المستعمرين الاسبان والبرتغال بصورة عامة صفة القدسية والانتصار لدين الله الاسلام .

ويدور هذا النص حول ثلاث فكرات اساسية :

---

١٢ ــ آوى الناس : أسكنهم وأنزلهم منازل يطمئنون بها .

١٣ ــ الظُلَمَ : جمـع ظلمة وهي ضد النور واراد بالنور الهدى وبالظلمة الضلال .

١٤ ــ افرده : خصَّه . السجايا والشيم الغر : الاخلاق الفاضلة .

١٥ ــ العمى : الضلال .

في الأولى يتكلم عن فتح مراكش الذي خصَّ الله بـه الخليفة يعقوب المنصور وابنه الأمير ابا مالك ، وان الاكوان تبسَّمت لهذا الفتح وانه كالربيع الذي تتفتح فيه الأزهار وتحيا الطبيعة باجمعها .

وفي الثانية يبيِّن ان البِشر بهذا الفتح لم يقتصر على المملكة فقط وانما عمَّ الأرض بأجمعها ؛ فقد أفاقت من حلمها وسكرتها لمـا رأت راية السلطان تخفق فوق مراكش ، كما ان الله أحيا الخليفة والاسلام على يديه وشفى صدور المسلمين مما اصابها من صراع المستعمرين على المغرب .

وفي الثالثة يرفع البُشْرى الى أمير المؤمنين ، مالك الدنيا وحافظ الدين الذي اختاره الله من عباده لذلك ، وخصَّه بافضل الصفات واحسن الاخلاق .

وهذا النص يدل على تعمق الشاعر في التصوير والخيال اللذين كانا رائده في القصيدة كلها .

ويتضح لنا ان الشاعر قد ترك الغزل الذي كانت تفتتح به القصائد عادة وطرق موضوعه رأساً ، وهو الحديث عن الفتح ومدح السلطان وابنه الأمير ، وهذا يدل على تفوقه وتمكنه من فنه وقوة شخصيته الشعرية .

وقال ابن المرحل في الحكم والوصايا :

١ بَنِي الدَّهْرِ أمَّا الدَّهرُ فهو عدُوُّكم
وإِنْ لاحَ يوماً في ثيـابِ حَبيبِ

٢ بَوارقهُ لا رِيَّ فيها لعاطِشٍ ولا خِصْبَ في أَنْوَائِه لِجَديبِ

٣ بَلاكُمْ وأبْلا كم تَقَلُّبُ صَرْفِهِ
فَيَا وَيْحَهـا مِنْ أَنْفُسٍ وقُلُوبِ

٤ بَصَائِرُها في الرشْدِ غَيْرُ ثَوَاقِبٍ
وأبصارُهــا في الغَيِّ ذاتُ ثُقُوبِ
٥ بَعيدٌ من التوفيقِ مَنْ باتَ ساهِراً
رَجــاءِ بعيدٍ لا يخــافَ قريب

الاسئلة

١ ـ فسر المفردات الآتية من المعجم :
الرِيُ . الأنواء . الجديب. بلاكم . أبلاكم . الصَرْف والصروف. الغَيُّ .

٢ ـ قطع البيت الاول عروضياً .

٣ ـ أعرب : ولا خصبَ في أنوائه لجديب . فيا ويحها .

٤ ـ إشرح هذه الابيات شرحاً أدبياً .

مصادر

١ ـ النبوغ المغربي — للاستاذ عبدالله كنون ، تطوان
٢ ـ الأدب المغربي — لمحمد بن تاويت ومحمد الصادق العفيفي .
٣ ـ الموجز في الأدب العربي وتاريخه — للجنة من الأساتذة .
٤ ، العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين — للاستاذ محمد المنوني ، تطوان .

اسئلة ومواضيع

١ ـ عاش ابن المرحل في عهد الدولة المرينية فهل تستطيع ان تتكلم عن الحياة الادبية في ذلك العصر ؟
أيد أقوالك بالشواهد الكافية من شعراء ذلك العصر وكتّابه .

٢ ـ لابن المرحل غزل رقيق . فهل تستطيع ان تأتينا بقصيدة من غزله وتشرحها شرحاً أدبياً ؟

٢ ـ قال ابن المرحل قصيدة يجيب فيها على قصيدة وجهها ابن الاحمر ، صاحب غرناطة ، الى السلطان يعقوب المنصور يستنجده ويستنصره على عدوه ومطلعها :

شَهِدَ الإلهُ وأنتِ يا أرضُ اشهدي
أنّا أَجبْنَا صَرْخَةَ المستنجِدِ

إيتنا بنص من هذه القصيدة لا يقل عن ثمانية أبيات وبيِّن خصائص أسلوب الشاعر فيه .

الحضرميّ

هو أبو محمد عبدالله عبد المهيمن الحضرمي الذي ولد بسبتة سنة ٦٧٦ هـ ، ونشأ في بيت النعيم والعز ، وقرأ العربية على شيوخ سبتة كالاستاذ الغافقي وغيره فحذقها ، ثم رحل الى غرناطة وقرأ على شيوخها فازداد علماً وبصراً باللغة والحديث . واستعمله ملوك غرناطة في الكتابة لهم ثم رجع الى سبتة وكتب لقائدها يحيى بن مسلمة مدة ، ولما استخلص بنو مرين سبتة واستولى السلطان أبو سعيد المريني على المغرب صار في خدمته ، واختصّه السلطان وكبير دولته منديل الكتاني بتقديمه وتقديره حتى ذاع صيته ، ورسخت قدمه في الدولة .واستمر على ذلك أيام السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن من بعده . ثم رحل الى افريقيا وتوفي بتونس في الطاعون الجارف سنة ٧٤٩ هـ.

وترك لنا الحضرمي شعراً متفرقاً في كتب الادب . ولقد عالج في نثره فن المقامات، وله مقامة أنشأها على لسان عشر جوار تفاخر كل منهن رفيقاتها بأن الحسن وقفٌ عليها وحدها . ولقد استوحى فكرة هذه المقامة من المفاخرات التي نجدها في الأدب الشعبي الذي كان ذائعاً في الشرق وخصوصاً في كتاب « الف ليلة وليلة » الذي نجد فيه أمثلة كثيرة على المفاخرة بين الجواري . وتنتهي مفاخرة الحضرمي بحكم عجوز محنكة ترضي به غرور كل واحدة منهن .

واليك شيئاً من شعره . قال يتغزل :

١ نفسي الفِداءُ لِعَهْدٍ كنتُ أعْهَدُهُ وطيبِ عيشٍ تَقَضَّى كلُّهُ كرَمُ
٢ وجيرَةٍ كانَ لي أُنسٌ بوَصْلِهِمُ
والآنسُ أفضَلُ ما في الوصْلِ يُغتَنَمُ
٣ كانوا نَعيمَ فُؤادي والحياةَ له
فالآنَ كلُّ وُجودٍ بَعْدَهُم عَـدَمُ
٤ بانوا فَعَادَ نَهاري كُلُّه ظُلَماً وكان قُرْبُهمُ تُمحى بِهِ الظُّلَمُ
٥ والعيْنُ منِّيَ لا تَرْقَا مَدامِعُها كأنَّها سُحُبٌ تَهْمِي وتَنْسَجِمُ
٦ تبكي عُهودَ وِصَالٍ منهمُ سَلَفَتْ كأنَّما هُنَّ في إِنْسَانِها حُلُمُ
٧ لئِنْ ضَحِكْتُ سُرُوراً بالوِصَالِ لقد
بكَيْتُ حُزْناً عليهم والدُّموعُ دَمُ
٨ هُمْ عَلَّمُوني البُكا ما كنتُ أعرُفُهُ
يـا لَيْتَهُمْ عَلمُوني كيفَ أبْتَسِمُ

وقال يصف نخلا رآه في سجلماسة :

٩ لقد رَاقَني مَرْأى سِجِلْماسَةَ الذي
يُقِرُّ لَـهُ في حُسْنِهِ كلُّ مُنْصِفِ
١٠ كأنَّ رؤُوسَ النَّخْلِ في عَرَصَاتِها
فَوَاتِحُ سُوراتٍ بـآخِرِ مُصْحَفِ

وله يفتخر :

١١أَبَتْ هِمَّتي أنْ يَراني آمرُؤٌ
على الدَّهرِ يومـاً له ذا خُضوعِ

١٢وما ذاكَ إلاَّ لأَنِّي اتَّقَيْتُ بِعِزِّ القَنَاعَةِ ذُلَّ الخشوعِ

الاسئلة

١ ـ إشرح المفردات والتراكيب الآتية :
بان ـ لا ترقا مدامعها ـ تهمي ـ تنسجم ـ انسان ـ سجلماسة ـ عَرَصات.
٢ ـ قطّع البيت الأول وسمّ بحره .
٣ ـ إشرح الأبيات الثمانية الاولى شرحاً أدبياً .
٤ ـ إيتنا بمقطع نثري من مقامته التي أنشأها على لسان عشر جوار واشرحها شرحاً أدبياً .

مصادر

١ ـ التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً نشر الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي .
٢ ـ جذوة الاقتباس لابن القاضي .
٣ ـ نفح الطيب للمقري ، الجزء الثالث .
٤ ـ تاريخ ابن خلدون الجزء السابع .
٥ ـ ذكريات مشاهير رجال المغرب العدد ٢٦ للاستاذ عبدالله كنون .
٦ ـ النبوغ المغربي للاستاذ عبدالله كنون .

اسئلة ومواضيع

١ ـ إبحث لنا عن ترجمة مفصّلة للحضرمي أوسع بكثير من التي جئنا بها.
٢ ـ إختر نصاً من شعره او نثره وادرسه دراسة أدبية مبيّناً خصائصه الفنية.

ابنُ خلدُون

ولد ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون التونسي في تونس سنة ٧٣٢ هـ من اسرة عربية عرفت بالفضل والعلم والاشتغال بالسياسة . وطلب العلم على المشاهير من علماء عصره امثال عبد المهيمن « امام المحدثين والنحاة بالمغرب ، وابراهيم الآبلي شيخ العلوم العقلية » فأخذ عن الأول الفقه واصوله والتاريخ والحديث ، وعن الثاني الرياضيات والفلسفة والحكمة والمنطق وسائر الفنون ، وبذلك اتقن العربية وعلوم الدين وسائر العلوم والفنون ولمّا يبلغ العشرين من عمره ، ولذلك ظهر فضله ونبوغه في وقت مبكر جداً .

ومال ابن خلدون الى العمل في السياسة ، وتولّى منصب الكتابة عند امير تونس ، ثم انتقل الى خدمة سلطان مراكش ، ثم سافر الى فاس حيث أقام ثمانية اعوام عند السلطان ابي عنان المريني الذي استعمله في الكتابة والتوقيع بين يديه . وسعى في الكيد له حساده حتى تنكر له السلطان وسجنه ، وظل في سجنه سنتين الى ان توفي أبو عنان فخرج من سجنه ، ومكث قليلاً في المغرب ثم سافر الى الاندلس سنة ٧٦٣ هـ ثم عاد الى تونس بعد ما سئم السياسة وملها واعتزلها ، وبدأ في تدوين كتابه في التاريخ واتم المقدمة وشرع في الكتاب . ثم رحل الى الشرق ودرَّس في الأزهر ، وتولى للملك الظاهر وظيفة قضاء المالكية في مصر ، وسافر الى مكة وحج سنة ٧٨٩هـ ثم عاد الى مصر .

وفي هذه الاثناء ظهر تيمورلنك في بلاد الشام ، واستولى على حلب واتجه

نحو دمشق فخرج ملك مصر ، ابن برقوق ، اليها لقتاله واصطحب معه ابن خلدون . وبينا كان منهمكاً في تحصين المدينة بلغه نبأ مؤامرة تدّبر ضده في مصر فعاد تاركاً المدينة للطاغية . ولم تنفع وساطة وفد علماء دمشق ولا وساطة ابن خلدون لدى الطاغية الذي اباح دمشق لجنوده فحرقوها ونهبوها وذبحوا من اهلها عدداً كبيراً . وعلى اثر ذلك ترك ابن خلدون الشام الى مصر وبقي فيها الى ان توفي سنة ٨٠٨ هـ .

وكان رحمه الله كثير الثقة بنفسه ، مغامراً في طلب المعالي ، صاحب ذكاء ودهاء عجيبين . ومما يدل على ذلك انه اقصي عن قضاء المالكية في مصر ست مرات ، وكان يعود الى هذا المنصب في كل مرة معتمداً على دهائه وذكائه وبقي فيه الى ان مات .

آثاره : ان قيمة ابن خلدون ليست في كونه رجل سياسة او صاحب قضاء وتدريس ولكنها في كونه مؤرخاً كبيراً اشتهر بكتابه العظيم في التاريخ والذي اسماه « كِتَابُ العِبَرِ ، وديوانُ المُبْتَدَإِ والخَبَرِ ، في أيّامِ العَرَبِ والعَجَمِ والبَرْبَرِ ، وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الأَكبَر » . وهو مقسّمٌ الى مقدمة وثلاثة كتب . ولقد طبع عدة مرات كما طبعت مقدمته مستقلة عنه ، وهي افضل ما فيه . ولقد تحدث فيها عن علوم الاجتماع والسياسة والاقتصاد واحوال العمران وطرق الكسب والمعاش كالتجارة والصناعة والزراعة . كما تحدَّث فيها عن نشأة الدول واسباب رقيها وانحطاطها . وبحث في العلوم واكتسابها وتعلّمها وما الى ذلك مما لم يسبقه اليه احد . ويعتبره المحدَثُون اولَ من وضع في مقدمته هذه **فلسفة علم التاريخ واسس علم الاجتماع الحديث** ، كما تعتبر هذه المقدمة من اروع الآثار التي **تدل** على نبوغ العرب ، ومفخرة من مفاخر الفكر العربي المبدع ؛ ومنها اخذنا **لك** هذا النص :

فَضْلُ علم التاريخ

١ ـ « إعْلَم أنَّ فَنَّ التَّارِيخ فَنٌّ عَزِيزُ المَذْهَب ، جَمُّ الفائِدَة ، شريفُ الغايةِ ، إذْ هو يَقِفُنا على أحوالِ الماضي مِنَ الأُمَم في أخلاقِهِم ، والأنبياءِ في سِيَرِهِم ، والملوكِ في دُوَلِهِم وسياسَتِهِم ، حتّى تَتِمَّ فائِدَةُ الاقتداءِ في ذلكَ لمن يرومُهُ في أحوالِ الدِّين والدنيا .

٢ ـ وإنَّ فنَّ التاريخ محتاجٌ إلى مآخذ متعدِّدة ، ومعارفَ متنوِّعة ، وحُسْن نَظَرٍ ، وتَثَبُّتٍ يُفْضِيانِ بصاحِبِها الى الحقّ ، ويَنْكُبانِ به عن المزلّاتِ والمغالِطِ ، لأنَّ الأخبارَ إذا اعتُمِدَ فيها على مُجَرَّدِ النَّقْل ، ولم تُحَكَّمْ أصولُ العادةِ وقواعِدُ السياسةِ ، وطبيعةُ العُمْرانِ والأحوال في الاجتماعِ الإنسانيّ ، ولا قِيسَ الغائبُ منها بالشاهد ، والحاضِرُ بالذاهِب ، فَرُبَّما لم يُؤْمَنْ فيه من العُثُورِ ومَزَلَّةِ القَدَمِ والحَيْدِ عن جادَّةِ الطريق . وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمَّةِ النَّقْلِ المغالطُ في الحكاياتِ والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مُجَرَّدِ النَّقْلِ غَثّاً أو سميناً ، ولم يَعْرِضُوها على أُصولِها ولا قاسُوها بأشْباهِهَا ولا سَبَرُوها بمعيارِ الحِكْمَةِ والوُقُوفِ على طبائِعِ الكائناتِ ، وتحكيمِ النَّظَرِ والبَصيرةِ في الأخبارِ ، فضَلُّوا عن الحَقّ وتاهُوا في بَيْدَاءِ الوَهْمِ والغَلَطِ » .

المفردات :

١ ـ جم الفائدة : كثيرها . يرومه : يطلبه .

٢ ـ افضى به الى الشيء : قاده اليه . نكبه عن المزلات : ابعده عنها ، والمزلات : جمع مزلة وهي الخطيئة . المغالط : الأخطاء . مزلّة القدم : عثورها . الحيد عن جادة الطريق : الخروج عن الصواب . الغثّ : القليل القيمة او الذي لا قيمة له بالمرّة وعكسه السمين. سبروها : اختبروها . البيداء: الصحراء المقفرة .

الشرح الأدبي والتحليل

يوضح لنا هذا النص تمكّنَ ابن خلدون من فهم الاسرار التاريخية على ضوء النظريات العلمية الحديثة ، فهو اول مؤرخ في العالم نظر الى التاريخ على انه علم يعتمد على الدراسة والاستقصاء وفهم طبائع الاشياء والظروف في الحكم على الحوادث التاريخية ، وليس مجرّد نقل رواية ، صحيحةً كانت ام كاذبة وغثّة ام سمينة ، كما كان يفعل المؤرخون العرب قبله كالطبري والمسعودي والقزويني وغيرهم من المؤرخين الذين تقدموه . كما انه سبق علماء اوروبا بهذه النظريات الحديثة في التاريخ بثلاثة قرونٍ تقريباً . ولذلك فان ابن خلدون يعتبر أول واضع لنظريات فلسفة التاريخ ، واول من قدم الى المؤرخين الامثلة الكثيرة على التحليل الدقيق والدراسات العلمية للحوادث التاريخية ؛ كما انه يُعَدُّ أول واضع لعلم الاجتماع الحديث لما جاء به في مقدمته من ابحاث في هذا العلم لا تزال اساساً للبحث العلمي في هذا العلم حتى عصرنا ..

واليك نصاً آخر من مقدمته :

الظُلْمُ يُخرِّبُ ٱلعُمْران

إعْلَم أنَّ العدوانَ على النَّاسِ في أموالِهِم ذاهبٌ بآمالِهِم في تَحْصيلِها واكتِسابِها ، لما يَرَوْنَه حينَئذٍ من أنَّ غايَتَها ومَصيرَهَا انتهابُها من أيديهم ، واذا ذَهَبَتْ آمالُهُمْ في اكْتِسابِها و تحْصيلِها انقَبَضَتْ أيْديهم عن السَّعْيِ في ذَلِكَ . وعلى قَدْرِ الإعْتِداءِ ونِسْبَتِهِ يكونُ انْقِباضُ الرَّعايا عن السَّعْيِ في الاكتسابِ . فإذا كانَ الاعتداءُ كثيراً عاماً في جميع أبواب المعاشِ كانَ القُعُودُ عن الكَسْبِ كذلك ، لذهابِهِ بالآمالِ جُمْلَةً بدخولِهِ من جميعِ أبوابها . وإنْ كانَ الاعتداءُ يَسيراً كان الانقباضُ عن الكسْبِ على نِسبَتِهِ .

والعُمْرانُ ووفورُهُ ونفَاقُ أسواقِهِ إنَّما هو بالأعمالِ وَسَعْيِ النَّاسِ

في المَصَالِحِ والمكاسِبِ ذاهبين وجائين . فإذا قَعَدَ النّاسُ عن المعَاشِ وانقَبَضَتْ أيديهم عن المكاسِبِ كَسَدَتْ أسْواقُ العمرانِ وانتقضت الأحوالُ وابذَعرَّ النّاسُ في الآفاقِ من غير تلكَ الإيالَةِ في طَلَبِ الرّزقِ فيما خرجَ من نطاقِها ، فخَفَّ ساكنُ القُطرِ وخَلَتْ ديارُهُ وخَرَجَتْ أمصارُهُ واختَلَّ باختلالِهِ حالُ الدَّولةِ والسلطانِ لما أنها صورةٌ للعمران تَفسُدُ بفساد مادتها ضرورةً .

الاسئلة

١ ـ إشرح المفردات التي تراها صعبة في هذا النص .
٢ ـ إشرحه شرحاً أدبياً وتكلم عن أسلوبه وألفاظه وطريقة كتابته .

مصادر

١ ـ التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً نشر الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي .
٢ ـ فلسفة ابن خلدون الاجتماعية لطه حسين .
٣ ـ الموجز في الادب العربي وتاريخه للجنة من الاساتذة .
٤ ـ الوسيط في الادب العربي وتاريخه للاسكندري .
٥ ـ مقدمة ابن خلدون طبعة مصر .
٦ ـ ابن خلدون لعبدالله عنان .
٧ ـ ابن خلدون الروائع عدد ١٣ لفؤاد افرام البستاني .

اسئلة ومواضيع

١ ـ قـــال أحد الادباء المعاصرين : « إن اسلوب ابن خلدون من النوع المرسل الخالي من السجع والمحسنات البديعية التي كانت مشهورة في عصره ، وبذلك أعاد الى الكتابة أسلوبها الذي كانت عليه ايام عبد الحميد الـكاتب ، وابن المقفع ، وخـــالف جميع كتاب عصره في المغرب والاندلس والمشرق بابتعاده عن التكلّف واعتماده على التسلسل المنطقي ، وعلى الوضوح والسهولة في كل ما كتب » .

أوضح هذا القول وناقشه وأيد رأيك بنصوص كافية من نثره .

٢ ـ تكلّمْ لنا عن ابن خلدون الفيلسوف الاجتماعي معتمداً على دراستك لمقدّمته وما كتب عنه في هذا الموضوع وناقش القول : « إن ابن خلدون أول واضع لعلم الاجتماع الحديث » . وأيّد رأيك بالحجج والبراهين الكافية .

ابنُ بَطوطَةَ

هـــو أبو عبدالله محمد بن عبدالله الطنجي المعروف بابن بطّوطة والملقب بشمس الدين . ولد في مدينة طنجة سنة ٧٠٣ هـ وبها نشأ ربيب الجاه والنعيم وقام في حياته بثلاث رحلات :

الأولى : وكانت في عـــام ٧٢٦ هـ حين خطر له ان يقوم بفريضة الحج ، فقصد مكة المكرّمة ، ثم جاب اكثر العالم المعمور في عصره ثم عاد الى طنجة عام ٧٥٠ هـ . وقد دامت رحلته هذه اربعاً وعشرين سنة جاب خلالها مراكش اي المغرب، والجزائر وتونس ومصر والحجاز وفلسطين ولبنان وسوريا والعراق والعجم والأناضول وسائر بلاد العرب والهند وما جاورها .

الثانية : قام بها بعد الأولى بزمن يسير وكانت الى اسبانيا حيث جاب بلاد الأندلس .

الثالثة : وكانت سنة ٧٥٤ هـ واستغرقت سنتين وكانت في مجاهل افريقيا وبلاد السودان وبدأها بسجلماسة .

وبعد ذلـــك دوّن أخبار رحلاته الثلاث الى سلطان مراكش أبي عنان المريني واستغرق املاؤها سنتين وسمّاها « تحفة النظّار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار » . وهو كتاب مشترك بينه وبين ابن جُزَي كاتب السلطان أبي عنان المريني فجعل فيه ابن بطوطة روحه الخفيفة التي تحب العجائب وجعل فيه ابن جُزَي اسلوبه الذي لا يخلو من الصنعة والتكلف .

وانتشر هـــذا الكتاب في العالم وترجم الى اللغات الانكليزية والفرنسية

والألمانية والهندية والتركية وكان له اكبر الاثر في علمي الجغرافيا والتاريخ .

قيمة الكتاب : يمكن اجمال مزاياه فيما يلي :

١ ـ هو موسوعة معلومات جغرافية وتاريخية ومعرض هام لحياة الأمم من الناحيتين السياسية والاجتماعية في عصره .

٢ ـ فيه دقـــة الملاحظة والمقدرة على المراقبة ، والاتساع في الآفاق ، والاستقلال في الحكم .

٣ ـ يعد من المصادر الجغرافية لمن كتب بعده في هذا الموضوع .

مآخذه : رغم المزايا السابقه فإنَّ فيه مآخذ أهمها :

١ ـ فيه مغالاة واكثار من ذكر الغرائب .

٢ ـ فيه أضاليل واوهام .

٣ ـ أضاع ابن بطوطة ما دوّنه في رحلته الأولى من معلومات واعتمد في املائها على ذاكرته فقصّر في بعض التحقيقات والتحريات .

٤ ـ لغته ساذجة سهلة أقرب الى لغة الحديث العادي منها الى لغة الاسلوب المسترسل حتى إنها تنحطّ أحياناً الى العامية .

وتوفي ابن بطّوطة سنة ٧٧٩ هـ ، ويعتبر أعظم رحـــالة عرفه العرب في القرن الثامن الهجري . ولقد اخترنا لك نصاً من الفصل الثالث عشر من رحلته الأولى ، واليك هو :

أراملُ يَحرِقْنَ أنْفُسَهُنَّ بالنَّار

١ ـ « اتّفَقَ أنّي كنتُ بمدينةٍ ، اكثرُ سُكانّها من الكفّار ، تُعرَفُ « بأجرَى » وأميرها مسلم من سامرة السِّنْد ، وعلى مَقْرُبةٍ منها الكفّارُ العصاةُ ، ووقع بينهم قتالٌ شديدٌ مات فيه مِنْ رَعيَّةِ الكـُفــار سَبْعَةُ

نَفَرٍ ، وكان لثلاثة منهم ثلاثُ زوجات، فاتّفَقْنَ على إحراقِ أنفُسِهِنّ ، وإحْراقُ المَرأةِ بَعْدَ زوجها عندهم أمرٌ مندوبٌ اليه ، غير واجب .

٢ ـ وركبتُ مع أصحابي لأرى كيفية صنْعِهِنَّ في الإحْراقِ ، فسِرْنا مَعَهُنَّ نَحْوَ ثلاثةِ أمْيَالٍ ، وانتهينا إلى مَوْضِعٍ مُظلِمٍ ، كثيرِ المياهِ والأشجارِ ، متكاثفِ الظّلالِ ، وبينَ أشْجارِهِ أربعُ قِبابٍ في كل قبّةٍ صَنَمٌ من الحِجارةِ ، وبَيْنَ القِباب صهريجُ ماءٍ قد تكاثفتْ عليه الظّلالُ ، وتَزاحَمَتِ الأشجارُ ، فلا تتخلّلُها الشَمْسُ ، فكأنّ ذلك الموضِعَ بقعةٌ من بُقَعِ جَهَنّم ، أعاذنا اللهُ منها

٣ ـ ولمّا وَصَلْنَ إلى تلك القِباب ، نَزَلْنَ الى الصّهْريج وانْغَمَسْنَ فيه ، وجَرَّدْنَ ما عَلَيْهِنَّ من ثيابٍ وحَلْي ، فتَصَدَّقْنَ به . وأتِيَتْ كُلُّ واحدةٍ مِنْهُنَّ بثوب قُطْنٍ خشنٍ ، غيرِ مَخيط ، فربطَتْ بَعْضَهُ على وسطها ، وبعضَه على رأسها وكَتِفَيْها ، والنيران قد أضْرِمَتْ على مَقْرُبَةٍ من ذلك الصّهْريج في موضع منخفضٍ وصُبَّ عليها (روغن كنجت) وهو زيت الجلجلان فزاد اشتعالها .

وكان هناك نَحْوُ خَمْسَةَ عَشَرَ رجلاً بأيديهم حُزَمٌ من الحَطَبِ الرّقيق ، ومعهم نحو عشرةٍ بأيديهم خشب كبار ، وأهْلُ الأطبال والأبواق وُقوفٌ ينتظرون مجيء المرأة . وقد حُجِبَتِ النّار بملحفة يمسكها الرّجالُ بأيديهم لئلا يُدْهِشَها النَّظَرُ إليها .

٤ ـ ورأيتُ إحداهنَّ ، لمّا وَصَلَتْ الى تلك الملحفة نَزَعَتْها من أيدي الرّجال بعنفٍ وقالت لهم : « مارامیتو ساني أزاطش من ميدانم أواطش است رهاكني مارا » وهي تضحك ، ومعنى هذا الكلام : « أبالنّارِ تُخَوّفونني ؟ أنا أعلم انها نار محرقة » . ثم جمعتْ يَدَيْها على رأسِها وَرَمتْ بنفسها فيها . وعند ذلك ضُرِبَتِ الأطبال والأنفار والأبواق ، ورمى الرّجال ما بأيديهم من الحطب عليها ، لئلاّ تتحرّك ، وارتفعتِ الاصواتُ وكثر الضّجيجُ » .

المفردات :

أجرى : مدينة في الهند . مندوب اليه : مشار به . زيت الجلجلان : زيت السمسم .

الشرح الادبي والتحليل

يدل هذا النص على اهتمام ابن بطوطة بتتبع الغريب والاطلاع على الشاذ في رحلته ، ولذلك يروي لنا هذه القصة الغريبة عن أرامل هنديات يحرقن أنفسهن بالنار وفاء لأزواجهن . ونجد في هذا النص أربع فكرات اساسية :

في الاولى المدخل الى القصة التي يرويها لنا ويشير الى أن هذا الأمر من المستحسن القيام به وليس فرضاً .

وفي الثانية يصف الموضع الذي جرى فيه إحراق النسوة وانه كان حاراً جداً .

ويبيّن في الفكرة الثالثة المراسيم التي لا بد منها قبل الاحتراق ومنها الاغتسال من صهريج هناك فكأنه تطهير للجسد قبل احتراقه ، مع ان النار تطهّرُ كل شيء ، وهي الفكرة الاساسية عند الهنود في احراق جثث موتاهم .

ثم يصف لنا قوة النار واشتعالها ووجود رجال بأيديهم الحطب والخشب وكأنهم زبانية جهنم ، وآخرون معهم الطبول والأبواق والكل واقفون ينتظرون قدوم المرأة التي صممت على حرق نفسها .

وفي الفكرة الرابعة يصف لنا كيف ألقت إحداهن نفسها في النار ضاحكة غير هيّابة ، وكيف انهم رموا فوقها الحطب الدقيق الرقيق لأذكاء النار ، والخشب الغليظ كي لا تتحرك المرأة ، وكيف ارتفعت أصوات الطبول والأبواق وجلبة الناس كي تضيع استغاثات المرأة بين هذا الضجيج .

أما ابن بطوطة فقد أغمي عليه من هذا المنظر المذهل وأدركه أصحابه بالماء فرشّوه على وجهه حتى صحا ، وانصرف الى سبيله .

وقال يصف الكركدّن :

« وَلمَّا أجَزْنا نهر السِّند المعروف ببنج آب دخلنـــا غيضةَ قَصَبٍ لسلوك الطّريق ، لأنه في وسطها . فخرج علينا الكركدّن ، وصورته أنه حيوان ، أسود اللون ، عظيم الجرم ، رأسه كبير متفاوت الضخامة ، ولذلك يضرب به المثل فيقال : « الكركدّن ، رأس بلا بَدَن ! » وهو دون الفيل، ورأسه أكبر من رأس الفيل بأضعاف ، وله قرن واحد بـين عينيه طوله نحو ثلاثة أذرع ، وعرضه نحو شبر . ولمَّا خرج علينـــا عارضه بعض الفرسان في طريقه ، فضرب الفرس الذي كان تحته بقرنه ، فأنفذ فخذه وصرعه وعـــاد الى الغيضة ، فـــلم نقدر عليه . وقد رأيت الكركدّن مرة ثانيــة ، في هذا الطريق ، وهو يرعى نبات الأرض فلما قصدناه هَرَب منـــا . ورأيته مَرّةً أخرى ، ونحن مع ملك الهند ؛ دخلنـا غيضة قصب ، وركب السلطـان على الفيل ، وركبنا معه الفيـلة ودخلت الرَّجّالةُ والفرسان فـأثاروه وتمكنوا من قتله ، وفصَلوا رأسه وحملوه معهم » .

الاسئلة

١ ــ إشرح المفردات الآتية : عارضه . الغيضة . أثاروه . نهر السند .
٢ ــ إشرح النص شرحاً أدبياً مبيّناً خصائص أسلوبه .

مصادر

١ ـ ابن بطوطة ، الروائع ، الاعداد ٤ ، ٥ ، ٦ لفؤاد افرام البستاني .
٢ ـ الموجز في الادب العربي وتاريخه للجنة من الاساتذة.
٣ ـ الرحالة المسلمون في العصور الوسطى لزكي محمد حسن .
٤ ـ دائرة المعارف ـ ابن بطوطة للبستاني .
٥ ـ الجديد في الادب العربي وتاريخه لحنا الفاخوري .

اسئلة ومواضيع

١ ـ هل وفق ابن بطوطة في تسمية كتابه بـ « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » ولماذا ؟

٢ ـ كان ابن بطوطة يميل الى الدقة في الملاحظة ، والمقدرة على المراقبة ، والولع في تتبع الغرائب والشواذ ؛ فهل لك ان تعطينا أمثلة على ذلك من كتابه؟

٣ ـ في كتاب ابن بطوطة مغالاة ، فهل لك ان تعطينا نصاً او نصوصاً توضح فيها ذلك ؟

٤ ـ إيتنا بخلاصة عن الحياة السياسية والاجتماعية للأمة العربية كما شاهدها ابن بطوطة في رحلته الاولى .

الوزّان الفاسي

هو الحسن بن محمد الوزان الفاسي الشهير باسم « ليون الأفريقي » . ولد بغرناطة سنة ٩٠١ هـ وحمل صغيراً الى فاس ، وقضى صباه فيها حيث درس في جامعة القرويين علوم الدين والأدب والطب والتاريخ والجغرافيا والمنطق والبيان وعلم الكلام وما الى ذلك مما كان يدرّس في المدارس الدينية في ذلك الحين ، إلا انه اشتهر وعرف بعلمي الجغرافيا والتاريخ .

رحل في شبابه الى افريقيا والشرق ثم الى اوروبا ولذلك أصبح جغرافياً مشهوراً . وخاض غمار السياسة صغيراً ، وذلك عندما أوفده سلطان فاس للمفاوضة مع قائد اسفي بعد سقوطها في يد البرتغال ، وأظهر من الحنكة والبراعة السياسية ما أمكنه ، إلا ان ذلك لم ينفع شيئاً ، وكان ذلك حوالي سنة ٩١٥ هـ.

وفي سنة ٩١٧ هـ. قام برحلة الى مدينة تنبكتو ، عاصمة السودان ، وذلك عن طريق درعة ثم رجع الى المغرب عن طريق سجلماسة . وكانت الغاية من هذه الرحلة السعي في عقد حلف بين ملوك المغرب والسودان ضد البرتغال ، كما سافر الى الاستانة للاستنجاد بسلاطين بني عثمان ضد البرتغال ايضاً . وذلك على أثر الهزيمة الشنعاء التي حلّت بالمسلمين على أبواب آصيلا ، وكان ذلك في أواخر سنة ٩٢١هـ .

وقام برحلات عديدة مقلداً فيها ابن بطوطة فبدأ بالمشرق ثم بالمغرب ثم بأوربا ، ودوّن رحلته فجاءت أوفى مادة وأقرب الى العلم من رحلة ابن بطوطة

إلا أنها ضاعت ولم يبق منها إلا القسم المتعلق بأفريقيا فقط .

وأُسِرَ في رحلته الثانية عندما كان خارجاً من تونس قاصداً المغرب ، أسره قراصنة طليان وذهبوا به الى نابولي وقدّموه هدية الى ليون العاشر ملك روما الذي وجد فيه ضالته المنشودة لانه كان يهتم بعلوم العربية . ومن هنا جاءه اسم « ليون الافريقي » او يوحنا الاسد . وتعلم في أسره الايطالية واللاتينية وكان يحسن الاسبانية والعبرية . وقام بترجمة ما يتعلق برحلته الى اللغة الايطالية بطلب من ليون العاشر .

وبعد وفاة هذا دخل في حماية الكرادلة وبقي على ذلك الى ان رجع الى وطنه سنة ٩٣٤ هـ.

ومما تقدم يتضح ان حياته كلها كانت تنقلات في تنقلات، وانه دخل معترك الحياة في سن مبكرة جداً .

وألف الوزان الفاسي في الفقه والدين والنحو والشعر والتاريخ والجغرافيا والطب ، وهذا دليل على عبقريته ونبوغه . ومن كتبه التي ألفها :

١ ـ كتاب « وصف افريقيا » في الجغرافيا .

٢ ـ كتاب « الجغرافيا العامة » .

٣ ـ كتاب جمع فيه الاشعار الوعظية والزهدية التي كانت على الاضرحة والقبور في افريقيا الشمالية ولم يصلنا .

٤ ـ ألف كتاباً باللاتينية ترجم فيه لثلاثين من كبار الفلاسفة والاطباء العرب .

٥ ـ كتاب في تراجم علماء العرب طبع في جريش عام ١٦٦٤ م .

وألف كتاباً في الفقه ، وآخر في أوزان الشعر إلا انهما ضاعا .

ولم أعثر لهذا المؤلف على نص باللغة العربية من إنشائه لعدم وجود كتبه

بين ايدينا ، ولذلك اعتمدت على نص مترجم عن الفرنسية من كتابه « الجغرافيا العامة » الذي تكلم فيه عن جغرافية افريقيا الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والانسانية والسياسية فبرهن بهذا التقسيم الحديث على إبداع ومقدرة فائقة في فن التأليف .

قال في وصف دور مدينة فاس[1] : « فاس من أكبر المدن ، تحيط بها اسوار عالية جميلة ، وداخلها مشتمل على ربوات وشعاب ما عدا وسطها الذي هو بسيط ، ومحاطة بالجبال والربى من الجهات الاربع . ويدخل اليها الماء من موضعين فينقسم واديها الى قسمين ، يمرُّ قسم منه بجانب فاس الجديد ، ويمضي الى الجهة الجنوبية ، والقسم الآخر يبتدىء مجراه من جهة الغرب ، ومن ثم ينصرف الماء داخل المدينة في عدة مجار تتخلل دور الاهالي والموظفين وغيرهم. وكل مسجد او زاوية او مدرسة او مستشفى او فندق له ساقية خاصة .

ودور هذه المدينة مبنية بالآجر والحجر المتقن ، وأكثر مرافقها منمّقة ومفروشة بالزليج وما لا سقف له من مرافقها وسقائف أبوابها مفروش بنوع من الآجر خاص متنوع الالوان .

وعادة الاهالي ان يزينوا سقوف بيوتهم بزخرفة فائقة وألوان رائقة من بينها الذهب والفضة ، ويجعلوا فوق دورهم هيئة من خشب يمكن معها تغطية صحن الدار بالاقمشة للنوم هناك أيام الصيف . وكل هذه الدور عبارة عن بناءات ضخمة تتركب من طبقتين او ثلاث ولها سواء في العليا او السفلى أروقة ذات أقواس تتمم بهجتها . ومن فوائد هذه الاروقة ان تمرَّ بها من حجرة الى أخرى والسقف يظلك . وفناء الدار عارٍ عن السقف والبيوت حوله وتفتح أبوابها الواسعة المرتفعة اليه . والاغنياء يجعلون هذه الابواب منقوشة ، ويجعلون في داخل بيوتهم خزائن من أرفع انواع الخشب تحيط بها طولاً وعرضاً

---

١ ، هذا النص من ترجمة الاستاذ محمد المهدي الحجوي في كتابه « حياة الوزان الفاسي وآثاره » طبعة الرباط عام ١٩٣٥ .

ويطلونها بالاصباغ الجميلة ، ويملأونها بكل ما لهم من الاثاث الرفيع . ومنهم من يتخذ (أسرة) على مثال هذه الخزائن علوها ثلاثة أقدام فقط يجلسون عليها ويضعون عليها الفرش .

وسائر أبواب الدور تحمل سقائفها على أعمدة من آجر نصفها مزلج ومنها ما يحمل على أعمدة من المرمر وعليها أقواس مزخرفة بالزليج . وطبقات الدور تحمل على قناطر خشبية من أرفع أنواع الخشب مزخرفة منمقة مصبوغة بألوان جميلة مؤلفة على نمط معجز تحملها السواري . »

مصادر

١ ـ دائرة المعارف الاسلامية مادة (الوزان) بالفرنسية .
٢ ـ G. Colin Hespéris .
٣ ـ حياة الوزان وآثاره لمحمد المهدي الحجوي ، طبع الرباط ١٩٣٥ .

اسئلة ومواضيع

١ ـ تكلم لنا عن رحلة الوزان الفاسي الى أفريقيا .

٢ ـ ترجم لنا بعض النصوص للوزان الفاسي من كتابه (الجغرافيا العامة) حول أفريقيا الاجتماعية .

عبد العزيز الفَشْتالي

هو أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتالي الصنهاجي ، نسبة الى قبيلة صنهاجة ، من قبائل البربر العظيمة . ولد سنة ٩٥٧ هـ من قبيلة فشتالة ، إحدى فروع قبيلة صنهاجة ، وكانت تقيم في الشمال الغربي من فاس ، فحفظ القرآن وتلقى مبادىء علوم العربية في قبيلته ، ثم انتقل الى فاس على عادة أبناء القبائل المغربية ، وأخذ عن علمائها حتى برع في علوم الادب والتاريخ والسياسة ، وامتاز في الكتابة والشعر فكان صاحب القلم البليغ ورأس كتاب عصره على الإطلاق واستطاع ان يتولى رئاسة ديوان الانشاء في بلاط المنصور السعدي متخطياً بذلك أهل السبق من أشياخه وغيرهم من الكتاب في خدمة الدولة وراحت تصدر عنه الرسائل السلطانية البليغة التي أعادت الى الكتابة رونقها وبيانها وبلاغتها ؛ وكان مثالاً يحتذى عند كتاب عصره وأدبائه حتى قال فيه المنصور السعدي كلمته المشهورة : « إن الفشتالي نفتخر به على ملوك الارض ونباري به لسان الدين بن الخطيب » .

أما شعره فقد كان أسلوبه قوياً وسبكه متيناً ولفظه واضحاً ، تصرف في جميع الفنون الشعرية تصرُّف الشاعر المقتدر وأجاد في الوصف بين شعراء عصره ، ويشهد له بذلك تلك القصائد الرائعة التي قالها في وصف قصر البديع الذي بناه المنصور بمراكش والتي نقش الكثير من أبياتها على جدرانه وسقوفه .

وبقي الفشتالي على حظوته عند المنصور الذهبي ، ثم من بعده عند ابنه

زيدان الذي انتقل الى مراكش وانتقل معه الفشتالي الذي بقي على عهده وولائه له حتى وافته منيته فيها سنة ١٠٣٢ هـ وقد ترك لنا آثاراً أهمها :

١ ـ « مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا » ويشتمل هذا الكتاب على تاريخ الدولة السعدية من أولها الى وقته .

٢ ـ « مَددُ الجيش » وقد ذيل به (جيش التوشيح) لابن الخطيب ، ذكره المقري وأتى فيه بكثير من الموشحات لاهل عصره المغاربة وضمّنه الكثير من كلام أمير المؤمنين المنصور .

٣ ـ مقدّمة في ترتيب ديوان المتنبي على حروف المعجم .

٤ ـ شرح مقصورة المكوّدي .

٥ ـ رسائل نثرية ومنشورات سلطانية كثيرة .

٦ ـ أشعار كثيرة متفرقة في كتب الادب منها ما هو في وصف قصور المنصور ، ومنها ما هو في مدحه .

٧ ـ قصائد في مدح الرسول معروفة « بالمولديات » كان أنشأها كغيره من الشعراء في الاحتفالات العظيمة التي كان يقيمها المنصور كل سنة بمناسبة المولد النبوي الشريف . ومن احدى هذه القصائد اخترنا لك هذا النص :

قال يمدح الرسول :

١ له مُعْجِزاتٌ أخرَسَتْ كلَّ جَاحِدٍ
وسَلّتْ على المُرْتابِ صارمَ بُرْهانِ

٢ له انْشَقّ قُرصُ البَدْرِ شقّيْنِ وارْتَوَى
بماء همَى من كفِّهِ كلُّ ظمآنِ

---

١ ـ المرتاب : الذي يشك في أمر . الصارم : السيف القاطع .

٢ ـ همى المطر : سقط بغزارة . وفاعل ارتوى هو كل .

٣ وإِنَّ كتـــابَ اللهِ أَعظَمُ آيـــةٍ
بِها ٱفْتَضَحَ المُرْتابُ، وٱبْتَأَسَ الشَّاني

٤ وَعَدَّى على شأوِ البليغِ بَيانُهُ
فَهَيْهَاتَ مِنْهُ سَجْعُ قُسٍّ وسَحبانِ

٥ نبيُّ الهُدى مَنْ أَطلَعَ الحقَّ أَنْجُماً
مَحَا نورُهَا أَسْدَافَ إِفكٍ وبُهتانِ

٦ بِعِزَّتِها ذُلَّ الأَكاسِرَةُ الأُلى هُمُ سَلَبُوا تيجانَها آلَ سَاسَانِ

٧ وأَحْرَزَ لِلدِّين الحَنيفِيِّ بالظُّبا
تُراثَ المُلوكِ الصِّيدِ من عَهْدِ يُونانِ

---

٣ ـ الآية : المعجزة . ابتأس : حزن . الشاني : العدو المبغض والحـــاقد الشديد الحقد .

٤ ـ الشأو : الهدف والغاية . وقس هو قس بن ساعدة الايادي خطيب العرب في الجـــاهلية . وسحبان هو سحبان وائل من فصحـــاء العرب في الجاهلية ايضاً .

٥ ـ الاسداف : جمع سدف وهو الحجاب او الستر . الافك : الكذب . البهتان : الافتراء الصريح .

٦ ـ آل ساسان : ملوك الفرس .

٧ ـ الظبا : السيوف . الصيد : جمع أصيد وهو الرافع رأسه تكـــبراً . يونان : اشارة الى عهد الاغريق .

٨ ونقّعَ مِنْ سُمْرِ القَنا السُّمَّ قَيْصَرا
فَجَرَّعَهُ مِنْهَا مُجَاجَةَ ثعْبانِ
٩ وأضْحَتْ رُبُوعُ الكُفرِ والشِّركِ بَلْقَعاً
يُنَاغِي الصَّدَى فِيهِنَّ هاتِفُ شَيْطانِ
١٠ وأصبحتِ السَّمْحا تَروقُ نَضَارَةً
ووَجْهُ الهُدى بادي الصَّبَاحَةِ للرّاني

الشرح الأدبي

هذا النص من قصيدة طويلة قالها الشاعر في مدح الرسول وافتتحها بالغزل والنسيب على عادة الشعراء ، ثم انتقل الى مدحه (صلعم) وختمها بمدح المنصور السعدي وبالدعاء لولي عهده وذكر فتح السودان .

ويمكن تقسيم هذا النص الى ثلاث فكرات رئيسية :

في الاولى تحدث عن معجزات الرسول التي أخرست كل جاحد ومكابر

---

٨ ـ قيصر : اسم لكل ملك من ملوك الروم ، كما ان اسم كل ملك من ملوك الفرس (كسرى) واسم كل ملك من ملوك مصر (فرعون) . جرَّعه : أسقاه الماء أو السم جرعة جرعة . مجاجة الشيء : عصارته ، والمقصود به هنا لعاب الثعبان القتال .

٩ ـ البلقع : الخراب . يناغي : يحاكي .

١٠ ـ السمحا : السمحاء وهي الديانة الاسلامية وخُففت همزتها للشعر . الراني : الناظر ، من رنا أي نظر .

كانشقاق القمر اكراماً له ونبع المـــاء من كفه ، والقرآن أقوى هذه المعجزات وقد تحدى العربَ الفصحاء جميعاً فلم يستطيعوا ان يأتوا بآيـــة من مثله ، ولذلك خضعوا له وآمنوا به لانهم كانوا يخضعون للبلاغة ويؤمنون بها ، فعرفوا أن هذا القرآن البليــغ هو كتاب الله نزله على رسوله .

وفي الثانية مدح الرسول وبيّن أنه نبيُّ الهدى الذي جـــاء بالحق الواضح وقضى به على كل كذب وبهتان عند الفرس وغيرهم .

وفي الثـــالثة ذكر انتصـــار الاسلام على كل الدول القوية في ذلك العصر كالرومان وغيرها فقتل ملوكها وهدم عروشها وانتشر في ربوعها فـــأصبحت ترفل بحلل الشريعة الاسلامية السمحاء وتسير على هديها .

ولقد سيطرت على هذا النص عـــاطفة الشاعر الدينية العميقة ، واعتمد الشاعر في صوره على التشخيص كما اعتمد على التـــاريخ في ذكر قضـــاء الدين الاسلامي على الشرْك . وبيّن أن نشر الدين قـــام على السيف في بادىء الأمر وهو ما يسمى بالجهاد في سبيل الله .

وقال من قصيدة كتبت على جدران قصر البديـــع :

١ مَعَاني الحسنِ تَظْهَرُ في المغاني ظُهُورَ السِّحْرِ في حَدَقِ الحِسَان

٢ مَشَابِهُ في صِفَـــاتِ الحُسْنِ أضحتْ تَمُنُّ بهـــا المغـــاني للغَوَاني

٣ بِكُلِّ عَمُودِ صُبْحٍ مِنْ لُجيْنٍ تكَوَّنَ في اسْتِقَامَةِ خُوطِ بَانِ

٤ مُفَصَّلَةُ القُدُودِ مُثَلَّثَاتٌ مُواصلَةُ العِنَاقِ من التَّداني

٥ لمِجْدِكَ تَنْتَمي لكن نَماهَـــا إلى صَنْعَاء ما صَنَعَ اليَدانِ

٦ يَدِينُ لك ابنُ ذي يَزَنٍ ويَعْنُو   لها غمْدانُ في أرضِ اليماني
٧ غَدَتْ حَرَماً ولكنْ حلَّ فيها   لوفدكمُ الأمانُ مع الأَماني
٨ مَبَانٍ بالخلافةِ آهــلاتٌ   بها يتلو الهدى السَّبْعَ المثاني
٩ هي الدُّنيا وساكنُها إمــامٌ   لأَهْلِ الأرضِ من قاص وداني
١٠ قُصُورٌ ما لها في الأرضِ شِبْه   وما في المجد للمنصور ثاني

الاسئلة

١ إشرح المفردات الآتية : المغاني . الغواني . اللجين . خوط بان . صنعاء. ذو يزن . غمدان . يعنو . الحرم . السبــع المثاني .

٢ ـ قطع البيت الأول وسمّ بحره .

٣ ـ إشرح هذا النص شرحاً أدبياً .

مصادر

١ ـ الاستقصا : الجزءان الخامس والسادس .
٢ ـ النبوغ المغربي للاستاذ عبدالله كنون .
٣ ـ الأدب المغربي لمحمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي .
٤ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي .
٥ ـ فهرس الفهارس لكتاني .

أسئلة ومواضيع

١ ـ يعد الفشتالي رئيس كتاب عصره غير مُدافع .

أوضح هذا القول وناقشه مؤيداً رأيك بنصوص كافية من رسائله .

٢ ـ قال أحد الادباء المعاصرين في شعره : « إنه متينُ السبك ، مُحْكَمَ الرَّصْف ، ناصِعُ الألفاظ ، حسن التصرُّف في جميع فنون الشعر ولا سيما الوصف » .

أوضح هذا القول معتمداً على النصين السابقين من شعره وعلى غيرهما من الشواهد التي تأتي بها .

ابن القاضي

هو الأمـــام العلامة سند فاس ومؤرخها أحمد بن محمد بن القاضي الفاسي المكنّى بأبي العبّاس . ولد بفاس سنة ٩٦٠ هـ ونشأ وتعلم فيها الفقه والحديث وعلوم اللغة العربية والأدب والتاريخ . وكان يهتم بهذا الأخير اكثر من غيره حتى غلب عليه وعرف بـــه ، فكان رحمه الله فقيهاً ومحدثاً وأديباً واخبارياً ثقة ومؤرخاً ، سهل الاسلوب حسن العبارة ، سيّال القريحة ، لطيف الاشارة حسن الاخلاق محباً للعلم ينشره ويدرسه . وكان مطلعاً على عـــلم الحساب والفرائض . .

رحل الى المشرق مرتين واطلع على ثقافته وأخذ عن علمائه وقفل راجعاً الى المغرب فأسره بعض القراصنة من الفرنجة وبقي عندهم مدة في بلاء عظيم ، من جوع وبرد وضرب وتعذيب حتى افتداه ابو العباس المنصور السعدي بالمال الكثير .

اشتغل رحمه الله قاضياً بمدينة سلا مدة من الزمن ثم عاد الى فاس وزاول مهنة التعليم فيها وكان محباً للعلم مخلصاً في نشره يجلُّ العلماء ويحترمهم ، وبقي على هذه الحال حتى وافته منيته سنة ١٠٢٦ هـ .

وترك لنا عدة كتب قيمّة في التاريخ المغربي وغيره ، منها :

١ ـ المنتقى المقصور على محاسن أبي العباس المنصور .

٢ ـ جذوة الاقتباس فيمن حلّ من الأعلام بفاس .

٣ ـ درّة الحجال في اسماء الرجال ، وقد ذيّل به كتاب تاريخ ابن خلكان.
٤ ـ فهرسته الكبرى المسماة . « فرائد الصلاح » .
٥ ـ لقط الفرائد .
٦ ـ غُنْية الرايض في طبقات اهل الحساب والفرايض .
٧ ـ المدخل في الهندسة .
٨ ـ نظم تلخيص ابن البنّا .
٩ ـ نظم منطق السعداني .
١٠ ـ نيل الأمل فيما به بين المالكية جرى العمل .
١١ ـ درة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك وشرحها ، وغير ذلك من الكتب المفيدة نظماً ونثراً . ولقد رُوجعَ اكثرها بين يدي ابي العباس المنصور السعدي وتلقاها بالقبول والرضى . واليك شيئاً من شعر ابن القاضي :

قال في « المنتقى المقصور .. » يمدح ابا العباس المنصور حينما بعث بخُصَّة عظيمة الى جامع القرويين بفاس ووضعت تلك الخصة على كرسي من المرمر تحت منارة الجامع المذكور ، وذلك سنة ٩٩٦ هـ ، ولقد نقشت هذه الأبيات على رقبة تلك الخصة :

١ إِمَامُ دارِ الهدى المنصورُ شَيَّدَني
بَحْرُ المكارِمِ من أبناء عَدنَانِ
٢ حُزْتُ المفَاخِرَ بالمنصور أجمَعَها
ومِنْ عُلاه سنامَ المجد أرسَاني
٣ مَنْ جاء يشكو الظَّما يَوْماً وقَبَّلَني
أغناه ما قد هَمَى من صَوْبِ أجفاني

٤ لا تَنكرَنَّ وجودَ الدَّمع من فَرَحٍ

فالعينُ تَدْمَعُ مــن إِفراطِ سلْوانِ

٥ واْشرَبْ هنيئاً من السلسالِ لا حَرَجٌ

معينَ دَمْـــعٍ جرى من فيض خلْجَاني

٦ فَخْرُ السلاطينِ من أبناء فاطمةٍ

أشاعَ صيتي الى أطرافِ عَمَّانِ

٧ وقد جَرَتْ مقلتي تحكي سحائبُها

كفَّ الخليفةِ من أبناء زيدان

٨ لا زال للدين والدُّنيا يَسُوسُها

ما هَيَّجَتْ عاشقاً وُرْقٌ بأفْنَانِ

وعندما أخلى النصارى مدينة « آصيلا » خوفاً من المسلمين وتركوهـا ناجين بارواحهم وذلك سنة ٩٩٧ هـ. قال ابن القاضي يمدح المنصور :

٩ يا أيُّها المنصورُ أبشِرْ بالعُلا

فاللهُ أبلَغَ في العدا المأمولا

١٠ أنضاكمُ سيفاً لحتفِ عداتِهِ وبكم غدا سيفُ الرَّدى مَفْلُولا

١١ وهَزَمْتُمُ الشِّرْكَ المتينَ بعزمكم

من غيرِ سيفٍ لم يُرَ مَسْلولا

١٢وأذيتمُ كيد الخبيثِ بهمة وفَتحتمُ دارَ العِدَا آصيلا
١٣أكرمْ به من مالكٍ بل صالحٍ أضحى لبارود العداةِ خليلا
١٤لا زال في أنف الهُدَى شَمَماً وفي
عينِ العَلاءِ يُشاكِلُ التَّكحيلا

الأسئلة

١ ـ اشرح المفردات الآتية :
همى – صوب – السلسال – خلجان – الصيت – عمان – تحكي – ساس الناس – الورق – الفنن – انضى – مفلول – آصيلا .
٢ ـ قطّع البيت الأول وسمّ بحره .
٣ ـ اشرح الابيات الستة الاخيرة شرحاً أدبياً .

---

١٣ ـ يشير بقوله « لبارود العداة خليلا » الى ما دبره النصارى من مكيدة حينما أخلوا (آصيلا) فحفروا تحت قصبتها حفرة وملأوها بالبارود واوقدوا لها فتيلاً بحيث ان ناره لا تصل الى تلك الحفرة الا عند دخول المسلمين المدينة فيهلكون جميعاً ؛ الا ان نصرانياً فرّ واخبر المسلمين بذلك فنجاهم الله من هذا الهلاك المحقق وكفاهم شرّ القتال .

مصادر

١ ـ صفوة من انتشر — للأفراني
٢ ـ نشر المثاني — للقادري
٣ ـ سلوة الانفاس — لكتاني
٤ ـ الدرر البهية — للفضيلي
٥ ـ فهرس الفهارس — لكتاني
٦ ـ تعريف الخلف برجال السلف — لمحمد الحفناوي

اسئلة ومواضيع

١ ـ تكلـّم لنا عن ابن القاضي المؤرخ وتوّسع في ذلك .
٢ ـ إيتنا بقطعة من شعره وادرسها دراسة أدبية وافية .

أحمد بابا السوداني

هو احمد بن احمد بن احمد بن عمر بن محمد الصنهاجي السوداني المعروف ببابا او التنبكتي نسبة الى مدينة تنبكتو السودانية التي ولد بها سنة ٩٦٣ هـ في بيت علم وصلاح ، ونشأ على حب العلم وطلبه فقرأ على أبيه وعمه الشيخ الصالح ابي بكر العربية والحديث والمنطق ، كما قرأ التفسير والحديث والفقه واصوله والعربية والبيان والتصوف وغيرها على الشيخ العلامة بفيع وغيره فخرج أديباً فقيهاً محدّثاً مؤرخاً . وكان حسن الفهم والادراك ، كثير التأليف حتى بلغت تآليفه الأربعين .

ولقـــد نفي الى مراكش بأمر من السلطان ابي العباس المنصور الذي امر بتغريبه وجماعة من علماء وفضلاء تنبكتو ، فنقلوا الى مراكش مـــع عيالهم واولادهم بقصد جمع الكلمة كما خاطبه المنصور عندما سأله عن اسباب تغريبه : « أردنا ان تجتمع الكلمة وانـتم في بلادكم من أعيانها فان اذعنتم أذعن غيركم » واقـــام الشيخ ابو العباس مدة في مراكش وتصدّر لنشر العلم وصار له فيها تلاميذ واتباع ومريدون كثيرون.

ولـما توفي ابو العباس المنصور أذن أبنه زيدان للشيخ وجماعته بالعودة الى تنبكتو فعادوا اليها فرحين مسرورين .

وتوفي رحمه الله بتنبكتو سنة ١٠٣٢ هـ ومن اهم كتبه التى تركها :

١ ـ نيل الابتهاج بتكميل الديباج .

٢ ـ شرحه على مختصر خليل في الزكاة .

٣ ـ حاشيته المسماة « متن الرب الجليل في مهمات تحرير الخليل » .

٤ ـ فوائد النكاح على مختصر كتاب الوشاح للسيوطي .

٥ ـ تنبيه الواقف على تحرير نية الحالف .

٦ ـ التعليق على اوائـــل الألفية الذي سماه . « النكت الوفيّة لشرح الألفية » .

٧ ـ نيل الأمل في تفضيل النيّة على العمل .

٨ ـ التحديث والتأنيس في الاجتماع بابن ادريس . وغيرها كثير .

واليك نصاً من كتابه : « نيل الابتهاج بتكميل الديباج » قال في فاتحته :

« ... وبعد ـ لمّا كانَ علمُ التّاريخ ومَعْرِفَةُ الأئمّةِ من علماءِ اللهِ من الأمور العَلِيّةِ ، يَعْتَني بِهِ كلُّ ذي همّةٍ زكيّة ، إذ هُمْ نَقَلَةُ الدِّينِ وحَمَلَـــةُ الشّريعةِ المُحَمَّديةِ ، وبِهِ يَتَمَيَّزُ الصّالِحُ من الطّـــالح والمَسْخُوطُ من المقبولِ ، ويُعْرَفُ ذو العَدْلِ منهـم ومن هو مجهول ، فيعطي كلَّ ذي حَقّ حَقَّهُ كما وَرَدَ بـه أمرٌ من الرَّسولِ ؛ اعتنى الأئمّةُ قديماً وحديثاً بالوضع فيها على أنحاءٍ متفاوتة ، وأضْرُبٍ متباينـة ، فبعضهم عرّف المُحَدِّثِينَ والرُّواةَ جرحاً وعـدالةً ، وبَعْضُهم عرَّف أهـلَ الفقهِ ومَنْ لهم فيه مقالة أو انْتَسَبَ الى حَمَلَتِهِ وانتحى له . وكانَ مِمن سعى في ذلكَ من أهْلِ مَذْهَبِنا المالكيَّة سَعْياً حثيثاً، وجَمَعَ فيه ما تفرَّق عند غيره قديماً وحديثاً ، الإمامُ الـكامِلُ ، الجليلُ الفاضِلُ ، أبو الفضل عياض ، مَلأ اللهُ تعالى ثراه من رُحْماه أزاهـــير رياض ، ثم تابعه جماعة اختصروا من مدارِكِهِ بعض ما تيَسَّر كابن حَمَّاد وابن رشيق وابن علوان وغـــيرهم من فضلاءِ الأعيانِ . ثُمَّ جاءَ الإمامُ العَلاّمةُ الحافظ الفهّامة أبو اسحق ابراهيم

ابن فرحون المدني أدخل اللهُ على رَمْسِهِ الريحَ الهني فقطف من كلامــه[1] بعض ما ذكر ، واستدركَ عليه جمــاعةٌ ممـن عنه تَأخَّرَ ، فَـرَتَّبَه على حروف المعجم ، وبَيَّنَ فيه بعضَ مَنْ قَـدْ يَخفى أو يَبْهَم ، فهـو وان لم يُوفِ من ذلكَ مطلوب الغـرَضِ فلقد قامَ ببَعْضِ الحَقّ المُفْتَرَضِ .
فما زالتْ نَفْسِي تُحدّثُني من قديمِ الزَّمانِ ، وفي كثيرٍ من ساعـات الأوانِ ، استدراكي عليه ببعض ما فـاته او جاء بعده من الأئمة الأعيان ، فقَيَّدتُ فيه بحسب الإمكان ، حين كنتُ ببلدٍ بعيدة عن نَيْلِ المقصد من ذلك لِبُعْدِها عَنْ مُدُنِ العلم وكُتُبِ هذا الشأن ، فقَصَّرَ بِيَ الحالُ مع عَدَمِ مساعدة الزَّمان ، لما بُلِينَا بِهِ من حوادثِ الوقتِ وفِتْنَةٍ تُشْغِلُ عن كلّ فَرْضٍ ، وتَرْمِي بشررٍ كالقصر في الطُّولِ والعرض . هـذا مع أنَّ المجتهِدَ في هذا الفَرْضِ مُقَصِّرٌ ، والمُطِيلَ مُخْتَصِرٌ ، إذْ ما يذكر أقَـلُّ من مِعشار ما يُغْفَلُ ، وما يُنْقَلُ لا نِسْبَةَ بينَهُ وبينَ ما يُجْهَلُ ، فبحار المداركِ مَسْجُورة ، وغـاياتُ الإحسانِ على الإنسانِ مهجورة ، وحسبك في صعوبةِ الحال أنَّا لم نجد أحداً تَعَرَّض لجميـع ذلك بَعْد ابن فرحون أو تَصَدّى لذلك في جِدّ أو مجون إلا رجـلا واحداً من أهـل العصر ذكر في مجموع نحو ثلاثمـائة رجل بيض لتراجم جمـاعة منهم لم يجد لمعرفتهم سبيلا ، ولا ذكر من حالهم كثيراً ولا قليلاً ، مع أنَّه من أهل مصر والقاهرة ، وله حَظٌّ من الرِّياسة الظاهرة ، وعنده من الكتب على ما قيل ما لا يُحصى لما ناله من السعادة الباهرة ، وقديماً قيل نِعْمَ العونُ على العلم الرِّياسة .
فما الظَنُّ بمن في طرفٍ من آخر المعمور ، خالٍ عن العلم وأدواته خادع نفسه بسراب التَّمني والغرور ، ولولا فَضْلُ المولى ذي الفَضْلِ والإحسانِ الذي يَفْتَحُ على من يشاءُ من عباده بما شاء من أنواع الإمتنان ما جَمَعْتُ في هـذه الكراديس ما تَيَسَّرَ لي من ذلك ممن ليس في ديباج[2] ابن فرحون مذكورة ،

١ ـ يعني كلام أبي الفضل عياض .

٢ ـ هو كتاب « الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب » تأليف العلامة قـاضي القضاة محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي .

وزدت في بعض تراجم من ذكره ما تَرَكَ من أوصافِهِ المشكورة ، فجاءَ بحمد اللهِ تعالى فَوقَ ما أردتُ ، وزائداً على ما نويتُ وقصدت ، وسَمّيْتُهُ (نيل الابتهاج بتكميل الدّيباج) جعله الله تعالى خالصاً لكريم وجهه ، وموجب الفوز لديه بفضله .

الأسئلة

١ ـ لماذا الف احمد بابا السوداني كتابه نيل الابتهاج بتكميل او بتطريز الديباج ؟

٢ ـ ما هي علاقة كتاب السوداني بالديباج المذّهب للقاضي فرحون ؟

٣ ـ اي نوع من الاسلوب يسود هذا النصّ ؟ .

اشرح النصّ شرحاً أدبياً واشر فيه الى تواضع صاحبه من الناحية العلمية .

مصادر

١ ـ نيل الابتهاج بتكميل الديباج طبعة مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٩ هـ .

٢ ـ الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب تأليف قاضي القضاة العلامة محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي . طبعة السعادة بمصر ١٣٢٩ هـ .

٣ ـ صفوة من انتشر للأفراني .

٤ ـ نشر المثاني للقادري .

٥ ـ تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي .

٦ ـ فهرس الفهارس لكتاني .

٧ ـ الاستقصا ـ الجزء الخامس .

أسئلة ومواضيع

١ ـ إيتنا بترجمة موسعة عن الفترة التي قضاها أحمد بابا السوداني بمراكش بأمر السلطان أبي العباس المنصور ، وبصورة خاصة عن العلوم التي كان يدرسها وعن حلقاته وتلاميذه وما الى ذلك .

٢ ـ إيتنا بنص له وادرسه دراسة أدبية وافية .

تم الكتاب بعونـــه تعالى

فهرست

الثمن : ٧٠٠ ق. ل.

طبع في لبنان